

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

معهد الدعوة
و أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية

العنوان:

الإستكلال بالقراءة الكريم

«طرائقه، ضوابطه، معطياته»

بحسب مقام لنيل درجة الماجستير
في التفسير الموضوعي

الإشهاد:
د: مساعد مسلم آل جعفر

إعداد الطالب:
الطالب: رشيد كويرة

السنة الجامعية: 1414 هـ - 1415 هـ

1993 م - 1994 م

مقدمة:

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) .
(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تسامون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) .
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن بطع الله ورسوله فقد قاز فوزا عظيما) .
أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي رسول الله وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أهمية الموضوع وسبب اختياره :

ان أهمية هذا الموضوع تكمن في مدى حضوره في حياتنا اليومية ، ان في مجال العلمي أو العملي ، الحضور المكثف والمتواصل .
أما في حياتنا العلمية ، فس عهد الثرول والقران حجة الناس في دعوتهم وعملهم وكث مجالات حياتهم الثقافية ، فدعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلاوة قران ، فهو يتلوه اثناء الليل وأطراف النهار ، فهو يتلوه في الأندية ، والأسواق ، عند الأتجماع والافتراق ، يسمعه الناس كلهم - مؤمنهم وكافرهم - بل أسمعته حتى الجن ، وقد شهدت بذلك: (قل أوحى الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عذبا...) وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرؤه محتجا كما يقرؤه مستذلا ومستشهما ، ويقرؤه منعيا ، وكان يحب أن يسمعه من غيره ، وقد سمع ابي عبد الله بن مسعود يقرأ حتى وقف به عند قوله تعالى: (كيف اذاجتنا من كل أمة بشهيد وحننا بك على هؤلاء شهيدا) وكان يسمع الي ابي موسى الأشعري ، كما يسمع الي ابي بكر وعمر وغيرهما وهم يتلون القران لأنفسهم ، هذا القران هو استدلال الصحابة ، هو الحلقة الأساسية في البحث لأنه الفهم الصحيح والسليم لحقيقة الاستدلال ، وهو في ذاته مترابط وطريقة في آن واحد .
وان لم أطل في حقيقة الاستدلال لغة واصطلاحا وعند الفلاسفة وعلماء الكلام والمفسرين وفي الحديث لأنني اعتبر ذلك مدخلا للبحث يدور حول حقيقة الاستدلال .
ان حقيقة الاستدلال اللغوية والاصطلاحية وحتى عند علماء الكلام والفلاسفة غير كافية لتعريف الاستدلال بالقران وانما الذي يعطى لحقيقة الموضوع " الاستدلال بالقران الكريم "

معنى هو استدلال القرآن نفسه ، وبالأخص استدلالات النبي - صلى الله عليه وسلم -
ووجه من استدلالات الصحابة ، إذ قسم من استدلالاتهم هو من قبيل استدلالات النبي -
صلى الله عليه وسلم - وذلك من خلال سماعهم منه و تورعهم في نسبة ذلك إليه خوفا
من الوقوع في الكذب عليه كما أن جانباً منه - أيضاً - من فهمهم الخالص وعلمهم ولهذا
وضعت بعد الفصل الأول ، فهو يربط المنخل بتعاريفه بما يأتي من الاستدلال بعده.
وقد تجلّى بعد ذلك الاستدلال عند فرق كلامية ، وعند مذاهب وعلماء وهذا الاستدلال
ينقسم إلى قسمين :

1- استدلال صحيح وهو ما كان وفق طرائق من جنس طرائق القرآن وطرائق الحديث
وطرائق الصحابة وإن اختلف في مادته وملابساته وحيثيات هذا الاستدلال.

2- استدلال غير صحيح وهو ما كانت تحكمه طرائق الفلاسفة ، وعلماء كلام وأصحاب أهواء
والشبهات المنحرفة والبدع وخالف المأثور والمنقول عن الصحابة والتابعين ، وقد تجلّت
هذه الظاهرة بدءاً في استدلالات أصحاب الفرق والأهواء ، وبعض غلاة المعتصمين للمذاهب
وأراء الرجال ، وقسم صحيح ظهر في استدلالات أصحاب مذاهب ومدارس علمية ، وقد
نلتزم كل هذا في الاستدلال عند الفرق والمذاهب ، وحتى عند المتأخرين من بعدهم ولهذا
جاء الفصل الثالث ليناقد الاستدلال عند الفرق ، وعند أصحاب المذاهب.

كما كان للتأويل أثر كبير في العملية الاستدلالية ، فإبانت أن مناقش ظاهرة التأويل وأقسامه
والمزولين وأصنافهم في القسم الأول من الفصل الرابع ، وحتى يكون الشق الذي يعكس
الاستدلال غير الصحيح ثم يليه الاستدلال من جديد في الجانب الصحيح وهذا عند فريق من
العلماء ، كل هذا في شقين من المؤلفين وأصنافهم ، والمالكين منهج السنف الصالح.
وإن عكست هذه الفصول طرائق الاستدلال في القرآن وفي الحديث وعند الصحابة والسلف
الصالح ثم الاستدلال في بعده الفقهي والعلمي عند من جاء بعدهم ، فإن هذه الطرائق أفرزت
معطيات منها ما كان نافعا وعلما جديداً يضاف إلى تراث الأمة ، ومن المعطيات ما عكست
مبواهر قديمة جديدة ، أبرز هذه الظواهر :

1- ظاهرة التأويل في بعدها التاريخي وحتى إلى اليوم.

2- ظاهرة التأويل الشيعي بين النص القرآني من جهة ، والموضوع أو الحال المستشهد عليه
بالقرآن من جهة ثانية.

و حقيقة الأمر أن هذه النقطة في بعديها هي جوهر البحث ولبه وذلك لما ينجلي لنا من خطر
في هذا المجال بالذات وبالأخص في :

ب- الحياة العلمية : إن حياة المسلمين العملية بالأمس وحتى اليوم عاشت وتعيش اضطراباً
نتيجة التأويل البعيد والمسبعد واستغلال النص القرآني في الكثير من المباحث الفلسفية
والفكرية .

والعملية وخاصة في مجالات البحث والاكتشاف والاختراع ، فغالبا ما
تؤول الآيات تأويلات بعيدة لتلائم هذه المباحث الجديدة اليوم القديمة
غدا ، الصحيحة اليوم الفاسدة المردودة غدا ، المعتبرة حقائق اليوم
وأباطيل وأراجيف غدا ، حتى أن بعض الناس أصبحوا يستدلون على
كل شيء من القرآن ، ولسنا ضد شمولية القرآن للحياة والكون جميعا
وذلك في اشارته وتوجيهاته، وتنويهه بالعقل والعقلاء ، والعلم والعلماء
وانما في جانب التعسف في التأويل البعيد ، والاستدلالات التي تردها
قواعد اللغة و ضوابط المأثور من صريح النقول وصحيحها كما أن
ظاهرة التكفير في بعدها العملي جنت وتجنى على الأمة . فان الآيات
التي تناولت موضوع التكفير ، والكفرة محكومة بأيات أخر وأحاديث
وبضوابط من لغة وشرع وعلم . وهذا ساحتنا جاهدين التحدث عنه في
الفصل الأخير والذي كان خامسا .
وفي هذا العمل خدمة جليلة للبحث العلمي ، وتقديم لمادة التفسير في
نوعها - التفسير الموضوعي - لكل راعب أو مستفيد .
وقد توحيت من دراسة الظاهرة - الاستدلال بالقرآن - الدراسة
الموضوعية ، وقد برزت عناصر الموضوع في جانبين رئيسيين:
أولهما: المستدلين اذ هو العنصر الاساسي الفعال في عملية الاستدلال
ولهذا برزت شخصيات علمية كثيرة.

ثانيهما: المستدل به وهو القران أي المفسر حسب الوقائع والاحداث
والمعطيات الجديدة .

وكان لزاما أن يكون هذان العنصران في البحث لأنه يظهر الاستدلال
الصحيح وغير الصحيح الا من خلال هذين العنصرين .
والحقيقة أن المادة العلمية مبنوثة في ثنايا كتب التفسير والحديث والثقافة
الاسلامية قديمها وحديثها ، ولكن الاشكالية هي عدم وجود موضوع -
الاستدلال - متبلورا كما أردناه ، فكان جهدنا في ابراز جانب الاستدلال
في هذه المادة العلمية ودراستها .

وقد أعوزتني مصادر قيمة كنت أمل الحصول عليها ، ولم أجد بدا من
الاعتماد على مراجع قد أفادتني ، وان قلت الامهات وحضرت المراجع
والمؤلفات الحديثة فالعذر مامبق وان أنسى فلا أنسى فضل الاستاذ
المشرف الدكتور مسلم مساعد ال جعفر على مدى اتساع صدره لي ،
وخالص نصحه ودقيق ملاحظاته وتوجيهاته التي توخيت أن أعكس الكثير
منها وما فاتني - وهو كائن لامحالة - يعود لسهو أو نسيان لامخالفة .
كما لا انس أن أنوه بفضيلة الاستاذ : فخري أبو صفية الذي رحب بي
وبالموضوع وأعانني بارشاداته وتوجيهاته في وضع الخطة وكذلك من
قبله الاستاذ: محمد التومي الذي رحب بالموضوع وزكاه في اللجنة
العلمية

وجزيل شكري للجامعة الاسلامية المعمورة - ان شاء الله - وعلى
المرير الذي قابلتنا به نحن طلبة العلم الذين قصدناها لالشيئ سوى
لنخدم عقيدة ونحمل هما اسلاميا ودعوة على علم وبصيرة حتى نكون
دعاة هداية .

وان كانت لي من كلمة أخيرة اختتم بها فهي قولي: ((اللهم ان كان من
خير وصواب في هذا البحث المتواضع فهو من الله ثم من أهل الفضل
علينا وان كان ثمة من تقصير ونقص وخطا - وهو كائن لامحالة -
فمن نفسي ومن الشيطان ، واستغفر الله لي ولكم)) .

((ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما
حملت على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا أنت سؤلانا فانصرنا على الكافرين)) .

والله الموفق وهو الهادي الي سواء السبيل .

* المنهجية الاستدلالية في القرآن :

الاستدلال في القرآن الكريم :

القرآن كتاب الله الذي أنزله على رسوله، وتحدى به جميع الناس، بل والجان: (قل لمن اجتمعت

الامس والامر على ان ياتوا بمنزل هذا العرار لا ياتون بمنله ولو شان بعضهم ليعمو ظهيرا) (1)

وقد كان القرآن الكريم وسيلة النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوته إن في خطاب الناس أو جدال المعاندين منهم، بقرؤه على العرب وهم يدركون منه ما لا يدركه غيرهم، يعرفون لغته، فصاحته، بلاغته، أسلوبه. لهذا وقعوا منبهرين مشدوهين أمام فصاحته، وبلاغته، فضلا عما حواه من معارف علمية، وحقائق كونيّة، وسنن إجتماعية، وشرائع وأخبار...

وقد وقف أئمة البلاغة والفصاحة من خطباء وشعراء عاجزين أمام هذا التحدي البين (بتشديد الياء) ؛ قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما للبيد الشاعر: أنشدني من شعرك. قال لبيد: ما كنت لأنشدك بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران (2).

وقد أسلم عمر بن الخطاب نفسه متأثرا بما سمع من القرآن الكريم ؛ يسوق ابن هشام ذلك فيقول: «...فقام عمر فاغتسل فأعطته (أخته) الصحيفة وفيها -طه- فقرأها. فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!!» (3)

فلقد أثرت هذه الآيات من سورة - طه - في عمر كل التأثير حتى أسرع الى النبي صلى الله عليه وسلم -فأشهر إسلامه. ولما جاء جبير بن مطعم الى المدينة بعد بدر مفاوضا. وحان وقت الصلاة، فقام المسلمون لصلاة المغرب وبدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - يتلو من سورة الطور ؛ قال جبير بن مطعم : «كاد قلبي أن يطير...» (3) وجاء عتبة بن ربيعة بفاوض النبي صلى الله عليه وسلم - فقال (3) : « يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به احلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضي من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضا. فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : قل يا أبا الوليد أسمع. قال : يا ابن أخي : إن كنت إنما تريد بما جنت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا

1- سورة الاسراء - الآية 88 -

2- د. زكريا عبد الرحمن صيام : شعر لبيد بين الجاهلية والاسلام . ص 11 ديوان المطبوعات رقم : 2015 -

09 - 85 يتصرف تلفظ

3- ابن هشام : محقق المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد(ج-1 ص 317 ط 1356 1937 دار

الفكر). وزين الدين بن احمد بن عبد اللطيف الزبيدي : «التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح» ج 2 ص 416

مراجعة احمد راتب عرموش - محقق ابراهيم بركة ط 2 1406 هـ - 1986 م - دار الفانوس بيروت -

سألا . وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لانقطع امرا دونك . وان كنت تريد به ملكا ملكنا ، وان كان هذا الذي يابيك رنيا تراه لاتستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطيب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أركما قال له . حتى اذا فرغ عتبه ورسول الله يستمع منه ، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم، قال: فاستمع مني . قال (1) :أفعل. فقال: (سم الله الرحمن الرحيم . حم سزبل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض أنكرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلبونا في أكنة مما تدعونا اليه ... ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبه أنصت لها والقي يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه . ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك)) (2) . وفي بعض الروايات حتى وصل إلى قوله: (...فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)) (3) عندها ، ناشده عتبه الرحم أن يسكت .

هذه الامتنه والتمادج قليل من كثير وماهي الا نتائج لهذا التحدي . والاستجابة له اذ من هذه الاستجابات ماهي بالايجاب والقبول ومنها ماكانت بالنفي والرفض . وقد استمر النبي - صلى الله عليه وسلم - على هذا النهج يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . والمجادلة بالنبي هي أحسن وبالتحدي . وهو في كل هذا مقتد باخوانه الانبياء والرسل: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده...) (4) فقد حفل القرآن الكريم بهذه الصور . كما حفل أيضا بالطرق الجدلية والبراهين ، والاستدلالات الكثيرة والمتنوعة والتي تمحور أغلبها حول:

أ - حض الباطل ، وابطال دعوى الشرك ، والوثنية ، وكل ما يست إلى هذا بصلة ان في العقائد والنصورات ، أو في الشعائر والشرايع ، أو في كل ما هو من طبيعة الشرك ومظاهر الوثنية ومعالمها .

ب - الدعوة إلى الفوحيد و غرسه في القلوب والنفوس ، وإيقاظ البصر السليمة ، وتعريف الناس بحقيقة الألوهية والربوبية ، أو ما اتصل بالفوحيد من مفومات ، وخصائص وقضايا الإيمان العامة والخاصة . وكانت هذه الصور انوار الاستدلالية متنوعة تتوع الموقف والمقام ، والموضوع ، الباطل أو جه لا يمكن

1- ابن هشام. السيرة للنبي صلى الله عليه وسلم ج اص 313 ، 314 .

2- محمد الغزالي: فقه السيرة ص 114_ 115 ط 7_ 1976 دار الكتب الحديثة خرج أحاديث الكتاب محدث الديار الشامية العلامة محمد ناصر الدين الالباني.

3- الآية 12 ، فصلت.

4- الآية 90 الاتعام - يقول ابن تيمية: (لقد شمل القرآن جميع صور الاستدلالات العقلية ، ولكن كانت طريقة الانبياء الاستدلال على الله بذكر آياته) علي سامي انشاز مناهج البحث عند مفكري الاسلام ص 276 .

دحضها الا بالطرائق الملائمة : فاقتضت هذه الاحوال ضرورة الجدل، والمناظرة والاستدلال بما يؤدي الى الغرض سواء كان ذلك بالآيات القرآنية أو بألفاظ النظر الى الايات الكونية.

فكان هذا الاستدلال متباينا في شكله ومادته، ويمكن حصر بعض أنواعه في الآتي:

1- إستدلالات قرآنية : تنصرف الي طبيعة ما يؤمن به المجادل تفنيديا وإبطالا.

والمجادلون على أنواع :

أ - عرب أميون يتميزون بعقلية ساذجة ، وعادات وتقاليد بدوية.

ب - أهل كتاب لهم أثر من علم لكن يعترها الكثير من التزييف والتحريف.

ج - عبدة لنجوم وكواكب، وأصحاب فلسفات يزعمون أنها ذات مصدر إلهي.

د - أناس متذبذون لا يملكون عقيدة ولا موقفا، ولا يعرفون بوصف معين أو بحقيقة معينة.

وقد تنوعت الاستدلالات القرآنية تنوع هذه الاصناف، فجاءت هذه النماذج الاستدلالية في صور جدلية بين الانبياء والرسل من جهة ، وأقوامهم من جهة ثانية، كما جاءت في بعض النماذج المؤمنة أو الكافرة على مستوى الافراد والجماعات.

والحقيقة أن الاستدلال بالقرآن الكريم شكلا ومادة ، وخصائص ، ومقومات، وطرائق ومعطيات - يستوجب الرجوع الى القرآن ذاته حتى يتم استيعاب كل الاستدلالات التي تضمنتها سوره وآياته.

وعلى هذا، فالاستدلالات الواردة في القرآن الكريم، هي الانموذج العلمي للاستدلال بالقرآن. ومن ثم فدراسة هذه الاستدلالات والوصول الى معرفة مرتكزاتها، ومعرفة طرائقها ومعطياتها، هي خير معين على حسن الاستدلال بالقرآن الكريم.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يستدل بالقرآن الكريم، وبما فيه من صور وذلك بتلاوة النص القرآني مستشهدا أو محتجا أو متمثلا به، وقد علم سبب نزوله من قبل كما علم موضوعه. وكل هذا يندرج ضمن البلاغ النبوي، كما يندرج ضمن البيان النبوي لقوله تعالى: (يا ايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته...) (1) و لقوله تعالى: (...وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (2) واذا ما تأملنا استدلالات النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلمنا شكليا على أنها استدلالات، فإنها تنصرف من حيث حقيقتها الى:

- 1- تفسير القرآن الكريم.
- 2- تبين سبب نزول آيات أو سور قرآنية.
- 3- استدلالات واستشهادات على دعوى معينة بما يؤيدها من القرآن.

1- الاية 69 المائدة

2- الاية 44 النحل

وإذا ما تأملنا هذه الاستدلالات الواردة في الحديث الشريف ، فإننا نجد أنها هي عينها الواردة في القرآن الكريم. و الحق ان الظاهرة الاستدلالية وبالأخص الاستدلال بالقرآن الكريم ، تعد الظاهرة الأكثر حضورا في الحياة العلمية عند علماء المسلمين ، وهي على أنواع:

أولا: إستدلال بالقرآن على شاكلة ما ورد في القرآن نفسه: وقد ظهرت هذه الأنواع الاستدلالية عند علماء الكلام سواء من حيث مبدأ العلية، أو مبدأ التعارض ومفهوم المخالفة... وقد عد الكثير من علماء الكلام القرآن الاصل الاساسي في استنباط القواعد، والضوابط، والطرائق وحتى المعطيات في الاستدلال.

فدراسة الاستدلال القرآني خير معين على الاستدلال به، وخير مصحح لحقيقة الاستدلال، وكل هذا بالنظر في الاستدلالات القرآنية وأنواعها.

ثانيا : الاستدلالات الواردة في الاحاديث النبوية:

و من الاستدلالات ، الاستدلالات النبوية. وقد اشتملت كتب السنن على نصوص حديثية تتضمن آيات قرآنية في أول الحديث ، أو في وسطه، أو في نهايته، على شكل استدالات وهي على ضرب:

- إستدلالات هي في أصلها تفسير للآيات القرآنية.

- إستدلالات هي في حقيقتها تعريف بسبب النزول.

- إستدلالات قرآنية واستشهادات أو تمثلات.

ثالثا : إستدلالات السلف بالقرآن :

لقد وقف علماء السلف الصالح طويلا يأخذون منه حاجتهم وحجتهم ، وتيقنوا أن فيه الحجة البالغة، والدليل اليقيني، فلم يقبلوا قولاً، ولا رأياً، الا بشاهد من كتاب الله أو سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-. فلم يرتض الصحابة والسلف الصالح أي قضية او أي مسألة الا بدليل نقلي قوي، وأقوى الأدلة على الاطلاق كلام الله ، فكان الاستدلال القرآني في أجل صورته عند السلف الصالح وهو كثير، منه ما كان:

- ضمن المباحث العقيدية، والكلامية، والفلسفية.

- ومنه ما كان في المباحث الشرعية والفقهية.

- ومنه ما كان ضمن التفسير، وعلوم القرآن الكريم وعلوم أخرى.

ويمكن اعتبار الاستدلال عند السلف من القواعد الاساسية والمتينة في دراسة حقيقة الاستدلال،

وذلك للاعتبارات التالية :

أ - فقههم لحقيقة الاستدلال القرآني، وأنواعه، وطرائقه ومعطياته، واقتداؤهم بكل هذا في استدالاتهم.

ب - إطلاعهم على استدالات النبي -صلى الله عليه وسلم- واتباعهم لها في علمهم وأقوالهم .

ج - امكاناتهم العلمية والمعرفية وقدراتهم اللغوية مع قريهم من النبي -صلى الله عليه وسلم-.

بيد أن الخلف في تعاملهم مع الاستدلال القرآني انقسموا الى فريقين :

- الفريق الاول: سلك منهج السلف، وألزم نفسه بما التزموا به من اتباع للنص القرآني وما فيه من النماذج الاستدلالية، والطرائق، والقواعد وفق الضوابط القرآنية، والتزم بالمنهجية الاستدلالية الحديثة التي هي على شاكلة الاستدلال القرآني، وهي من البيان له.

- الفريق الثاني : لم يلتزم بكل ما التزم به السلف، وقال في « الاستدلال بالقرآن الكريم » برأيه، واجتهد مستعملا العقل الى حد اضافة مفاهيم فلسفية وكلامية على آيات وحقائق قرآنية، ويمكن اعتبار الكثير من أعمال هؤلاء التنظير العلمي والعملي للمدارس الكلامية والمناهج الاستدلالية عند نفر من الفلاسفة المسلمين، وعلماء الكلام. و ما يمكن استخلاصه من كل ما سبق، أن القرآن الكريم كتاب الله ومعجزته الخالدة التي تحدى بها رسوله الكريم كل الناس، وأنه حجته البالغة على خلقه ولهم (.. نقل فله الحجة البالغة) (1) و «القرآن حجة لك أو عليك .» (2) إن الضوابط العلمية للاستدلال متمثلة في نماذج الاستدلال القرآني المنتشرة في ثنايا القرآن الكريم، وفي صور مختلفة لأنواع من الجدل القرآني . كما أن الطرائق المودعة في القرآن، متمثلة أحيانا في الحكمة وأحيانا أخرى في الموعظة أو المجادلة والتي هي أحسن. وقد جاءت هذه الطرائق متنوعة ثماشيا مع النفس البشرية في حالاتها المختلفة ووفق السنن المودعة في الحياة والاجتماع والكون . كما جاءت هذه القواعد محكمة في قوانين علمية من كتاب الله، ومن السنته صارت علوما، منها ما تعلق بالكتاب فهي علوم القرآن، ومنها ما تعلق بالسنة فهي علوم السنة، ومنها ما صار حكمها حكم الوسائل كعلوم اللغة ، والنحو والصرف ...

إن الاستدلال بتوعيه -الموفق ، وغير موفق -قد ورد في ثقافتنا الاسلامية قديمها وحديثها، وفي كتب المعتدلين والمغالين من أصحاب الاهواء والفرق المنحرفة ومن تأثروا بأساليبهم كما هو الحال بالنسبة لبعض المعتزلة ومن سلك مسلكهم من مفكرين وعلماء ، وبالأخص الذين تأثروا بمعطيات النهضة الغربية الحديثة ومنجزاتها الادبية والعلمية الى حد تحولت فيه بعض التفاسير الى موسوعات علمية (الجواهر: علي طنطاوي) . (3)

1- الآية 150 الأنعام

2- ابو داود : سنن ابي داود -دار الحديث حمص، توزيع الشركة المتحدة -بيروت-

3- الشيخ طنطاوي جوهرى 1870-1940. مجموعة من المجلدات تناول فيها المؤلف حقائق علمية و نفسية و اجتماعية ... ونظريات مختلفة و كان يتطرق في كل ذلك من خلال دلالات الآيات إن في صريح اللفظ و العبارة أو في التلويح و الإشارة .

إن محاولة التوفيق بين حقائق القرآن، ومعطيات العلم -المتدرجة في سلم الكمال وفق درجات النقد والنقض - جعلت الكثير من الناس يقعون في متاهات وأخطاء خطيرة وذلك بالمبالغة في التأويلات البعيدة والاستدلالات المتعسفة. ولا يمكن ادراك الحقيقة من الزيف، والحق من الباطل، والصواب من الخطأ إلا بوضع هذه الامور كلها على محك الاستدلال الحقيقي الذي تحكمه القواعد الصحيحة والضوابط العلمية، وانظرائك المنهجية المقبولة، وهذا ما سنراه -إن شاء الله- في الفصول الآتية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

الفصل الأول حقيقة الاستدلال

سنتناول في هذا الفصل حقيقة الإستدلال لغة و اصطلاحاً و ذلك من خلال كتب اللغة و التفسير، و الحديث، و عند مختلف العلماء .

المبحث الأول ماهية الاستدلال

المطلب الأول: تعريف الاستدلال:

أ- لغة : إستدل، يستدل، إستدلالاً. على وزن (استفعالا) (1) مزيد ثلاثي (أحرف الزيادة : الألف، السين، التاء). (2)

ويجىء بناء استفعل (استدل) للدلالة على الطلب. وجذر الكلمة (دلّ)- دلل - على وزن فعل، والكلمة ناتجة أصلاً من الفعل السابق مع زيادة أحرف الزيادة لتصبح على وزن (استفعل: استدل). (3) فالفعل (دل) الذي هو بمعنى أرشد ، وهدى . يقول ابن منظور: قد دله على الطريق دلالة، ودلالة، ودلولة، والفتح أعلى، وساق شواهد منها قول الشاعر :

شدوا المطي على دليل دائب ### من أهل كاظمة بسيف الأبحر

أي شدوا المطي على دلالة دليل (4)

ومن الفعل الدليل الذي جمعه أدلاء ، والدليل : ما يستدل به، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: « الدال على الخير كفاعله » (5)

- 1- عبد الله بن عتيق: شرح ابن عتيق ج 2 ص 553 - ط : 1411 هـ/ 1990 م
- 2- محمد سيد نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوي والصرفية ص 100 ط: مؤسسة الرسالة بيروت ، طبع قصر الكتاب البليلة.
- 3- جلال الدين السيوطي: المزهري ص 148 ، ط: 1458 هـ- 1987 م المكتبة العصرية صيدا بيروت.
- 4- ابن منظور الاقريقي : لسان العرب ج 1 ص 148 - دار صادر بيروت-
- 5- الزمخشري: اساس البلاغة ، تحقيق د. عبد الحليم محمود ، تعريف أمين الخولي دار المعرفة بيروت ص 134 والحديث جاء في صحيح مسلم باب الامارة بنص من (دل على خير فله أجر مثل فاعله) . و عند الترمذي « الدال على الخير كفاعله .

- ب - اصطلاحاً : هو ضرب الأدلة، والاثبات بالشواهد، وفي هذا اللفظ عموم يشمل الاستشهاد والبرهنة وإقامة العلامات والسمات (1)
- وقد يعرف الاستدلال بأنه تقرير الدليل لإثبات المدلول (2)
- وعرفه ابن منظور بقوله : « بأنه طلب الدليل ، والطريق المرشد إليه » (3)
- ومن خلال تتبع لفظة [استدلال] من خلال التداول المعجمي، والاستعمالات اللغوية، وحتى في كتب التفسير يتبين أن معناها ينحصر في الدلالات التالية:
- 1- الاستدلال بمعنى طلب الدليل.
 - 2- الاستدلال بمعنى الاحتجاج.
 - 3- الاستدلال بمعنى الاستشهاد.
- وهذه بعض النتائج التي آل إليها البحث .

المطلب الثاني: الاستدلال من خلال كتب التفسير :

- 1 - الاستدلال بمعنى الاحتجاج :
- أ - لغة = إحتج، يحتج ، احتجاجاً، إذا ادعى وأتى بالحجة. واحتج بالشيء، إذا جعله حجة وعذراً له، ومنه الاحتجاج الذي هو على وزن : (افتعال).
- قال الأزهري : « وإنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد » (4)
- والحج هو الغلبة بالحجة -بالضم- يقال حجه يحُجُه إذا غلبه على حجته ، وأنا أحج خصمي، أغلبه بالحجة والحجة مصدر بمعنى الاحتجاج أي الاستدلال (5) فاحتج بمعنى استدل . جاء في خطبة كتاب الحجة : « أنا في عون الله ذاك في كتابي هذا ما احتج به ... » (6)
- فالحجة : هي مرادف الدليل، كما أن الاحتجاج من مرادفات الاستدلال.
- ب - اصطلاحاً = وعلى هذا جرى الكثير من المفسرين أثناء تفسيرهم لآي القرآن الكريم ، فمرة يعبرون بمعنى استدل، وأخرى احتج .

1- د. محمد سمير نجيب اللبدي : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ص 100 عن التعريفات للجرجاني ص 17

2- المصدر نفسه الصفحة نفسها

3- ابن منظور لسان العرب م 1.1 ص 148

4- تاج العروس: الكويت ج: 14 ص 353

5- ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع ص 62 ط 1981 دار الشروق

6- ينظر القرطبي، الرازي ، في تفسيرهما

أ - الاستشهاد لغة = جذر الكلمة (شهد) التي لها معان كثيرة منها: حضر، رأى، سمع. قال

الله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ..) (1)

فقد قال ابو مجلز ابو عبيدة السلماني في معنى (شهد) : « من شهد، أي من حضر» (2) وأما الاستشهاد: فطلب الشهادة ومنه: «استشهد فلانا على فلان إذا سأله إقامة شهادة احتملها» (2). والكلمة كما تعني الابصار والمشاهدة، فهي تعني الحضور، وتعني العلم، والشاهد الحاضر والمقر بما وقع ، كما أنه يطلق أيضا على النجم (3)

ب - الاستشهاد اصطلاحا = غير أن لفظة الاستشهاد في المباحث المعرفية، والعلمية غالبا ما تنصرف الى النص الذي يشهد على صحة الدعوى، أو الاستعمال سواء أكان هذا النص من القرآن أو الحديث ، أو الكلام المستشهد به من كلام العرب-نظمه ونثره-. وكثيرا ما ينصرف استعمال لفظة الاستشهاد الى المعاني الادبية واللغوية ؛ يقول الجاحظ في حقيقة الشاهد الادبي: «الشعر الذي ينشد عقب خبر قصد اثبات صحته» (4) ومنه قوله : «وقد أنشدوا مع الخبر شاهدا». (5)

كما ان الاستشهاد ينصرف أيضا الى تأييد المتكلم قوله أو فكرته بشيء من القرآن أو الحديث ؛ قال صاحب (صبح الاعشى) : «.... واعلم ان تضمين الكلام بعض آي القرآن الكريم ينقسم عند أهل البلاغة الى قسمين :

-أحدهما : الاستشهاد بالقرآن الكريم.

- والثاني الاقتباس وهو ان يضمن الكلام شيئا من القرآن ولا ينبه اليه». (6) وهو المقصود عند الخطباء ، وعلماء اللغة والنحاة؛ فالشاهد الاول عندهم ما كان من القرآن، وحتى في قراءاته . قال الخطيب البغدادي : «كلامه عز اسمه أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشأذه » (7) والى هذا المنحى ذهب علماء العربية فقد عدوا القراءات أوجهها عربية و لغات للعرب، ووجد كل فريق مادة للاستشهاد على دعواه ومذهبه؛ يقول صاحب كتاب (الحجة) : « غير أن البصريين منذ سيبويه حاولوا أن يُخضعوا هذه القراءات الى قواعدهم وأقيستهم فما وافق هذه

1- الاية 185: البقرة

2- القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ج 1 ص 30

3- القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ج 1 ص 300

4- ابن منظور الاقريتي: لسان العرب مجلد 3 ص 240

5- الشاهد البوشبيخي : مصطلحات نقدية وبلاغية في البيان والتبيين للجاحظ ص 183 ط 1402 1982

6- ابو العباس احمد بن علي القلنشيدي اصبح الاعشى في صناعة الانشاء ج 1 ص 194 ط 1963 الاميرية

7- ابن خالويه : الحجة ص 62

القواعد المقررة قبلوه واحتجوا به وما خالفها رفضوه ورموه بالشذوذ». (1)
وإن ثبت الاجماع على الاستشهاد بالقراءات المتواترة، فإن الاختلاف وارد فيما سواها، سواء في
الاستشهاد اللغوي أم الفقهي.

فمن خلال التأمل والنظر في الكلمات: استدلال، احتجاج، استشهاد يتضح أنها مختلفة من
حيث الاشتقاق والاصل لكن الترادف بالمعنى ممكن؛ فكل كلمة تختلف عن الأخرى من حيث
مادتها الأصلية وجذرها (دل، حج، شهد) لكن الغرض العام هو الاخبار اليقيني، والحسم المجلي
ليس والغموض والريب وارد في دلالات هذه الكلمات حتى في المادة الأصلية بدون زيادة، ومن
ثم فقد استوت الالفاظ في الدلالة وإن تباينت في الرسم.

لكن استعمال كل لفظة بزيادتها، «إستدل، احتج، استشهد» على حدة وفي العرف
الاصطلاحي يجعلها توحى بمعنى غير المعنى الوارد في غيرها؛ فغلبة الاستعمال الاصطلاحي
تصرف اللفظة الى ما اصطلح عليه أهل ذلك العلم، فكلمة (استدلال) غالباً ما تنصرف الى
المباحث العقلية والكلامية والفلسفية، كما تكون في المباحث الاصولية والفقهية؛ فنجد كتب
المنطق والفلسفة تعنون فصولاً كاملة بـ: (الاستدلال...) (2)

ونجد كتب الاصول تعنون كذلك ابواباً ومباحث (3) بـ -الاستدلال - وغير ذلك من هذه
الموضوعات الفكرية والفلسفية.

والاستعمال الاصطلاحي لا يحول دون صرفها الى غير المعنى المتوافق عليه؛ فقد استعمل
الشاطبي لفظة إستدلال بمعنى الاستشهاد، يقول: (4) «كما استدل أهل العد بقوله تعالى:
(فاسأل العادين...) . وأهل الهندسة بقوله تعالى: (انزل من السماء ماء فسالت به أودية
بقدرها) . وأهل التعديل النجومى بقوله تعالى: (والشمس والقمر بحسبان) . وأهل المنطق أن
تقيض الكلية السالبة جزئية موجبة بقوله تعالى (إذ قالوا ما انزل الله على بشو من شيء...)»
عن هذه الاستشهادات يستعمل كلمة «إستدل» بالمعنى الذي سبقت إليه الإشارة.

ويعني في استعراض أنواع المستدلين، ومناقشة استدلالاتهم وهو في تعبيره عن هذه
الإستشهادات يستعمل كلمة «إستدل» بالمعنى الذي سبقت إليه الإشارة.

1- ابن خالويه « كتاب الحجّة » كتاب الحجّة ص 26 ص 1 \ 1911 هـ

2- المصدر نفسه ص 27

3 - أبو حامد الغزالي، المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق حسن هيعو، الإستدلال، الإستدلال المرسل
و قياس المعنى - د. على سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم
الإسلامي 111، 137 ص طبعة 1404 هـ، 1984 م دار النهضة العربية بيروت، لبنان

4- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات ص 54 - 55 المكتبة التجارية الكبرى شارع محمد علي.

والقرطبي في جامعه (1) كثيرا ما يستعمل لفظة «استدلال» بمعنى الاستشهاد وفي بعض الاحيان بمعنى النظر العقلي.

أما لفظة «احتج»، فاستعمالها غالبا ما يكون في المباحث الكلامية وفي موضوعات العقائد والآراء المذهبية، وأحيانا تأتي على غرار هذا السياق:

« إحتج أهل السنة بهذه الآية وكل ماشا بها من قوله تعالى...» (2)

وقد جمع أحمد بن محمد المظفر حجج الفرق الاسلامية في كتاب سماه «كتاب حجج القرآن»، وبعد حديثه عن حث القرآن للمسلمين على البحث والتفكير وحجة القرآن البالغة يقول: «فاستخرجت منه حجج كل طائفة على اختلاف نحلهم وآرائهم وأهوائهم» (3) ولا يكاد يخلو تفسير من التفاسير من استعمال كلمة: إحتج أو إحتجاج بمعنى استدل، واستدلال، ولا سيما اذا كان السياق بمعنى الاحتجاجات أو الاستدلالات، وهم إذ يستعملون الكلمات متناوبة ومتتالية، فإنما يعنون بذلك حقيقة الترادف، ويبقى هذا التقرير وريادا ورود صحة لغلبة الاستعمال له عند العلماء حتى حد التواتر، ما لم تصرف هذا الظن قرينة راجحة ترد اللفظة الى استعمال اصطلاحي معين عند علماء ذلك النوع من العلوم.

3- أما لفظة الاستشهاد، فإنها ترد بمعنى الاستدلال، وترد بمعنى الاحتجاج، غير أنها تكون في الغالب في المباحث اللغوية والنحوية والصرفية. وحتى إن ورد لفظ «استدلال» عندهم، فإنهم يعنون به استشهادا؛ يقول الطاهر بن عاشور: «... وكذلك ابن جني والزجاج، وأبو حيان قد أشبعوا تفاسيرهم من الاستدلال على قواعد العربية...» (4)

كما أن التفاسير التي تغلب عليها المباحث اللغوية والبيانية تراها تميل الى دراسة الاستدلال من حيث هو استشهاد، وبحث أوجهه؛ وتتجلى الظاهرة عند القدماء في {كشاف} الزمخشري، وعند المحدثين في {تحرير...} ابن عاشور. (5)

ومن الامثلة على ذلك: قوله تعالى: (... وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم انهم الصيام الى الليل) (6)

1- القرطبي الجامع لاحكام القرآن: الاجزاء كلها ومجلد 04 صفحات 38.37.36 وما بعدها.

2- الفخر الرازي التفسير الكبير 2 ص 43: ط 4 دار التراث العربي.

3- أبو الفضائل احمد بن المظفر بن المختار الرازي، كتاب حجج القرآن ص. 4.5 دار الشهاب تحت

رقم 1984/308

4- الطاهر بن عاشور: التنوير والتحرير ص 44 المقدمة الرابعة

5- محمد بن عمر الزمخشري الكشاف ج 1 ص 338

6- الآية 186 البقرة

يقول «المهمش» : وجد استدلالهم من الآية على الحكم متعذر (1) وكذلك يقول : « إن كان مقصوده بتنوير الاستدلال على علمه بالعربية» (1) ويقول : «لان المتعدي لم يوجد في الاستعمال من يستشهد بكلامه ..» (1)

ويتصفح الكتاب نلاحظ كلمة استدلال كثيرة الحضور، ولكنها بمعنى الاستشهاد وهي تنصرف في الغالب الى المباحث اللغوية والبيانية وحتى الاستنباطات الفقهية والشرعية، والاستدلالات على الآراء كثيراً ما تعتمد اللغة كأصل في الاستدلال إن في قواعدها ، أو في النكت والملاح اللغوية أو الحالات الشاذة في بعض الاحايين.

وكتب التفسير -وخاصة ذات المنحى اللغوي والبياني - تزخر بهذا، وهو يعود أصلاً الى طبيعة القرآن ؛ فهو باللغة العربية بل هو قمة اللغة : (إنا انزلناه قوآنا عربياً...) (2) وقد تشعب هذا اللسان الى لغات وإن غلبت لغة قريش وهيمنت على باقي اللغات فلم تغب هذه اللغات من القرآن وقراءاته وتفسيراته.

كان عليه الصلاة والسلام يتحدث بالكلمة تشق على أصحابه حتى يعرفهم إياها بعض الاعراب . ويتتبع المصحف العثماني برواياته، يتضح أن القرآن قد كتب بالقراءات، مما يرجح أنه كتب باللغة العربية وبمختلف حروفها لكن الحرف الحكم والساند إنما هو حرف قريش.

يورد الدكتور محسن سالم محيسن جدولاً إجمالياً يعدد الكلمات القرآنية الواردة بلغة العديد من القبائل ، فيقول : «ولقد تتبعت الكلمات القرآنية الواردة بلغة القبائل العربية المتعددة بما في ذلك لغة قريش وغيرها...» (3)

وفي مناقشة نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس حول معنى الكثير من الالفاظ القرآنية أكبر دليل . لقد كان نافع يسأل ابن عباس عن الكلمة فيجيبه عن معناها فيعاوده ثانية، وهل تعرف (أو عرفت) العرب ذلك ، فيقول نعم ، ثم يستشهد على المعنى بالبيت أو البيتين من الشعر العربي (4).

ويمكن اعتبار هذه الشواهد الشعرية شروحا لفنية لمعاني الكلمات الواردة في القرآن، ثم إنها شواهد على أن القرآن الكريم نزل بالعربية بمختلف لهجاتها. وما يمكن أن نستنتجه كخلاصة عامة لهذا المبحث هو :

1- محمد بن عمر الزمخشري : الكشاف (تأويل.....) ج 1 ص 338 انتشارات

2- الآية 2 سورة يوسف

3- د. محمد سالم محيسن في رحاب القرآن الكريم ص 170-171 ط.. 1400 هـ 1980 مكتبة الكلية الازهرية

4- د. عائشة عبد الرحمن: الاعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل نافع بن الأزرق دار المعارف ص 278

أن لفظة «الاستدلال» في حقيقتها اللغوية ، تعني الاستشهاد كما تعني الاحتجاج ، وأن هذه الالفاظ بمثابة المرادفات لبعضها ، ثم ان المراجع اللغوية من قواميس ومناجد تذكر ذلك. وحتى الاستعمال العربي يقر هذا ، وأن ما ورد في كتب التفسير قديمها وحديثها هو هذا المعنى . وحتى الدراسات القرآنية قديمها وحديثها تعاملت مع الالفاظ بهذا المعنى، وهذا ما نذهب اليه من خلال دراستنا لموضوع الاستدلال وفق المادة العلمية التي نتعامل معها. غير أن هذا المذهب لا يمانع من ورود الدلالة الاصطلاحية لكل كلمة على ما رآه أهل ذلك العلم أو الفن، أو على ما تحمله تلك الكلمة من حقيقة اصطلاحية.

وإن تم التعامل معها على حقيقتها الاصطلاحية، فإننا هو لا يوضح مختلف أوجه القضية « الاستدلال بالقرآن الكريم » فحسب، ثم أن هذا لا يعني الاغراق في مقتضى المعنى الاصطلاحي.

هذا عند علماء اللغة، و علماء التفسير و باقي العلوم الدينية، أما إذا نظرنا عند علماء الكلام والفلاسفة وحتى الفقهاء و الأصوليين فإننا نجد لحقيقة الإستدلال معاني أخرى .

المبحث الثاني

الاستدلال عند الفلاسفة

المطلب الأول:

الحقيقة الإصطلاحية :

نجد ضمن المباحث الفلسفية في علم المنطق مباحث كاملة تحت عنوان « الاستدلال » (1) تخلص في تقسيمه الى نوعين :

1- الاستدلال المباشر.

2- الاستدلال غير المباشر.

الاستدلال المباشر هو إستنتاج قضية من قضية أخرى مباشرة بلا وساطة، كأن تستنتج صدق أو كذب قضية من صدق وكذب قضية أخرى. وهو نوعان :

أ- استدلال تقابلي : اي علاقة متقابلة بين قضيتين متحدتين في الموضوع والمحمول.

ب- استدلال بواسطة النقض : فالقضايا التي تتقابل بالنقض هي القضايا المختلفة من حيث الكم والكيف معا. (2)

فالاستدلال كما عرفه أبو حامد الغزالي : «جمع بين علمين مناسبين للعمل الذي أنت طالبه بمثل الوسيلة الاولى للفكر» (3) والاستدلال يمكن أن يكون قياسيا كأن يعرف مثلا :

- أن الآخرة أولى بالايثار من العاجلة .

- فعليه أن يعرف أولا الابقى اولى بالايثار. ثم يعرف أن الآخرة أبقى .

= فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالايثار (4) كما يمكن أن

يكون استدلالا استقرائيا أي حكما على الكل ابتداء من تصفح لجزيئات كثيرة داخلية تحت معنى

الكل (4) يقول الغزالي «وهذا الاسلوب الاستقرائي : لا يورث يقينا وإنما يحرك ظنا وإنما يقنع

اقناعا سبق الاعتقاد الى قبوله ويستمر عليه» (5)

والاستدلال الاستقرائي هو الاستدلال غير المباشر؛ يقول د. تقي المدرسي : «الاستدلال (غير

المباشر) القياسي :

1- د. محمد مهران: مقدمة المنطق الرمزي 1987 م دار الثقافة للنشر والتوزيع ص. 207 وما بعدها الى 240

2- د. إمام عبد الفتاح : محاضراته في المنطق 1 ص 187

3- أبو حامد الغزالي الاحياء ج 4 ص 412 هـ

4- أبو حامد الغزالي : الدعيار ص 160

5- المصدر نفسه : ص 165

بعد الحديث عن الاستدلال المباشر، ينبغي إلقاء نظرة على الاستدلال غير المباشر، والذي يسمى بالاستدلال القياسي ويمثل جوهر المنطق القديم والذي كان طريقا الى المنطق الرياضي الحديث، بقدر ما هو هام فهو بسيط اذ أن كل شخص أوتي قدرا من الادراك يقوم يوميا بمئات التطبيقات لأنواع الاستدلال غير المباشر» (1)

مثال : كل مسلم حسن الأخلاق

فعلي حسن الأخلاق

وعلي مسلم (2)

المطلب الثاني : الاستدلال عند المتكلمين :

الحقيقة الإصطلاحية : علم الكلام يختلف عن الفلسفة، فيمكن اعتبار المتكلمين فلاسفة متدينين، وعلمهم هذا -علم الكلام- كان لأغراض دينية في الغالب حيث استخدمته الفرق الكلامية وسيلة للجدل والمناظرة ، وبالاخص المعتزلة. وطريقة علماء الكلام قد امتازت بمنهجين: أ- طريقة الاصوليين، والمتكلمين.

ب - طريقة الفقهاء.

ويمكن معرفة الاستدلال عند هذين الصنفين من خلال ما يلي:

أ- فالاشاعرة - مثلا - قد جردوا بحثهم عن المسائل الفقهية واعتمدوا الاستدلال المبني على العقل و البرهنة النظرية، معتمدين في ذلك على طرائق علماء الكلام -وبالاخص طريقة القياس التي أكثر المعتزلة من استعمالها - ولكنهم خالفوهم إذ احتزوا في أصولهم من المنطق الدخيل. وقد تجلّى هذا المنهج عند أبي بكر الباقلاني . يقول ابن خلدون : « إن أبا بكر الباقلاني وضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الادلة والانظار مثل أن بطلان الدليل يؤدي الى بطلان المدلول، وأن هذه الطريقة كانت فنا نظريا قائما بذاته » (3)

ب- الاستدلال عند الفقهاء : « كان الاستدلال على عهد الفقهاء استسهادا للاقتضية الفقهية والاحكام الشرعية من الادلة الاصلية الكتاب والسنة، وغالبا ما ينصرف هذا الاستدلال الى قضايا فرعية وجزئية » (4)

2.1 : محمد تقي المدرسي : المنطق الاسلامي أصوله ومناهجه دار الجليل ط 2 ص 627 .

* محمد الخالدي: العقيدو وعلم الكلام : مكتبة الرسالة الحديثة.

3- د. علي السامي النشار : مناهج البحث والتفكير عند علماء الاسلام 92 وما بعدها

4- د. محمود يوسف موسى: ابن تيمية ص 137.138

وهذا منهج الفقهاء والمشتغلين بالفقه في المذاهب الفقهية المشتهرة والمندثرة.

وما يمكن ملاحظته على الطريقتين معا هو :

- أن منهج المتكلمين الذي اتبعه الباقلاني سرعان ما حاد عنه العلماء اللاحقون كالجويني وغيره، إذ تجلّى المزج بين المنهج الاصيل لعلماء الكلام، والمنهج الدخيل عند فلاسفة اليونان؛ يقول ابن تيمية : «ما زال نظار المسلمين لا يلتفتون الى طريقهم بل الاشعرية والمعتزلة والكرامية كانوا يعيبون فسادها» الى أن يقول : «وأول من خلط منطقهم بأصول المسلمين أبو حامد الغزالي» (1)

والامر ذاته ذكره ابن خلدون : «إن المسلمين لم يأخذوا بالاقيسة لملاستها للعلوم الفلسفية المباينة للعقائد» (2)

أما منهج الفقهاء ، فقد حدث فيه تغيير كبير لما ألف الامام الشافعي رسالته (الرسالة) وذلك لما جاء فيها من قواعد وأصول وطرائق جديدة ؛ يقول مصطفى عبد الرازق (3) : «إن هذا الاتجاه من الشافعي هو الاتجاه العلمي الذي لا يُعنى بالجزئيات والفروع، فكان تفكيره تفكير من ليس يهتم بالمسائل الجزئية والتفاريع، بل يعنى بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها وذلك هو النظر الفلسفي» (4)

وما نخلص اليه هو أن علماء الكلام قد تأثروا بالجدل القرآني، وبالادلة القرآنية ، وهذا لا يمنع من أنهم بالغوا ولم يقفوا عند حدوده . والذين عابوا عليهم عدم اقتصارهم على ما في القرآن يرون أن «دراسة ما في القرآن اولى...» . إن في القرآن دلائل عقلية مؤثرة تأثيرا كبيرا في النفوس كما يقول محمد احمد العدوي : « وليس في هذا الخط من قيعة علم الكلام وما قدمه من خدمات جليلة في تركيز العقيدة ورد المطاعن » (5)

1- السيوطي: «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» ص 324

2- د. علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ... ص 94 ، يورد رأي

(ابو اليد محمد عبد الرحمن بن خلدون... المقدمة)

3- الاستاذ مصطفى عبدالرزاق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ط القاهرة 1930 ص 230

4- المصدر نفسه ص 230

5- محمد التومي : الجدل في القرآن الكريم [فعاليتها في بناء العقلية الاسلامية] ص 265

المبحث الثالث

المنهجية الاستدلالية في القرآن

طوائق القوآن في الاستدلال :

بعد أن رأينا الاستدلال عند علماء اللغة، وعند الفلاسفة وعلماء الكلام والفقهاء ولاحظنا مدى التداخل في المفهوم الاستدلالي بين هؤلاء جميعا ، يمكن أن نخلص الى شيء مشترك بينهم : أن هناك قضية مطروحة كدعوى أو فرضية، ثم ان هناك شاهدا على صحة هذه القضية أو الدعوى. وفي الغالب يكون الموضوع محل الدعوى أو النزاع موضوعا علميا، والشاهد نصا نقليا، ودراستنا تدور حول الشاهد القرآني . وتكون القضية المدروسة هي العملية الاستدلالية، ولا يمكن فهم هذه الاستدلالات القرآنية الا من خلال الدراسات القرآنية ، والكتب التي تعرضت لتفسير هذه الظاهرة.

والاستدلال القرآني موضوع غزير المادة يمكن ذكر بعض أنواعه على سبيل المثال لا الحصر:

- 1- الاستدلال بالتعريف.
- 2- الاستدلال بالتجزئة.
- 3- الاستدلال بالتعميم والتخصيص .
- 4- الاستدلال بالعلة والمعلول.
- 5- الاستدلال بالتمثيل والتشبيه.
- 6- الاستدلال بالمقابلة.

أهمية هذا الاستدلال :

لقد كانت دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- قراءة للقرآن ، وكان رد الناس استجابة أو رفضا ، ووقف الفريقان عاجزين أمام العظمة المعجزة؛ قال ابن قيم الجوزية: «وقد أودع الله سبحانه وتعالى الفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة والبلاغة وأنواع الجزالة، وفنون البيان، وغوامض اللسان وحسن الترتيب والتركيب وعجيب السرد وغريب الأسلوب ما أذهل العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء (1)»

إن هذا الكتاب بقوة لفظه ، وقوة بيانه، واعجازه كان الاداة الاساسية في العملية الاستدلالية التي هي نفسها من الاعجاز ؛ يقول عبد الحلیم محمود : «وقد استفاض القرآن في الاستدلال

1- د. عبد العزيز... : 116 ص 116 منهجه و آراؤه

على رسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقد أثبت القرآن البعث وأقام عليه الدليل ، (1)

الاستدلال القرآني وجه من وجوه الإعجاز :

لقد كان الإعجاز القرآني بالالفاظ ، والمعاني ، كما كان بهما معا .

ومن المعاني ما جاء وفق ترتيب عقلي بأدلة نقلية من قرآن أو عقلية من هذا الكون ، وليس هناك أبلغ من أدلة القرآن؛ يقول الفخر الرازي : «بل أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزداد في تقرير الدلائل على ما ورد في القرآن الكريم» . (2)

ومن هذه الدلائل الاستدلال والنظر؛ يقول الطاهر بن عاشور : «فمن طرق اعجازه العلمية أنه دعا الى النظر والاستدلال» (3)

وفي الاستدلال ذاته ، يقول محمد ابو زهرة : «ونريد أن نتعرف المصادر الذاتية التي بنى القرآن الكريم استدلاله عليها ، وإن كان مقامه أعلى وأعظم وهو معجز في ذاته ، وليس ككلام البشر ، وإن بني على حروف البشر والفاظهم ومن جنس كلامهم .» (4)

وهذا الاستدلال القرآني غير بقية الاستدلالات الفلسفية ، أو الكلامية... فالقرآن ينطلق من الجزئيات الى الكليات كاستدلال ابراهيم الخليل -عليه السلام- على قومه ، أو هو قائم على الاستقراء التاريخي باسترجاع حالة الأمم السابقة مع أنبيائها وذلك في التصص الفر على سبيل الخصوص ، اذ الغرض من كل هذا ليقبس السامع نفسه على غيره حتى لا يقع فيما وقع فيه غيره رغم وروده على طرائق العرب في كلامهم ؛ قال الزركشي : «إعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والادلة ، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية الا وكتاب الله تعالى قد نطق به ، ولكن أوردته تعالى على عادة العرب دون طرائق أحكام المتكلمين لأمرين :

- أحدهما بسبب ما قاله : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)

-- والثاني : أن المائل الى دقائق المحاجة هو العاجز عن اقامة الحجة بالجليل من الكلام ، فإن استطاع أن يفهم بالواضح الذي يفهمه الاكثرون لم ينحط الى الاغمض الذي لا يعرفه الا الاقلون ، ولم يكن ملفزا ، فأخرج تعالى - ناطبته في محاجة خلقه في أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفى على إدراكه فهم الخطباء » (1)

1- عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الاسلام ص 120 دار الكتاب اللبناني

2- محمود التومي: الجدل في القرآن الكريم... تونس 1980 رقم 8950 ص

3- الطاهر بن عاشور: المقدمة العاشرة ص 114 التحرير و التنوير

4- محمد ابو زهرة: المعجزة الكبرى ص 346 5- المصدر نفسه ص 316

نماذج وأمثلة من الاستدلال القرآني :

وحتى يتضح المعنى المقصود من الاستدلال القرآني، ويعرف ما جاء في سياقه وفي غرضه والقواعد العامة والضوابط الحاكمة له ، نتطرق لمختلف أشكاله :

أولاً : الاستدلال بالتعريف : (2)

حقيقته : « وهو أن يؤخذ من ماهية موضوع القول دليل الدعوى » (1) كأن يعتمد المجادل من حقيقة الشيء دليلاً على بطلان أحقيته بالشيء مثل تعريف حقيقة الاصنام، ومن التعريف يثبت دليلاً على أنها لا تصلح للعبادة ، أو يتخذ من تعريف الله بصفاته الكاملة دليلاً على أنه الواحد المستحق للعبادة.

وهذا الاستدلال كثير في القرآن الكريم. وكمثال على ذلك ما استخدمه سيدنا إبراهيم - عليه السلام - دليلاً على أن الاصنام لا تستحق العبادة. قال الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم

- عليه السلام - : (... يا ابيت لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر ، و لا يغني عنك شيئاً) (الله)

فتعريف الاصنام بالصفات :

1- لا تسمع

2 - لا تبصر

3- (لا يغني عنك شيئاً) (3)

كل هذا يعني بدهة أن هذا المعبود لا يصلح -أصلاً- للعبادة ناهيك عن العبادة و ذلك لان به من النقص ما يعيبه، وبه من الفقر الى غيره في الكثير من الحاجات أشياء كثيرة والمنطق يقتضي بطلان عبادة هذا، ومفهوم المخالفة يقتضي أن من :

1- يسمع

2- يبصر

3- يغني عن صاحبه، هو الجدير بالعبادة.

وفي دعوة إبراهيم - عليه السلام - لقومه نلمس الكثير من هذا الاستدلال، قال تعالى على لسانه :

1 - (افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً و لا يضركم ...) (3)

2 - (هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون) (4)

3 - (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً) (5)

1- محمد الترمي : الجدل في القرآن الكريم 169 وما بعدها.

2- الآية 42 مريم 3- الآية 66 الانبياء 4- الآية 73.72 الشعراء 5- الآية 16 العنكبوت

فهذه الاستدلالات على بطلان أهلية عبادة هذه الاصنام آتية من تعريفها ببعض صفاتها ، وهي مجتمعة صفات نقص تجعلها تفتقر الى أهلية العبادة ، ولهذا كانت حجج ابراهيم - عليه السلام - قوية بلغية ؛ يقول مصطفى المراغي : « قد كانت مقالة ابراهيم عليه السلام قوية الحججة ، شديدة الوقع في نفوسهم ، وكأنما القمهم حجرا » (1) ويمكن اجمال منطلقات هذا الاستدلال في الاتي :

1- الاصنام قماثيل جمادات ، فاقدة للحركة لا تعلم ، لا تدفع ضرا ، ولا تجلب نفعا .

2- كل من كان فاقدا للحركة ، لا ينفع ولا يضر لا يستحق العبادة .

3- الاصنام والتماثيل لا تستحق العبادة .

وهذا الاستنتاج من البدهيات يمكن لاي متدبر ان يصل اليه ، وهذا ما ذهب اليه صاحب المنطق الاسلامي... في قوله : « إذ أن كل شخص أوتي قدرا من الادراك يقوم يوميا بمئات التطبيقات لأنواع الاستدلال غير المباشر » (2) وكثيرا ما كان هذا الخطاب مدعاة لهداية الكثير من المشركين .

ثانيا : الاستدلال بالتجزئة : (3)

حقيقته : « وهو يكون بذكر اجزاء الموضوع المراد بيانه ، وتتبع تلك الاجزاء تحليلا وتشريحا ، وتقييما ، ويكون الحكم عليها بالإثبات أو النفي » (4) وهو الاخر كثير في القرآن الكريم ، في معرض الجدل والدعوة الى النظر وفي قضايا العقيدة والايان كقوله تعالى : (امن خلق السماوات والارض ، وانزل لكم من السماء ماء فانبثنا به حدائق ذات بهجة . ما كان لكم ان تنبتوا شجرها الا ان الله مع الله بل هم قوم يعدلون) (5) فالسماوات ، والارض ، وما نزل من السماء ، وما نبت من الارض كل هذه اجزاء في الاستدلال ومن أوجدها تفصيلا ، وأوجدها جملة هو الاحق بالعبادة . ومن عجز عن إيجاد بعضها ، أو إيجادها كلها على الصورة التي هي عليها ، لا يستحق العبادة . وهذا ما جاء في خاتمة الاية في الاستفهام : (الله مع الله) ؟ الاية والاستفهام هنا للتوبيخ والتقرير .

1- محمد القنوم الجدلي في القرآن الكريم ص 171

2- محمد تقي المدرسي : المنطق الاسلامي أصوله ومناهجه ط 26 - 27

3- محمد ابو زهرة : المعجزة الكبرى 246

4- محمد التومي : الجدل في القرآن الكريم 181 وما بعدها 2

5- الاية 63 من سورة النمل

وقد جاء الجواب الفاصل بعد هذه الاستدلالات ليقول تعالى : (بل هم قوم يعدلون) (1)

وهذا الاستدلال بالتجزئة غالبا ما يدور حول الايات الكونية مثل :

1- خلق السماوات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، وما فيهما .

2- جعل الارض سكنا وانبات الحيرات فيها ، والارشاد الى مواطن الافادة .

3- إعمال النظر والفكر ، والمشي في الارض ، والاعتبار والاتعاظ بأحوال السابقين

4- خلق الخلق ، وإعادة حسابهم ، جزاؤهم .

كل تجزئة في مواد الاستدلال تصلح في حد ذاتها كاستدلال ، وإذا جمعت جزئيات الاستدلال

كان استدلالا كليا ، ومن ثم فكل قضية من القضايا تحمل استدلالا ، ويكون الاستدلال الاصغر

على القضايا الصغرى ، والاستدلال الاكبر على القضايا الكبرى .

ثالثا : الاستدلال بالتعميم والتخصيص : (2)

- حقيقته : « وهو ذكر ما يراد اثباته في شكل قضية كبرى ، ثم يبرهن عليها أولا ، ثم يتعرض

ثانيا الى بيان جزئياتها ليبرهن عليها بصورة تفصيلية إشارة الى أن كل جزء منها يؤدي الى

إثباتها ، وإشعارا الى أن مجموعها يمكن أن يكون دليلا كليا عليها » (3)

أمثلة عليه : وهو الآخر كثير في القرآن الكريم يمكن أن نأخذ أمثلة عليه ، منها محاجة موسى

عليه السلام - لفرعون حيث قال :

1- (إني رسول من رب العالمين) (4)

فكان الرد من فرعون :

2- (وما رب العالمين) (5)

- (فمن وبكما) (6)

فجاءت البرهنة على عموم الدعوى في قول موسى -عليه السلام- (إني رسول) (7)

3- جاءت البرهنة في قول موسى -عليه السلام- (وبنا الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى) (8)

1- الاية 63 النمل

2- محمد الترمي : المجلد في القرآن الكريم ص 196 وما بعدها

3- محمد ابو زهرة : المعجزة الكبرى 314

4- الاية 103 من سورة الاعراف

5- الاية 23 الشعراء

6- 4 طه

7- الاية 104 الاعراف

8- الاية 49 طه

- 4- وهي برهنة عامة إجمالية، يمكن أن نلاحظ التخصيص في الآتي :
- 5- (الذي جعل لكم الأرض مهاداً، وسلط لكم فيها سبلاً، وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى . كلوا واربعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى) (1)
ويمكن أن نسجل الاستنتاجين التاليين :

أ- الاستنتاج الأول من الاستدلال على عموم الدعوى :

- الله قد أعطى كل شيء خلقه الملائم.
- وكل من كان كذلك فهو رب العالمين.
- قاله إذن رب العالمين.

ب - الاستنتاج الثاني من الاستدلال على خصوص الدعوى :

- الله أعطى كل شيء خلقه.
- جعل الأرض ساكنة.
- أنزل إليها الماء.

- إحياءه الأرض بعد نزول الماء.

قاله رب العالمين إذ أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وابعا : الاستدلال بالعلة والمعلول: (2)

حقيقته : «مما علم ضرورة أن المعلول يدل على العلة، وأن أغلب الظواهر المرئية متولدة على مهيئات قبلية. أي أن المعلول يدل على العلة، فكل سبب لا بد له من مسبب، فالاستدلال بالعلة يستند إلى بيان العلة للدلالة على المعلول» (2)

والاسباب الظاهرية مدعاة للنتائج المنتظرة غير المعلومة، والصن الكونية والاجتماعية تجلي الحقيقة السابقة، وإذا أخذ بالاسباب جاءت النتائج، وهذا قانون عام في الحياة، فنحن نقول :

إن الثوب قد وقع في النار.

فإن قيل : لم قلت ذلك ؟

نقول: لأننا رأينا محترقا. أي أن المعلول يدل على العلة .

وقد استدللنا على العلة من خلال المعلول ذاته . ومن الأمثلة على ذلك : أن الله يرزق عباده،

لكن كيف يحدث ذلك ؟ إذا أخذوا بالاسباب، فالفلاح يحرق ويذرع وهذه أسباب، والتاجر

يبيكر ويحرص ويجهد وغير ذلك، كل يأخذ بالاسباب، والنتائج على الله كما قال القائل :

«فعلينا الزرع وعلى الله النبات».

1- الآية 52 طه 53

2- محمد الترمي: المجلد في القرآن الكريم ص 215

فإن الله: (هو الرزاق ذو القوة المتين) . (1)

فإذا رأينا مرزوقا علمنا بدهائه أنه أخذ بالاسباب.

وقد خاطب سبحانه وتعالى -مريم الصديقة البتول- بقوله : (.... وهزني إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) (2)

ويمكن أن يرزقها بدون أن تهز بجذع النخلة ، ولكن اقتضت الحكمة الإلهية أن تربط الأشياء بمسبباتها.

فالله قادر، وهو يرزق بدون سبب، ويرزق بالسبب، وهذا القانون من القوانين العامة في الحياة والاجتماع. ومن الامثلة : نصره الله لعباده الصالحين :

فاذا أخذوا بأسباب النصر، نصرهم الله. ومن هذه الاسباب، القتال، فإذا قاتلوا جاء نصر الله .
فمجيء نصر الله يعني أن هؤلاء المؤمنين أخذوا بأسباب النصر وتوفرت فيهم، قال تعالى: (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) (3)

فالقتال لرفع الظلم سبب وعلة، والنصر نتيجة، وقد جاء السياق مبيناً علة القتال، حيث قال الله سبحانه وتعالى : (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله) (4)

فبعد أن تهيأت الاسباب جاء الاذن بالقتال، وذلك في مواضع كثيرة منها :

- 1- (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله) (4)
- 2- (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، وإتعدوا إن الله لا يحب المعتدين) (5)
- 3- (واقتلوهم حيث ثقتصروهم، واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل) (6)
- 4- (واقتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) (7)

ويمكن بصورة علة القتال وسببه في الآتي :

أ- إخراج مريم من ديارهم بغير حق.

ب - قتالهم من يقاتل المؤمنين.

ج - قتالهم من يحدث فتنة في الدين.

د - ومنها قتال الكفار والمشركين الذين يحولون دون نشر دين الله والوقوف في طريقه، أو

1- الآية 58 سورة الداربات

2- الآية 24 مريم

3- الآية 37 الحج

4- الآية 38 الحج

5- الآية 190 البقرة

6 - الآية 191 البقرة.

7 - الآية 193 البقرة .

قهر رعبتهم ، وإعانتها والحيلولة دونها ودون الوصول الى فهم حقيقة دعوة الاسلام.
وتكون هناك أسباب كثيرة، نصت عليها آيات محكمات وأحاديث .
ومن هذا كله يتبين أن :

- الاستدلال على المعلول نتيجة لوجود العلة، ومن ثم فالاستدلال يدور مع العلة وجودا وعدما.

خامسا : الاستدلال بالمقابلة : (1)

حقيقته : « يكون بمقابلة الاشياء ببعضها حتى تتضح الامور ، فمقابلة

المعبودات الاخرى زورا وبهتانا بالله سبحانه وتعالى تجعل نسبة العبادة الى هذه المعبودات باطلة
وبهتانا » (2، 3) .

ومن الامثلة على ذلك ما يمكن استخلاصه من قوله تعالى :

1- (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) (4)

فهذه المقابلة بين الله وبين من يدعون من دون الله، ثم عجز هذه الالهة عن خلق شيء،
مهما صغر بل عجزها أمام أضعف مخلوق وهو الذباب ، دليل على عدم أهلية هذه الالهة
للعبادة ، ومن ثم ، فهذا الاستدلال ينص أولا على بطلان هذه الالهة المزعومة ، وثانيا على
أحقية الله بالعبادة دون سواء لانه هو القادر وهو الخالق وفيه صفات الكمال كلها.

ومن الامثلة ما يمكن استخلاصه من الآيات :

2 - (فمن يخلق كمن لا يخلق...) (5) .

3- : (او لم يبروا ان الله الذي خلق السماوات والارض ولم يعبي بخلقهن بقادر على ان
يحيي الموتى ؟ بل ان الله على كل شيء قدير) (6).

فالمقابلة بين الله في عليائه وكماله، وقدرته، وعظمته، وقبضه السماوات والارضين، وبين ما
سواه من المعبودات في عجزها ، وضعفها، ونقصها وقصورها... يبين أن الله أقوى وأقدر وهو
بالعبادة أجدر. أما بقية المعبودات بغير حق فهي لا تستطيع فعل أي شيء، فهي أضعف من أن
تنفع غيرها أو تعينه بل هي عاجزة حتى عن رد الذباب عنها. ومن ثم تسقط كل الادعاءات
وتبطل كل المزاعم.

1 - محمد التومي :الجدل في لاقرآن الكريم ص 243

2.3- محمد التومي الجدل في القرآن الكريم ص 243

4- الآية 71 الحج

5- الآية 17 النحل

6- الآية 3 الأحقاف

ويمكن بهذه الاستدلالات الوصول الى تجريد الاله المزعوم من كل الصفات التي تنسب اليه عن جهل وغباوة، ويعترف بكل ذلك لمن هو حقيق بها، وهو «الله» . واعتمادا على ما سبق من الاستدلال بالمقابلة ، يمكن أن نستخلص ما يأتي:

1- الاصنام وغيرها - من كل ما عبد بغير حق- ليس لها أدنى تأثير في الابداد والعدم، أو النفع والضرر.

2- كل ما كان كذلك لا يستحق أدنى تقدير، فضلا عن أهليته للعبادة.

3- إذن، فالاصنام وغيرها من المعبودات المزعومة لا تستحق أي تقدير ولا يمكن أن تكون معبودا.

سادسا : الاستدلال بالتشبيه والامثال : (1)

حقيقته: من الطرق الاستدلالية المتبعة في القرآن الكريم اثبات بعض الحقائق وتبيانها بالامثال.(2)

يقول أبو زهرة : «تضرب الامثال لتقريب الحقائق العليا، ولتشبيه الغائب غير المحسوس بما يقربه من القريب المحسوس، ولتوضيح المعاني الكلية بالمشاهد الجزئية والاستدلال بحال الحاضر على الغائب» . (3)

وما أكثر الاستدلال بالتشبيه، وبالامثال في القرآن الكريم، ومن الامثلة قوله تعالى :
(ياايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له. وإن يسلبهم الذباب شيئا، لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب. ما قدروا الله حق قدره) . (4)

ويمكن ملاحظة صورتين اثنتين كأثلة في الاستدلال وهما :

1- الصورة الاولى : عجز الاصنام مجتمعة عن خلق بعوضة «ذبابة».

2- الصورة الثانية : سلب الذباب الاصنام بعض الاشياء وعجزها عن ردها.

وكل صورة استدلالية منفردة، أو مجتمعة بغيرها تدل على بطلان دعوى إلهية هذه الاصنام.

وعلى كل، فإن هذين المثالين على ما فيهما من تبكيت وإفحام للمشركين، فإنهما سيقا سياقاً استدلالياً، وكانا بحق دليلين على بطلان الوثنية وإقامة الحججة وإظهار الوحداية.

إن النماذج المقدمة عن الاستدلال القرآني، وذات موضوعات مختلفة جلها يدور حول الانبياء

السابقين وهم يدعون أقوامهم الى الايمان بالله في صفاته وذاته وأسمائه، والاذعان لأمره.

1 - محمد ابو زهرة : المعجزة الكبرى القرآن الكريم 346.

2- محمد التومي : الجدال في القرآن الكريم ص 232 وما بعدها

3- محمد ابو زهرة : المعجزة الكبرى القرآن الكريم 356.

4- الآية 70 - 74 الحج

وقد كان القرآن يستدل في هذه النماذج بقصص أنبياء سابقين ، مجادلا الكفار والمشركين .

ويمكن بعد كل هذا أن نخلص الى نتيجة عامة حول الاستدلال القرآني لفظا ومعنى:

-إستعمل القرآن الكريم الاستدلال في عدة موضوعات كلها تهدف الى إثبات الايمان بالله واليوم الآخر، ونفي الدعوى عن هذه الآلهة المزعومة ، وإثبات بطلان ما عليه هؤلاء الكافرون .

- وكذلك وضع القرآن - في استدلالاته - هزيمة هؤلاء المعاندين وعجزهم وضعف حججهم وفساد استدلالاتهم، فقد لاحظنا من الايات التي جاءت تثبت وجود الله وقدرته على الخلق والابداع والتربية والهداية لهذا الكون من أرض وسماء وإنسان وحيوان ونبات وفي القصص القرآني وبالاحص قصص الانبياء و الرسل ورود النماذج الاستدلالية قوية الحججة واضحة والبرهان الذي يقبله العقل وقيل اليها النفس ، وهذه النماذج على قلتها ما هي الا عينات، فهناك جدال نوح واستدلالاته على بطلان ما عليه قومه (102-122) من سورة الشعراء) .. وفي (الايات (48/25) من سورة هود .. وقصة هود مع قومه عاد في الايات (123/40) من سورة هود، وقصة صالح مع قومه ثمود (141/158 .) من سورة هود...والقصص القرآني على كثرته يقدم جدلا يتضمن استدلالا قرآنية رفيعة حول الموضوعات السابقة.

وما يمكن ملاحظته من حقيقة الاستدلال القرآني - وإن كانت مادته ذهنية - أنه يستمد من الواقع حججه في الكثير من الاحيان، فدلالته واقعية يدركها كل مخاطب مهما تلونت بالترغيب والترهيب أو ختمت به ، فإنه ينطلق الى العقل والوجدان معا . ولم يمايز القرآن بين طائفة وأخرى ، بل جادل كل الكافرين سواء كانوا أهل كتاب ، أم وثنيين، أم مشركين من العرب.

فأما أهل الكتاب فقد كانت المادة الاستدلالية من جنس ما عندهم، بل كان يهيمن على ما عندهم، فيصحح لهم المفاهيم ، والشرائع، والاحكام، ويرشدهم الى أن أصول الرسالات السماوية كلها واحدة، ولم يجد هؤلاء من حجة الا العناد والجحود. أما الوثنيون، فلم تصمد وثنيتهم الساذجة أمام الجدل القرآني باستدلالاته العقلية المعتمدة على السنن الكونية، والاجتماعية.

أما مشركو العرب، فقد كانوا الاعنف في الجدل والمعاندة، غير أن مادتهم الجدلية والاستدلالية ، لم تستند الى أثر علم ، ولا وحي ولا فكر أو علم أو منطق ، بقدر ما كانت تستند الى تعصب بدائي وتقليد للأباء والاجداد ، وغطرسة وعنجهية.

وقد حفظ القرآن صورا كثيرة للكفار في عنادهم وعتوهم ، يقول تعالى : (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق، واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) (1)

غير أن الاستدلال القرآني كان أقوى واجدى.

وقد ورد في المنهجية الاستدلالية بالقرآن ما يمكن إجماله في الآتي:

- إثبات حقيقة وجود الله؛ بقول الدكتور عروة: «أكثر ما يستدل القرآن عن وجود الله وربوبيته وهو نوعان :

1- الآيات القرآنية. 2- الآيات الكونية . (1)

«ومن هذه المنهجية الاستدلالية القرآنية :

- البرهان الحسي .

- الاستدلال العقلائي .

- الاستدلال بالتحدي الجدلي .

- الاستدلال العلمي الاستفزازي . (2)

ثم يتطرق الى النقطتين الاخرين اللتين هما موضوع استدلال القرآن الكريم وهما (3) :

2- إثبات حقيقة وحدانية الله.

3- إثبات حقيقة البعث واليوم الآخر .

ويطبق على النقطتين المنهج السابق نفسه مع تحليل وتعليل وتطبيق على آيات قرآنية كريمة.

ومن خلال ما تطرقنا اليه فيما سبق : يتضح أن الاستدلال القرآني هو مظهر من

مظاهر الاعجاز (5) القرآني كما ذكر ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور. (4)

وأن ما يمكن ملاحظته هو أن الاستدلال القرآني يمكن دراسته في جانبين :

أ- الجانب الشكلي أو الاسلوبي. ب - الجانب المضموني ، أو جانب المعنى.

وأن التمازج بين الجانبين هو حقيقة الاعجاز، لكن اذا حلل الاستدلال الى مواده الاصلية ودرس

بناء على مقاييس علمية دقيقة اتضح سر الاعجاز وقوة البيان، وظهرت مكونات الاستدلال ،

وطرائقه ومعطياته. وهذا ما تجلّى من خلال الفصول السابقة.

تلك هي أهم طرائق الإستدلال في القرآن الكريم، وقد كانت وسيلة النبي -صلى الله عليه و

سلم - في الدعوة و الجدل . وقد برز الإستدلال في الأحاديث نفسها على شاكلة طرائق القرآن

الكريم (ليس مجال بحثنا)، كما كان - عليه الصلاة و السلام - يستدل به ، وهذا ما سنراه

في المبحث الآتي .

1 - المنهجية الاستدلالية أحمد عروة ص 13.12

2، 3 - المصدر نفسه

4 - تراجع الصفحات 14 وما بعدها .

5 - الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير 114 ج 1

المبحث الرابع الإستدلال عند النبي - صلى الله عليه وسلم - المطلب الأول:

بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- القرآن بألفاظه، كما بينه بمعانيه مصداقا لقوله تعالى: (التيبين للناس ما نزل إليهم)(1)، وقد كان هذا البيان في أقواله إذ في معظمها يشرح القرآن وفي أفعاله، وتقريراته وبعض شعثله، وقد كان الصحابة يتعلمون من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القرآن وعلمه، وكانوا إذا تعلموا من النبي -صلى الله عليه وسلم- محثر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: «فتعلمنا القرآن والعلم» ورسول الله-صلى الله عليه وسلم- أوتي القرآن ومثله معه، وهذه المثلية تثمئل فيما سوى القرآن من سنن، قال عليه الصلاة والسلام: «ألا وإنني أتيت القرآن ومثله معه: ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»(2). لقد فسر النبي -صلى الله عليه وسلم- من القرآن ما سئل عنه، كما أنه فسر ما اقتضت الحاجة تفسيره من الآيات المتعلقة بالعقائد وأصول الإيمان، أو ماتعلق بالأحكام وقواعد التشريع، وشيء من الأخلاق والأداب، وقصص السابقين وكل هذا يعول فيه على صحة السند، إذ من الآثار النبوية ما يحتاج إلى تحقيق ليثبت المعنى بعد صحة الإنتساب إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

وقد أفردت كتب السنة أبوابا وفصولا لهذا النوع من التفسير، فلايكاد يخلو كتاب من كتب السنة من هذا، وهو- التفسير- على اعتبار ذلك الكتاب، فما هو في صحيح البخاري ومسلم، أعلى وأرفع معا في غيرهما من كتب السنن ودواوين الحديث والآثار. وهذه بعض الأمثلة والنماذج على ذلك.
نماذج من تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم -

1- قال عليه الصلاة والسلام: «ليس المسكين الذي ترضه التمرة والتمرقتان ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، اقرؤا إن شئتم قوله تعالى: ﴿إِيسألون الناس إلهافا﴾(3). فقد بسط الحديث القول في المسكين فبين إلى أنه ذلك الذي لا يتفطن الناس إليه، وذلك لعفنة

1- الآية: 44 النمل

2- رواه ابو داود باب الامتصام بالسنة، والدارمي وابن ماجه، وذكره القاسمي في قواعد التمهديث ص

58

3- ورد في الحديث بطرق مختلفة وهو في سنن ابن ماجه المقدمة 2 باب تعظيم حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم والتفليط على من عارض ج 13

نفسه وهذا المعنى نظير قوله تعالى : (لايسألون الناس إلحافاً) بل هو عينه. وكان متن الحديث دالا على صنفين من المساكين :

أولا : مسكين ترده اللقمة واللقتان والتمران، فهو جريء ويسأل .
ثانيا : المسكين الذي يتعفف.

وكان الآية دليلا للنوع الثاني .

فاذا تأملنا الحديث و الآية، نجد جامت لدعم المعنى وتوضيحه وتندل عليه . أما اذا تأملنا الآية وطلبنا لها تفسيراً فنجد الحديث بسط القول في ذلك .

2- كما قد يكون تفسيره عليه الصلاة والسلام اجابة عن سؤال.

فقد يسأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم- عن معنى آية أو عن حقيقة وردت في القرآن فيجبهم عن ذلك .

عن أبي ذر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم- عن قوله سبحانه وتعالى : (والشمس نجوى لستقر لها) قال مستقرها تحت العرش . (1)

للحديث روايات أخرى لا تخرج عن هذا المعنى مع طول ببين فيه كيفية جريانها وسجودها . وهو في هذا الحديث قد تطرق لتفسير آية كإجابة عن سؤال صحابي . وما أكثر هذا النوع وقد يكون أحيانا بيان الآية بأخرى كسؤالهم له عن قوله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه يارسول الله ؟ قال ليس ذلك وإنما ماعناه العبد الصالح في قوله تعالى : (ياابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) (1)

فقد فسر النبي- صلى الله عليه وسلم- هنا الشرك في حقيقته ومعناه، وأزال اللبس الذي علق بأذهان بعض الصحابة، لما فهموا من عموم الآية الظلم بمعناه الواسع، فكان جوابه «تفسيره» بردهم الى حقيقة الظلم المهلك والذي نهى الله عنه.

وكان التفسير الاول : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الى آية ثانية مخصصة ومقيدة (إن الشرك لظلم عظيم) . فسر الظلم الاول بالشرك، وزال الابهام العام والغموض الذي علق بأذهان الصحابة. ويمكن اعتبار الآية الثانية شاهدا على معنى أن الظلم شرك.

وقد فسر النبي النبي صلى الله عليه وسلم- الفاظا وكلمات، كما فسر معان وآيات فني المأثور من تفسيره : قوله - صلى الله عليه وسلم- في : (غير المغضوب عليهم، ولا الضالين)، فقال المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى . (2)

1 - رواء الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود

2- أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما من رواية ابن عدي بن حبان.

وقد فسر عليه الصلاة والسلام: «القوة» بأنها الرمي في قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ألا إن القوة الرمي، ونظير هذا كثير في آثار الرسول-صلى الله عليه وسلم-(1)

والحقيقة أن هذا التفسير يحتاج إلى نقد دقيق وذلك من حيث سنده، ولا يقوى على النقد إلا القليل ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أن الآثار المتعلقة بعلم التفسير لا أصل لها، وأثر ذلك عن أحمد حيث قال: «ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازي». وقد ذهب العلماء في حقيقة تفسير رسول الله-صلى الله عليه وسلم- مذهباً: المذهب الأول:

أن النبي -صلى الله عليه وسلم- فسر القرآن كله لأصحابه، وبين لهم كل معانيه وهذا يتطابق مع ما نصت عليه الآيات: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)، ومن هؤلاء: الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية.

المذهب الثاني:

أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر لهم إلا القليل من معاني القرآن وقد استدل هؤلاء بقول عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه إياهن جبريل عليه السلام. وقالوا يستبعد أن يفسر القرآن كله وأن يكون الإشكال في القرآن كله. وقد ناقش العلماء (2) استدلالات كل فريق وخلصوا إلى نتيجة وسط بين المذهبين وهي:

« بين الكثير من معاني القرآن، لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحاح. ولم يبين كل معاني القرآن، لأن من القرآن ما استأثر الله بعلمه. منه ما يعلمه العلماء ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ومنه ما لا يعذر واحد في جهالته» (3) وعلى المذهب الوسط والنتيجة المستخلصة من الرأيين فإننا نتطرق إلى هذا القسم لندرس شكله ومضمونه. ويتأمل هذه الأحاديث والآثار الشريفة نجدها على أشكال ثلاثة:

1- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « إذا قعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)» (4)

1- صحيح مسلم باب الإمارة ص 167. وفي مقدمة تفسير لابن تيمية. والبرهان في علوم القرآن

الزركشي ج 2، ص 157

2- الذهبى: التفسير والمفسرون ج 1 ص 52

3- المصدر نفسه ص 53

4- باب ما جاء في عذاب القبر، رقم 688 التجريد الصحيح -مفتصر البخاري- للإمام زين الدين

أحمد عبد اللطيف الزبيدي ص 160

2- عن ابي سعيد الخدري -رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- : (وهم قبيها كالحون) قال تشويه النار حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة.

3 - عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أملى علي : (لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فجاءه ابن ام مكتوم وهو عليها . فقال يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلا أعمى . فأنزل الله عز وجل على رسوله -صلى الله عليه وسلم- وفخده على فخدي فشقلت على حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فأنزل الله عز وجل(غيسر اولي الضر).

فمن خلال الملاحظة العامة والشكلية تظهر هذه النصوص على أنواع ثلاث :

1- نص مبدوء بالآية أو الايات القرآنية.

2- نص تتخلله الأيات القرآنية.

3- نص يختم بالآية القرآنية.

أما اذا تأملنا الجانِب المضموني فإننا نلاحظ :

من النصوص ما يفهم منها بكل وضوح معنى التفسير، سواء بالشرح والتفصيل اما للكلمة او المعنى ، أو ببيان سبب النزول ، أو معناها . لكن هناك من الاحاديث ما هي واضحة المعنى ومن الايات ما هي واردة في غير ذلك المعنى من حيث سبب النزول او خصوص المعنى، غير انها سبقت ثانية في حال ثانية وهذا ما يعكس حقيقة الاستشهاد.

وهذا لا يعني أبدا عدم صدق دعوى النبي حتى يستشهد بالقرآن على ذلك .

استدلالات النبي (1) صلى الله عليه و سلم :

إن هذه الاستدلالات جليظة تضمن التفسير لكنها زادت المعنى المتروخي قوة ووضوحا . وذلك باستحضار صورة قديمة لحالة جديدة هذا من جهة الشكل.

أما من ناحية المعنى فهي باستحضار المعنى القديم للحقيقة الجديدة فهي تقرن صورة جديدة بصورة قديمة فيزداد المعنى قوة وتأكيدا وهي من باب (ولكن ليطمئن قلبي).

وغالبا ما تكون هذه الاستدلالات مفتوحة بقوله -صلى الله عليه وسلم- (وقرأوا أن شتمتم أو ثم تلا قوله تعالى) . وما أكثر هذه الصيغ في احاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

1- جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل ج 1 ص 30 يقول : أو تلاوته صلى الله عليه و سلم آية للإستشهاد في كلامه الشريف

فناذج وأمثلة عن استدلال الرسول -صلى الله عليه وسلم-

1- عن ابن عباس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ: (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) (1) . وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح (2) (وكننت عليهم شهيدا ما دمت فيهم... إلى قوله... الحكيم) (3)

فهذا النص من الأحاديث التي نخب من أحوال يوم القيامة وإعادة النشأة ضمن آيتين إثنتين الأولى من سورة الأنبياء وهي كاملة (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين).

وهي تتحدث عن الانقلابات الكونية التي تحدث يوم القيامة، حيث تطوى السموات والأرضون والله قادر على ذلك، كقدرته على انشائها من عدم أولا، وإن تحدثت بعض الكتب في السجل وما المقصود به، غير أن ما يلفت النظر هنا هو قوله تعالى: (كما بدأنا أول خلق نعيده) وهي محل الاستدلال في نص الحديث، وإن كان في سياق الآية يعني شيئا معيناً فإنه في سياق النص الحديثي يعني إعادة نشأة ابن آدم كخلقته الأولى، ويشترك سياق الآية وسياق النص الحديثي في إعادة النشأة الأولى وإن كانت الآية تنص صراحة على السماء فإن المعنى العام لا يحول دون الدلالة على إعادة كل شيء إلى إعادته أو حالته الأولى أما النص القرآني الثاني فهو من سورة المائدة ولا يتضح معنى قول -عيسى عليه السلام- كاملا إلا إذا استعرضنا الآيات (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس إتخذوني وآمي إلهين من دون الله. قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قد قلت فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكننت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (4) وفق هذا السياق يمكن ادراك معنى قوله تعالى: (وكننت عليهم شهيدا ما دمت فيهم... إلى... الحكيم).

وهذا الحوار الرباني مع عيسى (عليهم السلام) يبين أن عيسى أدى رسالته على الوجه الأكمل ولم يأمر الناس إلا بما كلف به ربه، وهو حالة حياته كان شهيدا على أقوالهم وأفعالهم أما

1- الآية 103 الأنبياء

2- مختصر البخاري المسمى التجريد الصحيح /ج2 ص316

3- الآية 118 المائدة

4- الآية 116-118-120 المائدة

وقد التحق بالرفيق الأعلى، فلا يعلم ذلك، و الأمر الى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر وهذا مشهد من مشاهد القيامة.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - بلغ الأمانة ونصح الأمة وشهد عليهم في الدنيا بقوله : ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد. فهو يمثل الموقف ذاته مستعدلا عليه بمشهد من مشاهد القيامة في خطاب الله تعالى نبيه عيسى (عليه السلام) ثم أن قوله : «فأقول كما قال العهد الصالح» من أقوى الأدلة على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يستشهد بالقرآن الكريم وبمواقف من مواقف الانبياء على حالته مع قومه ، ويكثر هذا الاستدلال في النصوص الحديثية (1)

قَعْن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال واقراًوا إن شئتم (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) (2) فهي تتحدث عن الكفار ونهايتهم المخزية في الآخرة.

والحديث نفسه يتحدث عن الرجل الكافر المعتد بنفسه، ومظهره في الدنيا، و نهايته المخزية في الآخرة. فإذا كان موضوع الآية والحديث واحد، فإن الآية جاءت هنا كمحل شاهد عن المعنى ، وزادت الأمر ايضاحاً لما أن ذكرت صورة من صور القيامة لأولئك الكفرة المعتدين في الدنيا بأنفسهم وأموالهم وأهلبيهم. والاستدلال هاهنا واضح من خلال تدبيل الحديث بالآية.

وهو ليس شرح للآية ولاتفسير لها، إذ الآية مفسرة من خلال سياقها في وضعها، قال تعالى : (قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالاً، الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) (3)

من خلال النظر الى الاحاديث النبوية الشريفة نرى أن قسماً كبيراً منها جاء لتفسير القرآن الكريم ، سواء أصح أم لم يصح، واذ تأملنا هذا القسم مجده هو الآخر يتنوع بين :

1- ما جاء ليدل على سبب نزول آيات قرآنية أو سور و يتضح هذا القسم من خلال لفظه ومعناه، اذ غالباً ما يأتي بمعنى انزلت الآيات أو أنزل أو دلت أو شيء من هذا .

2- قسم جاء تفسيراً للقرآن الكريم، سواء جاء هذا التفسير تلقائياً من النبي -صلى الله عليه وسلم - دون ان يسأل عنه، أو سئل عنه، أو تلاقحت احاديث وسنن لتدل على ما في القرآن فتبين عامه بالتخصيص، ومطلقه بالتقييد، أو ما شابه هذا من التفسير والشرح والتوضيح الذي يدخل ضمن البيان النبوي للقرآن .

1- السبوطي : الإتيان في علوم القرآن ج 4 ص 214 وما بعدها

2- الآية : الآية 100 سورة الكهف . 3- الآيات : 99 - 100 الكهف.

3- قسم ثالث لم يذكر سبب نزول، ولم يفسر الآية، لأن الآلة مفسرة إن في وضعها وسياقها، أو فسرت بأحاديث نبوية شريفة وإنما جاء هذا الصنف بمثابة الاستدلال على المعنى، وهو على صور منها :

- استدلالات بالقرآن : في حالات معينة يستدل النبي -صلى الله عليه وسلم- على معنى من خلال ذكره آية أو آيات أو حتى سورا أحيانا.

- استدلالات بالقرآن ولكنها تنصرف الى معنى التمثل: فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يتمثل مواقف معينة سواء في صورة انبياء ورسول، أو صالحين، وهذا أيضا كثير كأن يقول كما قال عيسى عليه السلام، أو مثلك كمثل موسى حينما قال... أو عيسى أو نوح وهكذا...

- استدلال من قبهل التفسير: كان يفسر معنى واردا في آية بمعنى وارد في آية أخرى في موضع آخر كما هو الحال أثناء تفسيره الشرك.

إن هذا الاستدلال أحيانا يُنسب إلى الصحابة كأن يقرأ الصحابي الحديث ثم يقول واقرأوا إن شتم الآية، ثم يستشهد بالآية، وهو في غالب الأمر استدلال للرسول -صلى الله عليه وسلم-، لكن لا يرفعه الصحابي حياطة وتورعا، أو من خلال الرواية يظهر وكأن الاستدلال للصحابة، واستدلال الصحابة بالقرآن الكريم متأسس على هذا الاستدلال وهو واضح من حيث نسبته إليهم، وهذا ما سنراه في الفصول الآتية.

الفصل الثاني

المبحث الأول :

طرائق الاستدلال عند السلف الصالح:

1- السلف الصالح :

حقيقة السلف : « كل من تقدم المرء من آبائه ، وأجداده ، وذوي قرياه ،

«وسلف القوم تقدموا سلوفا ، وهم سلف لمن وراءهم» . (1)

فالسلف كل من تقدموا عنا من الآباء والاجداد .

أما في الاستعمال فهو وصف لهؤلاء السلف وقد تواتر هذا الوصف عند العلماء جميعا

حتى أصبح معلوما لديهم . وعكس الصالح : الطالح . والطالح أي الفاسد ، ويقابل

السلف الخلف : خلف يخلف خلوقا وخلانة ، أي من أتى بعد السلف.

* حقيقة السلف اصطلاحا :

أما حقيقة السلف الصالح في الاصطلاح ، فهي تعني «الصحابة والتابعين، وتابعي

التابعين الذين شملهم قوله صلى الله عليه وسلم :- «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم

ثم الذين يلونهم...» (2)

وغلب هذا الاصطلاح على حقيقة السابقين الذين خصتهم النصوص القرآنية والحديثية

بالتزكية والثناء، وامتازوا بالاتباع والافتداء والسير على السمت النبوي والمنهج السني،

كما ثبت عن المتأخرين من أتباع السلف الوقوف عند النصوص ، والبعد عن الرأي

والتأويل والاهواء.

* الاستدلال عند السلف الصالح :

ومن ثم، فالاستدلال عند السلف الصالح يتصف بكل هذه الصفات ، كما أن

استدلالات السلف تستند الى خالص فهمهم للكتاب والسنة ، والرجوع الى أقوال الائمة

المهديين أبي بكر وعمر، وعثمان وعلي، وعلماء الصحابة -رضي الله عنهم- وعلماء

القرون الخيرة الاولى من أئمة المذاهب المشتهرة (أبي حنيفة ، ومالك، وأحمد، والشافعي)

وباقى الائمة الذين اندثرت مذاهبهم كالليث ، والاوزاعي والسفيانيين وغيرهم.

وهؤلاء جميعا هم أئمة السلف، وعلمائهم ، وهم المؤسسون للمنهج السلفي في الاستدلال ،

1- الزمخشري : أساس البلاغة باب سلف ص 216 :

2- ابن رجب البغدادي : فضل علم السلف على الخلف ص 16 مطبعة النهضة القاهرة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

و قد أسلفنا في أن خيرية هؤلاء تستند الى نصوص من الكتاب، وأخرى من السنة، واجماع الامة. فأما من الكتاب ، فنذكر :

- قوله تعالى : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ..) (1)

وقوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) (2)

- وقوله تعالى : (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان) (3)

وقوله تعالى : (والسابقون السابقون اولئك المقربون) (3) ، وغيرها من الآيات القرآنية الأخرى .

وأما من الاحاديث النبوية :

1- فقوله - صلى الله عليه وسلم - «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» . (4)

2- وقوله - صلى الله عليه وسلم - : « تفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ، قالوا ومنهم يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي » (5) .

وقد أجمع العلماء الذين يعتمد باجماعهم على أن السابقين أفضل . قال ابن الصلاح : « وفي نص القرآن تفضيل السابقين من المهاجرين والانصار » (6)

وأهم حلقات السابقين :

حلقة الصحابة : وهم أصحاب رسول الله الذين استجابوا لداعي الله، وداعي الرسول، وجسدوا حقيقة الايمان كما وردت في القرآن : (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنوا) (7) .

يقول ابو الحسن الندوي فيهم : « وضعوا أيديهم في يد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم، واستطابوا المرارات والمكاره في سبيل الدعوة الى الله، واقتضى يقينها الى قلوبهم، وسيطر على نفوسهم وعقولهم وصدرت منهم عجائب الايمان .

1- الاية 10 الحشر

2- الاية 104 التوبة

3- الاية 9 الواقعة

4- البخاري : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل : متن البخاري بحاشية السندي ج 1 ص 313 دار احياء الكتب العربية القاهرة.

5- مسند أحمد باب الفتن

6- المقدمة ص 269 . وهذا يستدل لال من العلامة ابن الصلاح

7- الاية 193 آل عمران

بالغيب والحب لله ولرسوله والرحمة على المؤمنين والشدة على الكافرين وإيثار الآخرة على الدنيا...» (1)

والصحابة أتقى الناس قلوبا، وأظهرها نفوسم؛ قال عبيد الله بن مسعود : «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد

فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه. فمن كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله، فإنهم كانوا أهر هذه الأمة قلوبا، وأعصفها علوما، وأقلها تكلفا، وأقومها هدبا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» (2)

فالصحابة هم معلمو الأمة، يتفاضلون رتبة وسابقة وعلما، وعقيدة الأمة جميعا هي : «أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، وثلاثون بعثمان وربعون بعلي». (3) يقول ابن الصلاح : «وأفضلهم على الإطلاق أبو بكر ثم عمر ثم إن جمهور السلف على تقديم عثمان على علي...» (4)

وهكذا سابقهم فلاحهم. كما تبثت تركبتهم من الله تعالى وعلى لسان نبيه واجماع الأمة. قال الله تعالى : (... ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) (5). فقد أثبت «الصحبة» للصديق، وشهد له بها وهو الذي لم يكن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم - إلا قليلا.

وكذلك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حتى كان يقاسم جارا له الجلوس عند رسول الله ثم يحدث كل واحد صاحبه بما سمع.

عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال : «كنت أنا وجار لي من الانصار في بني أمية بن زيد ، وهي في عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جنته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك». (6) وهكذا الامر عند بقية الصحابة في حرصهم عن سماع ما يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - يحكي أبو هريرة عن شدة حرصه فيقول : «تزعمون أن أبا هريرة يكفر الحديث

1- الكاوند هلوي : حياة الصحابة : المقدمة ج 1 تصدوير الكنايب بقلم أبي الحسن الندوي

2- ابن رجب البغدادي : فضل علم السلف على الخلف ص 31 المكتبة

3- العقيدة الواسطية : ابن تيمية الشبهات الشبه على العقيدة الواسطية ص 304

4- ابن الصلاح : المقدمة ص 298

5- الآية 40 التوبة .

6 ابن حجر العسقلاني : فتح الباري... ج 1 / باب التناوب عن العلم ص 185 .

عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنني كنت امرأ مسكينا صحبت رسول الله على بطني وكان المهاجرون تشغلهم التجارة والاسواق، وكانت الانصار يشغلهم القيام على أموالهم ، وحضرت مع رسول الله مجلسا فقال : من بسط رداء حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه مني ، فبسطت ردائي حتى قص حديثه ثم قبضته إلي ، فوالذي نفسي بيده لم أنس شيئا سمعته منه .(1)

فقد سمع الصحابة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورأوا وحفظوا وبلغوا وهم العدول بنص الكتاب، وبنص السنة و باجماع علماء الامة.

قال الله تعالى : «كنتم خير امة اخرجت للناس تاسرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (2).

وقال تعالى : (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (3)

وقال سبحانه وتعالى: (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم)(4) ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم :

«.... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ».(5) وقوله -صلى الله عليه وسلم- : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحد ولا نصيفه» (6)

وقال : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (7)

إن هؤلاء الصحابة حملوا الدين وعلومه، وحفظوا القرآن والسنة وعلومهما، والفقه والأحكام والشرائع والأداب ، والأخبار والآثار، فما غاب عن البعض منهم حفظه البعض الآخر، وما جهله البعض عرفه البعض الآخر. فما غاب عن الصحابة شيء من الأمور حتى الخاص بأحوال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- علموه ، عن طريق أمهات المؤمنين أو بالسؤال عنه. وقد أخبرت أمهات المؤمنين بما رأين وما سمعن، حتى استدركت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على كثير من الصحابة . قال ابن تيمية: «فالصحابة أدري الناس بذلك لما شاهدوه

1- ابن حجر العسقلاني : فتح الباري... ج 1 / باب التناوب عن العلم ص 185 .

2- الآية 110 آل عمران.

3- الآية 142 البقرة

4- الآية 29 الفتح

4- المصدر نفسه ج 1 ص 193.

5- رواه الامام أحمد والترمذي وقال حديث حسن.

6- ابن ماجه محمد يزيد . سنن ابن ماجه ج 1 ص 313 لمحقق محمد عبد الباقي.

من القرآن والأحوال التي اختلفوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح،
لاسيما علماءهم وكبرائهم». (1)

وتفاوت الصحابة في الرواية والعلم واطمأن لكل دارس لحياتهم او متمعن فيما كتبه
العلماء في هذا الصدد. فأعلم الجميع أبو بكر فعمر، ثم عثمان فعلي، فعلماء الصحابة
كالعبادلة ومعاذ وزيد وغيرهم. فقد كان الصحابة لا يعدلون عما اتفق عليه الشيخان،
أو رأي أبي بكر، أو عمر من بعده، وهكذا.

فمن عبد الله بن زيد قال: «كان عبد الله بن مسعود إذا سئل عن شيء كان في القرآن
والسنة قال به، والاقبال بما قاله أبو بكر، فإن لم يكن قال برأيه، وإذا اختلف الخلفاء
الراشدون، وكان عمر وأبو بكر في شق وبقيتهم في شق آخر، فالقول ما قاله

أبو بكر وعمر فإن اختلفوا فكان أبو بكر في شق وعمر في شق آخر فالقول ما قاله أبو
بكر (2) وتفاوت الصحابة في العلم وارد، وهو حسب كل صحابي وما اشتهر به. فقد
قال -عليه السلام-: «لو هلك عثمان وزيد في بعض الزمان لهلك علم الفرائض» (3)
وقال: «أعلمكم بالفرائض زيد بن ثابت» (4) وفي مسلم: «انه عالم بالفرائض» (4).

وقوله -صلى الله عليه وسلم- «أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»

وقوله -صلى الله عليه وسلم- «أقرؤكم لكتاب الله أبي» (5)

وقوله -صلى الله عليه وسلم- «من سره ان يقرأ القرآن، غضا طريا فليقرأه كما قرأه
ابن ام عبد -يعني ابن مسعود» (6)

وقوله: «الا وإن لكل أمة أميننا وأمين أمتي عبدة بن الجراح» (7)

ودعا لعبد الله بن عباس فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (8)

1-تقي الدين أحمد بن تيمية: المقدمة في أصول التفسير ص 7

2- الموسوعة الفقهية موسوعة أبي بكر ص 15

3- أبو داود: سنن أبي داود، سنن الدارمي: فرائض، 1

4- ابن ماجة المقدمة: وأحمد بن حنبل المسند ج 3 ص 184، سنن ابن ماجة، المقدمة، 11 و 13.

5- الترمذي صحيح الترمذي «صحيح الترمذي» شرح الامام بن هريبي المالكي ج 1 ص 32

6- أبو الغداء بن كثير: تفسير القرآن فضائل القرآن الكريم، ابن ماجة: السنن، 11.

7- سنن أبي داود ج 3 فضائل الصحابة صند البخاري، 53، 55.

8- تقي الدين ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ص 9. البخاري: باب وهو، 10.

وقد عرف الصحابة -رضوان الله عليهم - بالعلم والمعرفة وكان كل واحد منهم يسأل عما يعرف ولا يجيب الا بما يعرف ويوجه السائل الى غيره اذا جهل .

فأخلفاء الاربعة، علماء الصحابة جميعا، وغيرهم تفرقوا في المعارف؛ فمعاذ اعلمهم بالحلال والحرام، وزيد افرضهم وأبي اقرؤهم ، وابو هريرة ارؤى الجميع، وابن عباس كان يلقب به (الخبير) لرسوخه في العلم ؛ فقد كان يفسر الآية والاياتين والسورة والسورتين، حتى نسب إليه تفسير كامل . قال الاعمش عن وائل :«استخلف على ابن ابي طالب عبد الله بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ في خطبته سورة البقرة -وفي رواية سورة -النور ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لاسلموا» (1)

هوتكيزات التفسير عند الصحابة

و ما يمكن أن نخلص اليه من كل ما سبق هو أن هذه المعطيات العلمية والمعارف، و الفهم الموجود عند الصحابة -رضوان الله عليهم -ما هي إلا مرتكيزات في استدلالاتهم بالقرآن الكريم، ويمكن بلورة ما سبق ذكره في الاتي :

1- إن علمهم النقلى المتعلق بحفظ الأصلين الكتاب والسنة؛ أما الكتاب فبقراءاته وعلومه وتفسيره، وأما السنة فبروايتها وعلومها وفقهها .
2- مجالستهم النبي -صلى الله عليه وسلم - و مشاهدتهم لمعالم التنزيل وأسبابه وأثار السنن ، وأسباب ورودها .

3- سليقتهم في اللغة وفطرتهم السليمة ،وبعدهم عن كل تكلف أو معاضلة .
4- اجتهاهم في حالة اجماعهم، أو في عليّة علمائهم، أو في انتقاء أقوال بعضهم وانتقادها . ويمكن تفصيل هذا في الاتي :

قد بين -صلى الله عليه وسلم - ما يجب تبينه من القرآن: احكامه، وحلاله وحرامه، علومه وأدابه؛ قال ابن تيمية : «ان النبي -صلى الله عليه وسلم - بين لأصحابه معاني القرآن كما بين نهم ألفاظه: فقله تعالى : (لتبين للناس ما نزل إليهم)(2) يتناول هذا وهذا.»(3)

ومن ثم، فالصحابة خير مفسر لكتاب الله تعالى، و قد شهد لهم الرسول بذلك ودعا لبعضهم بعلم التأويل .

لقد كان القرآن الكريم ينزل على النبي -صلى الله علي وسلم -والصحابة يشهدون ذلك

1- تقي الدين ابن تيمية: مقدمة في اصول التفسير ص 3

2 - الآية 44 النحل

3- أنظر ابن تيمية المقدمة في التفسير ص38

وقد تخفى حقائق النزول عن أحدهم لكنها لا تخفى عنهم جميعا. فهذا يعلم سبب نزول هذه الآية، والاخر يعلم حكمها، وثالث نسخها وهلم جرا... ولهذا نجدهم يقولون: هذه الآية أنزلت في كذا وكذا.

فمن ابي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاعجب ذلك المؤمنون فنزلت الآية: (الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين... (1)). فعلم اسباب النزول له أهمية كبرى في التفسير وكثيرا ما يتعلق هذا باخبار صحابي، وهو علم ضروري لمعرفة تفسير الايات القرآنية لما فيه من سبب النزول.

وكذلك علم ناسخ الكتاب من منسوخه، فالنسخ والتدرج في التشريع لبعضها البعض؛ روى الزهري قال: «خطبنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان يقرأ: (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة)». قال: واسناد الاثر صحيح وهو سنة ثابتة

(2) وقد تلا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قوله تعالى: (وان تبعدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير) او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير

(3). قدمعت عيناه. فبلغ صنيعة ابن عباس فقال: «يرحم الله ابا عبد الرحمن صنع كما صنع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية، ونسختها الآية بعدها، (لا يكلف الله نفسا ذرا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)» (4)، وكم هي كثيرة الايات التي لاتفهم الا بمثل هذه المقابلة.

ومعرفة محكم القرآن من متشابهه لا تقل أهمية عن معرفة ناسخه من منسوخه؛ قال تعالى: (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات.. (5)). وعلم هذه المتشابهات الى الله (وما يعلم تاويله الا الله) (5).

وعلى فرض أن الراسخين في العلم يعلمون تاويله (... والراسخون في العلم) (5) فليس هناك من هو أكثر رسوخا من الصحابة -رضوان الله عنهم- وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم - لابن عباس فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (6)، ومن الامثلة على علم الصحابة للمتشابه ما

1- الآية 1 الروم

2- ابو جعفر النحاس: الناسخ والمنسوخ وقد أخرجه أحمد والطبراني في الكبير من حديث ابن ماجه، وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي بن كعب بلفظ: «الشيخ.. اللذة.. وجاء ذكره في فقه السنة ج 2 ص 410

3- الآية 283 البقرة 5- الآية 7 آل عمران

4- الآية 285 البقرة 6- صحيح البخاري: كتاب العلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم -

من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين...

جاء في قوله تعالى : (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) (1) قال ابن عباس: « أنا من ذلك القليل هم ثمانية سوى كلبهم » (2)

وفي علم التأويل - وهو على مذهب بعض العلماء من المتشابه- ما وقع لابن عباس مع اشياخ من الصحابة فكانوا يحضرون الشورى في خاصة عمر فيدخل عبد الله بن عباس، فشق عليهم ذلك فعلم عمر ما بهم، فسألهم ذات يوم عن قوله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح... إنه كان توأبا) (3)

فكان جوابهم : أمرنا بالتسبيح والتحميد والاستغفار إذا رأينا آية النصر، حتى إذا وصل الى ابن عباس فقال : فيها أجل رسول الله.

فقال : وأنا أقول كذلك . ثم قال لاولئك الاشياخ : لهذا أدخلته عليكم» (4)

وهذا العلم تأويل وليس تفسيرا، فالآيات المحكمات واضحات، والآيات المتشابهات غير واضحات، منها ما يحتمل اكثر من وجه، والتأويل هو إرجاع المعنى الى وجه من الوجوه لقوة القرينة الحاملة له على ذلك الارجاع . ولا بقوى على هذا الامر إلا من لهم رسوخ في العلم والعارفون بكل الأحوال... عن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود: «والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتيته .» (5)

ومصاعلم ضرورة أن القرآن فيه المكي، وفيه المدني، ولكل موضوعاته وخصائصه ومميزاته، فما لم تقم البيئة النقلية على أنه من المكي أو المدني لا يمكن الجزم به، ثم أن للسابق أهمية ولللاحق أهمية أكبر. فقد يكون اللاحق ناسخا كما قد يكون مقيدا أو مخصصا، ولاهد أن يكون السابق عاما أو مطلقا أو مجملا : هذا من حيث القرآن، أما السنة ففيها ما في القرآن علاوة على علوم السنة رواية ودراية و علاقة السنة بالقرآن الكريم. قال الامام الشاطبي : «القرآن كلي الشريعة وفيه بيانها الاجمالي ولا يكون ذلك إلا بالسنة» (6).

1 - الآية 23 الكهف

2- عبد الله بن عباس: تنوير المقياس في تفسير ابن عباس سورة الكهف ص 183 .

3- الآية 1 النصر

4- ابن جرير الطبري : التفسير ج 1 ص 28 مطبعة بولاق، وتقي الدين ابن تيمية :

5- جمال الدين القاسمي : معان التأويل ج 1 ص 191 .

6- أبو إسحاق الشاطبي : الموافقات ج 1 ص 525 .

وقد قيل لمطرف بن الشيخير: لا نتحدثونا الا بالقرآن ، فقال مطرف : «والله ما نريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا .» (1) كما قيل لعمران بن حصين : «حدثنا بالقرآن ، فقال عمران لمن قال له ذلك : إنك امرؤ أحمق ، أجد في كتاب الله الظهر أربعاً لا يجهر فيها بالقراءة. ثم عدّ له الصلاة والزكاة ونحو هذا ، ثم قال الحمد هذا في كتاب الله ؟ إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر هذا» (1).

* ومن العلم الواجب ضرورة معرفة اللسان العربي ، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين .
والصحابه عرب أقحاح ، يعرفون اللغة وأسرارها وقوانينها وطرائقها في الخطاب والتعبير .
ثم أن فطرتهم السليمة لم تفسدها الحفصارة والاختلاط ، وحسبهم المهرف لم تبده المدنية مع ذكائهم الرقاد ، كل هذا لم يحل دون وقوفهم أمام لفظه ومفرداته وأسلوبه منبهرين ، فسألوا عن مفرداته كما سألوا عن معانيه ؛ روى شعبة عن سليمان بن عبد الله بن مرة عن ابي معمر قال : قال ابو بكر الصديق : «أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني اذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم» وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمود بن يزيد عن العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي ان ابا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى : (وفاكهة وابل...) (2) (الاية فقال : أي سماء ... لأعلم . قال ابن تيمية اسناده منقطع (3).

وقال : ابو عبيد ايضا حدثنا يزيد عن حميد عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ (وفاكهة وابل) (2) . فقال : ما الابل ؟ هذه الفاكهة قد عرفناها فما الابل ؟ ثم رجع الى نفسه فقال : «إن هذا لهو التكلف يا عمر» (4)

كما سأل سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن كلمة (تخوف) حتى قام أحد الاعراب فأعلمه ان المراد من الاية : (او ياخذهم على تخوف فإن يكتم لربهم وديماً) (5) فأعلمه بذلك قائلاً تنقّص ، ولم يكتمف هذا الاعرابي ببيان المعنى بل زاد فاستشهد عليه بقول الشاعر:

تخوف الرجل منها تامكا كما تخوف عودا النبعة السفن (6)

وكان الحبر عبد الله بن عباس يذهب الى البادية فيسمع من عربها كبارهم وصغارهم

1 - جمال الدين القاسمي : معان التاويل 191 ج 1

2 - الاية 31 عيس

3- معان التاويل : ج 1 ص 10 - تقي الدين بن تيمية : مقدمة... ص 47

4- المصدر نفسه ، ص 47

5- الاية 47 التحل

6 - الامام جلال الدين القرويني الخطيب : عبيد عبد الرحمن الرقوتي : التلخيص ف علوم البلاغة

ص 10 ط 1 / 1904

ويستشهد بكلامهم على معان في ألفاظ القرآن، فقد بين لناق بن الأزرق شرح الكثير من الالفاظ مستشهدا بأبيات من الشعر(1) . وقد عد العلماء معرفة اللغة العربية واجبا على كل مفسر. وقد تلقى الصحابة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الدين في كلياته: أحاكمه العقيدية والتشريعة، وأدابه وأخلاقه، أمثاله وحكمه... باللسان العربي، فاشكل عليهم النهم في كثير من المرات؛ فقد فهم عمار -رضي الله عنه- من قوله تعالى: (فتيمموا صعيدا طيبا) (2) على أن يتمك في التراب قال: « اجنبت فلم اصب الماء فتمعكت في الصعيد وصلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: انما يكفيك هذا وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الارض ونفخ فيهما » (3).

كما فهم عدي بن حاتم الطائي قوله تعالى: (واكلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم انموا الصيام الى الليل)(4)، بأن يربط خيطين ويبقى يأكل ويشرب حتى يراهما -وهذا عنده هو وقت الامساك- فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال: « يا عريض القفا » (5) وانكر عليه ذلك وبين له المقصود من الآية وهو الفجر الصادق.

وهكذا في بقية الامور. فلم تغن الصحابة عربيتهم عن الاستفسار في الكثير من الحالات، كما أنهم لم ينجوا من الوقوع في الخطأ في الفهم للحقيقة الشرعية من خلال الإشكال اللغوي.

فقد تلقى الصحابة -رضوان الله عليهم- الشريعة وأحكام الدين وأدابه ومقتضيات الاسلام بواسطة اللسان العربي، لكن بتفهم النبي صلى الله عليه وسلم -لهم لكل هذا في الكيفيات أو الكميات أو في الاحوال أو الاوقات...

تفسيرات الصحابة و استدلالاتهم القرآنية :

من كل ما سبق يتضح ان الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يملكون أهم مواد التفسير ومرتكزاته المتمثلة في القواعد العلمية، والضوابط الخاصة والعامة، والمعارف العلمية؛ كل هذا علاوة عن فهمهم للغة وادراكهم لطرائق التعبير العربي ومعانيه، فهم أقدر الناس على التفسير وادراكهم بالاستدلال بالقران وطرائقه.

1 - السيوطي: الاتقان في علوم القرآن ص 55 ج 2 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط 1408 هـ 1988

2- الآية 7 سورة المائدة

3 - الحديث من رواية الشيخين، وفي لفظ الدارقطني: «إنما كان بكفيه ان تضرب بكمفك التراب ثم تنفخ

فيهما تم تسح بهما وجهك وكفك الى الكعبين - عن فقه السنة السيد سابق ص 1 ص 80

4- الآية 187 البقرة

5- محاسن التأويل: ج 1 ص 10 - تقي الدين بن تيمية: مقدمة... ص 47

وهم في تفسير القرآن والاستدلال به متفاوتون؛ فمن مقل إلى متوسط فمكثر. و هذه
عينات من الصحابة كمنادج حية على ذلك :

المبحث الاول: ابو بكر* الصديق رضي الله عنه واستدلالاته بالقران العظيم:
شخصية الصديق من اعظم الشخصيات التي اوجدتها الدعوة الاسلامية؛ فهو الرجل الثاني
بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زكاه الحق سبحانه وتعالى في أكثر من موضع منها
قوله تعالى: (الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه
الاعلى والسوف يبرضى) (1) .

وسماه الله تعالى صديقاً حيث قال تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدق به) (2) ، وقد أخرج
البخاري عن ابن الزبير قال: نزلت الآية - (وما لاحد عنده من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه
ربه الاعلى) (3) **في أبي بكر الصديق**
وقد أثبت الله له «الصحة» وسجلها في قوله تعالى: (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ
يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) (4)

والصديق سمع عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- الكثير وحفظ عنه أكثر من غيره ،
وقد أثر عنه علم غزير ، وفهم موفق واستدلالات قرآنية كثيرة :

1- عن قيس بن حازم قال: « سمعت أبا بكر -رضي الله عنه - تلا هذه الآية: (يا ايها
الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) (5)، ثم قال: أنتم
تقرؤون هذه الآية ثم تضعونها في غير موضعها ، وإنني سمعت رسول الله -صلى الله عليه
وسلم - يقول: إذا عمل في الناس المنكر ولم يغيروه أو شك الله أن يعمهم بعقاب » (6).
فالصديق -رضي الله عنه - رأى الناس يستشهدون بهذه الآية على غير الحال التي تصدق

* أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -

* عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي
التيهي صديق رسول الله وخطيبه ثاني اثنين وكنيت ابيه -أبو قحافة - ولد بعد عام الفيل بستين وستة أشهر
لازم النبي -صلى الله عليه وسلم- وأزوه بماله ونفسه وكان معه في الغار وشهد معه المشاهد كلها. خلف النبي
-صلى الله عليه وسلم- بعد موته وهو أول من لقب بالخليفة.

1 - الآية 18 الليل

2- الآية 32 الزمر

3- الآية 19 الليل - جلال الدين السيوطي: لبها بالعقول في أسباب النزول ص 330

4 - الآية 40 التوبة

5- الآية 107 المائدة

6- احمد المرزوي: تحقيق شعيب الارناؤوط: مسد ابي بكر الصديق رضي الله عنه ص 130 ص 3

المكتب الاسلامي

فيها، ونزلت فيما يشبهها، فأنكر عليهم هذا الفهم الخاطي - ويمكن تفصيل القضية في
الآتي:

تحليل الاستدلال إلى عناصره الأساسية:

- 1- بين استدلال الناس بهذه الآية على وجه خاطيء نتيجة فهمهم الغلط المبني على عدم استيعاب الآية .
- 2- صحح الاستدلال بتذكير الناس أن أمر تلاوة الآية على الموقف -وهو ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - لا يكون الا بعد القيام بواجب هذا الامر .
- ومن ثم أحال الاستدلال إلى التفسير الصحيح كما سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ويتضح هذا المعنى عند التطرق إلى روايات أخرى تعطي التفسير الصحيح للآية كما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم - روى عمر بن ثعلبة الخشني انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن تفسير قوله تعالى **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**، فقال: يا أبا ثعلبة ، مر بالمعروف وانه عن المنكر، فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام وإن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم المتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه له أجر خمسين منكم. «(1) فهذا الحديث يدعم المعنى الذي ذهب إليه سيدنا أبو بكر الصديق في تصحيح الاستدلال.

الاستدلال الثاني :

أتى رجل إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فقال: قتلت صيدا وأنا محرم، فما ترى علي من الجزاء ؟ فقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لا بهي بن كعب : ما ترى فيها ؟ فقال الاعرابي : أتيتك وأنت خليفة رسول الله فإذا أنت تسأل غيرك ؟ فقال أبو بكر : وما تنكر والله تعالى يقول : **(..يحكم به ذوا عدل منكم...)**(2) ، فشاورت صاحبي حتى اتفقتنا على أمر أمرناك به «(3)

* لقد كان الاعرابي ينتظر من أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - جوابا لما له من قيمة ومكانة في العلم والمعرفة، ففاجأه بالاستفسار من أبي بن كعب، و عندما تعجب الأعرابي ،

1- أخرجه أبو داود ، والترمذي وحسنه ابن ماجة والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الاحياء ج 2 ص

رده أبو بكر الى وجه الدلالة وهي : (يحكم به ذوا عدل منكم...) وهذا من خلال الآية (يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياها ، ليذوق وبال امره . عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام) (1)

قال صاحب (أحكام القرآن) : «قال علماؤنا يقيم المتلف رجلان عدلان فقيهان بما يحتاج اليه في ذلك فينظران فيما أصاب ويحكمان عليه بما رأياه في ذلك، فما حكما عليه لزمه.. (2) وقد روى جرير بن عبد الله البجلي قال : «أصبت صيدا وأنا محرم فأتيت عبد الرحمن بن عوف وسعدا فحكما علي بتيس أعفر».

- فاستدلال سيدنا أبي بكر -رضي الله عنه -يستند الى النص القرآني ودلالاته الصحيحة.

- كما أنه يجسد ما يدعمه من عمل السلف الصالح وهو حكم الصحابييين عبد الرحمن بن عوف، وسعد . واستدلالات الصديق أكثر من أن تحصر في هذين النموذجين .

3- فموقفه مشهود عندما هدأ نفوس المؤمنين وردهم الى رشدهم لما فقدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين وفاته اذ اضطرب الناس اضطرابا كبيرا ، وهاجوا وماجوا حتى أن سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -شهر سيفه وقال : من يقول محمد مات لاقتلته فلما جاء سيدنا ابوبكر -رضي الله عنه -تكلم وقال لعمر: « أنصت، فأبى عمر أن ينصت ، فتكلم الصديق وقال :إن الله قال لنبيه (...إنك ميت وإنهم ميتون)(3)، وقال : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكويين) (4) ثم قال: فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ». (5) فقد كان استشهاد الصديق بالآيتين في الوقت المناسب والمكان المناسب، فهدأت النفوس وأطمأنت القلوب وعاد الناس الى رشدهم، حتى حلف رجال من أصحاب محمد قائلين : « ما علمنا أن هاتين الايتين نزلتا حتى قرأهما ابو بكر الصديق -رضي الله عنه- يومئذ» (6) مع أن

1- الآية 97 المائدة

2- القرطبي : التفسير ج 1 من سورة المائدة .

3- الآية 29 الزمر

4- الآية 144 آل عمران .

5- محمد بن جرير الطبري : تاريخ الامم والملوك م 2 ص 101 - 102

6- المصدر نفسه م 4.3 ص 102 . م 1 - ص 101 . 102

هاتين الايتين نزلتا من قبل، فالآية: (انذ صيت وإنهم صيتون) (1) يذكر صاحب (الجلالين) انها نزلت لما استبظروا موته (2)، والثانية بعد أحد. يقول د. رمضان البوطي في حكمة نزول هذه الآية (3) : «... من أجل بيان الدرس الجليل نزلت الآية تعليقا على ما أصاب كثيرا من المسلمين من الضعف والتراجع لدى سماع نبي مقتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وذلك اذ يقول الله تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) وهذا في غزوة احد». وقد أجاد سيدنا ابو بكر في الاستشهاد على الحال اذ وقع موقع القبول من المسلمين جميعا؛ يقول ابن كثير (4) : «هذه آية من الايات التي استشهاد بها الصديق - رضي الله عنه - عند موت الرسول -صلى الله عليه وسلم -حتى تحقق الناس من موته بعد قوله عز وجل: (وما محمد... الشاكين...) (5) وهذا الاستشهاد من أعظم الاستشهادات عند سيدنا ابي بكر الصديق ومن استدلالاته التاريخية التي اعتبرت أقرب الى الموقف السابق .

ثالثا: موقفه من مانعي الزكاة و رده لاستدلال خاطيه

بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم -يقول ابن كثير (4) : «فجعلت وقود العرب تقدم المدينة . يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة. ومنهم من امتنع عن دفعها الى الصديق. وذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) (6) ، قالوا : فلستنا ندفع زكاتنا إلا لمن صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم:

أطعنا رسول الله اذ كان بيننا * فوا عجبا ما بال ملك ابي بكر (7)

. وقد فهمت قبائل عربية أن الفعل (...خذ...) انما هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم -بمقتصر عليه دون غيره، ويلزم على هذا سقوط الزكاة بموته ، وزوال التكليف ، وقالوا : ان النبي صلى الله عليه وسلم -كان يعطينا مقابل الزكاة : « الصدقة » التطهير والتزكية والصلاة علينا وصلاته سكن لنا، وقد عدنا ذلك من غيره، ومن ثم منعوا الزكاة مستدلين

1- الآية 29 الزمر

2- جلال الدين المعلي، جلال الدين السيوطي الجلالين ص 521 ط 2 -دار الكتاب اللبناني

3- د. محمد رمضان البوطي -فقه السيرة ص 247 ط 1989\1 م

4- ابرو الفداء، اسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ص 1986/1 ج 5 ص 157 .

5- الآية 144 آل عمران

6- الآية 103 التوبة

7- المحافظ بن كثير : البداية والنهاية : ج 6 ص 311

بالإيقاع السابقة -103-9 على خطا بين، فما كان من الصديق الا أن قام قومة حازم صارم فجمع الصحابة وقال لهم : ما تقولون في هؤلاء ؟ فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - : « كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله) ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». فقال الصديق : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا - وفي رواية عناقا- كانوا يؤدونه الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقاتلتهم على منعه» (1)

- وقد استدلل سيدنا أبو بكر الصديق -رضي الله عنه -في قتال مانعي الزكاة بقتال تارك الصلاة، فردهم من المختلف فيه «الزكاة» الى المتفق عليه « الصلاة » في قياس ذكي فثبتت الحجة ، واتفق الناس على ذلك .

وقد جاءت آيات كثيرة تقرن الزكاة بالصلاة: (فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين...)(2) وغيرها من الايات .

فالجمع عند الصديق لازم، ولا فرق بين فريضة وأخرى، اذ هذه معلومة من الذين ضرورة وتلك مثلها من حيث فرضيتها.

واستدلال مانعي الزكاة بقوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة... سكن لهم)(3) لاغ للاعتبارات التالية :

أولا : إن الخطاب وإن كان للنبي -صلى الله عليه وسلم -في الاصل، فهو خطاب لكل من يقوم بالامر من بعده ؛ فهو ليس من الخطاب الخاص برسول الله -صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر قائم مقام النبي -صلى الله عليه وسلم- . يقول ابن قيم الجوزية : « فخلاقته خلافة نبوية، ولم تقم قرينة تصرف الامور الى خصوصيات النبي -صلى الله عليه وسلم -» (4).

ثانيا : إن التطهير والتزكية إنما هو راجع الى الزكاة ، ففي الآية (تطهرهم وتزكئهم بها...) (3) ، ومادامت الزكاة تؤدي فهي طهرة لصاحبها وقت أدائه لها.

ثالثا : إن من يأخذ الزكاة - سواء الامام أم نائبه - ، مأمور أن يدعو لمعطئها بالبركة والاجر عند اخذها .

1- د. يوسف القرضاوي : فقه الزكاة ج 1 ص 82 ط... الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه الجماعة الا ابن ماجه.

2- الآية 11 التوبة

3- الآية 103 التوبة

4- المصدر السابق ص 82

رابعاً : «التطهير قائم أصلاً، سواء بطهارة النفس مع الشح والبخل والاثرة بدفع هذا الحق، واتباع أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- في اخراج الزكاة وكل ثواب على عمل هر كان في زمانه -صلى الله عليه وسلم- فهو باق غير منقطع». (1)

فما كان من الصديق إلا أن قاتلهم، وتبعه الصحابة على ذلك وصحَّ بعمله هذا فهما خاطنا لنص القرآن الكريم، وأغلق باباً للفتنة لو فتح لكان سبباً لفتن أخرى.

وإن كان الصديق -رضي الله عنه- من أعلم الناس بالشريعة الاسلامية، وأحكامها فهو على سعة من علوم القرآن، وعلوم السنة وشيء آخر من علوم الانساب وتفسير الرؤى.

وقد كان من المفسرين لكتاب الله : جاء في كتاب (الحلية) (2): «أن سيدنا ابا بكر -رضي الله عنه- قال لاصحابه : ما تقولون في هاتين الايتين»، (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) (3) (والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم..) (4)، ثم قال : استقاموا فلم يذنبوا، ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة ثم قال : لقد حملتموها على غير المحمل ثم قال: (ربنا الله ثم استقاموا) (2) فلم يميلوا الى إله غيره، ولم يلبسوا إيمانهم بشرك» (2) وهذا التفسير يبين قدرة الصديق -رضي الله عنه- على الفهم والاستيعاب ثم هو يبين خطأ الناس في حمل الايات على غير محلها.

وقد تجلّى فقه الصديق -رضي الله عنه- في استدلاله وتأويلاته:

فخطبه كلها خلاصة للعلوم التي تلقاها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم هو في خطبه ومواعظه يستشهد بالآيات القرآنية شأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ففي بعثة الجيوش الى الشام تحت إمرة يزيد بن ابي سفيان؛ يقول بعد التشهد والحمدلة والصلاة والسلام على النبي -صلى الله عليه وسلم- : «اني موصيك بعشر خلال، الى أن يقول : ... واعلموا أنكم ما اخلصتم لله عز وجل فريكم المعتم ، وحقكم حفظتم فأعطوا ضرائبكم في ايام سلفكم، واجعلوها نوافل في أيديكم تستوفوا سلفكم حين فقركم وحاجتكم ، ثم تفكروا عباد الله في من كان قبلكم أين كانوا بالأمس وأين هم اليوم، اين الملوك الذين كانوا اثروا الارض وعمروها؟ قد نسوا ونسي ذكرهم فهم اليوم لا شيء» (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون) (5) وهم في ظلمات القبور. (هل نخس منهم من احد او تسمع لهم ركزا) (6).

1- يوسف القرضاوي فقه الزكاة ج 1 ص 84-85 - 5 - الآية 54 النسل

2- الأصفهاني حلية الأولياء ج 1 ص 30 - 6 - الآية 99 مريم

3- الآية 30 فصلت

4- الآية 82 الانعام

فالخطبة ذات معانٍ روحية وذات مغزى إيماني ، فيها تحريض على العمل الصالح ودعوة إلى الاعتبار والاعتاظ بالسابقين ، والإلتفات إلى أحوال الماضين من آباء وأجداد ، والتذكير بأن الله عادل ، لا يحابي احدا ، ولا يقدم أو يؤخر إلا بالعمل الصالح .
غير أن ما يتجلى من نص الخطبة هو :

1- الاستشهاد بالقرآن الكريم وذلك بالآيتين 52 من سورة النمل و 92 من سورة مريم :
(ولقد أرسلنا النوحا إلى قوم صالحا... لقوم يعلمون)(1) (وكم اهلكنا قبلهم من قرون... لهم وكذا)(2) . فالآية الاولى من سورة (النمل) تقص خبر صالح مع قومه ، كفارهم ومؤمنهم ، و الرهط التسعة في افسادهم في المدينة، والكيد لقتل صالح وقومه ثم جزاء هؤلاء جميعا. والتذكير بهذا يعني الاعتاظ، وكذلك الحال بالنسبة لما جاء في سورة مريم .

والاستشهادان يشتركان في صفة واحدة هي :

أولا : التذكير بأحوال الماضين من الهالكين قصد الاعتاظ والإعتبار، والنصان المجتزآن من سياقهما يطابقان المعنى المقصود والمتوخى من الاستشهاد في الخطبة.

والقصص في القرآن الكريم انما هو في الاصل -للاعتاظ- حتى لا يقع اللاحق فيما وقع فيه السابق، كما يعتبر تشبيها للمؤمنين وطمأنة لهم. أما الكفار الذين يسمعون الآيات، فهي وعيد وتهديد لهم . و استشهاد الصديق انما ينصرف أصلا إلى وعظ الناس وربطهم بالآخرة وتزهيدهم في الدنيا وترغيبهم في العمل الصالح الذي يقربهم إلى الجنة ويبعدهم من النار. ثانيا : إقتطاف أجزاء من الآيات وتوظيفها في سياق جديد من الخطبة ينسجم كل الاتسجام مع سياقها وسياقها ولحاقها. وهذا ما ينبغي التأكيد عليه في الشاهد القرآني.

وما يمكن استخلاصه من كل هذا هو أن سيدنا ابا بكر الصديق رضي الله عنه - مزكى من الله تعالى، ومرضى عنه ، وأنه خليفة رسول - صلى الله عليه وسلم - .

- و قد فسر القرآن الكريم بما له من ثاقب العلم والفهم، وأنه تحفظ من ان يقول في القرآن بما لا يعلم ، فاستتكتف من أن يدلي برأيه ، مع أن رأيه خير للامة من رأيها لنفسها .

- و استدلالاته بالقرآن ، واستشهاداته استوفت اغراضها ومقاصدها ، وقد حقق العلماء من بعد مقاصدها الشرعية وأبعادها العلمية .

- و استدلالاته فيها ما هو من فقه الرجل وعلمه، وفيها ما ذهب مذهب المثل فكأنه يتمثل في بعضها موقف الرجل المؤمن (مؤمن آل فرعون) : « كان الصديق في بيته فسمع

1- الآية 54 النمل

2- الآية 99 مريم

مناديا يعسرخ ويقول أدرك صاحبك، فخرج وهو يقول : (... اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله) (1). فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -ورجعوا الى أبي بكره (2). فهو يتمثل موقفا جديدا يشبه موقفا قديما وهو موقف مؤمن آل فرعون- كما اثرت عنه الخطب البليغة الفصيحة ذات الشواهد القرآنية في الحرب والسلام، وهي الانعكاس العلمي لما تلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويمكن اعتبار ما صدر عن سيدنا أبي بكر-رضي الله عنه- مما يتعلق بالتفسير والاستدلال والاستشهاد هو من القواعد العلمية، والاسس النقلية في الاستشهاد. و يمكن تلخيص ذلك في الآتي :

- 1- ما صح عن أبي بكر الصديق من التفسير حكمه حكم الآثار النبوية الشريفة.
- 2- ما حفظ من استدلالاته واستشاداته يعود أصلا الى خالص فقهه، وفهمه.
- 3- استدلالاته تعود الى ما علمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم -لطول ملازمته له وأخذ عنه الاستدلال طريقة ومنهجا ومعطيات.
- 4- كونه من العرب الاقحاح يجعله اكثر فهما من غيره لمقتضى الاسلوب العربي، وأسرار البيان اللغوي ودلالاته الادبية.
- 5- ما صدر عنه من أحكام واستدلالات اجتهادية، انما هو بمثابة التشريع وهو خلف النبي صلى الله عليه وسلم - وما يمكن أن نختم به هو أن ما وصل اليه الصديق -رضي الله عنه - إنما هو من قبيل التأسيس للاستدلال القرآني ومعطياته . هذه بعض إستدلالات الصديق رضي الله عنه بطرائقها و ضوابطها ومعطياتها. و هو من علماء الصحابة، و فقهاءهم، و المجتهدين فيهم. وهناك من الإستدلالات ما هي من جنس إستدلالاته علما و فقها واجتهادا و منها إستدلالات عمر بن الخطاب رضي الله عنه

1- الآية 28 غافر

2- حلية الاولياء ج 1 «أبي بكر الصديق». ص 28
معد يوسف الصند صلوبي. حياة الصحابة ج 1 ص 265

المبحث الثاني

الإستدلال عند سيدنا عمر - رضي الله عنه -

سيدنا عمر * دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين
عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام ... » فجعل الله دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم
- لعمر بن الخطاب فبنى - عليه الإسلام - وهدم به الاوثان (1)
وكان سيدنا عمر لا يفادر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الا قليلا ، اذا غاب عنه
لبعض شؤونه أناب عنه من يبلغه ما حدث في مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
لقد عرف عمر بقوة الشخصية العزم ، الارادة ، يجهر برأيه ولا يبالي ؛ قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده و
والده والناس أجمعين . قال : يا رسول الله لانت أحب الي من كل شيء إلا من نفسي . قال
: لم تؤمن يا بن الخطاب ، قال عمر : لانت أحب الي من كل شيء حتى من نفسي يا رسول
الله . قال : الان يا عمر . » (2)

كان عمر يرى الرأي أو يقف الموقف فينزل القرآن يؤيد ذلك .

الايات التي وافق فيها عمر بن الخطاب الوحي :

قال عمر : « وافقت ربي في ثلاث (3) : في مقام ابراهيم ، وفي الحجاب ، وفي أسارى
بدر .

أما الاولى : فقد قال عمر بن الخطاب : « يا رسول الله هذا مقام أبينا ، فقال رسول الله :
نعم . قال : لو نتخذة مصلى . فلم يلبث يسيرا حتى نزل قوله تعالى : (واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى) « (4) .

وأما الثانية : فقال : « يا رسول الله لو أمرت نساءك بحتجبن فيأنهن يكلمهن الير
والفاجر ، فنزل قوله تعالى : (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) « (5)

* هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن
لؤي بن غالب القرشي العدوي ، ابو حفص امير المؤمنين ولد قبل البعثة بثلاثين سنة ،
كان إسلامه فتحا على المسلمين وفرجا . لازم النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان أحد
وزرائه ، باءه ال - اءون بعد وفاة ابي بكر الصديق - رضي الله عنه - .

1- و اورده الحافظ بن كثير وهو صحيح .

2- البخاري : كتاب الإيمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم

3- أورده الحافظ ابن كثير وهو صحيح

5- الآية 53 الاحزاب .

4- الآية 125 البقرة .

وأما الثالثة : فقد روى ابن مسعود قال : كان يوم بدر جيء بالأسرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « ما تقولون في هؤلاء؟ فقال أبو بكر : قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، و قال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم نضرب أعناقهم و مكن عليا من عقيل بضرب عنقه، ومكني من فلان -نسيب عمر- فأضرب عنقه ان هؤلاء أئمة كفر. فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يجبههم، ثم خرج فقال : إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين، و يشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحديد، إن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال : (فمن تبعني فإنه مني و من عصاني فإنه غفور رحيم) (1)، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : (إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (2)، ومثلك يا عمر ، مثل نوح قال : (وب لا تذرع على الأرض من الكافرين ديارا). (3) و مثل موسى قال : (وبنا اطمس على أسوأهم و اشدد على قلوبهم) (4) ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أنتم عالة فلا يفلتن اليوم منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق » . قال ابن مسعود : إلا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم -فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع علي حجارة من السماء من ذلك اليوم، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « إلا سهيل بن بيضاء.» قال عمر: فلما كان الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم -وأبو بكر بيكيان، قلت : يا رسول الله اخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « أبكي للذي عرض علي اصحابك من أخذ الفداء، لقد عرض علي عذابهم ، أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة من رسول الله - وأنزل الله تعالى : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة. والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (5) ، (6)

فهذه الاثار والاخبار تدل دلالة واضحة على أن سيدنا عمر بن الخطا -رضي الله عنه - كانت له فراسة وقوة إلهام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : «إن لكل أمة محدثين فإن

1- الآية 38 ابراهيم

2- الآية 120 المائدة

3- الآية 28 نوح

4- الآية 88 يونس

5- الآية 68 الأنفال

6- أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ج 2 ص 872 - 880

يكن في هذه الامة احد منهم فهو عمر» (1) فعمر بثاقب فهمه، رأى أن مقام ابراهيم عليه السلام -ينبغي أن يكون مسلماً لما لهذا المقام من الهيبة والتعظيم، ومقام ابراهيم عليه السلام دخل المناسك بمجرد نزول قوله تعالى : (و اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) (2) ، ففي حجة المصطفى : « ثم تقدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم -الى مقام ابراهيم عليه السلام فقرأ (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) (2) رفع صوته يُسمع الناس » (3) واصبحت الصلاة عند المقام سنة يستن بها الناس الى اليوم . هذه الحال التي جعلت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يحس بعظمة المقام وضرورة اتخاذه مصلى، هي الحال التي جعلته يغار على عرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ويقول ما يقول، فيأتي التنزيل: (واذا سالتموهن مناعاً فاسالوهن من وراء حجاب) (4).

وهذا النزول علاوة على موافقته لعمر، فانه سيج يحفظ الأعراس، وقد استدل العلماء من هذا على أن زيجات المؤمنين من باب اولى وأحرى.

أما قضية الأسرى؛ فقد قال العلماء: عمل النبي صلى الله عليه وسلم - من قبيل الاجتهاد اذ لا نص في القضية أصلاً، واجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم -مع رحمته الشديدة جعله يميل الى الغداء قبل ضرب الاعناق.

غير أن مقام أسرى بدر أجل، فهم بلغة اليوم مجرمو حرب، لا أسرى حرب فقط، والحزم يقتضي أن يجابها بأشد العقوبات.

قال الشيخ محمد الغزالي : « هناك نصوص توحى برعاية الاسرى واطعامهم، وتشريع القوانين الرحيمة في معاملتهم، وهذا ينطبق على جماهير الاسرى من العامة، أما الذين تاجروا بالحروب لاشباع مطاعمهم الخاصة، فيجب استئصال شأفتهم وذلك هو الاثخان... وقد أسمع الله نبيه والمؤمنين هذا الدرس حتى اذا وعوه وتدبروه عفا عنهم » (5).

وفي هذا الاثر الذي يحكي حيثيات الواقعة في الحوار والمشاورة التي جرت بين النبي - صلى الله عليه وسلم - واصحابه، لمجد النبي -صلى الله عليه وسلم - يتمثل -في استشهاده بالنصوص القرآنية - حال الانبياء عليه السلام : ابراهيم وعيسى من جهة، ونوح و موسى من جهة ثانية. وهذا من قبيل الاستشهاد على الحال، وهذا يدل على أن

1- ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص 110

2- الآية 125 البقرة

3- محمد ناصر الدين الالباني : حجة النبي «صلى الله عليه وسلم» ، كما رواه جابر بن

- المكتب الاسلامي ط 1397\4 بيروت

4- الآية 53 الأحزاب

5- محمد الغزالي : فقه السيرة ص 255 ط

الرخص والعزائم والتيسير والتشديد هي من الرسائل التي إعتد عليها الأنبياء والرسل في دعواتهم السابقة ولعمر مواقف كثيرة تعكس ما له من قوة الإلهام وقدرة على الفراسة: كان عمر يسمع قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) (1) وهو يعسفي فقال : (فتبارك الله أحسن الخالقين...) (2) فنزلت الآية كذلك .

فعمر بن الخطاب -رضي الله عنه -ينظر الى عملية خلق الانسان في مراحلها وأطوارها المتتابعة ، ثم يقدر الخالق حق قدره، لان عظمة الخلق دليل على عظمة الخالق، فينزهه سبحانه وتعالى عما لا يليق به قائلا : (فتبارك الله أحسن الخالقين...) (2)

قال الرازي : «أي جعلناه خلقا مبيانا للخلق الاول حيث صار انسانا وكان جمادا، وناطقا وكان أبكم وسميما وكان أصم، وبصيرا وكان أكمه، وأودع كل عضو من اعضائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا يحيط بها وصف الراصفين». (3) فكل متأهل لهذا الخلق ينطق بلسانه قائلا : «تبارك الله أحسن الخالقين».

ومن إلهامات عمر موقفه من الخمر: فقد قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أذع الله أن يبين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا . فنزلت الآية : (يسألونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير و منافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) (4) فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم -عمر فقرئت عليه الآية ، فقال : اللهم أنزل علينا في الخمر والميسر بيانا شافيا، فنزلت الآية : (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة و انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) (5). فدعي عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية : (يا ايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و البغضاء في الخمر ، و الميسر و يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون) (6) .

فعمر ابن الخطاب -رضي الله عنه - وهو يتأمل هذه الآية كان يسعى جاهدا الى ادراك التحريم صريحا فصيحا، ولهذا كان يقول دائما : اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا، حتى نزلت الآية التي في المائدة 93 التي وردت فيها الجملة : (فهل انتم منتهون)؟ ادرك عمر بن الخطاب دلالة الآية على التحريم : قال «انتهينا يا رب» .

1- الآية 12 المؤمنون

2- الآية 14 المؤمنون

3- الرازي : التفسير الكبير سورة المؤمنون الآية 12 - 14

4- الآية 217 البقرة.

5- الآية 43 النساء . 6- الآية 93 المائدة - 91 ، 92 ، 93

ووجه الدلالة في الآية على التحريم هو :

أ- التعبير بقوله تعالى (فاجتنبوه) ، هو من التحريم، لان حقيقة الاجتناب في اللغة البعد، فاذا كان الخمر في ناحية يكون المؤمن في ناحية اخرى.

ب- والصيغة الاستفهامية (فهل أنتم منتهون)؛ أبلغ من (أنتهوا) اذ تحوي وعيدا شديدا. وهذا الفقه لحقيقة دلالة الايات ينم عن شخصية سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - العلمية؛ فبالرغم من ان الايات السابقة تشير من بعيد الى حرمة الخمر، فسيدنا عمر لم يرتح لدلالاتها ، لان مدارك الناس تختلف، فاذا علم هو الدلالة الظنية فقد يعسر على غيره ان يفهمها، بل حتى الدلالات القطعية غابت عن البعض . فاذا كانت الخمر في الآية 91 رجسا ووصفت بأنها من عمل الشيطان وقرنت بالميسر والأنصاب والأزلام ، فكل هذا يقتضي بدهاء التحريم . لكن جملة (فهل أنتم منتهون) أبلغ في الدلالة.

و الايات السابقة التي وافق فيها عمر ربه ، تعكس قدرته - رضي الله عنه - على ادراك «وجه الدلالة» في الاعتبار والاتعاظ والاستنباط والاستشهاد ، إذ من يعرف حقيقة الاستدلال ، بدهاء فائذ يحسن الاستدلال.

مكانة عمر العلمية واثرها في قدرته الاستدلالية:

كان عمر بمنزلة الوزير الاول لسيدنا ابي بكر، و قاضيه الاول حتى أنه في سياسته سار على منهج ابي بكر مع اختلاف في الشخصية.

كانت المدينة في أيامه اشبه بمدرسة يتخرج فيها القواد والقضاة والامراء. ومن العلماء في زمانه ابو موسى الاشعري وابو سعيد الخدري وعبد الله بن عباس وغيرهم، ولم يكن يسمع لاحد بان يغادر المدينة إلا بإذنه، ولمهمة معينة، فكانت عوامل قوة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في الفهم وحسن الاستدلال ترجع الى :

أ- مشاورته لعلماء الصحابة في المسائل التي تعترضه فيخرج منهم باجماع ملزم و لذلك كان رضي الله عنه بمنعم من مغادرة المدينة إلا لسبب قاهر.

ب- إصفاؤه لعلماء الصحابة و جعلهم مستشارين له يخصهم ، كما هو الحال لعبد الله بن عباس في المسائل العلمية، وعلي بن ابي طالب في الاقضية، و الفتاوى. فقد أثر عنه :
« اعوذ بالله من كل معضلة ليس لها ابو الحسن » (1)

ج - عدم إستغنائاه حتى عن عامة المسلمين ، إذ كان يسألهم عما سمعوا و حفظوا و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم -.

و كان عمر -رضي الله عنه من القراء وقانا عند القرآن، إذا حابه أحد بأية قرآنية وقف

1- ابن قتيبة كتاب تاويل مختلف الحديث ص 110

وسمع . وهناك عوامل أخرى جعلت عمر أقدر على الإحتجاج والاستدلال بكتاب الله من غيره نوجزها فيما يلي :

- 1- طول مصاحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه على كل ما يقع في مجلسه .
- 2- ملازمته للصديق -رضي الله عنه- وتعلمه منه الكثير من الحقائق العلمية والطرق الاستدلالية، وقد رأينا فيما سلف استدلاله على قتال مانعي الزكاة .

تفسيرات عمر للقرآن واستفساراته عنه :

ومن المرتكزات الأساسية في الاستدلال عند سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- علمه بكتاب الله، وفهمه له، كما عرف عنه ورعه وشدة تحفظه في أن يقول في القرآن برأيه . أو أن يقول بما لا يعلم . و لكن هذا لم يمنعه من تفسير بعض الآيات

« روى ابن عباس (1) أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان إذا دخل بيته نشر المصحف يقرؤه ، فدخل ذات يوم فقرأ سورة (الانعام) ، فأتى على هذه الآية : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...) (2) ، فانتعل وأخذ رداءه و أتى أبي بن كعب، فقال : يا أبا المنذر رأيت على هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...) (2) ، وقد نرى ان نظلم ونفعل. فقال : يا أمير المؤمنين ان هذا ليس بذلك، يقول الله تعالى : (ان الشرك لظلم عظيم...) (3) .

ومن تفسير عمر -رضي الله عنه- للآية : (الذين يؤمنون بالغيب...) (4)

قال عمر (5) : كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم -فقال: أنبؤوني بأفضل أهل الايمان. قالوا : يا رسول الله : الملائكة. قال : هم كذلك ويحق لهم، وما يمنعهم وقد انزلهم الله المنزلة التي انزلهم بها . قال : يا رسول الله الانبياء الذين اكرمهم الله برسالته والنبوة. قال : هم كذلك ويحق لهم وما يمنعهم وقد انزلهم الله المنزلة التي انزلهم بها. قالوا : يا رسول الله الشهداء الذين استشهدوا مع الانبياء . قال : هم كذلك ويحق لهم ، وما يمنعهم وقد اكرمهم الله بالشهادة مع الانبياء بل غيرهم . قالوا : فمن يا رسول الله؟ قال : أقوام في اصلاب الرجال يأتون بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقوني ولم يروني ، يجدون

1- عبدالله المحسين : التفسير بالمأثور عند عمر بن الخطاب ص 372 أخرجه المنذر و الحاكم و بن مردويه

2- الآية 2 الانعام

3- الآية 2 لقان

4- الآية - 2 البقرة.

5- عبدالله المحسين : التفسير بالمأثور عند عمر بن الخطاب ص 113 أخرجه البزار و أبو يعلى المهلب في

فضل العلم، و الحاكم وصححه

الورق المعلق فيعملوا به . فهؤلاء افضل أهل الايمان إيماناً» (1) .

فتفسير عمر بن الخطاب الآية بهذا الاثر . وجه من وجوه التفسير، وهو التفسير المأثور، ولا يمنع من ان يكون للآية دلالات أخرى : فقد ذهب العلماء الى أن لفظة (الغيب) تعني كل ما غاب عن الانسان، وقد تنوعت آراء المفسرين حول هذه الآية : (الم ذلك الكتاب لاويب فيه هدى للمتقين)(2). فمنهم من قال : الله - وضعفه ابن عربي - ومنهم من قال : القضاء والقدر، وذهب آخرون إلى أنه القرآن وما تضمنه من غيوب، بينما رأى غيرهم أن الغيب يشمل كل ما أخبر عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما لا تهتدي اليه العقول من اشراط الساعة، وعذاب القبر، والحشر والنشر، والصراف، والميزان، والجنة والنار . قال ابن عطية : « وهذه الاقوال لا تتعارض بل يقع القول على جميعها »(3).

فاذا كان تفسير عمر هاهنا بالآثر، فانه فسر بعمله ايضا .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكب على الركن، فقال : اني أعلم انك حجر ، ولو لم أر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبلك (4) : (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة..) (5)

- ومن تفسيراته ايضا ، قوله تعالى : (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ..) (6)

قال: أبغوا لي رجلا من كنانة، واجعلوه راعيا وليكن مدليبا. فأتوه به، فقال عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ قال : الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لاتصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصر اليه شيء من الخير» (6).

تفسير القرآن صع بيان سبب النزول :

ومن امثلة ذلك ما اخرجه ابن المنذر عن كليب قال : « خطبنا عمر فكان يقرأ على المنبر (آل عمران) ويقول انها أحذية ، ثم قال : تفرقتا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد فسمعت يهوديا يقول: قتل محمد. فقلت : لا أسمع أحدا يقول قتل محمد إلا ضربت

1- عبد الله محسن التفسير المأثور عن عمر ص 23.

2- الآية 1 . 2 البقرة

3- ناصر الدين الألباني : حجة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواها جابر بن عبد الله

4- أبو عبد الله القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 164 .

5- الآية 1 ع . : الاحزاب

6- الآية 126 الأنعام

6 على محمد حسن : التفسير بالمأثور عن عمر بن الخطاب ص 24-25

عنقه. فنظرت فاذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والناس يتراجعون إليه، فنزلت هذه الآية (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل...) (1)

ومن كل ما سبق تتضح بعض معالم عمر بن الخطاب في التفسير؛ فقد فسر القرآن بالقرآن مركزاً على الآيات، كما فسره بالآثار النبوية الشريفة، أو بسبب النزول، أو باللغة وما عند الأعراب من استعمالات وهم الذين لم تخالطهم عجمة، كما فسره من خلال الإقضية والاجتهادات واجتماع الصحابة وآرائهم.

فسيدنا عمر بن الخطاب من علماء الصحابة ومنهج في التفسير يعتبر من القواعد والمرتكزات الأساسية في استدلاله القرآنية.

استدلالات عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - :

1- لقد استدل عمر على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يميت - حين سماعه الخبر و تهديده لكل من قال بموته - بقوله تعالى : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)(2) .

فهو يرى أن الدين لم يظهر في الجزيرة كلها، ومن ثم لم تنته رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

2- استدلاله على الصبر والمصابرة :

كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب -رضي الله- يذكر له جموعاً من الروم فكتب إليه عمر: « أما بعد ، فانه مهما ينزل بعد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا وأنه لن يغلب عسر يسرين وأن الله يقول في كتابه (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا وابتغوا الله لعلكم تغلبون)(3).

إن هذا الاستدلال هو ضرب من الاستشهاد إذ لم يخرج به عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حكماً من الأحكام ، وإنما استشهد بهذه الآية على موقف وقضية إيمانية تكمن في أن المؤمن التقي على يقين بأن الله ناصره وأن عليه الصبر والمصابرة وربط النفس على الطاعة وصبرها على المكروه مع التقوى، فان النصر آت لا محالة، إذ لا العدد ولا العدة يحققان النصر وإنما هما سببان والتوفيق يكون من الله. والحال هذه هي الواردة في الآية (اصبروا وصابروا وابتغوا الله...) (3)

وسيدنا عمر بن الخطاب هنا يرد الأمر إلى نصابه وبين لقائد جنده طريق النصر والفلاح .

1 - 144 آل عمران.

2 - الآية 23 التوبة ، قال القرطبي: قيل: أراد ليظهره على الدين كله في جزيرة العرب

3- الآية 200 آل عمران = وقد نزل التفسير 8 ص 423

وكثيرا ما كان عمر يقف المواقف العسوية والموجهة لحقيقة الامر منها تأويل بعض الناس
للآية واستدلالهم بها

3- تصويب عمر لبعض الاستدلالات الخاطئة المخالفة للشرع :

أ - «حدث أن تسرت امرأة غلاما لها، فذكرت لعمر فسألها : ما حملك على هذا ؟ فقالت :
كنت أرى أنه يحل لي ما يحل للرجل من ملك اليمين، فاستشار فيها عمر أصحاب النبي
-صلى الله عليه وسلم- فقالوا تأولت كتاب الله على غير تأويله، فقال عمر: لجرم ، فوالله
لا أحلك لاحد بعده أبدا - كأنه عاقبها بعد ذلك ودرأ عنها الحد -» (1)

وفي رواية : «فقيل لها في ذلك ، فقالت : أليس الله يقول(﴿وما سئلتهم بما...﴾) (2)،
فهذا ملك يميني» (3).

ب- وكذلك رواية أخرى : «تزوجت امرأة من غير بينة ولا ولي ، فقبيل لها في ذلك
فقالت: أنا ثيب وقد ملكت أمري، فرفعت الى عمر. فجمع الناس وسألهم فقالوا: قد
خاصمتك بكتاب الله، فجلد كل واحد منهما مئة جلدة. وكتب الى الامصار ايا امرأة تزوجت
عبيها او تزوجت بغير وليها فهي بمنزلة الزانية» (4)

لقد فهمت المرأة المتسرية بعبيها الآية على اطلاقها ، تشمل الذكر و الانثى، ولما احتج
عليها الناس وانكروا فعلها استشهدت بالآية السابقة(﴿وما سئلتهم بما...﴾) (2) فهذا
ما جعل عمر ينكر عليها هذا الاستشهاد ويعزرها على هذا العمل .

يقول صاحب الموسوعة الفقهية :«وهذه الجلدات المئة التي جلدتها عمر اياها ليست حدا
ولكنها تعزير، وقد اسقط عمر عنها الحد لجهلها بالتحريم» (5)

ج- «وقد شرب أناس من أهل الشام الخمر، وقالوا هي لنا حلال، متأولين قوله تعالى :
(ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا...) (6) وكان عليهم يزيد بن
أبي سفيان، فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله فكتب عمر أن أبعث بهم إلي . فلما
قدموا اليه ، استشار الناس فيهم، فقالوا : يا أمير المؤمنين نرى أنهم كذبوا على الله،
وشرعوا في دينهم ما لم يأذن به الله، فاضرب ورقابهم، وعلي ساكت ، فقال : ما تقول يا
أبا الحسن فيهم ؟ قال : ان تستيبهم ، فان تابوا جلدتهم ثمانين جلدة لشربهم الخمر، وان لم

1- مسند عبدالرزاق ج 7 ص 209

2- الآية = 3 النساء

3- د.رواس قلعة جي : موسوعة عمر بن الخطاب الفقهية ج 1 ص 203

4-5 - المصدر نفسه ص 204. 205

6- الآية 95 المائدة

يتسبوا مشرت أعناقهم ، فقد كذبوا على الله وشرعوا في دينهم ما لم يأذن الله به .
فاستتابهم فتابوا فضرهم ثمانين ثمانين » . وقد رويت هذه الواقعة عن قدامة بن مظعون .

د- استدلال قدامة بن مظعون بالآية السابقة:

استعمل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه الجارود ، -فقدم عليه فقال : إن قدامة شرب
فسكر. فقال عمر: من يشهد على ما تقوله ؟ قال الجارود : أبو هريرة يشهد على ما أقوله .
قال عمر : يا قدامة اني جالدك. فقال : والله لو شربت كما تقول ما كان لك ان تجلدني .
قال عمر: ولم ؟ قال : لان الله يقول : (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما
طعموا اذا ما اتقوا و آمنوا و عملوا الصالحات، ثم اتقوا و آمنوا ثم اتقوا و احسنوا) (1)
فأنا من الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، ثم اتقوا و آمنوا، ثم اتقوا و احسنوا ، شهدت مع
رسول الله بدرا واحداً و الخندق و المشاهد كلها . فقال عمر: الا تردون عليه قوله؟ فقال ابن
عباس : إن هذه الآيات نزلت عذرا للماضين و حجة على الباقين ، لان الله يقول (إنها الخمر
و العيسر و الانصاب و الزلزام رجس من عمل الشيطان) (2) فقال عمر: صدقت « (3)

في بعض الروايات أن عثمان بن مظعون ، وعمر بن معد يكرب كانا يقولان أن الخمر مباحة
ويحتجان بقوله تعالى: (4) (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا...)
(1) رغم ورود هذه الواقعة بروايات مختلفة فإن ما يمكن الجزم به هو أن روايتها واردة عند
ان هذا الفهم الخاطيء والتأويل الفاسد أدى الى احتجاج غير موفق وهذا يعود أصلا الى
التعامل الظاهري مع الآية دون النظر في :

1- سياق الآية، وسبقها وحتى لحاقها، واستيفاء الموضوع من النصوص (آيات و أحاديث)
الواردة في الباب كله .

2- ما تعلق بالنصوص من حيثيات وأسباب نزول .

3- إقتطاع الآية من الآيات و الأحاديث المكتملة للموضوع : يقول جمال الدين القاسمي :
«ولو علما سبب نزولها لم يقولوا ذلك» (4) وهو أن ناسا قالوا لما حرمت الخمر كيف بمن
قتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس، فنزلت الآيات.

1- الآية 95 المائدة

3- الآية 92 المائدة.

3- مسند بن ابي شيبة 2/281 الدارقطني و واردة في سبب نزول الآية من رواية ابي هريرة عند أحمد كما
ذكرها الامام أبو بكر بن العربي في كتابه (أحكام القرآن) في معرض تفسيره للآية، و وردت القصة في
كتب التفسير.

4- جمال الدين القاسمي : المحاسن ج 1 و السيوطي : لياح النقل في اسباب العزول ص 112

انزلت عذرا للمؤمنين وحجة على الباقين» (1). فالناس الذين ماتوا قبل تحريمها لا لوم عليهم. أما الناس الذين أدركوا التحريم فالاستدلال في حقهم انما يكون بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر و الميسر و الانصاب و الزنلام و جس من عمل الشيطان... -الى قوله- فهل انتم منتهون). (2) وكثير ما يقع الخطأ في الاستدلال بالآيات في موضوعات مختلفة، والاجدر ان يكون غيرها محل الاستدلال والشاهد، وهذا ما جعل سيدنا عمر -رضي الله عنه- ينكر على المستدلين بهذه الآية ويسأل غيره أن يرد عليهم.

1- أخرجه النسائي وغيره. السيوطي : لهاب القول في اسباب النزول ص 112

2- الآية 9 المائدة

المبحث الثالث

استدلالات علي* - رضي الله عنه -

كان الشيخان أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- أعلم الناس، وكان لايفصلان في رأي أو أمر إلا باستشارة الصحابة وبالاخص علما هم ، وما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم -ليدهنوا أو يكتبوا أمرا معلوما لديهم(1)

فقد استدل سيدنا أبو بكر -رضي الله عنه- وقت السقيفة بقوله تعالى : (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار)(2) .

فاستدل على أن المهاجرين أفضل وبالتالي فهم اولى ، وأذعن سعد كما أذعن بقية الصحابة -رضي الله عنهم- . ووقف سيدنا عمر قائلا «لابزيد رجل على صداق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم -وبناته إلا رددته .»

فقال امرأة با أمير المؤمنين لم نحرمتنا شيئا أعطانا الله إياه ثم قرأت (...) اتيتم إحداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا(3) .

يقول ابن تيمية : « فرجع عمر الى قولها . ولقد كان حافظا للاية ولكنه نسيها » والحقيقة أن هذه القضية مؤسسة على :

1- نهى أمير المؤمنين -عمر بن الخطاب رضي الله عن المغالات في المهور مبني على مهر الرسول صلى الله عليه وسلم -لزيجاته ، ومهور بناته لقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة...» ولترغيبه في التيسير في المهور.

2- اعتراض المرأة على أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- مؤسس على قوله تعالى:(....) واتيتم إحداهن قنطارا) فالاية عند العلماء دليل على جواز المغالاة في المهور لان الله لايمثل إلا بباح (4) وكان الامر كما قالت المرأة وكان عمر وقافا عند القرآن ، يصغ الى المعترض وينصفه من نفسه. فقد رفعت الى عمر قضية امرأة وضعت لسته أشهر، فأراد سيدنا عمر أن يرجعها اذ الحمل أكبر

* علي بن ابي طالب -رضي الله عنه- هو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم - وزوج ابنته فاطمة الزهراء وابو السطين ولد قبل البعثة بعشر سنين فرى في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم- وكفله حتى بلغ سنين الزواج فزوجه فاطمة. ولي الخلافة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بعد الفتة التي فيها عثمان بن عفان

1- ابن كثير : البداية والنهاية، وتاريخ الطبري.

2- الاية 101 التوبة.

3- الاية 20 النساء.

4- ابن تيمية : رفع الملام عن الائمة الاعلام ص 33 4 ص

قربنة على حقيقة الزنا، غير أن أختها جاءت سيدنا عليا فقالت : « إن عمر هم أن يرمج أختي فأشددك الله إن كنت تعلم أن لها عذرا لما أخبرتني به.

فقال علي إن لها عذرا ، فكبرت تكبيرة سمعها عمر من عنده، فانطلقت الى عمر فقالت إن عليا يزعم لاختي عذرا (1). فأرسل عمر الى علي ، ما عذرها ؟
- مرتكزات الاستدلال عند علي بن أبي طالب :

أ - فقهه :

قال علي إن الله يقول : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) (2).

وقال : (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا...) (3).

وقد ذكر ابن عربي المسألة بقوله: قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أقل الحمل ستة أشهر، لان الله تعالى قال : (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا...) (3).

ثم قال تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أواد ان يتم الرضاعة) (2) فإذا أسقطت حولين من ثلاثين شهرا بقيت منه ستة أشهر، وهي مدة الحمل، يقول ابن عربي : وهذا من بديع الاستنباط (4)

وقد ذكر الفخر الرازي القصة غير أنه نسبها لعبد الله بن عباس - رضي الله عنه - يقول عن عمر انه جيء بامرأة وضعت لستة أشهر فشاور في رحمها فقال، ابن عباس إن خاصمتكم بكتاب الله خاصمتكم ثم ذكر هاتين الايتين واستخرج منهما أن أقل الحمل ستة أشهر. (5)
ويذكرون أن القصة نفسها وقعت زمن سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أتي بامرأة ولدت لستة أشهر فأمر بها عثمان أن ترجم فقال له علي : ليس لك عليها سبيل قال تعالى: (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا...).

والقصة في رواياتها المختلفة تعكس مدى فقه الصحابة، وعلى فرض أن الرواية صحت عن علي وقد جاء ما يدل على حقيقتها عند ابن العربي وغيره، (4) فإنها تعكس دقة فقه الامام علي كرم الله وجهه على قدرته الاستدلالية، وهذا يدل على فقه الرجل .

1- ذكره الفرطبي برويات متعددة وعزاه الى ابن حاتم البستي في مستنده عن ابن العجفاء السلمي ص 99 ج 5

و رواس قلعة جي: موسوعة عمر بن الخطاب «رضي الله عنه».

2- الاية 231 البقرة.

3- الاية 14 الاحقاف

4- ابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بأبي العربي أحكام القرآن ج 1 ص 202.

5- الفخر الرازي ج 6 ص 119. علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقهه واستدلالات.

- تفسيره القرآن الكريم.

- استدلالاته القرآنية.

لقد سبق وأن علمنا أن عليا من علماء الصحابة وفقهائهم وهو، من علية الصحابة وفقهائهم وكم هي كثيرة آراءه الفقهية واستنباطاته، واستفسارات الصحابة له في كثير من المسائل والاقضية، حتى قالوا: «قضية لا أبا الحسن لها».

وقد كان رابع يوم طرحت قضية مانعي الزكاة، قال: «إن الله جمع بين الصلاة والزكاة ولا أرى أن تفرق بينهما».

وتفسير الامام علي - كرم الله وجهه - كثير وهو متناثر في ثنايا الكتب. والكثير من هذا التفسير صحت روايته، ورواه الثقات وقد فسر القرآن على أحوال:

1- فمن تفسيره ما تعلق بتبين اللفظ.

2- ومن تفسيره ما تعلق بالمعنى.

3- ومنه ما فسر به الحال.

من تفسيره ما كان نقلا لآثار سول الله -رسول الله عليه وسلم- وتفسير به.

ومن تفسيره ما كان تفسيراً للآيات بالآيات.

(قال في قوله تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين....)) (1)

قال الطائفة ثلاثة فصاعدا.

وقسر قوله تعالى: (والصبح إذا تنفس....)) (2)، بخروجه عند مؤذن الفجر الاول ويقول نعم

ساعة الوتر يتأول الآية، (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) (3).

وسئل عن قوله تعالى: (الذين هم في صلاتهم خاشعون....)) (4) قال الخشوع في القلب وأن

تلين كفك للمرء المسلم وأن لا تلفت في صلاتك)) (5)

استدلالاته بالقرآن الكريم:

يمكن أن تقول أن استدلال سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - على ضربين:

1- الضرب الاول من قبيل التفسير.

حيث كان يفسر القرآن الكريم بمختلف الحالات كان يفعل شيئا ويذكر الآية مستشهدا على ذلك

1 - الآية 2 النور

2 - الآية 18 التكويم

3 - الآية 78 الإسراء

4 - الآية 2 المؤمنون

5-محمد رواس قلعة جي : موسوعة علي الفقهية ج 1 ص 24 ط 1403 هـ ، 1983 م دار الفكر

الفعل، أو يذكر الآية مستدلاً على الحال وهذا الضرب هو الآخر إما نقل عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتمثل بما تمثل به رسول الله روى عبد الرزاق أن علياً كره الصيد وهو محرم وتلا هذه الآية: (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم، وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دامتم حوماً) (*) .

2- الضرب الثاني: من قبيل الاستدلال :

وهو الاستدلال على حجية قضية، أو دليل حكم ، أو استنباط فقهي.

قال رجل لعلي -رضي الله عنه - أتيت أرضاً قد خربت وعجز عنها أهلها فكرت أنهارها وزرعها ، قال لي كل هنيئاً وأنت مصلح غير مفسد، معمر غير مخرب، ويحتج علي - رضي الله عنه - بقوله تعالى : (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...) (2) ، والآية في سياقها حتى يتضح المعنى جلياً (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) (1) .

فموسى عليه السلام قد قال لبني إسرائيل استعينوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على ما ينالكم من المكاه ، لعل الله أن يورثكم أرض مصر ان صبرتم واستقمتم فإن الله يورث أرضه من يشاء... والعاقبة المحمودة لمن ارجى ربه . (3)

ومن هنا يكون قول مرسى -عليه السلام - « فإن الله يورث أرضه من يشاء من قبيل التسلية لهم حين تضجروا لما سمعوا : (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون) (4) ، فأطمعهم أن يورثهم الله أرض مصر.

فحقيقة الآية من خلال كتب التفسير تنصرف الى المعنى السابق.

ولا يتجلى هذا الاستدلال في مرتكزاته بالاعتماد على كتب التفسير فقط، بل لابد من الاطلاع على حقيقة « ملكية الارض الموات » من خلال الكتب الفقهية

ملكية الارض الموات: (5)

- فالارض التي لا ملكية لها إن أحيها أحد حاز ملكيتها بالاحياء. وهذا لا خلاف فيه.

- أما الارض المملوكة التي تركها مالکها حتى خربت، وعجز عن احيائها فإن أحيها أحد فهل يملكها ؟.

1 - الآية 127 الاعراف .

2 - الآية 104 الانبياء .

3 - موسوعة علي الفقهية ص 24 25

4 - الآية 127 الاعراف

5- موسوعة علي الفقهية ص 24-25-26

فقد كان سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقوم الارض بعد احيائها ثم يقول إن شئتم أخذتم قيمة أرضكم مواتا، وإن شئتم دفعتم الفرق بين قيمتها عامرة وأخذتم أرضكم . وهذا الامر ينطلق من قوله - صلى الله عليه وسلم - : «من أحيا أرضا مواتا فهي له».

ووجه الاستدلال عند علي بن ابي طالب -رضي الله عنه- من جنس هذا الحقائق العلمية ، فبعيدا عن الدلالة العامة الواردة في الآية، والغرض العام الذي هو السبب (وقد سبق الإشارة اليه في تفسير الآية) فإن العبرة في الجزء الاتي من الآية. (ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده...)(1) فإنما هو المعنى المتوخى ، والعبرة بعموم المعنى لا بخصوص السبب، ثم إن محل الشاهد والاستدلال في هذا الجزء من الآية. وهذا لا يتنافى مع المقاصد العامة الواردة في عرومات القرآن، ويعضد هذا المعنى والاستدلال به الكثير من الايات منها قوله تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون...)(2) .

ب- المرتكز اللغوي ، والاثري في الاستدلال على تقديم الدين على الوصية :
قال سيدنا علي -رضي الله عنه- إنكم تقرأون هذه الآية : (من بعد وصية، يوصي بها او دين...)(3)، وإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قضى بالدين قبل الوصية قد يفهم لأول وهلة، ومن خلال النظر الى الآية القرآنية الى أن الوصية قبل الدين .

وهذا ظاهر الآية غير ان سيدنا عليا - رضي الله عنه - الى حقيقة الهدي النبوي حيث قال : وأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قضى بالوصية قبل الدين وهو في هذه الحالة يبين ان وجه الاستدلال مغاير تماما لما يذهب اليه من يحتج بنص الآية.

وقد ذهب العلماء في تفسير حقيقة هذه الظاهرة مذاهب نذكر منها قول القرطبي : «ان قبيل ما الحكمة في تقديم ذكر الوصية على ذكر الدين، والدين مقدم عليها وهو باجماع، وذكر الرواية السابقة ثم قال : والعمل على هذا عند عامة أهل العام وأنه يبدأ بالدين قبل الوصية» (4)

روى الدارقطني من حديث عاصم بن ضمرة عن علي: قال : «الدين قبل الوصية وليس لوارث وصية» وقد حصر الامام القرطبي حكمة تقديم الوصية على الدين فالآتي :
أولا : إنما قصد تقديم الدين على الميراث، ولم يقصد ترتيبها في أنفسها ولهذا تقدمت الوصية في اللفظ .

ثانيا : لما كانت الوصية أقل لزوم من الدين قدمها اهتماما بها.

1 - الآية 127 الأعراف

2 - الآية 104 الانبياء

3 - الآية 11-12-13-43 النساء

4 - القرطبي : ج 5 ص 74

ثالثا : وقدمها لكثرة وجودها ووقوعها فصارت كاللازم لكل ميت مع نص الشرع فأخذ الدين لشذوذه وأنه قد يكون ، وقد لا يكون فبدأ بذكر الذي لا بد منه وعطف الذي يكون أحيانا ويقوي هذا المعنى العطف «بأو» ولو كان الدين راتبا لكان العطف بالواو.

رابعاً : إنما قدمت الوصية إذ هي حظ المساكين والضعفاء وأخر الدين إذ هو حظ غريم بطلبه بقوة السلطان وله فيه مقال .

خامساً : ولما كانت الوصية ينشأها من قبل نفسه ، قدمها والدين ثابتا ومؤدي، ذكره أو لم يذكره. (1)

فحقيقة الاستدلال بظاهر الآية على أن الوصية قبل الدين يخالف ماصح من السنة والآثار وعمل النبي صلى الله عليه وسلم - ، فقد كان يسأل قبل الدفن هل على صاحبكم من دين فاذا وجد عليه ديننا لم يصل عليه حتى يؤدي ما عليه من دين أو يتكفل من يتكفل به. وقد رتب الفقهاء في مال الهالك الحقوق فقالوا:

أولاً : تجهيز

ثانياً : دين

ثالثاً : وصية

رابعاً : ميراثاً (2)

وفي الاستدلال على أن تقديم الوصية على الدين دليل على أهميتها وجه من الوجوه المقبولة ، غير أن الاستدلال بالآية على أهمية الوصية في الإسلام وأن هذه الأهمية قدمت على الدين له وجه من القول.

والتقديم والتأخير في القرآن الكريم له أهمية كبرى، وفي الجوانب البلاغية بالخاص وكثيراً ما استخلصت من التقديم والتأخير حكم وأحكام، ويمكن ادراك عرض من هذه الأغراض في قضية تقديم الوصية وهو :

1- الحض عليها للقيام بها حذراً من التهاون بها، يقول الاستاذ شيخون : فإن وفاء الدين مقدم على الوصية شرعاً، لكن قدم الوصية لانهم كانوا يتساهلون «تأخيرها خلال الدين» (3).

والى الغرض نفسه ذهب الزمخشري حيث قال : «فإن قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة ، قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير

1 القرطبي : ج 5 ص 74

2- ابن جزى : القوانين الفقهية. 97؛ 368 ط 1344 هـ - 1926 مطبعة النهضة (نوسل)

3- د. محمود السيد شيخون : اسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم ص 87 ط 1402/1 هـ الكليات الأزهرية..

عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاضم ولانظيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة لتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى أدائه فلذلك قدمت على الدين . بعشا على وجوبها والمسارة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة «أر» للتسوية بينهما (1) ومثيلات هذه الايات في القرآن الكريم كثيرة، وليس لها نفس التعليل فقد قال سبحانه وتعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض) (2)، فقد قال قوم أن «أر» للترتيب . وقد ذهب آخرون الى أنها تفيد التخيير ساق القرطبي لابن عباس قولا في هذا يقول : «ماكان في القرآن «أر» فصاحبه بالخيار (2) وهذا مل ذهب اليه مجاهد وسعيد بن المسيب وعطاء بن ابراهيم (3). وقد ذهب آخرون الى التفصيل وهذا من اختبار الطبري (4) وقد تبث القطع قبل القتل والصلب وقد فعل هذا الكثير من العلماء وهو رأي من رأي المالكية. والحق أن مستند هذا الاستدلال إنما هو المستند اللغوي، وهذا يعود أصلا الى وضع اللغة، وطبيعة الدلالة اللغوية في بعدها البلاغي، فضلهط هذا الاستدلال لغوي. وقد وجد له دعامة ثقيلة تعود الى ما ورد من آثار.

فقد يكون الضابط الاثري هو الاخر قرينة صارفة للنص من دلالة ظاهرية الى دلالة تقديرية كما هو الحال في شأن تقديم الوصية على الدين المرتكز الفقهي والشرعي في الاستدلال على حد القطع عند المحارب.

وقد كان سيدنا علي يستدل بالاية أو الايات. أراد سيدنا عمر أن يقطع اليد الثانية في حد الحراية، فقال الامام علي -رضي الله عنه - مستدلا بالاية السابقة فراجعه ، فرجع .

«أتى عمر برجل يقول له سدوم وقد سرق فقطعه ثم أتى به الثانية فقطعه، ثم أتى به الثالث فأراد أن يقطعه فقال له الامام علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - لا تفعل انما عليه يد ورجل قال الله تعالى : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض) (2)، فلا ينبغي أن تدعه ليس له قائمة يمشي عليها ولا يد يأكل بها فانما تعززه واما ان تستودعه السجن فاستدلال سيدنا علي -رضي الله عنه - يقف عند دلالة النص لا يتجاوزه ثم انه يرى أن الاخذ في القطع الا بالنص، والنص صريح في اليد والرجل فقط واذا كان هذا الاستدلال يرجع في مرتكزه أصلا الى النص النقلي القطعي الثبوت والدلالة ، فإن هناك استدلالات الى المستند العقلي أصلا.

1- القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ج 6 ص 152 .

2- الاية 36 المائدة

3-4 - ابن العربي: احكام القرآن ج 2 ص 598

الاستدلال القياسي :

تناقش الصحابة -رضوان الله عليه - في حد شارب الخمر، و شكنا خالد بن الوليد الناس في انهماكهم في شرب الخمر، قال فيما رواه عبد الله ابن عباس : «ان الناس انهمكوا في شرب الخمر ومحاقروا العقوبة». فجمع عمر الصحابة واستشارهم في زيادة عقوبة شارب الخمر، فقال عبد الرحمن بن عوف. أرى يجعلها كأخف الحدود ثمانين جلدة فقال علي -رضي الله عنه - أن تجلده ثمانين، فإنه اذا شرب سكر، واذا سكر هذى واذا هذى افترى» ، وحد القذف والافتراء معلوم من الدين بضرورة قال الله تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء، فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) (١). فالاستدلال عند الامام

علي - كرم الله وجهه - مؤسس على اجتهاد عقلي يغلب عليه القياس :

1- فالخامر يهذي ويؤذي الاخرين.

2 - ايذاء الاخرين بالقذف يقتضي جلدا ثمانين.

3 فالخامر يجلد ثمانين جلدة. (2)

و من أهم الإستدلالات ما جاء عند عائشة - رضي الله عنها -

1 - الآية 4 النور.

2- ابن عربي : أحكام القرآن ج 3 تفسير النور 1332.

المبحث الرابع

عائشة * - رضي الله عنها - واستدلالاتها :

هي من الصحابة الفقهاء الذين اشتهروا بكثرة الاستدلال وقوته عائشة * ام المؤمنين - رضي الله عنها - فقد كانت شاهدة الوحي ، وقد سمعت الوحي من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمعت منه القرآن الكريم ، وعلمت تفسيره له وسألته عما غمض منه وسألته عن الكثير منه . فقد قالت له ذات يوم ، يا رسول الله قوله تعالى (الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة...) (1) ، قالت : « يا رسول الله ، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يا ابنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ، ويتصدقون وهم يخافون الا تقبل منهم » (2)

علمت أم المؤمنين الكثير من التنزيل وما يتعلق بالتنزيل من علوم ، واستدلت بكل هذا عن كثير من المواقف وفي الكثير من المجالات ، وعدت أم المؤمنين من الصحابة العلماء ، علاوة على مالها من علم بأداب العرب وعلومهم ، وما ورثته عن أبيها وكل هذا أثر في منهجها في تفسير القرآن الكريم واستدلالها به وقد انعكس كل ذلك في قولها وعلمها ، فقد سألتها ابن اختها أسماء عروة عن قوله تعالى : (وإن خفتن الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء متقى وثلاث ورباع...) (3) فقالت يا ابن اختي: هي اليتيمة تكون حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه ماله وجمالها فيريد أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنها أن ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ويبلغوا أعلى سننهن في الصداق وأمرها أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

قال عروة (4) : قالت عائشة : ثم أن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد هذه الآية فأنزل الله عز وجل (ويستفتونك في النساء . قل الله يفتيكم فيهن ، وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لاتؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن) (5) قالت والذي ذكره الله تعالى أن يتلى عليكم في الكتاب : « الآية الأولى التي قال الله فيها : (و إن خفتن الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم...) (3)

* هي الصديقة بنت الصديق - أبو بكر - أسلمت صغيرة تزوجها - عليه السلام - ف بالعام الثاني للهجرة وهي من المكثرات 2210 احاديث كانت من المجتهديات استدركت على الصحابة روت 2210 حديثا روى عنها الصحابة والتابعون . كانت وفاتها عام 57 هـ على الاصلح وصلى عليها أبو هريرة .

1- الآية 61 المؤمنون

2- ابن عربي ، أحكام القرآن ج 3 ص 1327

5 - الآية 126 النساء

3- الآية 3 النساء .

4- ابن حجر القسطلاني : فتح الباري : سورة النساء - باب التفسير : سورة النساء -

وقوله في الآية : « وترغبون أن تنكحوهن » رغبة أحدكم عن البيتيمة التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال. فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء الا بالقسط من اجل رغبتهم عنهن وفي هذا التفسير تعتمد أم المؤمنين - رضي الله عنها في تفسير القرآن على :

-التفسير القرآن بالقرآن وذلك يرد الآية الى بعضها حسب نزولها ، وماتعلق بها من حيثيات. - وهي في هذا ترجع الى ماسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم - ، وما رآته من نزول وأسبابه وحيثياته. واستدلالات أم المؤمنين - رضي الله عنها - تعتمد - أصلا - على كل ما سبق استدلالات أم المؤمنين :

أنكرت أم المؤمنين على سيدنا عمر - رضي الله عنه - قوله : الميت يعذب ببكاء أهله عليه قالت : يرحم الله عمر ، لا والله ما حدث رسول - صلى الله عليه وسلم - وأن الميت يعذب ببكاء أهله ، ولكن قال: ان الله يزيد الكافر ببكاء أهله عليه ، حسبكم القرآن الكريم (و لا تنزو وازدة وزد اخذوا 1) يقول الطبري في هذا الصدد : « احتجت عائشة - رضي الله عنها - في رد قول من تأول ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - « ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه... » فقالت . قال الله تعالى : (و لا تنزو وازدة وزد اخذوا...) (1)

كما استندت في احتجاجها الى فعل النبي صلى الله عليه وسلم - فقد روى أنس بن مالك قال : « أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنه ابراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك و ابراهيم يجود بنفسه فجعلت عيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم - تدرقان فقال: ابن عوف ، وأنت يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ، إنما رحمة اتبعها بأخرى ، وقال ان العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول الا ما يرضي ربنا وأنا بفراقك يا ابراهيم محزونون .»

وقد اعتبر العلماء النص : « الميت يعذب ببكاء أهله » مشكلا ، لانه يتعارض أصلا مع النص القرآني : (و لا تنزو وازدة وزد اخذوا...) (1) واختلفوا في ذلك الى أقوال منها :

أولا : مذهب الجمهور: الحديث محمول على من أوصى بالنوح عليه ولم يوص بتركه مع علمه أن الناس يفعلونه عادة ، ولهذا قال عبد الله بن المبارك : « إذا كان بنتها في حياته ففعلوا شيئا من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه شيء ، والعذاب عندهم بمعنى العقاب .»

الآخر : أن معنى يتعذب بمعنى يتألم بسماعه ببكاء أهله ويرق لهم ويحزن وذلك في البرزخ وليس يوم القيامة والى هذا ذهب ابن جرير الطبري ، وغيره ونصره ابن تيمية وابن القيم وغيرهما . وقد رجح ناسر الدين الالباسي الرأي الاول عن الثاني لضعف هذا الاخير ونعارضه مع نصوص أخرى صريحة.

غير ان النص القرآني، يوضح أن لامؤاخذة الا على العمل الذي يقوم به صاحبه قال القرطبي :
« اي لاتحمل حاملة ثقل اخرى اي لاتؤخذ نفس بذنب غيرها كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة
بائنها» (1).

ويمكن فهم دلالة هذا الجزء من الاية بالنظر في الاية كلها حسب سياقها.

(قل اغير الله ابغي ربا، وهو رب كل شيء، ولاتكسب كل نفس الا عليها ولا تزد وازرة وزر اخرى
، ثم الى ربكم مرجعكم فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون) .

أ ما سبب نزول (2) هذا فقد روى أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد الى
ديننا واعبد آلهتنا ، وأترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وآخرتك،
فنزلت هذه الاية :

(قل اغير الله ابغي ربا، وهو رب كل شيء، ولاتكسب كل نفس الا عليها ولا تزد وازرة وزر اخرى
ثم الى ربكم مرجعكم...) (3) .

فالآيات تقريع وتوبيخ للكفار على هذه الدعوة فكان المعنى :

قل يا محمد أطلب ربا غير الله تعالى ؟ والحال انه خالق مالك كل شيء فكيف يليق ان يُتخذ
إله غير الله ولا تكون جنابة نفس الاعليها ولا يحمل احد ذنب احد ولا يؤخذ انسان بجريرة غيره
وهكذا يتضح معنى الجزء المستدل به وذلك بعد .

1- دلالة النص الصريحة.

2- ارجاع الجزء من النص الى سياقه.

3- النظر في سبب النزول.

فتكون دلالة الاية :

1- لاتحمل نفس جريرة نفس أخرى .

2- لايسأل المرء إلا على ما قدم، ونظير هذا المعنى كثير في القرآن الكريم

أ- (وان تدع مشقة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) (4) وقوله تعالى : (كل نفس
بما كسبت رهينة) (5) وعلى هذا فاستدلال ام المؤمنين -رضي الله عنها- يندرج وحقيقة المقاصد
العامة للآيات القرآنية الكريمة، وطبيعة المسؤولي والجزاء في الاسلام، فاستدلالها تدعسه
المستندات النقلية والعقلية .

1 القرطبي . تفسير القرآن ج 1

2- السيوطي ، لباب العقول في أسباب النزول ، سورة الآية 164

3- الآية 166 الأتعام

4- الآية 18 فاطر

5- الآية 38 المدثر

استدراكها على الصحابة و غيرهم :

أ - وقد استدركت على ابي هريرة -رضي الله عنه- حيث ذكر قوله -صلى الله عليه وسلم -
« ولد الزنا شر الثلاثة » (1) وذلك في سؤاله عن امامة ابن الزنا، فقالت : « رحم الله ابا هريرة
أساء سمعا فأساء اجابة، اما قوله ولد الزنا فشر الثلاثة فلم يكن الحديث على هذا، إنما كان رجل
من المنافقين يؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال من يعذرني من فلان؟ قيل له :
يا رسول الله انه مع ما به ولد زنا فقال صلى الله عليه وسلم - هو شر الثلاثة والله يقول : ﴿
لا تشذوا عنه﴾ (2) الآية وقد بنى على الاثر السابق أبو هريرة وعمر بن عبد العزيز
ومجاهد غير أن أم المؤمنين (3) لا ترى في إمامته أي بأس.

قال صاحب الموسوعة : « إذا أمعنا النظر في دليل أم المؤمنين -رضي الله عنها - في عدم تفريقها
في الامامة بين ولد الزنا وغيره، ودليل المخالف لها، والذي يكره امامة ولد الزنا، نجد
ان لام المؤمنين زيادة علم في السبب الذي من اجله قال النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو شر
الثلاثة فالسبب هو التفسير المراد من الحديث» ثم ان أم المؤمنين استدلت على براءة ساحة ابن
الزنا من جرم الفاحشة منه ورفع الائم عنه وأنت غير مسؤل بقوله تعالى: ﴿ولاتشذوا عنه﴾ (2)
اخرى. وقد سبقت الاشارة الى سبب نزول الآية، وعموم المعنى، وهذا لا يحول دون الاستدلال
بالآية على حالات أخرى. واستدراكات أم المؤمنين على الصحابة كثيرة لاسيما
ما يتعلق بالاثار النبوية ان في الرواية أو في الدراية أو تعلق بالاستنباطات
الفقهية، واستدراكات أم المؤمنين -رضي الله عنها - تركز على :

1- الدليل النقلي الذي سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم - سواء أكان في سبب النزول
أو في ورود الحديث أم في تتمات الاثار النبوية الشريفة.

2- الاستنباط العقلي: مافهمته أم المؤمنين من النص، وهذا ما يعكس فقها -رضي الله عنها -
وكل هذا من مرتكزات الاستدلال عند أم المؤمنين -رضي الله عنها - وقد عم استدراكها كثير من
الناس إن في الفهم او الاستدلال.

ب - استدراكها على استدلال مروان :

لقد قال مروان بن الحكم لعبد الرحمن بن ابي بكر انه الذي أنزل فيه ﴿الذي قال لوالديه اف
لكما...﴾ (4) . فردت عليه عائشة - رضي الله عنها - وبينت له أسباب نزولها.

1-العقيلي : التعريف بسبب ورود الحديث الشريف

2- الآية 166 الأنعام

3 - الشيخ سعيد فايز الدخيل: موسوعة فقه عائشة أم المؤمنين «رضي» ص 539. 540

4- الآية 16 الاحقاف

عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبائع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمان بن بكر شينا، فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدرُوا فقال مروان أن هذا الذي أنزل فيه (والذي قال لوالديه **اف لكما**) (1) فقالت عائشة -رضي الله عنها- ما أنزل فينا شيئا من القرآن غير أن الله أنزل عذري.

لقد أراد مروان أن يستدل على أن هذا المحتج علينا، قد ورد ذمه في القرآن الكريم، وأنه من العاقين لوالديه فالاية بكاملها: (والذي قال لوالديه **اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك امن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا اساطير الأولين**) (1) ومن ثم فالذي نزل فيه كل هذا عاق كافر كلامه لا يعتد به ومن ثم فاحتجاجة لاغ.

رد أم المؤمنين -رضي الله عنها- وسكانتها العلمية :

فقد ردت أم المؤمنين على مروان، وتفظنت له وتفتت ان يكون نزل من القرآن الكريم في آل أبي بكر الا عذرها مما قذفت به وهو قوله تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم... والله عليم حكيم) (2) ومهما نذهب التفاسير الى أن ذلك ورد في عبد الرحمان لكن قبل اسلامه فإن هذا لا يستقيم مع ما جاء في الآيات ذاتها حيث يقول تعالى: (اولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا فاسقين) (1) وهذا ما قاله الزجاج : وكيف يقال نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه والله يقول: (اولئك الذين حق عليهم القول في أمم... (1)، أي العذاب -وجب عليهم العذاب- ومن ضرورته عدم الايمان، وعبد الرحمن من أفاضل المؤمنين، والصحيح أنها نزلت في عبد كافر عاق لوالديه. (3) فالاية تحمل في طياتها بطلان الدعوى ويبقى سبب النزول ضعيفا على زعم مروان، وما يقوى عموم المعنى ورود النص القرآني صريحا في نزول العقاب بهذا الكافر ودخوله في أمم سبقت.

وما يمكن استخلاصه من استدلالات أم المؤمنين -رضي الله عنها- أو استدراكاتها على بعض المستدلين والمحتجين هو أن لام المؤمنين -رضي الله عنها- مذهبها خاصا في استدلالها يمكن تلخيصه في الآتي:

طريقة الاستدلال عند عائشة أم المؤمنين

1- تسلك في استدلالها بالقرآن الكريم طرقا كثيرة متنوعة ويتوقف ذلك على الآية المستدل بها والحكم المأخوذ من الآية.

1- الآية 16 الاحقاف

2- الآية 11-18 النور

3- القرطبي: تفسير سورة الاحقاف ج 7 ص 18 والسهوطي: اللباب، ج 1 (سورة الاحقاف) 258

- 2- تختلف الايات اختلافا كبيرا ، فمنها ظاهرة الدلالة ، ومنها ما هي غير ظاهرة ، فالاولى تتطلب المنطوق ، والثانية المفهوم ولكل طريقة استدلاله.
- 3- طبيعة الاية القرآنية ناسخة أم منسوخة، سواء اعتقدت النسخ أو عدم النسخ وكل نوع يترتب عليه نوع من الاستدلال.
- 4- المحكم من الايات، والمتشابه
- أ- فالمحكم منه ماهر ظاهر الدلالة، ومنه ما هو ظاهر الدلالة مجتمعة، منه ما هو ظاهر الدلالة متفرقة، منه ما كان ظاهره التعارض.
- ب- المتشابه : ما هو خفي الدلالة فتأخذ أم المؤمنين في هذا طريقان :
- أولاهما : التأويل ، فهي تزول الايات تأويلات خاصة توافق أحيانا تأويل الصحابة، وتخالف أحيانا تأويلاتهم.
- ثانيهما: قد تلجأ الى تحليل الاستدلال والحكم الناتج عنه في بعض الايات لعدم ظهور الدلالة فيه.
- 5- الاخذ بعصوم الايات اذا دلت بعصومها على الاحكام ولم يرد ما يبصر هذا العموم الى الخصوص.
- 6- الاخذ بمفهوم الايات : فأم المؤمنين رضي الله عنها لاتقف عند منطوق الايات، ولا عند الفاظها بل إنها تتعمق في تلك الايات لان لتلك الايات منطوقا وهي تأخذ بالمفهوم كما تأخذ بالمنطوق (1)
- 7- استعانتهما على فهم حقيقة الايات بالسنة التي تلتقتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وفي هذا لها طريقتهما الخاصة وماأخذها على الصحابة.
- 8- وفي علاقة الحديث بالقرآن فيه ما هو بيان وتفصيل وما هو زيادة، وإضافة ثم أنه ما قيل في النص القرآني ذاته. يقال في النص الحديثي تماما.
- 9- علم أم المؤمنين بأيام العرب وأدابهم وسنتهم في كلامهم، ويعلمون أخرى تتعلق بكل هذا جعلها أفهم لكتاب الله وأعرف بمعانيه.
- و من الصحابة من عرفوا بالفقه و الفهم و الإستدلال، الصحابي الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - و هذا ما نراه في استدلالاته .

1- الشيخ سعيد فايز الدخيل: موسوعة فقه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ص من 1 بتصريف طفيف [من 556 الى 561]

المبحث الخامس

سيدنا عبد الله بن عمرو* - رضي الله عنه -

عبد الله بن عمرو* بن الخطاب - رضي الله عنه - من الصحابة الذين عرفوا بشدة الاتباع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتفرد عبد الله بن عمرو بمنهج خاص إن في عبادته أو في علمه أو في موقفه من الأحداث التي تتالت في عهود الفتنة.

كما عرف بمذهبه في الفقه حتى أثر أنه من المتشددين، وأراء عبد الله بن عمرو في الفقه، وفي التفسير كثيرة، وقد أثر عنه تفسير لكثير من الايات وكان في تفسيره يعتمد على:

منهج عبد الله بن عمرو في تفسيره القوان

تفسير القرآن بالقرآن يرد متشابهه الى محكمه، ومنسوخه الى ناسخه وما ورد فيه أسباب نزول، ويفسره بذلك، ومن الايات ما يفسرها باجتهاده.

ويفسر القرآن بالسنة، والآثار النبوية الشريفة المتعلقة بالتفسير، ومنها تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - .

أما ما يتعلق باجتهاداته الخاصة فهو قسمان:

أولا : إستدلالات واستشهادات في مختلف العلوم والفنون (فقه ، عقيدة..)

ثانيا : تفسير لما رأى حسب ماله من معطيات نقلية وآثار نبوية .

فكان يفسر بقوله وعمله . فقد تأول قوله تعالى : (لن تضلوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) . فتصدق بكل ما يعجبه .

- «إشتهى جارية يقال لها رميثة، حتى كانت ما من شيء أحب إليه منها» فقال : هي حرة لوجه الله، فلو أنني لا أعود في شيء جعلته لله لانكحتها». فانكحها نافعاً فهي أم ولده .

- «واشترى بعيراً فأعجبه لما ركب، فقال يانافع أدخله في إبل الصدقة»

وقال نافع رأيتنا عشية وكنا حجاجا وراح على مجيب له قد أخذه بمال فلما أعجبتته روحته وسره اتاخته ثم نزل ثم قال يانافع أفرعوا به زمامه ورحله وحلوه وأشعروه في البدن أي أجعلوه هديا» .

- «واشتوى حوتا فشورها ووضعوها بين يديه فجاء سائل فأمر فدفعت إليه» (1)

ففعله هذا ناتج عن فهمه . وهو من مذهبه في الحياة ، ويمكن تلخيص ذلك في الآتي :

* عبد الله بن عمرو بن الخطاب - رضي الله عنه - هو ابن الخليفة الثاني عمر واحد العبادة المشهورين بالافتاء ولد بعد البعثة النبوية بقليل . وكان عمره عشر سنوات كان الزهري لا يعدل برأيه احد، روى 2630 حديثا توفي 73 هـ . كان الزهري لا يعد برأيه زحدا وكان مالك والزهري يقولان «إن ابن عمر لا يخفى عليه شيء من أمر الرسول وأصحابه» .
1- د . رواس قلعة جي : موسوعة فقه عبد الله بن عمرو ص 52 ط 1406 هـ . 1986 م

1- الفهم ناتج عن إستدلالات خاصة .

2- أنه يبتغي بصنيعه هذا إرضاء الله والوصول الى البر.

فبتصدقه بكل مايتعلق به قلبه ، تفرغ لقلبه حتى لايشغل إلا بربه.

وإن سلك ابن عمر معنى هذا الآية مذهباً في حياته تدبنا وزهداً وإذعاناً لحقيقة التنزيل فإن المعنى ذاته قد سبقه إليه غيره .

روى الأئمة واللفظ للنصائي عن أنس قال : لما نزلت هذه الآية : (لن تنالوا البر...) قال أبو طلحة إن ربنا ليسألنا من أموالنا فأشهدك يا رسول الله أنني جعلت أرضي لله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم -إجعلها في قرابتك في حسان بن ثابت وأبي بن كعب- وفي الموطأ كانت أحب أمواله إليه بشرحاء وكانت مستقبله المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها صيب، وكذلك فعل زيد بن حارثة مع فرسه، وعمر بن الخطاب بعد نزول الآية بمدة مع جارية كان أحبها. وهذا مفهوم دليل الخطاب وعمومه (1) عند جميع الصحابة، وهو مذهب ابن عمر.

وهذه الآية لها نظائر منها كما قال مجاهد : (ويطعمون الطعام على حبه...) (2) والنفقة إذا خلصت النية مرضية عند الله ولو كانت شق شرة.

وقد سئل عبد الله بن عمر عن الرجل يصطحب معه تجارة في موسم حج أله حج ؟ قال : قال الله تعالى : (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم) (3) فقال ان تحج وتكري ، وكان لا يستثنى من ذلك غير كراء بيوت مكة، وكان يقول من أكل كراء بيوت مكة فإنما أكل في بطنه ناراً (4) وكان يرى في كرائها صدا عن زيارة بيت الله الحرام .

وأفعال عبد الله بن عمر -رضي الله عنه -في الكثير من الاحيان تجسد لما علمه من كتاب الله، فلما راجع صفية بنت عبيد أشهد على رجعتها ودخل بها مصداقاً لقوله تعالى : (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم) . (5) وفي (وأشهدوا ذوي عدل منكم) (5) ست مسائل :

الاولى : أمر بالاشهاد على الاطلاق ، وقيل الرجعة، وقيل المعنى أشهدوا عند الرجعة والفرقة

الثانية : الاشهاد عند أكثر العلماء عن الندب في رجعة.

الثالثة : وجوب الرجعة عند أحمد في أحد قوليه

1-القرطبي: تفسير ج 4 ص 132

2 - الآية 8 الإنسان

3 - الآية 198 البقرة 1

4-المصاص أحكام القرآن ج 3/224 .

5 الآية 2 الطلاق

الرابعة: فإن ادعى مدع الإرجاع فإن صدقته زوجة جاز والا حلفت وباقي الأقوال في الشهود وقيمة الشهادة.(1)

وعبد الله بن عمر يذهب إلى الإشهاد حتى في المعاملات المالية. فقد كان عندما يبيع -النسيئة- أي بدين يكتب ويشهد عليه. وهو يذهب في هذا إلى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه.. واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين، فرجل وامرأتان) (2) وعندما يبيع بنقد يشهد على البيع ولا يكتب وهو بطابق قوله تعالى: (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح إلا تكتبوها، واشهدوا إذا تبايعتم)، (2) فتفسير عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- للقرآن الكريم، مرتبط أصلا بعمله بما يفسر فقد يرد هذه الآية المفسرة إلى:

1-سبب نزول ثم يأتي بعده بالحكم

2-إلى منطوق النص من خلال فهمه الخاص لذلك.

3-الكثير من مواقفه العلمية، هي التجسيد العملي لما فهمه من القرآن وصار يقينا عنده .

4- أكثر تفسيراته أجوبة لسائلين سألوه، فهي إلى الفتوي أقرب منه إلى غيرها وغالبا ما يتعلق هذا التفسير بما سئل عنه ويترك ما لم يسأل عنه.

5- مستند هذه التفسيرات هو أقوال وأفعال، وتقريرات النبي -صلى الله عليه وسلم- أو بعض آثاره ومعالم التنزيل وما يتعلق بالسنة.

6-مذهب عبد الله بن عمر إن في عبادته -زهده وتنسكه- أو قناعاته متجسدي هذا التفسير.

استدلالات عبد الله بن عمر:

فإذا نظرنا إلى استدالات عبد الله بن عمر فإنا نجد أنها هي الأخرى تشترك مع تفسيره في الكثير من هذه الجوانب، ويمكن إدراك هذا بعد استعراضها ومناقشتها.

1- الاستئذان قبل الدخول:

إن عبد الله بن عمر كما فسر الكثير من الآيات معلما أحيانا ومجيبا في بعض الأحيان فإنه يستدل بكثير من الآيات في مجالات شتى ويمكننا أن نتطرق إلى البعض منها في ما يأتي: كان يرى أن السلام قبل الاستئذان لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) (3). فقد استأذن رجل على ابن عمر فقال أدخل؟ فقال ابن عمر: لا، فأمر بعضهم الرجل أن يسلم، فسلم، فأذن له. (4)

1-القرطبي ج 1 ص 158-159 بتصريف طفيف غير محل

2-الآية 281 البقرة

3- الآية 27 النور

4-د. رواس قلعة جي: موسومة عبد الله بن عمر -فقه - ص 129

وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس أن في الكلام تقدما وتأخيرا والمعنى حتى تسلموا على أهلها ، وتستأنسوا ، حكاه أبو حاتم ، وقد نفى بن عطية هذا المعنى ورده بأثار قوية منها قال عمر للنبي -صلى اله عليه وسلم - أستأنس يارسول الله وعمر واقف على باب الغرفة والحديث مشهور.

ذكره القرطبي (1) : صورة الاستئذان في الاتي : أن يقول الرجل : « السلام عليكم أدخل فإن أذن له دخل وإن أمر بالرجوع إنصرف وإن سكت عنه استأذن ثلاثا ، ثم ينصرف من بعد الثلاث ، وهذا المعنى بعبده حديث أبي موسى الأشعري الذي استعمله مع عمر بن الخطاب وشهد له به أبو سعيد الخدري وأبي بن كعب وهو حديث مشهور أخرجه رواه الصحيح.

ورغم رد أبي عطية للرواية المذكورة عن ابن عباس والمطابقة لفهم عبد الله ابن عمر فإن عمل عبد الله بن عمر لا يتنافى والمستفيض من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم - والمشهور من هذي السلف الصالح.

وكذلك يرى الاستئذان حتى على العبيد في قوله تعالى : (... ليستأذنكم الذين هكلت إيمانكم...)(2) فقد قال في تفسيرها هي في الرجال دون النساء ، وكان عبد الله بن عمر جالسا عند أمه فدخل عليها عبدا لها يقال له «ركانة» بغير إذن فقال: من هذا ، قالت: أمه غلام لي قال أخرج لا أم لك ، فاستأذن وقل السلام عليكم أدخل ؟ ففعل الغلام(3).

بل كان يوجب حتى الاستئذان على الزوجة المطلقة ، فقد طلق -رضي الله عليه - زوجته صفية بنت عبيد وهي في مسكن حفصة وكان المسكن في طريقه الى المسجد فكان -رضي الله عنه - يسلك الطريق الاخر من أدبار البيوت كراهية أن يستأذن عليها حتى راجعها. ففي سنن البيهقي طلق ابن عمر امرأته تطليقة فكان يستأذن عليها اذا أراد أن يمر(3) والاستئذان إنما هو من أجل البصر، والاستئذان السابق والعام في الدخول الى البيوت - وهو إستئذان الداخلين، وهذا الاستئذان - خاص - وهو للذين لا يتحفظ منهم عادة وهم اللاصقين بأهل البيت لحكم الخدمة والطواف عليهم، ولهذا أوجبت الآية 85 الاستئذان عند العورات الثلاث :

1- قبل الصلاة الفجر.

2- عند الظهر.

3- ومن بعد صلاة العشاء.

1 - القرطبي : تفسير ج 12 ص 215/214/219 .

2- الآية 56 النور

3- الموسوعة : فقه عبد الله بن عمر ص 104-105

قال تعالى: (يا ايها الذين آمنوا ليصنأذنكم الذين ملكت ايمنكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث صرات من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن، طوافون عليكم بعضكم على بعض، كذلك يبين الله لكم الآيات، والله عليم حكيم) (1).

وما ذهب اليه عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- في استدلاله أن في الاذن العام، أو الخاص لا يتنافى ومفهوم الخطاب القرآني، ولا يتعارض وما دعت اليه السنة وعمل به النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقر عليه أصحابه كما أن مذهبه لا يتنافى وهدى الصحابة وإن كانت من ملاحظة تساق وإنما هي: فإن تشدد عبد الله بن عمر لا ينأى عن الحقيقة ولا المقصد المتوخى من الاستئذان عامة فهو لاجل حفظ الاعراض وحفظ ما من شأنه أن يحفظ من العورات والأسرار وهذا الباب لا يستهان فيه التشدد، ولا تغليظ القول أو الفعل، ومن استدلالاته:

إستدلاله على عدم قتل الأسير صبرا: (إستدلال مركب من عدة إستدلالات)

ففي الآية (فإما منابعد وإما فداء)(2) ففي رواية أبو عبيد في الاموال والجصاص في أحكام القرآن، أن عبد الله بن عامر بعث الى عبد الله بن عمر وهو بفارس بعظيم عظمة، اصطخر موثقا ليقتله فأبى أن يقتله وقال: أما وهو مصرور فلا وتلاقوله تعالى (فإما منابعد وإما فداء)(2).

فقد كره عبد الله بن عمر ان يقتل الأسير صبرا، وكان ابن عمر يرى قوله تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء) (2) ناسخا لقوله تعالى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (3) وعنه أخذ عطاء بن أبي رباح والحسن البصري. (4)

وهذه الآية في فقها خلاف كبير وأقوال متعارضة وقول عبد الله بن عمر أنها ناسخة للآية 5 من التوبة مرتكز للكثير من العلماء فقد ذكره القرطبي في القول الثالث من الأقوال الخمسة (5) وهذا الاستدلالات التي تجلت في الآيات التي أقامها عبد الله بن عمر تظهر:

-التفسير للجزء من الآية-4- من سورة محمد وهو: (فإما منابعد وإما فداء) وهي من (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم. فشدوا الوثاق، فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) (2)

1-الآية 56 لنور

2-الآية 4 محمد

3-الآية 5 التوبة

4-موسوعة فقہ ابن عمر ص 118-119

5-القرطبي: التفسير ج 16 ص 227

خرب الرقاب حتى الى حد الاثخان: أي الإكثار من القتل.

-شد الرثاق :لثلا يهربوا ثم بعدها : «إما منا وإما فداء» وهذا المعنى الذي رجحه عبد الله بن عمر، فكره قتل الأسير مسبرا.

ويرى هذه الآية « 4 محمد» ناسخة للحكم الوارد في الآية 5 من سورة التوبة
إستدلاله على كفر تارك الحج :

قال عبد الله بن عمر بكفر من ترك الحج، مستدلا بقوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) ومن كفر فإن الله غني عن العالمين(1) حيث قال : «من كان يجد الحج وهو موسر صحيح ولم يحج كان براه -كافر- ثم تلا الآية : (و لله على الناس ... ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)(1).

وقال من وجد الحج سبيلا سنة ثم سنة ثم سنة ثم مات ولم يحج لم يصل عليه ولا يدري مات يهوديا أو نصرانيا. والقضية واضحة. وهي ميسوطة في كتب الفقه، حول هل فرضية الحج على الفور أم على التراخي؟. ومادام أن القضية محل خلاف فمن تعجل بالحج فحسن فعل ومن تأخر فلم يقترب محظورا ، وإنما مدار هذا الترك هو مناط الحكم فقد يكون :

أ - ترك جحود وإنكار

ب - ترك تكاسل وتراخ

- ففي الاول الاجماع على كفر من أنكر معلوما من الدين ضرورة وهذا مصداق قوله تعالى :
(ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)(1).

أما من ترك ذلك تكاسلا مع القدرة والاستطاعة ولا يجحد فرضيته فلا يصدق عليه معنى الكفر ولا حكمه . إذ أن من الفقهاء من يرى فرضيته على التراخي مستنديين في ذلك الى فعله - صلى الله عليه وسلم - قد فرض الحج ولم يحج حتى حج حجته الاخيرة - حجة الاسلام : حجة الوداع- فالعبرة بالترك ، ومادامت النية عدم الجحود والمتكاسل والمتراخ ماثوم على تقصيره وذنبه ذنب الآثم وكذا حكمه.

غير ان تشدد عبد الله بن عمر له ما يسوغه من السنة ذاتها فقد صلى الله عليه وسلم أيها الناس حجوا قبل أن لا تحجوا وكذلك قوله تعالى (من استطاع إليه سبيلا) (1) والاستطاعة هي القدرة على الحج غير أن من أقر بالفرضية وترك الحج مع نية الحج فتقدم به السن وأدركته المنية فلا يصدق عليه ماسبق.

فإن العلماء لا يعتبرونه كافرا وإنما مؤمن ، غير أن عبد الله بن عمر مشهور بالتشدد في الحق. وتشدده هذا له ما يسوغه.

إستدلاله على لزوم الصوم للمعتكف:

فلقد استدل على لزوم الصوم للمعتكف من قوله تعالى: (.. ثم انهوا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد)(1) فقد كان يرى أن لا يصح الإعتكاف إلا بالصوم، يقول لا إعتكاف إلا بالصوم، وهذا لقوله تعالى: (وانتم عاكفون في المساجد) (

1) فقد ذكر الله الإعتكاف مع الصيام فدل ذلك على أنه لا إعتكاف إلا بالصيام. مناقشة الإستدلال: غير أن المشهور عند العلماء هو الإستحباب، يقول صاحب فقه السنة: «والمعتكف إن صام فحسن وإن لم يصم فلا شيء عليه، روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال يارسول الله: «إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام. فقال: «أوف بنذرك» يقول السيد سابق(2) ففي أمر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالوفاء بالنذر دليل على أن الصوم ليس شرطاً في صحة الإعتكاف إذ أنه لا يصح الصيام في الليل. وروى سعيد بن منصور عن أبي سهل، قال: كان على امرأة من أهلي إعتكاف فسألت عمر بن عبد العزيز فقال ليس عليها صيام إلا أن تجعله على نفسها. فقال الزهري لا إعتكاف إلا بصوم، فقال عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: لا قال: فعن أبي بكر؟ قال: لا. قال: فعن عمر، قال: لا. قال: وأظنه قال عن عثمان؟ قال: لا، فخرجت من عنده فلقيت طاووس وعطاء فسألتهما؟ فقال طاووس: كان فلان لا يرى صياماً إلا أن تجعله على نفسها وكذلك قال عطاء. قال الخطابي وقد اختلف الناس في هذا فقال الحسن البصري إن اعتكف من غير صيام أجزأه وإليه ذهب الشافعي.

وروي عن عبد الله بن مسعود وعلي أنهما قالا: إن شاء صام وإن شاء أفطر، فقال الأوزاعي ومالك لا إعتكاف إلا بصوم وإبن عباس قاله وعائشة، وهذا المذهب الذي أرتضاه عبد الله بن عمر (2) ومستنده قوله تعالى: (ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد)(1).

ومن الاستدلال المركب إستدلاله على زواج نساء أهل الكتاب: روى ميمون بن مهران قال: سألت ابن عمر عن نساء أهل الكتاب فتلا علي هذه الآية: (والمحصنات من المؤمنات، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم..)(3). ثم تلا هذه الآية: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)(4).

1- الآية 186 البقرة

2- السيد سابق: فقه السنة ج 1 ص 478 / 479

3- الآية 6 المائدة

4- الآية 219 البقرة

قال القرطبي : وهذا أن عبد الله بن عمر سمع الايتين في واحدة التحليل وفي أخرى التحريم ولم يبلغه النسخ فتوقف (1) ، وكان عبد الله بن عمر رجلا وقافا (2) ، فكان استدلاله إستعراضا للايتين معا في آن واحد، دون أن يرجح حكم آية على حكم آية أخرى.
إستدلاله في الوصية :

فقد سأله رجل في الوصية للوارث فانتهره وقال : هل قاربت الحرورية، لانحوز الوصية لوارث ، وهو يرى أن الوصية للوالدين كانت قبل نزول الآية : (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان تهيئوا خيرا للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين)(3) ، فلما نزلت آية الموارث وإعطاء كل ذي حق حقه. فلم يعد لاحد من الوارثين أي حق في الوصية... فقد قال -رضي الله عنه - قوله تعالى : (إن توك خيرا الوصية... للوالدين والاقربين) (3) نسختها آية الموارث ، وترك الاقربون من لا يرث .

فهو يرى أن الآية بقيت سالحة للاستدلال ولكن لمن لاحق لهم في الميراث من الاقربين وقد وصل الى هذا الاستنتاج بما رآه من نسخ (4)

إستدلالات مركبة تفسر بعضها بعضا:

سأل رجل عبد الله بن عمر عن ذبيحة اليهودي والنصراني فتلا عليه (احل لكم الطيبات، وطعام الذين اتوا الكتاب حل لكم..)(5) ، وتلا عليه : (ولاناكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ..)(6) وتلا عليه : (وما اهل به لغير الله)(7). قال فجعل الرجل يكرر عليه . فقال ابن عمر لعن الله اليهود والنصارى وكفره العرب فإن هذا وأصحابه سألوني ، فاذا لم يوافقهم أتوا بخاصموني (8)
تحليل الإستدلال :

. وكان عبد الله بن عمر يريد أن يقول يجوز أكل ذبائح أهل الكتاب بشرطين .

أولهما : الا يذكر اسم غير الله عليها (1).

ثانيهما : ما عدا المحرمات التي وردت في مواضع اخرى.

فالآية الاولى في عمومها تحتاج الى ما يخصصها. وما جاء بعدها من آيات فهي تخصيص لها

1- القرطبي : التفسير ج 1/ 68

2- الموسوعة ص 707

3- الآية 180 البقرة

4- الموسوعة ص 726 / 727 موسعه فقط عبد الله بن عمر : د ، رواس قلعة جي

5- الآية 6 المائدة 6- الآية 121 الأنعام

7- الآية 173 البقرة

8- الموسوعة الفقهية : عبد الله بن عمر ج 1 ص 346

9- ابن حزم الاندلسي : المحلى ج 7 ص 411

وتقييد، و هذا الاستدلال في جانبه الشكلي يتطلب أكثر من نص، فيتضح من خلاله أن الكثير من المواضيع لا يكتفى فيها بالنص الواحد أو الآية الواحدة. لعموم هذا النص أو إطلاقه أو ما فيه من نسخ .

وإنما يتطلب هذا النوع من الاستدلال حشد الكثير من النصوص وحتى الموضوع ذاته قد يحتاج إلى أكثر من نص وأكثر من دليل ومن ثم يجب إيراد هذه الأدلة والنصوص ، والآيات بمجموعها لتتظافر حول المعنى المقصود من حقيقة الاستدلال.

عبد الله بن عمر يستدرك على عائشة :

إستدلال عبد الله بن عمر مستدركا على عائشة -رضي الله عنه - في قوله تعالى :

(و امهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) (1).

فقد روى ابن الزبير قال : « أرسلني عطاء ورجلا معي الى عبد الله بن عمر فسألنا عن المرضع ترضع الصبي في المهد أو الجارية رضعة واحدة فقال : هي عليه حرام، قال : قلت فإن عائشة وابن الزبير يزعمان أنه لا تحرمها رضعتان أو ثلاث قال عبد الله بن عمر : كتاب الله أصدق من قولهما وقرأ الآية - آية الرضاعة - (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) ولم يقل رضعة او رضعتين .(2)

فقد قال -عليه الصلاة والسلام - : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. »(3)

فعبد الله بن عمر أخذ مطلق لرضاع مستدلا بالآية، وعائشة - رضي الله عنها - مستندها قوله صلى الله عليه وسلم - لا تحرم المصاة والمصتان(4).

و اختلف الفقهاء بناء على هذه الأدلة، لكن الأرجح ماذهب اليه ابن عمر فقد قال العلماء : «الظاهر أن الارضاع الذي يتبث به التحريم هو مطلق الارضاع (5) كما قالوا : قليل الرضاع وكثيره سواء في التحريم أخذا بإطلاق الارضاع في الآية فترك الرسول صلى الله عليه وسلم - عن عدد الرضعات وأمره بترك المرأة التي أدعت أمة سواد أنهما أرضعتها، وفي أمره بتركها دليل على أنه لا إعتبار الا بالإرضاع فحيث وجد إسمه وجد حكمه ولأنه فعل يتعلق به التحريم فيستوى قليله وكثيره كالوطء الموجب له، ولأن إنشاء العظم وإنبات اللحم يحصل بقليله وكثيره (5) وهذا ظاهر مذهب عبد الله بن عمر رضي الله عنهم جميعا

1- الآية 23 النساء

2- رواه قلعة جي : موسوعة فقه عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما ص 1 ص 368

3 د. وهيبه الزجيلي : الفقه الاسلامي وأدلته ط 1404/1 هـ 1984 م دار الفکر ج 137

4- رواه الجماعة الا البخاري.

5 السد سابق : فقه السنة ج 2 ص 75 و 76

رد عبد الله بن عمر إستدلالات بعض الناس:

أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير، فقالا: «إن الناس صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب- صاحب رسول الله فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم على دم أخي المسلم. قال: ألم يقل الله: **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)** (1)، قال: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن نقاتل حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله» (2) وكان يقول عن الفتنة: كان محمد يقاتل المشركين فكان الدخول -فيهم أو قال في دينهم- وكثيرا ما يرد عليه المتقاتلين يطلبون منه أن يحمل السيف، ويكون في صفهم فيأسي عليهم ذلك، فيحاجونه بالقرآن، فيحاجهم به، ولا ينالوا منه ما يريدون.

فقد قام إليه رجلان، فقال له: ألا نسمع ما قال الله تعالى: **(وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا فاصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفرء إلى أمر الله)** (3). فما يمنعك أن تقابل كما ذكر الله؟ فقال ابن عمر: يا ابن أخي أغتر بهذه

الآية، ولا أقاتل أحب إلي من أن أغتر بالآية التي قبلها: **(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم...)** (4) قال الرجل فإن الله قال: **(...قاتلوهم حتى لا تكون فتنة)**، قال ابن عمر فعلنا هذا على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ كان الدين قليلا، فكان الرجل يفتن عن دينه، إما يقتلوه، أو يوثقوه حتى ظهر الإسلام ولم تكن فتنة. وقد جاءه رجل من أهل العراق فقال له: إني والله قد حرصت أن اتسعت بسمتك، وأقتدي بك في أمر فرقة الناس وأعتزل الشر ما استطعت وإني أقرأ هذه الآية من كتاب الله محكمة وقد أخذت بعقلي فأخبرني عنها:

(وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا...) أخبرني عن هذه الآية فقال ابن عمر ومالك

ولذلك؟ فانصرف عني، فاضطلق الرجل حتى تواري عن سواده فأقبل علينا فقال: وجدت نفسي في شيء من أمر هذه الأمة ما وجدت في نفسي أنني لم أقاتل هذه الفنة الباغية. (5)

هذه أهم إستدلالات عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- وقد تضمنت طرائق وضوابط ومعطيات. عبد الله بن عمر من فقهاء الصحابة الكبار وهو أحد العبادلة، ومن العبادلة عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-

1- الآية 192 البقرة.

2- البخاري: باب الفتن، وأبو الغداء: تفسير ابن كثير ج 1 ص 227

3- الآية-9 العجرات

4- الآية 92 النساء

5- الموسوعة: فقه عبد الله بن عمر ص 156

الإستدلال عند عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -

عبد الله بن مسعود * ، كناه النبي - صلى الله عليه وسلم - أبي عبد الرحمن كان يعرف بأبي أم عبد نسبة إلى أمه بنت عبد بن سودى ، فهو صحابي ابن صحابه ، و أكابرهم في القرآن ، والحديث والفقه والفتوى ، وفضائل الأخلاق ومحاسنها. (1)

صوتكوات الإستدلال عند عبد الله بن مسعود:

أ - أخذه عن الصحابة ما لم يسمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -

فقد بعد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعض الوقت في هجرته فتدارك ذلك بأخذه عن الصحابة ما فاتة فأخذ عن أبي بكر الصديق وعمر - رضي الله عنهما - وعن سعد ابن معاذ ، وصفوان بن عسال وغيرهم.

ب - عنایتة بالقرآن ونهوغه فيه وفي علومه:

كان رضي الله عنه ممن عني بحفظ القرآن والشغف به والحرص عليه حتى نبغ فيه وقد شهد له بذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث قال خذوا القرآن من أربعة من عبد الله ، وسالم أبي مولى أبي حذيفة ومعاذ وأبي بن كعب . وعن شقيق بن سلمة قال : «خطبنا عبد الله بن مسعود ، فقال والله لقد أخذت القرآن من في رسول الله بضعا وسبعين سورة ، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - أنني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم .» (2)

ج - اقتداؤه بالرسول - صلى الله عليه وسلم - واقتفائه آثاره:

عن عبد الرحمن ابن يزيد قال سألتنا حذيفة عن رجل قريب السميت من رسول الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى نأخذ عنه فقال : ما أعرف أقرب سميتا وهديا و ذلا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من ابن أم عبد (3) و ما عرف به عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - هو :

* عبد الله بن مسعود - توفي 32 هـ 653 م - هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن صحابي من أكابرهم فضلا وعقلا وقربا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآنة بمكة . كان خادما رسول الله الأمين وصاحب سره ورفيقه في حله وترحاله وغزواته ، ولي بعد وفاة - صلى الله عليه وسلم - بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان كان يحب الاكثار من التطبيق له 848 حديثا . الاعلام ج 4 ص 137 وغاية النهاية ج 1 ص 458 وصفوه الصفوة ج 1 ص 154

1- د . شريف بن منصور عون العبدلي : مويات عبد الله بن مسعود .

2- رواه الشيخان في صحيحيهما عن شقيق بن سلمة .

3- البخاري في صحيحه : مناقب الصحابة .

1- التحري في رواية الحديث .

2- التشدد فيه خشية الكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد كان يوصي تلامذته بالعناية بضبط الالفاظ ، قال الذهبي : « كان يتحرى في الاداء ويشدد في الرواية، ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الالفاظ . » (1)

منهجه في الافتاء والقضاء :

فقد كان منهجه في الفتوى والقضاء الاتباع، فقد قال : إتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم - و كان يقول : « الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهات فذع ما يربك الى ما لا يربك (2)

تفسير عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - :

تفسير عبد الله بن عمر في أغلبه تبليغ لما سمعه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو إخبار بسبب نزول، أو إرشاد الى واقعة حضرها أو حكم شاهده فهو من قبيل التفسير بالمأثور. ولا نجد من التفسير المسند الى رأي عبد الله بن مسعود إلا القليل .

نماذج من تفسيره :

أ- ففي تفسيره لقوله تعالى : (وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم...) (3) عن ابن مسعود (وما كنتم... سمعكم) (3) قال كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف ، أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيت فقال بعضهم لبعض : أترون أن الله يسمع حديثنا ؟ قال بعضهم يسمع بعضه، وقال بعضهم لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت : (وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعظم كثيرا مما تعملون، وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم فأصبحتم من الخاسرين) (3)

ومن طريق آخر عن الاعمش بن عمر عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال عبد الله ، كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر كثير شعوم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم قرشي وختناه ثقيفان ، أو ثقيفي وختناه قريشان فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : إن اذا رفعنا أصواتنا سمعه واذا لم ترفع أصواتنا لم يسمعه فقال الآخر إن سمع منه شيئا سمعه كله. قال عبد الله فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله (4) : (وما كنتم تستترون... خاسرين...) (3) ومن خلال هذه الرواية الثانية يتجلى

1- الذهبي : تذكرة الحفاظ ج 1 ص 14/13

2- ابن قيم الجوزية : إعلام الموقعين ج 1 ص 66

3- الآية 22 فصلت

4- أخرجه مسلم في صحيحه بسنده. وأخرجه ابن ماجه من طرق صحيحة. وأحمد من طرق أخرى.

قول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - (كنت مستترا...) وفي هذا دلالة على أن ابن مسعود كان بمكة وقت نزول هذه الآية ، من سورة فصلت، وسورة فصلت كما في الالوسي مكية بلا خلاف وسبب النزول هنا يكاد يكون تفسيراً مأثوراً كافياً، فإذا تأملنا معنى الآيات مجده.

أي تقول لهم جوارحهم ماكنتم في الدنيا تخفون شيئا عن مخافة أن نشهد عليكم بما ترتكبون من الكفر والمعاصي، لا تكتم كنتم عالمين بشهادتنا عليكم وكنتم تستترون بالحيطان والحجب لا اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم خفيات أعمالكم ، وهذا هو الذي أهلككم فأصبحتم في الآخرة من الخاسرين وهو إعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون وما عاتخفون.

وهذا التفسير الاجمالي للآية، لا يتناهى وماورد في أسباب النزول بل فكأن سبب النزول الملخص الموجز للمعنى العام للآية.

ب - ومن هذا القبيل إيراد سبب نزول آيات اللعان .

- قال ابن مسعود : « أنا ليلة الجمعة في المسجد اذا جاء رجل من الانصار فقال لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا: فتكلم جلدتوه، أو قتل قتلتهم وإن سكت سكت على غيظ ، والله لا سألن عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما كان من الغد أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسأله فقال : لو أن رجلا وجد رجلا مع امرأته فتكلم جلدتوه ، أو قتل قتلتهم ، أو سكت سكت على غيظ فقال اللهم افتح وجعل يدعوا ، فنزلت آية اللعان :

(و الذين يرمون اوزاجهم ولم يكن لهم شهادا إلا انفسهم...) (1) هذه الآيات ، فابتلى به ذلك الرجل من بين الناس فجاء هو وامرأته الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتلاعنا فشهد الرجل أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين ، ثم لعن الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. فذهبت لتلتعن فقال لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مه قأبت، فلعنت، فلما أدير، قال لعلها أن تجيء به أسود جعدا، فجاءت به أسودا جعدا (2)

وهذا السبب للنزول كاف لتفسير هذه الآيات. آيات اللعان- ويمكن تلخيص ذلك في :

1- من قذف زوجته وعجز عن إقامة البينة وجب عليه حد القاذف وإذا وقع اللعان سقط

الحمد من قوله.

2- دل النص القرآني على مشروعية اللعان اذا قذف الزوج زوجته وعدم البينة.

3- ودل على أن من وجد مع امرأته رجلا يزني بها فقتله فإنه يقتل ولا يقبل قوله.

4 وفيه أن اللعان يكون بحظرة الامام وبمجمع من الناس .

1- الآية 6 النور

2- أخرجه مسلم في صحيحه بسنده و ابن ماجة من طرق صحيحة، و احمد من طرق اخرى

5 وفيه بيان على أنه ينبغي للامام أن يعظ المتلاعنين ويذرهما عن الإقدام على الايمان الكاذبة. (1)

6- وفيه دليل أن اللعان يرفع الحد عن المرأة.

وكل هذا كاف لتفسير الايات وزيادة. وهذا اليراد لسبب النزول من قبل الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ضرب من ضروب التفسير.

7- ومن أسباب النزول ما ينصب حول تحديد تاريخ النزول ، وينبغي على هذا التحديد الكثير من الاحكام ، والقضايا وفيه علوم كثيرة.

فمن عبد الله بن مسعود قال ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : (الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق). (2) إلا أربع سنين .

عبد الله بن مسعود و قراءاته :

وعبد الله بن مسعود من قراء الصحابة وقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم - حيث كان يقول له : « إقرأ علي ، قال: قلت أقرأ عليك وعليك نزل؟ قال إني أحب أن أسمع من غيري » ، فقرأت عليه من سورة النساء حتى بلغت (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (3) ، قال: إمسك فاذا عيناه تذرطان». (4)

وقد سمع الصحابة لقراءته ، وقرأوا عنه ، وأخذوا عنه ، وقد إنتدبه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعلم أهل الكوفة. وحتى أهل مكة والمدينة وما حفظته الكتب اليوم من القراءة المنسوبة الى عبد الله بن عمر تنحصر بين القراءة المتواترة المستفيضة ، وقراءات الأحاد وقراءات شاذة من القراءات ما هي من قبيل النقل والتبليغ، ومنها ما هي من قبيل القراءات التفسيرية.

يمكن ملاحظة الاتي :

قراءات لابن مسعود - رضي الله عنه :-

- عن ابن أبي وائل عبد الله قال : (هيئت لك...) إنما تقرؤها كما علمناها ، وفي رواية عن الاعمش عن شقيق عن ابن مسعود أنه قرأ : (هيئت لك...) فقال شقيق إنما تقرؤها : (هنت لك...) فقال عبد الله بن مسعود إقرؤها كما علمت أحب إلي . (5)

1- د. شريف منصور بن عون العبدلي : م 2 ص 534 - 535

2- الآية 16 الحديد

3- الآية 4 النساء

4- د. شريف منصور بن عون العبدلي : مرويات عبد الله بن مسعود ج 1 ص 45

5- د. شريف منصور بن عون العبدلي : مرويات عبد الله بن مسعود ج 1 ص 270

1- قراءة عبد الله بن مسعود من قراءة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهي بفتح الهاء بعدها ياء ساكنة، وهي قراءة قرأها عمرو والكوفيون من القراء السبعة فهي من القراءات المتواترة.

2- إستدلاله بالقراءة المتواترة على فساد القراءة الأخرى وذلك لمخالفتها القراءة المتواترة.

استدلالات عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-

الصحابي الجليل يستدل على المرأة بالآية:

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله قال: لعن الله الواشعات والمتوشعات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت، إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال مالي لا ألعن من لعن رسول الله وهو في كتاب الله، فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال لئن كنت قرأته لفر وجدتيه، أما قرأت: **(وما اتاكم الرسول فخذوه، وما**

نهاكم عنه فانتهوا) (1). قالت بلى، قال: فإنه قد نهى عنه، قالت فإنني أرى أهلك يفعلون، قال فاذهبي، فذهبت فنظرت فلم ترى من حاجتها شيئاً، فقال لو كانت كذلك ما جامعتها. (2)

-فالاستدلال هنا بهذه الآية من جوامع الاستدلال فهو يرد كل الامور الي سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الفعلية والقولية والتقريرية وهي أشمل وأوسع فما غادرت كبيرة ولا صغيرة إلا أتت فيها ببيان كاف واف قال تعالى: **(و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم..)** (3) وهم في ذلك مقتدون برسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال الامام الشافعي -رضي الله عنه- سلوني عما شئتم أخبركم من كتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم، قال محمد بن هارون الفريابي، فقلت له ما تقول: أصلحك الله تعالى: **(وما اتاكم الرسول فخذوه...)** (1)

وحدثنا سفيان بن عيينة -وساق سندنا- قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«إقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر، وساق سندنا آخر في أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر بقتل الزنبور.** (4)

ولقي عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- رجلاً محرماً وعليه ثيابه فقال أنزع عنك هذا، فقال الرجل: أقرأ على بهذا آية من كتاب الله؟ قال عبد الله بن مسعود: نعم **(وما اتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا).** (1)

1- الآية 7 المشر

2- المصدر السابق

3- الآية 44 النحل.

4- القرطبي: تفسير القرطبي ج 18 ص 17 و 18

وأمر الحج وضحتها النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد كان يقول : في حجة الوداع خذوا عني مناسك دينكم، وحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم. معلومة وهي في السنن والصحاح وقد حققها العلامة محمد ناصر الدين الالباني في حجة المصطفى كما رواها جابر بن عبد الله.

قال العلماء في هذه الآية ، والاية إن كانت في الغنائم فجميع أوامره -صلى الله عليه وسلم - ونواهيها داخله فيها .

وقد قال -صلى الله عليه وسلم - : «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه» (1)

فاستدلال الصحابي الجليل ابن مسعود بهذه الآية على أمرين وفي موقفين متباينين يندرج ضمن هذا الفقه. وهو ضابط من الضوابط الاستدلالية .

2- استدلال عبد الله بن مسعود على أن النبي -صلى الله عليه وسلم -

كان يخطب قائما :

أخرج ابن ماجه في سننه قال : حدثنا أبو بكر ابن شيبه -وساق سندا- عن عبد الله بن مسعود أنه سئل أكان النبي -صلى الله عليه وسلم - يخطب قائما أم قاعدا.

قال عبد الله بن مسعود أو ماتقرأ : (وتوكوك قائما) (2) فقد أجاب ابن مسعود الرجل مستدلا على أن النبي -صلى الله عليه وسلم - كان يخطب قائما مستندا في ذلك الى قوله تعالى : (وإذا راوا نجارة او لهوا إنغضوا إليها وتركوك قائما. قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) (3)

كل هذا لم يغيب عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وهو الذي صلى مع النبي -صلى الله عليه وسلم - الجمع وحضر الاعياد ورآه وهو يخطب ولكنه وجه السائل الي القرآن لوضوح النص القرآني ودلالته الصريحة ثم إنه هو أول درجات اليقين فهو يقيني التبوث مع اليقين في الدلالة فهو أولى في الاستدلال من غيره.

الاستدلال على النهي عن الخصاء :

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا نفرؤا مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء فقلنا الا نستخصي فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالشوب ثم قرأ: (ياايها الذين آمنوا لا نذرصوا طبيبات ما احل الله لكم) (4) وأخرج

1- القرطبي : تفسير القرطبي ج 18 ص 18 و 19

2- د. شريف منصور بن عون العبدلي : مرويات عبد الله بن مسعود ج 1 ص 596

3- الآية 1 الجمعة.

4- الآية 87 المائدة

مسلم من طرق بلفظ يقارب اللفظ المذكور ، لكن زاد عنه « الى أجل » عقب قوله تنكح المرأة .
وقال ثم قرأ عبد الله بذي قرأ علينا . (1)

وفي هذا الاستدلال نهي تام على التحريم وسبب الاستدلال إن كان نزولا في الاثر الاول يحمل هذه الطيبات على النكاح وهو هنا دليل على تحريم الخضاء قال الحافظ في الفتح : وهو نهي تحريم بلا خلاف في بني آدم للاحاديث الواردة في الباب لما فيه من تعذيب النفس وتشويه مع إدخال الضرر الذي يفضي الى الهلاك. ولما فيه من إبطال معنى الرجولية، وتغيير خلق الله كفر النعمة ، لان خلق الشخص رجلا من نعم الله العظيمة فاذا زال ذلك قد تشبه بالمرأة واختار النقص على الكمال.

- وفي الاية دليل على أن نكاح المتعة كان مباحا في أول الاسلام.
- ظاهر إستشهاد ابن مسعود بالاية الكريمة في هذا الموضوع يشعر بأنه كان يرى جواز المتعة وأنه من الطيبات التي أحلها الله. (2)
- وتعقب القرطبي : مانسب الى ابن مسعود فقال: لعله حينئذ لم يكن بلغه الناسخ ثم بلغه فرجع بعد.

يقول الدكتور شريف منصور العبدلي : «أقول : ويؤيد ماقرره القرطبي مانقله الحافظ عن الاسماعيليين من رواية أبي معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد حيث قال فيها : «ففعله ثم ترك ذلك» ومن رواية ابن عيينة عن إسماعيل «ثم جاء تحريمها بعد» ومن رواية معمر عن إسماعيل «ثم نسخ» وكل هذا الكلام يؤيد أن عبد الله بن مسعود قد استدل بالاية (ييايها الذين آمنوا لاندسوا طيبات ما احل الله لكم. ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين). (3)
لكن موضوع الاستدلال محل أخذ و رد بين الفقهاء، والارجح ماختم به الاستدلال على ما تظافت عليه الروايات.

وقد سبق القول في علم عبد الله بن مسعود واطلاعه بالسنين، وقراءاته وكل هذه مواد الاستدلال عند عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وهو من المتورعين المقلين في الرواية يذكر ما سمع من تفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وما حفظ من آثار ولم يكن ليقدّم رأيه - وهو من هو في العلم والفهم - حتى يستنفذ الحيلة والجهد ، ووقتها يقدم على ما ترجح له. وهو في استدلاله ينطلق مما ورثه من علم النبوة. وما وافقه عليه إخوانه من الصحابة، وما كان محل وهم أو شك أو خلاف بين الصحابة فإن المرجح الوحيد إنما هو القول

1- د . شريف منصور العبدلي : مرويات عبد الله بن مسعود ج 1 ص 680

2- المصدر نفسه ص 124

3- الآيه 87 المائدة

الذي يدعمه برهان وتأييده حجة قوية أو إستدلال مستندا الى مرتكزات علمية قوية تحرسه ضوابط عملية ذات يقين ومستندات نقلية صحيحة وصريحة.
فإذا ما تأملنا إستدلالات عبد الله بن مسعود نجدها تتصف بمواصفات أثرية علمية علاوة على القراءات التي كان يمتاز بها، ومن العبادلة الذين إشتهروا بالفقه والعلم والتفسير والتأويل الحبر عبد الله بن عباس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السابع

الإستدلال عند عبد الله بن عباس -رضي الله عنه -

عبد الله بن عباس * ، الحبر، والبحر إنتهت إليه رئاسة العلم بين الصحابة ، ثم أخذ عن الصحابة وهن علمانهم قال عبد الله بن أمية : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال (1) بعلمه فاسبقه وفقه فيما أحتجج إليه من رواية، وحلم ونسب وتأويل وما رأيت أحدا كان أعلم بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفاقه من رأي فيه ولا أثبت رأيا فيما أحتجج إليه منه - فكان من أجل الصحابة، و أعلمهم وأفقههم ، كان الصحابة يجلوونه ، ويقدرونه ، قال سيدنا عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - « نعم ترجمان القرآن ابن عباس ». وكذلك التابعون كانوا يجلوونه ، وقد أخذوا عنه وتعلمذ عليه الكثير منهم قبل لظاؤوس لزمتم عبد بن عباس وتركت غيره ، وتركت الاكابر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال «إني رأيت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا تدارموا في أمر صاروا الى قول عبد الله بن عباس. وعبد الله بن عباس صاحب مذهب في الفقه والتفسير وله رأي معتبر ، فكتب الحديث وكتب الفقه ، والتفسير زاخرة بأرائه وأثر عنه التفسير ، حتى نسب اليه تفسير كامل.

تفسير عبد الله بن عباس -رضي الله عنه -:

كان ابن عباس يتخذ في المسجد حلقة يعلم الناس فيها ، بعلم الفقه والحديث، والتفسير. فيوم للحديث وآخر للفقه وثالث للتفسير... وتفسير ابن عباس متناثر في ثنايا الكتب، فأراؤه تكاد تكون في معظم السور والايات يقول «صاحب التفسير والمفسرون» وتعددت الروايات واختلفت طرقها فلا تكاد تجد آية من كتاب الله تعالى الا ولابن عباس رضي الله عنه ، فيها قول وأقوال (2) وقد وصلت هذه الروايات مبلغا كبيرا الى حد أن جمع له تفسير هو «تنوير المقياس من تفسير ابن عباس. وقف العلماء من هذه الروايات موقف المتحفظ . يقول ابن حجر : «وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن

* عبد الله بن عباس -رضي الله عنه - و توفي سنة -68 هـ 687 م- هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الصحابي الجليل ولد مكة ونشأ في يده عصر النبوة فلزم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وروى عنه الاحاديث الصحيحة شهد مع علي الجمل وصفين لهي الصحيحين وغيرهما 1660 حديثا قال : ابن مسعود نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، قال عطاء الناس بأتون ابن عباس في الشعر والانساب وناس بأتونهم لا يام العرب ووقائعهم وناس بأتونه للفقه والعلم وكان آية في الحفظ 650 - اللسان مادة نحل

ج 11 ص.

1 - د. الذهبي : التفسير والمفسرون ج 1 . 65 ، 66 ، 67

2- المصدر نفسه ج 1 ص 76

معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وهي عند البخاري وقد إعتد عليها في صحيحه فيما يعلق عن ابن عباس . (1)

1- زهاذج من تفسير عبد الله بن عباس واستدلالاته :

من تفسير ابن عباس ما انصرف الى اللفظ ، ومنها ما انصرف للمعنى ، ومنه ما ذهب الى تبين سبب النزول والى أمور أخرى من التفسير كالقراءات وغيرها .
ولا ين عباس شيء معتبر من الاستدلال بالقرآن الكريم منه ما ذهب فيه مذهب الاستنباط الاحكام العقيدية والشرعية. ومنها ما ذهب مذهب الاستشهاد في خطبه، ومناظراته ، ومنها ما اقتضاه الحال فكان من قبيل التمثل ...

أ- التفسير اللفظي :

في قوله تعالى : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قال عبد الله بن عباس :
« كانوا يقولون في الطواف : غفرانك. (2)

ويقول في الآية التي سبقتها (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم)(3). قال ابن عباس : لم يعذب أهل قرية حتى يخرج النبي صلى الله عليه وسلم -منها والمؤمنون». (2)
هذا النوع كثير في تفسير ابن عباس .

ب- تفسير المعنى :

في قوله تعالى : (والذي قدر فهدى) (4) يقول :

1-والذي قدر : جعل كل ذكر وأنثى

2- فهدى : فعرف وألهم كيف يأتي الذكر الانثى ويقدر خلقه حسنا أو ذميما طويلا أو قصيرا، أو يقال قدر السعادة والشقاوة لخلق فهدى: فبين الكفر والايمان والخير والشر». (5)
- وليس هذا على سبيل الاطلاق فهو على سبيل التمثيل فالله قدر الاشياء، وهدى إليها.

ج - التفسير بتهيان ما يتعلق بالآية من علم:

1- سبب النزول : وهذا النوع من أكثر تفسير عبد الله بن عباس وهو يرجع الى صحة السند والرواية.

1-المحافظ جلال الدين السيوطي : الاتقان ص 207 ج 4

2 الفرطبي: تفسير القرطبي ج 7 ص 399 وج 7 ص 7.83 ص 96 ج 5 ص 7

3- الآية 33 الأنفال

4- الآية 3 الأعلى

5- عبد الله بن عباس : تنوير المقياس في تفسير عبد الله بن عباس ج 1 ص 387 المكتبة التجارية الكبرى دار الفكر.

- روى أبوداود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله تعالى : (ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن)(1) .و (إن الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما...) (2).

انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل من طعامه فيحبس له ، حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى : (ويسالونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير...) (3) فخلطوا طعامهم بطعامه ، وشرابهم ، بشرابهم « (4)

وهذا الايراد لسبب النزول ساهم في تفسير الايات به :

أولا : ذكر أسباب النزول

ثانيا : مدى ترابط الايات في الموضوع الواحد.

ثالثا : النتيجة المستخلصة من هذا الجمع للايات مع ذكر سبب النزول وهذه كلها مرتكزات علمية للاستدلال الموفق ، اذ لا يعقل أن يستدل في موضوع مترابط بأية قد تكون سابقة فيها عموم أو نسخ أو إطلاق دون التفرق الى ما يأتي بعدها من عامل فيها .

ومما علم من سبب النزول أنه قد يتعدد في الايات ، ثم أنه يقصد به أحيانا عند الصحابة : موضوعها أو حكمها . كما يكون في الغالب في بيان علة نزول الآية .

- ففي قوله تعالى : (لا إكراه في الدين...) (5).

روى أبوداود عن ابن عباس قال : نزلت هذه في الانتصار تكون المرأة مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أخليت بنو النضير كان فيهم كثير من أبناء الانتصار ، فقالوا لاندع أبناءنا فأنزل تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) قال أبوداود : « والمقلاة التي لا يعيشر لها ولد -وفي رواية - وإنما فعلنا ما فعلنا ونحن نرى أن دينهم أفضل مما نحن عليه. (5) وأما اذا جاء الله بالاسلام فنكرههم عليه فنزلت (لا إكراه في...) من شاء التحق بهم ومن شاء دخل في الاسلام.. قال النحاس قول ابن عباس في هذه الآية أصح الاقوال لصحة إسناده ، وأن مثله لا يؤخذ بالرأي. (6)

وفي هذا السبب نلاحظ أنه مجلية لحقيقة علمية وهي أن الاكراه إنما يكون لغير المسلم الذي تمارس عليه ضغوط قصد دخوله في الاسلام ، وهذا ليس من طبيعة هذا الدين.

1- الآية 34 الإسراء . 2- الآية 10 النساء

3- الآية 220 البقرة

4- أبو داود : سنن أبي داود ، و اللفظ له

5- الآية 256 البقرة - القرطبي تفسير ج 3 ص 62

6- المصدر نفسه ص 280 ج 3

في حين أن الناس تفهم أن هذا الجزء من الآية إنما يقتضي أن الناس المتدينين أصلاً وانتماء فهم أحرار في اتباع الدين أو تركه.

وهذا من الاستدلالات المبنية على فهم فاسد. فقد حشدت به المواثيق والدساتير في بلاد إسلامية بغالبية ساحقة. في حين أن من ترك دينه أو بدله أو عابه بغيب يقدح في قدسية هذا الدين. كل هذا يعتبر ردة، والردة حكمها إستتابة المرتد وألا يقام عليه الحد ويحبط عمله قال تعالى: **(لئن أشركت ليحبطن عملك)** (1)، وقال -صلى الله عليه وسلم- : **«من بدل دينه فاقتلوه»** (2). وفي قوله تعالى: **(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون)** (3) قال: -صلى الله عليه وسلم- : **«والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة، وقاتل النفس.»** (4) -فسبب النزول يوضح حقيقة علمية ومن ثم يتأسس الاستدلال على معطيات نقلية وعلمية صحيحة.

ب- التفسير بتبيين النسخ من المنسوخ:

في قوله تعالى: **(وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً)** (5)

روى عن ابن عباس أنها منسوخة، نسخها قوله تعالى: **(يؤتيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)** (6)

وفي البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى: **(وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين...)** (5) قال هي محكمة وليست منسوخة قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين عند قسمة مواريتهم أن يصلوا أرحامهم ويتامهم ومساكينهم من الوصية، فإن لم تكن وصية، وصوا لهم من الميراث، قال النحاس فهذا أحسن ما قيل في الآية. (6)

ونلاحظ كثرة الروايات عن ابن عباس وتناقضها أحياناً فإن علم الإسناد فالترجيح ممكن فلا يعقل أن تقدم رواية غير البخاري، على رواية البخاري، كما أنه إذا وجد توفيق "قول النحاس" في هذه القضايا فهذا أجدى. وما يمكن أن نستخلصه من هذا النوع من التفسير هو أن المعول عليه إنما هو بعد النص صحة السند والرواية.

1- الآية 65 الزمر

2- البخاري باب الجهاد 149

3- الآية 68 الفرقان

4- القرطبي ج 3 ص 280

5- الآية 8 النساء

6- الآية 11 النساء

7- القرطبي: التفسير القرطبي ج 5 ص 49

د- التفسير من طريق القراءة:

والقراءات هي أوجه معينة منها المتواتر المستفيض ومنها الآحاد ومنها الشاذ،
وقراءات عبد الله ابن عباس تشملها هذه الأصناف وضوابط القراءة المستفيضة
المتواترة إنما هي:
أ- صحة السند.

ب- مطابقة وجه من أوجه العربية.

ج- مطابقتها للمصحف الامام. (1)

يقول القرطبي فإن قيل: فقد روي عطاء عن ابن عباس أنه قرأ: (فلا جناح عليه ان
يطوف بهما) (2) وهي قراءة ابن مسعود، ويرى أنها في مصحف أبي كذلك ويروي عن
أنس مثل ذلك، والجواب أن ذلك خلاف ما في المصحف ولا يترك ما قد تبث في
المصحف الى قراءة لا يدري أصحت أم لا، وكان عطاء يكثر الارسال عن ابن عباس من
غير سماع. (3)

وفي قوله تعالى: (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (4) خالصة
بالرفع: وهي قراءة ابن عباس ونافع، فخالصة مستأنفة من خبر مبتدأ مضمرة. وهذا
المعنى قول ابن عباس. (5) وقراءات ابن عباس كثيرة، منها ما تنطبق عليها
الضوابط السابقة (أ.ب.ج) ومنها ما يصدق فيها بعضها فقط، ومن القراءات ما
حكمها حكم القرآن فهي المستفيضة، ومنها ما يندرج ضمن القراءات التفسيرية
كقراءة في قوله تعالى: (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) (6) في قراءة إلا ليعرفوني
وهي من القراءات الشاذة ولكن هي الى التفسير أقرب منه الى القراءة ثم أن من
قراءات الاحاد ما يستشهد بها في الاحكام مثل الاحاديث بالتمام. (7)
وكالقراءة: (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه،
وتسبحوه بكرة وأصيلاً) (8) بالراء المهمل الذي معناه تساعده، وقرأ بعضهم تعزروه،
وهي ليست من القراءات السبع ولا الأربع عشرة بل هي قراءة آحاد لابن عباس،

-
- 1- محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية منذ العرب إلى نهاية القرن الثالث ص
350 منشورات دار مكتبة الحياة طبعة 1400هـ 1980م
 - 2- الآية 157 البقرة
 - 3- القرطبي: ج 2 ص 182
 - 4- الآية 30 الاعراف، تفسير القرطبي ج 7 ص 199
 - 5- القرطبي: التفسير القرطبي ج 7 ص 201
 - 6- الآية 56 الذاريات، القرطبي ج 17 ص 55 عن مجاهد
 - 7- ابن خالويه: المقدمة و ص 154
 - 8- الآية 9 الفتح

فلا يعتد بها (1)، في القراءات ماعدا المتواتر من قراءة عبد الله بن عباس. والذي هو من قبيل المستفيض المطابق للشروط السابقة الذكر، فإن ماسوى ذلك يصلح للاستشهاد إن في الاحكام أو على التفسير عدا الشاذ فهو مردود لشذوده.

2- استدلال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه -

وكل ما سبق من مرتكزات الاستدلال عند عبد الله ابن عباس - رضي الله عنه - ومنهج في التفسير وعلمه فإنها كلها من مواد الاستدلال عنده ويمكن ملاحظة ذلك في استدلاله بالقرآن الكريم.

وقد كانت له استدلالات معتبرة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه

- استدلاله على إنتهاء مهجة رسول الله وقرب أجله :

فمن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال : لم يدخل هذا ومعنا أبناء ومثله ؟ فقال عمر إنه من أعلمكم، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم. فقال عمر بن الخطاب : ماتقولون في قوله تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح ..) (2) ؟ قال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئا ، فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . قال ماتقول : قلت : هو أجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . قال إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا . فقال عمر : لا أعلم منها إلا ماتقول . (3)

واستدلال عبد الله بن عباس على أجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خلال هذه السورة مهنى على مرتكزات هي :

أولا : الالعية تقتضي « أن الكمال دليل الزوال » وأن النبي إذا أكمل رسالته وأدى مهمته فما بقي له إلا اللحاق بالرفيق الأعلى. وهذا ما فهمه نبياء الصحابة وأقرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - على هذا الفهم.

لما نزلت « السورة » قرأها على أصحابه ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يبكيك يا عم ؟ قال : نعت إليك نفسك. (4)

فقال : إنه لكما تقول ، وفي رواية نزلت في منى فبكى عمر والعباس فقبيل لهما ، فقلا

1- جولد تسبير - تحقيق عبد الحليم النجار - دار إقرأ ط 02 ص 1403 هـ 83 صفحة 11 وهامشها

2- الآية 1 النصر

3- د. محمد الذهبي التفسير المفروق 61 ج 1

4- محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ط 84 دار التونسية للنشر ج 30 ص 594/595 .

فيها نعى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- صدقتما، وكذلك بكى أبو بكر وابن مسعود للامر نفسه. (1)

ثانيا : قد كان الصحابة يفهمون من التلميح والتعريض ، فقد خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد هذه السورة فقال : «إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله عز وجل : فعلم أبو بكر: فبكى وقال يارسول الله: فديناك بأنفسنا وأموالنا وأبنائنا وأولادنا».

ثالثا : ان بعض الصحابة سمي هذه السورة : «سورة التوديع» لما فيها من الإيماء الى وداعه -صلى الله عليه وسلم- وكذلك كانت تقول عائشة قال السيوطي وسورة النصر تسمى سورة التوديع لما فيها من الإيماء الى وفاته صلى الله عليه وسلم . (2)

وهذا كله مفهوم النص، فهو يدور حول فهم المعنى والإيماء وليس بمتناول الجميع فالقرآن يقول وما يعلمه إلا الراسخون ، وقال : لعلمة الذين يستنبطونه منهم وقال : ما يعلمه إلا قليل ، وقال : عبد الله بن عباس «في أصحاب الكهف» أنا من ذلك القليل الذين يعلمهم ، وقد دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن يعلمه الله التأويل . (3)

فهذا الاستدلال مستند الى تأويل مقبول ، له قرائن نقلية وعقلية مقبولة.
الاستدلال على القاتل العمدي :

فقد اختلف العلماء في من قتل عمدا هل له من توبة روى البخاري عن سعيد بن جبير، قال اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت الى ابن عباس فسألته عنها : فقال نزلت هذه الآية (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) (4). قال هذه آية مكية، نسختها آية مدنية.
(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه) (5).
وأن آية النساء نزلت بعد آية الفرقان ستة أشهر، وفي رواية بثمانية أشهر ذكرهما النسائي عن زيد بن ثابت.

فعبد الله بن عباس -رضي الله عنه - يستدل عن جزاء قاتل النفس العمد ، ويرد الآيات الى مواضعها عن زيد بن ثابت.

(و الذين لا يدعون مع الله إلها آخر و لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق... -وتأتي

1- محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ط 84 دار التونسية للنشر ج 30 ص 594/595 .
2-جلال الدين السيوطي : الاتقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط 1408/1988 ص

3- جمال الدين القاسمي : تفسيره ، معاون التأويل ج 1 ص 110

4- الآية 69 الفرقان

5- الآية 92 النساء

لتقول: (...إلا من تاب و آمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) (1). فمن يستدل بهذه الآيات يصل إلى أن التوبة شاملة لكل المعاصي:

1- الشرك

2- قتل النفس بغير الحق

3- الزنا

يقول القرطبي (2) لاختلاف بين العلماء في أن الإستثناء «إلا من تاب...» عامل في الكفر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين. ولهذا إستدل عبد الله بن عباس على القاتل بالآية (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه) (3) وروي عن زيد بن ثابت نحوه.

وهذا الاستدلال إستند إلى العلم بالسابق من اللاحق وبالتالي، الناسخ من المنسوخ وهذا ما صرح به عبد الله بن عباس في قوله هذه آية مكية نسختها آية مدنية. وقوله في الآية: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه... (3) وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء.

وما يستخلص من هذا أن كل إستدلال مبني على منسوخ فهو فاسد ولا يصلح إلا * * إستدلاله على جواز الانتفاع بما سوى لحم الميتة: روى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عباس أنه قرأ (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً...) (4) قال إنما حرم من الميتة أكلها وما يؤكل منها فهو النجس، فأما العظم والصوف والشعر فهو حلال وابن عباس في هذا الاستدلال يتمسك بلفظ النص ومنطوقه فقد جاءت الآيات تقول: (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه) (5). ويذكر الله الأشياء المحرمة في الآتي: (إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً، أو لحم خنزير فإنه رجس، أو فسقاً أهل لغير الله به) (6)

وقد نزلت المحرمات الأخرى من سورة المائدة فزيد في المحرمات من الميتة المنخنة، والموقودة والمتردية والنطيحة، والخمر، وحرم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطيور.

1- الآية 68 الفرقان

2- القرطبي: التفسير ج 5 ص 332 و333 ج 13 ص 75-76-77.

3- الآية 92 النساء

4-5-6 الآية 146 الانعام

ثم تأتي الرخصة للضرورة الحرجة (فمن اضطر غير باغ ولا مانع فإنه يجره الله ما حرم الله)
 وفهم ابن عباس أن ما سوى الحرام خلافاً، وهذا المفهوم الخاطئ، فالله سبحانه وتعالى حرم
 من الميتة إلا أكلها أما ما سوى ذلك من جلد ومعظم، وسواء كان ميتة أو ذبيحة ممنوعة من
 التحريم.

ويمكن حصر الاستدلال هنا في النقاط التالية:

1- منطوق النص وهو وجه الاستدلال في التحريم، ونحو قوله تعالى: **﴿ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ عَلَىٰ ظُلْمٍ أَن يُخْرِجَهُمْ مِنَ دِينِهِمْ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدَهُمْ وَلَا تُوَلَّىٰ لَهُمْ شُكْرًا ﴾** [البقرة: 221].

2- مفهوم النص ويشتمل هنا مفهوم المخالفة، وهو أن ما لم يحرم الله صراحة لم يكن حراماً،
 فهو حلال إذا لا تحريم إلا بنص وأن الأصل في الأضداد الإباحة، وهذا هو الأصل الذي روي
 صلى الله عليه وسلم ويستشهد به أبو بصير عن النبي صلى الله عليه وسلم: **﴿ مَا لَمْ يَنْهَ عَنْهُ فَهُوَ حَالِلٌ ﴾**
 إشارة على ميمونه فعلمت فمر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا إنها ميتة، فقال صلى الله عليه وسلم **﴿ هِيَ حَالِلَةٌ ﴾**
 رد الاستدلال وتصحيحه:

في قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**
﴿ وَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَمَنُوا ﴾، ثم **﴿ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾**،
 قد تأول هذه الآية قدامة بن مظعون الخ فادعى أنها منسوخة من قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**
 إلى أرض الحبشة مع أخويه ومجاهد وسعد بن مسعود وغيرهم من الصحابة والفقهاء
 البحرين، فشهدوا بأن ما نسبوا من نسخ الآية من قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**
 لم تحسنه بيبي وسيمت كتاب من علماء أهل البيت وغيرهم من علماء الشيعة وغيرهم
 فقال له: **﴿ يَا أبا عبد الله أنت الذي نقول في حديثك: أليس على من أخطأ وعصا مخالفة له في
 فيما ظموا... ﴾ (3) الآية فماذا من حديث من أجاب عن سؤاله في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾ ﴾**
 شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بكة من بني تميم فبقيت في بيوتهم إلى يومنا
 هذا ولا يرون فيه ما يذكرون في كتابهم من الحديث من قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**
 وحجة على من ادعى أن ما نسبوا من حديثهم من قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**
 الآية تم فبيناً حتى بعد الآية الأولى في قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**
 من قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾** مع
 الآية من قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**
 الآية من قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**
 الآية من قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**
 الآية من قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**
 الآية من قوله تعالى: **﴿ أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَبْرَأٌ مِمَّا كَفَرُوا ﴾**

الإسلامية

كل الحقوق محفوظة © 1443 هـ / 2022 م

www.itslam.com

جميع الحقوق محفوظة

حجة لقوم مضوا ماتوا وهي في بطونهم، أما المؤمنون الذين اتقوا وأصلحوا فإن الاستدلال الذي يحجهم إنما هو (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر... لعنكم تفلحون) (1) وهذا وما وجّه عبد الله ابن عباس إليه الرجل .
عبد الله بن عباس يناظر الخوارج :

أورد هذه المناظرة صاحب كتاب الكامل وفي غيره من المراجع بصيغ متقاربة تزيد وتنقص وذكرنا الرواية الأشمل : يحكى عبد الله بن عباس قال قلت يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة، فإني أريد أن أدخل عليهم فأسمع من كلامهم و أكلهم فقال علي ابن أبي طالب : أخشى عليك منهم. قال إبن عباس : وكنت رجلا حسن الخلق لا أأذ أحدا. قال : فلبست أحسن ما يكون من الثياب اليمانية، وترجلت ودخلت عليهم فقالوا لي : ما هذا اللباس ؟ فقلوت عليهم : (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الربوق) (2)

وقلت : لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يلبس أحسن ما يكون من اليمانية . فقال : لا بأس ، ما جاء بك ؟ فقلت : أتيتكم من عند صاحبي ، وهو إبن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بالوحي منكم- وفيهم نزل القرآن ، أبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم فما الذي نقيتم ؟ فقال بعضهم -ناهيا- : إياكم والكلام معه إنه قرشيا وهم خصمون ، قال الله تعالى : (بل هم قوم خصمون)(3)

وقال عز وجل : (و تنذره قومنا لدا...) (4)
فقالوا إن شئت تكلمت وإن شئت تكلمنا، فقلت : بل تكلموا، فقالوا : ثلاث ، نقمنن عليه، جعل الحكم الى الرجال وقال الله تعالي (إن الحكم إلا لله) (5)

فقلت : قد جعل الله الحكم من أمره الى الرجال في أربع دواهم . (6)
6- إشارة الى قوله تعالى : فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به دوا عدل منكم -المائدة 95 وذلك حول قتل المحرم للصيد.

خاتمة الفصل :

ظاهرة الاستدلال عند الصحابة -رضوان الله عليهم -وعند الخاصة منهم من الظواهر الملحوظة سواء عند الخلفاء، أو الامراء أو عامة الصحابة.وهم في ذلك بين مفسر، وممستشهد، أو مستدل ، أو متمثل. وهم مقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم - .

1- الآية 91 المائدة

2- الآية 32 الأعراف

3- الآية 57 الزخرف

4- الآية 98 مريم

5- الآية 58 الأنعام

فقد لاحظنا من النصوص الحديثة ما جاء يفسر الآية القرآنية ومنها ما جاء في معرض الاستدلال والاستشهاد، والتمثل كما فعل -عليه الصلاة والسلام (1)- مع الطلقاء إذ قال ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: إذهبوا فأنتم الطلقاء وتمثل بقول أخيه يوسف عليه السلام **(لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم..)** (2) وهذا كثير في النصوص الحديثية النبوية والأمر كذلك في حياة بقية الصحابة رضوان الله عليهم في حياته وبعد إلتحاق النبي -صلى الله عليه وسلم- بالرفيق الأعلى.

فقد جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذات يوم، فوجد النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد أخذ من كفار قريش بمجمع رذاته، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه يبكي وهو يقول: **(اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله!؟)** (3) فتركوه وانصرفوا إلى أبي بكر. (4) وقد كانت عائشة (5) أم المؤمنين في بلواها ومصابها في حادثة الإفك المتمثلة بقوله تعالى على لسان يعقوب -عليه السلام- **(فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)** (6)

ووقف سيدنا أبو بكر الصديق موقفه المشهور في عام الحنة التي لحقت المسلمين في موت نبيهم حيث قرأ قواه تعالى: **(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم..)** (8) وتلا قوله تعالى: **(إنك ميت وإنهم ميتون)** (9) وهكذا بقية الصحابة فقد أنرت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إستشهادات وكما إستشهدت المرأة على رد قول عمر في تحديد المهور. وقد رأى سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أبا موسى الأشعري يحمل لحماً فقال: ما هذا؟ قال يا أمير المؤمنين لحماً إشتهيته فاشتريته. فقال له: أكلما إشتهيت إشتريت ويحك! ثم تلا عليه قوله تعالى: **(أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)** (10) وكان عمر -رضي الله عنه- وقافاً عند القرآن يتأمل أحكامه ومعانيه وألفاظه ويستشهد به

1- ابن هشام السيرة ج 4 ص 32

2- الآية 92 يوسف

3- الآية 28 طافر

4- عبد السلام هارون/ تهذيب سيرة ابن هشام/ دار إحياء التراث العربي ص 70

5- الشيخ أحمد محمد عساف: خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ص 1406/04 هـ 1986 ص 42

6- الآية 18 يوسف.

7- عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام/ دار إحياء التراث العربي ط ص 70

8- الآية 44 آل عمران

9- الآية 30 لزم

10- الآية 20 أحقاف

ويتمثل حتى في آخر رمق من حياته والدم يسيل منه قال: من قتلني؟ فقيل له: أبو لؤلؤة الجوسي. فحمد الله على أن قتله غير مسلم وتلا قوله تعالى (وكان أمر الله قدرا

مقدورا) (1) والصحابة تعاملوا مع القرآن الكريم تعاملًا مختلفًا فمنهم من راح يستنبط منه الأحكام الشرعية ومنهم من ظل يتلوه أثناء الليل وأطراف النهار ومنهم من راح يبحث عن معانيه ومقاصده في التفسير وهكذا.

فقد خرج عبد الله بن عمرو بن العاص في سرية فأصبح جنبًا فتييم وصلى بالناس فاستنكر عليه بعض أصحابه صنيعة ولما رجعوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبروه الخبر، فقال: «ما دفعك إلى ذلك يا ابن عمرو أصليت وأنت جنب؟ قال: نعم يا رسول الله، وجدت قوله تعالى: **(لا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)** فسكت

النبي -صلى الله عليه وسلم- عنه، وفي سكوته إقرار. (2)

وقد قال أبو هريرة -رضي الله عنه- يولد الوالد على الفطرة فأبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ثم يقول واقرأوا إن شئتم الآية (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون). (3)

ويقول أيضا: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر، (4) ثم قال إقرأوا إن شئتم (إن قرآن الفجر كان مشهودا). (5)

(وفي تكفير الخطايا المرتكبة بين الجمعة والجمعة قال أبو هريرة -رضي الله عنه- (6) وزيادة ثلاثة أيام واقرأوا إن شئتم (7) (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها). (8)

وهذا النوع من الاستدلال في جانبه الشكلي كثير عند أبي هريرة أما في حقيقته العلمية فهو متفاوت بين استشهاد، واستدلال فقهي، وتفسير... قال علي -كرم الله وجهه- إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم تلا الآية: **(فما بكى عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين)**. (9)

قال عبد الله بن عباس: «بكى الأرض على المؤمن أربعين صباحا» (10)

1- الآية 38 الأعراف

2- السيد سابق صفح السنة أخرجه أبو داود في الطهارة: باب إذا خاف الجنب التيمم، الآية 29 النساء.

3- الآية 30 الروم

4- البخاري: صحيح البخاري باب الأذان 29-30

5- الآية 78 الإسراء

6- البغوي: منهاج السنة ج 4 ص 230

7- البغوي: منهاج السنة ج 4 ص 231

8- الآية 161 الأنعام

9- الآية 28 الدخان

10- البغوي: منهاج السنة: ج 5 ص 271

وهذه الاستدلالات ومثيلاتها يغلب عليها الطابع العلمي، فهي من قبيل إجتهااد الصحابة - رضي الله عنهم - وهي مخلقة الموضوعات فمنها ما ينصرف الى الجانب العقيدي ومنها ما ينصرف الى المباحث الفقهية ومنها ما هو ضمن فضائل الاعمال والدعوة الى الترغيب في عمل الصالحات.

والنص القرآني كان حاضرا في حياة الصحابة العلمية والعملية ففي محاجاتهم لبعضهم البعض ومناظراتهم وخطبهم كان النص القرآني هو الشاهد على أحقية القول وصدقه وهو كثير في أقوالهم - وهم في ذلك مقتدين بالنبي - صلى الله عليه وسلم - في كلامه عن ابن عمر - رضي الله عنه - قام يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة فحمد الله وأثنى عليه وساق خطبة الى أن قال : «يا أيها الناس إن الله عز وجل يقول : (يا أيها الناس إن أخلقناكم من ذكو وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم، إن الله عليم خبير.) (1) ثم قال صلى الله عليه وسلم - : أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. (2) وهذا الاستشهاد كثير في خطبه - صلى الله عليه وسلم - وخطب الصحابة رضي عنهم حافلة بالشواهد القرآنية. عن عبد الله بن حكيم قال : «خطبنا أبو بكر (3) - رضي الله عنه - فقال: أما بعد فإنني أوصيكم بتقوى الله وإن تشنوا عليه بما هو أهل وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الانحاف بالمسألة فإن الله أثنى على زكرياء وعلى أهل بيته فقال : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)» (4). وتستمر الخطبة في الترغيب والترهيب الى النهاية.

وخطب سجدنا عصر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال بعد الحمد والثناء على الله : «أبها الناس إن بعض الطمع فقر وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وأنتم مؤجلون في دار غرور، كنتم على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تؤخذون بالوحي فمن أسر شيئا أخذ بسريرته ومن أعلن شيئا أخذ بعلائته فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فإن من أظهر لنا شيئا وزعم أن سريرته حسنة لم تصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق (وانفقوا خيرا) لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (5) أبها الناس... (6) الى نهاية الخطبة.

1- الآية 13 المبررات

2- محمد يوسف الكاندهلوي : حياة الصحابة ج 4 ص 401

3- المصدر نفسه : ج 5 ص 435 عن الحلية ج 1 ص 35

4- الآية 90 الأنبياء 5 الآية 16 اللعنات

6- المصدر السابق : ج 3 ص 451

و خطب عثمان بن عفان (1) -رضي الله عنه- فقال : «إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتتركوها إليها ، إن الدنيا تفتنى والآخرة تبقى فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على ما يفتنى فإن الدنيا منقطعة وأن المصير إلى الله إنتقروا الله جل وعز فإن تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا من الغير والأزمو جماعتكم ، ولا تصيروا أحزابا . (واذا صرنا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته [خوانا] » (2)

وخطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : «عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته وإنه إن كف يده عنهم كف يدا واحدة. وكفوا عنه أيد كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم حتى لربما غضب الرجل للرجل وما يعرفه الا بحسبه ، وسأتلوا عليكم بذلك آيات من كتاب الله فتلا هذه الآية : (لو ان لي بكم قوة او اومي الي ركن شديد)(3). «

قال علي بن طالب ، والركن الشديد العشيرة فلم تكن للوط عشيرة فوالذي لا إله إلا هو ما بعث الله نبيا قط بعد لوط الا في ثروة من قومه وتلا هذه الآية . **انا لنراك فينا** (4) - (ولولا رهطك لرجمناك)(4)

قال علي : فوالذي لا إله غيره ما هابوا جلال ربهم الا العشيرة. (5) .

وهكذا كل خطب الصحابة رضوان الله عليهم والائمة منهم، والقادة والعلماء وحتى الخطب العامة كخطب النكاح وغيرها فهي :

«مرتبة الاجزاء ترتيبا منطقيا مقدمة ثم عرض ثم استدلال ثم نتيجة وكل هذه أجزاء». (6) والخطب كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم -والصحابة موشاة بالآيات والاحاديث والحكم والامثال وأصبح الاستدلال بالقرآن وغيره. وللقرآن الدرجة الاولى في الاستدلال أصبح هذا تقليدا في الخطبة حتى عد الخروج عنه من الخرق للبلاغة.

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر «فمن أوصاف الخطابة أن تفتح الخطبة بالتمجيد والتحميد ، وتوشح بالقرآن ، وبالسائر من الامثال ولذلك يسمون كل خطبة لا يذكر الله في أولها : البترا مكل خطبة لاتوشح بالقرآن والامثال الشوهاة». (7) ويقول في حكمة الخطب ذات

1- محمد الكاندهلوي : حياة الصحابة ج 3 ص 451

2- المصدر نفسه ج 3 ص 463

3 - الآية 80 هود

4- الآية 91 - 92 هود

5- المصدر السابق : ج 3 ص : 464/463 وعن كنز العمال ص 250

6- عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة واعداد الخطيب دار الشروق ط 1407/2 هـ 1986 ص 30

7- ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، كتاب نقد النشر ط 1400 هـ 1388 بيروت لبنان ص 95

الاستشهادات : « فإن ذلك مما يزين الخطب عند مستمعيها وتعظم به الفائدة فيها ». (1)
والآيات الواردة في خطب الصحابة رضوان الله عليهم والتي جاءت في معرض الاستدلال
تنصرف في أغلبها إلى الوعظ والتذكير جاء عبد الله بن عباس حتى قام على رأس قاص
بالمسجد فقال له : ذكر بالله، وذكر لله. (2)

كما تأتي هذه الخطب لأغراض سياسية وعسكرية كما هو الحال لدى الخلفاء والأمراء وقواد
الجيوش ولم تخل هذه الخطب من الشاهد القرآني فقد ألزم سيدنا أبو بكر بسقيفة بن ساعدة
الانصار حينما إستشهد في خطبته بقوله تعالى حيث قال « وقد مننا في القرآن الكريم فقال
تبارك وتعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين إتبعوهم بإحسان) (3)
فنحن المهاجرون وأنتم الانصار.. » (4) وتأتي الخطب علمية تعليمية فتصرف إلى تعليم
مختلف المعارف والعلم ومنها التفسير، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفسر السورة
على المنبر قراءة وعلماء وعلى هذا المنهج سار الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن جاء بعدهم
من السلف الصالح.

ومن الاستدلال القرآني ما ذهب مذهب التمثيل ، فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم -
يتمثل بالآيات ، ففي موقفه من قومه تمثل بما قاله سيدنا يوسف عليه السلام (لا تشريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم). (4)

وقد تمثلت عائشة -رضي الله الله عنها -في بلوها في حادثة الافك بقول سيدنا يعقوب عليه
السلام : (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) (6)

وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قيامه الليل يتمثل بقوله تعالى :
(إنها أشكوا بشي وحزني إلى الله). (7)

ولما سمع سيدنا علي بخبر مقتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه -وقيل له : قد ندم القوم على
ما فعلوا ثم قرأ : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بربهم). (8) ولما سمع
سعد وهو في حائطه قرأ (الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا). (9)

1- أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، كتاب نقد النثر ط 1400 هـ 1388 بيروت لبنان ص 95

2- أبو الفرج بن الجوزي : كتاب القصاص والمفكرين لمحقق د. مارلين سوارتز ص 35 ط 1986

3- الآية 10 التوبة 400

4- الاستاذ عبد الجليل عبده شيلي : الخطاب وأعداد الخطب ص 189/190

5 - الآية 92 يوسف 6 - الآية 18 يوسف 7- الآية 86 يوسف

8- الآية 16 الحشر

9- الآية 104 الكهف

ولما سمع الزبير نبأ مقتل عثمان إنسر له . فقبل له إن القوم نادمون فقال : دبروا ودبروا (وحيل بينهم وبين مايقْتنون) (1) وأتى الخبر طلحة . فقال : رحم الله عثمان! وانتصر له وللإسلام . وقيل له إن القوم نادمون. فقال : تبا لهم .وقرأ (فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون). (2)

هذه عبارة عن إستشهادات من الصحابة على حالات مختلفة و هي في عمومها تبلور حقيقة إستدلال الصحابة بالقرآن الكريم . و ما يمكن إستخلاصه من كل ما سبق هو أن : القرآن الكريم أنزله الله ليتدبره عباده فيلتزموا أمره ويسيروا على هدايه، ومن تدبره التزمه في الحياة كحجة له أو عليه.

وقد اعتبره المسلمون حججتهم في في الدين والدنيا ، وظهرت حججه على السنة خلقه فكانت براهينه قاطعة؛ ومن احتجوا به السلف الصالح لالتزامهم الاتباع واجتنابهم الابتداع ولقربهم من عهد النبوة من القرون المشهود لها بالخيرية.

وقد تجسد منهج السلف الصالح في الصحابة المرضي عنهم من الخلفاء الراشدين ومن علمائهم -علماء الصحابة- وعامتهم الذين شهدوا التنزيل، وحضروا مجالس الرسول - صلى الله عليه وسلم - فحملوا وحفظوا ورعوا ومنهم من فقهه، ومنهم من بلغ لمن أفقه منه.

وعلى هذا الدرب صار أصحاب المذاهب المشتهرة، والمذاهب المندثرة ومن أبتغ في العلم من العلماء الهداة الصالحين. وهؤلاء جميعا اثرت عنهم فهوم للقرآن الكريم برزت في استدالات تعود الى أمرين هامين :

اولهما : روايتهم للمنقول ، واستيعابهم لصريح المنقول .

ثانيهما : اجتهادهم في فهم هذا المنقول صريحة، ومؤلة وظهر ذلك في شروح و تفسيرات.

واعلم الناس السلف، ومنهم الصحابة ومن الصحابة الخلفاء الراشدين ومنهم الشيخان، واعلم ، وأنهم ، وانصح الجميع ابو بكر الصديق لطول صحبة هذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وملازمتها له وهم وزراؤه.

وقد اثبت الايام أنهم انصح الامة. وأعلم في واقفهم المشهودة وعلومهم الماثورة. وتعاملهم مع كتاب الله تجلى في علمهم وعملهم، أما عملهم فمنه التفسير : وتفسير الصحابة أصح تفسير بعد تفسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن تفسيراتهم، تصويبههم للمفهوم الخاطي . واحتجاجهم به .

استدلالهم : استدلال الصحابة اقوى استدلالا لروصحة وأصوبه وهذا ما صمنا في الآتي :

1 الآية 54 سآ

2 الآية 49 بس

ضوابط استدلال الصحابة وطرائقه :

ويمكن اعتبار الاستدلال عند الصحابة من جنس الاستدلال عند النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو أصلا ضابط لاي استدلال بعد اذ بنصه وروحه من القواعد الاساسية في الاستدلال لم يريده وهذا يعود ل :

1- علم الصحابة : فعلمهم بالكتاب وما يتعلق بالكتاب من علوم وعلمهم بالسنة وعلاقتها بالكتاب، وما يتعلق به. وعلمهم بمقتضى اللسان العربي وما يستتبعه من طرائف التعبير. وضروب الكلام. مع كونهم عرب أقحاح الاحيان وعلمهم بالاحكام الشرعية لمعرفة ظاهرة في أغلب معاملات أو عبادات. وكذلك سلامة عقيدتهم ونقاوة سريرتهم وحسن ادبهم وتحلقهم فضلا عن تقواهم وورعهم وغير هذا من مقتضيات فهم التنزيل كانت لديهم.

2- فهم الصحابة كل ما سبق وقربهم من النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل كل شيء ومعاشيتهم للنبي وللتنزيل . مع بعدهم عن التكلف والمعاضلة، والتزامهم كتاب الله وسنة رسوله ومنهج علماءهم. واجتماعهم على النصح لهذا الدين في كابه وفي اتباع سنة نبيه وفي النصح لامتهم ، ويعدهم عن الفتن ما ظهر منها وما بطن كل هذا وغيره مما يسير في منحاه ويندرج ضمن هذا المنحى جعلهم أفهم لكتاب أعرف لما يتفق ونصه في التفسير ، وروحه في التأويل فراحوا في انسجام عنه بل ظل القديم يتجدد والجديد يمتد بسبب قوري الى القديم.

فهذه أهم المقومات في استدالات الصحابة رضي الله عنهم فصريح المنقول مع صحيح المعقول. ومن هذا المنطلق ، كانت طرائق استدالاتهم من جنس التفسير ذاته تحكمها النصوص النقلية من كتاب وسنة في داخل وتكامل، وتحكمه هذا الاستدلال في الطرائق ضوابط علمية علوم متعلقة بالكتاب، وعلوم متعلقة بالسنة، وعلوم مشتركة بينهما وعلوم اخرى - وإن لم تتبلور في قواعد مستقلة- كوسائل لهذين الاصلين كل هذا مع عقل سديد رشيد ونفس طيبة، وفترة سليمة نقيه وبصيرة نافذة فكانت طرائق الاستدلال هي الاخرى من جنس المقومات.

معطيات استدلال الصحابة :

كانت نواذج استدلالهم نتائج مرضية تلقاها علماءهم بالقبول وتلقاها الناس بالرضا والقبول وانصرفت الى :

أولا : تبليغ ما استأمنهم عليه رسول الله وأوصاهم بتبليغه فالعلماء بلغوا العامة سمعوا، وما غاب عن بعض علمائهم استدركه عليهم البعض الاخر.

ثانيا : اجلاء لبعض ما غمض فهمه على الناس من العلماء الراسخين في اجتهاد مستوف لشرائطه اجتهاد لقي موافقة من مجتهدين فأل الى اجماع .

وقد اجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الاصول واختلفوا اختلاف تنوع في الفروع والجزئيات.

ثالثا : بينوا لمن يأتي بعدهم بعملهم طرائق الاستدلال الصحيحة في عناصرها واشكالهم حتى يبقى الاجتهاد متكررا متجددا كلما دعت الضرورة لذلك.

رابعاً : اثروا بعلومهم فهومهم الصحيحة ساحة العلم والبحث فخدموا من جاء بعدهم ومهدوا لهم السبل فبنى الاحق على قول السابق.

وما نختم به هو أن استدلال الصحابة -رضي الله عنهم- بالقرآن ينصرف الى الجانب الاجتهادي فيه ، وذلك بتفسيره حسب الوقائع والمستجدات واحياء دوره في كل المجالات وفق المنطلقات العلمية والمقتضيات الحالية.

عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

المبحث الأول

المطلب الأول : الاستدلال بالقرآن الكريم عند اهم الفرق و اصحاب

المذاهب:

ما يمكن ملاحظته من خلال القرآن نفسه، انه فتح الباب للمجتهدين ، وذلك لما تضمنه من حقائق علمية لا يمكن ادراكها الا ببذل الجهد والوسع.

فقد حوى من الايات ما هي عامة والى جانبها ما هي خاصة، ففي القرآن العام كما فيه الخاص ، وفيه المطلق كما فيه المقيد ، وفيه المحكم كما فيه المتشابه. ومن الايات ما لها سبب نزول ومنها ما يتعلق بها من الاثر ماهر بمشابه سبب النزول كقول الصحابة نزلت في كذا وهم يقصدون الموضوع او الحكم الذي تدور حوله لايات، والقرآن حوى الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني واصنافا كثيرة من هذا القبيل (1)، وكل هذه الامور تقتضي بدهة علاقة معينة، والنظر العجلى والعامة توحى أن بين الايات شيئا من التناقض.

غير ان التعمق في دراسة هذه النصوص ، ومعرفة حيثياتها وما يتعلق بها من قرائن نقلية أو عقلية أو حالية أو سياق وضع ، يؤدي الى تألف النصوص قصد اكتمال المعنى.

وتفسير الايات بعضها لبعض، وادراك حقيقة كل نص على حدة حتى يتضح امره ويتبين الحال الذي يصح فيه الاستدلال بهذا النص ، وفق الضوابط الصحيحة العلمية والمنهجية.

وهذا ما يدفع الى الاجتهاد في القرآن، أي في فهمه ، وهذا مجال الدراسات القرآنية ومجال التفسير، والاستدلال وان فهم النص القرآني على حقيقته يعود أصلا الى :

1- معرفة تاريخ النزول، وما احاط به من سبب ، وحيثيات تتعلق بالنزول

2- معرفة ماتضمنه النص من حقائق علمية «نسخ، تقييد، تخصيص..»

وعلى هذا المدار يكون الاجتهاد ان في تحقيق سند النص فيما يتعلق بذلك أو في تحديد موضع الدراسة والاستدلال ، أو التفسير .

وهذا ما ثم في عهد الخلافة وعهد الصحابة وتبلورة جليا في عهد المدارس والمذاهب وحتى الفرق. وحقيقة علم القرآن أوسع من أن يحيط بها مذهب أو فريق أو صنف من العلماء لان القرآن - كما قيل - صنوف وأصناف (2).

1- براجع الاتقان في علوم القرآن ج 3 صفحات 5.....98

2- جمال الدين القاسمي : التفسير ص 169 يتصرف طفيف

1- صنف لا يعقل معناه أصلا . وهذا مما استأثر الله بعلمه كالمقطعات من الحروف الانتحاجية في السور، « ألم، ق ، كهيعص... » وبعض المتشابه، وما يصدق عليه قوله تعالى : (...) وما يعلم تاويله إلا الله) على قراءة الوقف هاهنا .

2- وفيه ما يعرفه الجمهور

3- وفيه ما لا تعرفه إلا العرب

4- وفيه ما لا يعمله إلا الراسخون في العلم، على قرآءة - (وما يعلم تاويله إلا الله والراسخون في العلم) .

وكل هذه الاصناف موجودة في القرآن ، وفي التفسير بالاختصاص ويتجلى هذا التشعب في الآراء عند الاحتجاج على الدعاوى والمعاني فكل يزعم صحة مذهبه وصدق ادعائه ويتخذ من النص القرآني شاهدا على هذا الزعم. ولهذا تتضح ظاهرة الاختلاف التي يضيق بها البعض ذرعا ويراها مظهرا من مظاهر التناقض، وإذا ما أردنا حصر الظاهرة فاننا نجد فيها نوعين لثالث لهما .

1- اختلاف تنوع

2- اختلاف تضاد (1)

والدراسة المتعمقة هي التي تحدد نوعية الاختلاف

فاختلاف التنوع ناتج عن حالات يمكن اجمال اهمها في الآتي

1- طبيعة السؤال، فقد يسأل الصحابي عن جزء من الحقيقة في النص القرآني، وقد يأتي الجواب من النبي صلى الله عليه وسلم - أو بمن أجاب من جنس طبيعة السؤال كما قد يكون السؤال منصرفا الى جانب دون آخر ويكون الجواب كذلك.

فلا مانع من ظهور جوانب أخرى لبقية الجوانب أو الأجزاء ، ولا يعني هذا تناقضا ابدا فهو اختلاف تنوع ونظير هذا كثير.

2- طبيعة اللفظ فالكثير من الفاظ اللغة تحمل اعدادا : المعنى وتقبضه « مولى، سليم، قروء... » ويكون التفسير أو الاستشهاد مرة حسب المعنى ، ومرة ثانية حسب تقبض المعنى وهذا النوع كثيرا أيضا في القرآن الكريم، ولا يحدد إلا بقرينة نقلية، أو حالية.

3- كما يكون التضاد متوهما وغالبا ما يكون في ذهن الدارس لاسيما إذا انطلق من فرض معين فمجرد الرجوع الى الأدلة النقلية يزيل هذا التوهم.

هذا إذا لم يكن ناجما عن هوى معين .

ب- اختلاف التضاد : إذا ثبت أن الاختلاف اختلاف تضاد، فلا بد من تحديد نقطة

1. جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن

9 جمال الدين الفاسمي محاسن التأويل... 109 17 8 1

الاختلاف اهي في السند، او في المتن ، او فيهما معا ، هذا اذا كان في غير القرآن. ومادام حديثنا ينسرف الى الاختلاف في القرآن فانما يكون التحديد في الدلالة، لاني الشبوت وهنا يمكن صرف هذا التضاد الى امرين :

اولهما : تحقيق الرواية ، قد تكون رواية شاذة فلا يؤبه بها، اما اذا كانت رواية آحاد فقد تدخل في النصوص التفسيرية اما الرواية المتواترة والمستفيضة فهي الشاهد.

ثانيهما : تحقيق الفهم، والعلم فقد يحمل الراوي النص ولا يعلم فقه النص او يقع له الوهم والخطأ فقد قال عليه الصلاة والسلام، فلرب حامل فقه ليس بفقيه، وقد خالف حاتم بن عدي الطائي فهمه حقيقة النص القرآني في قوله تعالى ، حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود فما كل فهم مقرون بنص يقبل، فالرجال يعرفون بالحق، وليس الحق يعرف بالرجال قال مالك -رضي الله عنه- كلكم راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر-يعني الرسول- صلى الله عليه وسلم (1)

وقلما يصل تضاد الى درجة ان يسلم معها من كل هذه الحقائق العلمية.

وكل هذه العوامل اثرت على الاستدلال وجعلته مختلفا اختلافا تضادا او اختلافا تنوع من عهد الصحابة فالتابعين فتابعي تابعيهم من أصحاب المذاهب والمدارس ومن بعضهم جاء من فرق اسلامية، ومارقة عن الاسلام.

فعلي هذا تكون عوامل اختلاف الاستدلال وتنوعه محصورة في

-الاختلاف المستند الى رواية، فهو نقلي اكثر من اي شيء.

-الاختلاف المستند الي فهم او موقف او رأي.

-الاختلاف المستند الى اجتهادات مذهبية.

-اختلاف ناجم عن تنازع او مما يندرج تحت ما اعترى الامة من فتن وصحن او مكائد اعداء، او

قوى خارجة عن الامة وسبب اناس لم يعيشوا النزول واسبابه . فقد قال عمر بن الخطاب

-رضي الله عنه- يوما هذه الامة ربهما واحد وتببها واحد، ودينها واحد، فكيف تختلف؟ فقال

ابن عباس ياأمير المؤمنين هذا القرآن انزل فينا وعلمنا على من أنزل ، وفيه انزل ولم انزل؟

فيأتي اناس فيقرؤونه ولايعرفون كل هذا فيختلفون ، فنهروه عمر، ثم دعاه مرة أخرى وقال له

اعد علي ما قلت ، فأعاده فقال نعم هو كذلك (2) .

وهذا الاختلاف تبلور في :

أ- فرق اسلامية، وأخرى مارقة عن الاسلام.

1- مالك بن أنس الأصبحي وفي رواية: ليس أحد بعد النبي إلا وثقند من قوله ويترك إلى النبي
2- جمال الدين القاسمي : التفسير ص 28 / نسب هذا إلى مالك «المجموع: ابن عبد البر: 91/4

ب- مذاهب فقهية مشتهرة وأخرى مندثرة.

ج- مدارس علمية ان في اللغة وقواعدها وفي المعارف الدينية واللغوية معا. يقول الشهرستاني : «ان اهل العلم أنقسموا من حيث المذاهب الى :

1- أهل الديانات

2- وأهل الاهواء...» (1)

ومن ثم فهذه الاختلافات تبلورت في الاتي

أ- فرق : عبارة عن جماعات اتخذت اراها كعقائد او مبادئ. أسست عليها الشرائع والاداب وكل المعارف وتميزت عن غيرها بذلك ومن الفرق ما كانت اراؤها ومبادئها خلاقات في الرأي والمواقف .

لم ترق الى مستوى القلح في العقيدة او الخروج عن الملة.

غير ان من الفرق من أنكر حقائق دينية تقدر في عقيدته، وتخرجه عن الملة، وعن الجماعة وسميت هذه الفرق بالفرق غير الاسلامية، يقول الشهرستاني. «... فان الانسان اذا اعتقد قولاً فاما يكون مستفيداً من غيره او مستجداً برأيه فالمستفيد من غيره مسلم مطيع والدين هو الطاعة . والمستبد برأيه محدث مبتدع» (1) . وهو يقصدها هنا من يتبع في عقيدته النقل ويتبع الادلة الثقيلة.

اما من يبتدع فهو من يتخذ من الاراء المبتدعة عقيدة ومذهباً. وكل هذه الامور استعان أصحابها في اثباتها أو نفيها بأدلة ثقيلة أو عقلية، واستعملوا في ذلك أنواع كثيرة ومختلفة من الاستدلال .

وهذا ماسمى بالاستدلال عند الفرق الاسلامية وغير الاسلامية.

ب- اما المذاهب فهي البلورة العملية لكل ماسبق من اجتهادات علمية في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة ، وأراء وأفضية وفتاوى الصحابة والتابعين وكل هذه المادة هي التأصيل العملي والتعبد الفعلي للمذاهب الفقهية.

لما احتاج الناس الى هذه المادة العلمية = لعوامل مختلفة= قام علماء وفقهاء بجمع هذه المادة، وترتيبها وتبويبها. والاستدلال على أفضيتها وموضوعاتها بالادلة المناسبة، والاجتهاد لما اقتضى الحال لاجتهاد فيه، وفق اصول معينة وطرائق متبعة، وهذه المذاهب - مشهورها ومندثرها- هي مذاهب سنة وجماعة لان اصحابها يرجعون بها الى الكتاب والسنة، ولكن كل أهل مذهب يتأولون الكتاب والسنة تأولا خاصا ، ويستدلون بالكتاب والسنة وفق هذا التأويل .

1- الشهرستاني: الملل والنحل ج 1 ص 37

ج- مدارس علمية :

وقد ظل العلماء يجتهدون من أجل جمع العلوم الدينية وتدريبها والسعي للحفاظ على الآثار والسنن لحفظ اللسان وتيسير القواعد للناس حتى يمكنهم ان يفهموا السنن، ويقرؤوا القرآن ولا يلحنوا في قراءته. وقد ظهر علماء شدد اليهم الرجال قصد العلم والمعرفة غير ان ما وقع بين هؤلاء من خلاف لم يرتق الى مستوى الآراء والمذاهب، والمدارس المختلفة ولم يؤثر على مجريات حياة الناس، لانحصار كل هذا في حواضر علمية وفي علماء معينين وفي آراء علمية صرفة وفي علوم عدت وسائل لا غايات. مثل قواعد النحو واللغة والبيان وغير ذلك. أما الفرق والمذاهب فكان لها الاثر الكبير في حياة الناس العلمية والعملية معا ويمكن حصر أهمها القضايا الاختلافية فيما بين هؤلاء في الآتي:

المطلب الثاني :

أولاً: خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم-

أهم خلاف تفرق الناس على إثره الى مذاهب وفرق، كان حول من يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم- والنظر الى هذه القضية الاساسية .

أ- فقد رأت جماعة المسلمين ان الخلافة شورية بين المسلمين وأن النبي صلى الله عليه وسلم- لم يلزم المسلمين برجل معين، وان ثبت عنه بالاشارة وبالتلميح تزكية ابي بكر، ثم عمر فعثمان ويذكرون في اثار عليا. (1)

وقد وقف الصديق في سقيفة بني ساعدة

مستدلاً على أهلية المهاجرين بهذا الامر بقوله تعالى : (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان).

ومستدلاً على أن هذا الامر في قريش بقوله -صلى الله عليه وسلم- (الاتمة من قريش).

وقد تأسس على هذا الاستدلال مذهب السنة والجماعة واراؤهم السياسية .

ب- ورأى أناس آخرون ان الاولى بالرسول صلى الله عليه وسلم- إنما هو علي فهو وصيه ومولاه ويستدلون على ذلك بأدلة معظمهما لا يصح وما صح منها لا يعمد اثبات مناقب علي، وأخوته للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يرفعه عن سواء ابدا مثل الشيخين.

ورأ هؤلاء الناس ان الامامة في علي وبنيه (وفي بنيه اختلاف) وهؤلاء هم الشيعة.

ج- والخوارج بعد خروجهم على علي -رضي الله عنه وكرم الله وجهه - رأوا ان الخليفة يمكن ان يكون من عامة المسلمين ولا بشرط فيها النسب القرشي. ومن سوى هؤلاء من الفرق لا يخرجون عن هذه الآراء.

1- ابن حجر العسقلاني : فتح الباري لشرح صحيح البخاري مناقب الصحابة.

وقد دار الخلاف حول الخلافة: هل هي وظيفة تقوم مقام صاحب الشريعة، أم هي من مستلزمات الإيمان، وهل تثبت بالعقل أم بالشرع وهكذا، فالمعتزلة تخالف السنة وترى أن نصب الخليفة غير واجب بالنص النقلى الشرعى وإنما هو واجب بالعقل. وما يمكن استخلاصه فى هذه النقطة هو أن هذه القضية اثار جدلا كبيرا بين المسلمين مذاهب وفرقا واسالت الكثير من العبر، ولجا كل فريق الى إثبات دعواه بالدليل النقلى، مستدلين على ذلك بالقرآن تفسيراً، وتأويلاً، تصريحاً، وتلويحاً. ويمكن اعتبار هذا الاختلاف فى ظاهره اختلافاً سياسياً غير أنه فى جوهره اختلاف ينى، وعلمى.

ثانياً: مسألة مرتكب الكبيرة.

اختلف الناس فى مرتكب الكبيرة، فى وصفه وفى الحكم عليه، وفى حاله: أمخلد فى النار أم غير مخلد؟

ويعتبر اختلاف واصل بين عطاء مع استاذة الحسن البصرى أهم خلاف فى التاريخ إذ نتج عن هذا الخلاف، اعتزال واصل للحسن البصرى - حيث لقب بهذا الاسم بعده - وبنى على هذا الموقف رأياً يخالف فيه أستاذة ثم تأسس على هذا الرأى مذهب كامل اعتمد اصولاً خمسة هي:

1- العدل.

2- التوحيد.

3- الوعد والوعيد

4- المنزلة بين المنزلتين.

5- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتأسس على هذه الاصول مذهب كلامى كامل هو مذهب الاعتزال أو المعتزلة اعتمد العقل وسيلة وغاية فى آن واحد واخضع العقائد ذاتها للعقل، فالإيمان بالله يتم بالعقل ومعرفة الله تتم بالعقل، وتجب بالسمع وان الحسن والقيح يتم معرفتهما بالعقل، وتعامل مع كل القضايا العقيدية والشرعية والفكرية وفق أصولها ومنهجها... فإن كان المنطلق فى مقترف الكبيرة فان المنتهى مذهب كامل له ما له وعليه ما عليه فى تاريخ الثقافة والفكر الاسلاميين.

وحتى الخوارج ذانهم خالفوا الجماعة والسنة فى مرتكب الكبيرة وهم فى ذلك بين من يحكم بكفر مرتكب الكبيرة ومن يحكم بشركه، ثم هم فى معنى الكافرين قائل بكفر الجحود وقائل بكفر النعمة.

والخوارج فى استدلالهم على كفر مرتكب الكبيرة يوردون «قضية إبليس» فيقولون انه كان عارفاً بالله ومطيعاً غير أنه ارتكب كبيرة هي امتناعه عن السجود فاستوجب بذلك التكفير

وأشد فرق الخوارج في هذا الامر الازارقة التي تعتبر مقترب الذنب كبيره وصغيره ، ما يغفر وما لا يغفر شركا . (2)

وهذه النقطة منعطف كبير في تاريخ الامة الاسلامية وفي الفكر الاسلامي اذ عليها انبتت كثير من المواقف، والاراء كما ان الكثير من الاستدلالات القرآنية دارت حول هذه النقطة (الشرك ، الكفر، الفسوق) اثباتا ونفيا، ونتجت عن هذه الاستدلالات احكام ومواقف، مست الانفس والدماء والاموال ، والاعراض، كما أدت الى حروب وفتن بين المسلمين .

وقد وردت اراء لفرق اخرى حول هذه النقطة لا ترقى الى ما ذكر. وان وصلت الى تأويل قريب من تأويل الخوارج والمعتزلة فلم يشهد لمعتنقيها الاثر الذي احدثه الفريقان السابقان.

ثالثا : قضية الجبر والاختيار:

وقد نشأ هذا الاعتقاد كبدعة اولاً، ثم ان القرآن بما فيه من آيات يوحي ظاهرها بالجبر، وآيات اخر يوحي ظاهرها بالاختيار ، وهذه الايات تناولت قضية الحرية الالهية والحرية الانسانية، ونشأ نتيجة البحث فيها اتجاهان متعارضان :

1- الاتجاه الجبري : ويمثله جهم بن صفوان (3) يقول : بعدم قدرة الانسان على الفعل اصلا، وينفي صفات الله.

2-الاتجاه القدري : ويمثله معبد الجهني(4) ويقول : بقدره الانسان على افعله وحرية في اختيارها .

وقد انطلق هذان الاتجاهان من القرآن، مستدلان على ما يزعمانه بآياته.

ففي القرآن شواهد متعددة تظهر الجبر، كما تظهر التفويض، تظهر التسخير، والامكان والوجوب، واحيانا التعارض بين الامرين بحيث تنسب الافعال الى العباد تارة، وتارة الى الملائكة، وتارة الى الله.

فإن كانت المعطيات العامة والنظرة السطحية تقتضي التعارض فإن التعقق والغوص في المعطيات الخاصة والدقيقة لا يبدل عليه ابدا . فنظرة هذه الفرق « 1 » ، « 2 » الاحادية. وانطلاقاتها من آراء مذهبية هي التي أوقعتها في هذا التعارض .

والظاهرة الاستدلالية في الاتجاهين ملحوظة وهي كثيرة في ثقافتنا الاسلامية وفي بعض كتب التفسير.

1، 2- عمار الطالبي: آراء الخوارج ص 124 دار العلم للطباعة رقم الابداع 1971/2728 الناشر المكتب

المصري الحديث

4 - معبد الجهني « 80هـ »

3- جهم بن صفوان ، ت 128 ،

وبذور بدعة الجبر والاختيار يعود ظهورها الى العهد الراشدي وان لم تكن بارزة ، اذ لم تسجل الا حادثتين .

اولاهما : يروي ان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- اتى بسارق ، فقال له : لم سرقت ؟
فقال : قضاء الله .

فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقطعت يده ، وضرب أسواطا . (1) فقيل له في ذلك .
فقال : القطع للسرقة ، والجلد لما كذب على الله .

ثانيهما : على اثر رجوع علي من قتال اهل الشام جاء شيخ فسأله عن مسيرهما قائلا : «أكان خروجنا هذا قضاء وقدر ام لا ؟ فأجابه علي بن طالب -رضي الله عنه - بما اقنعه بأن الخروج كان قضاء وقدر» . (2)

وقد سمع عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- بمن تكلم في القدر فشهد بالبراءة من الفكرة وصاحبها . لكن هذه الآراء لم تكن بحد ذاتها مذهباً ، ولم تتأسس هذه المذاهب الا بعد ان تبلورت هذه الآراء في فرق «الجهمية والقدرية...»

ولقد كان لهذه المذاهب والفرق كبير الاثر على الحياة الاسلامية ، وتجلى هذا الاثر في الفلسفات التي انتجتها هذه الفرق وفيما انطوت عليه من الاستدلالات الكثيرة بالقرآن واصبحت سمة في الثقافة الاسلامية في جانبها التراثي وفي الكثير من افكار الناس وسلوكات بعض المتعبدين منهم وخاصة الفرق الصوفية .

رابعاً : الخلافات الفقهية الاجتهادية:

والاختلافات الفقهية معلومة لدى الصحابة -رضي الله عنهم - والتابعين وتابعي التابعين ، فقد اختلفت الفهوم والآراء والفتاوى والاقضية وهذا يعود لعوامل شتى ومتنوعة.

وقد تفرق علم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الامصار كما انتشرت علوم الصحابة كذلك بعد أن أذن لهم عثمان في الخروج من المدينة .

وما المذاهب الفقهية الا التدوين العملي ، والتبويب لهذا الفقه وما اقتضته الضرورة والحاجة . وكل هذه الآراء الفقهية والاقضية نابعة من اصول اصيلة من كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم - او من علم السلف وآثارهم .

ولقد كان لهذه الآراء الفقهية (3) الاثر الكبير في التفسير؛ فبعد الجمع والتأصيل والتفعيد.

1- الامام محمد ابوزهرة : مالك بن انس رضي الله عنه - حياته عصره واراؤه وفقهه ص 150 دار الفكر العربي
دار الثقافة ت 16724 - للطباعة العربية

2 الامام محمد ابوزهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية في العقائد والسياسة ج 1 ص 12

3- احمد أمين: فجر الإسلام ص 248 ج 1 ص 1 د الكتاب العربي بيروت لبنان .

جاء من لا يرى للرأي الفقهي قوة أو قيمة إلا بالدليل النقلى فاحتاجت هذه الآراء الى أدلة من القرآن والسنة ومن ثم عرفت المباحث الفقهية الاستدلال الفقهي. ويمكن حصر العلاقة بنى الآراء الفقهية والنص القرآنى فى الآتى:

أولا كان الفقهاء يستنبطون الاحكام والفقه من النص القرآنى والحديثى .
ثانيا: الاستدلال على المباحث الفقهية والآراء بالنصوص النقلية.

-الاستدلال بالقران.

-الاستدلال بالسنة.

ومجال بحثنا هو الاستدلال بالقرآن فى الجانب الفقهية وأثر الفقه على الاستدلال بالقرآن الكريم، والمباحث الفقهية والشريعة زاخرة بهذا النوع .من التفاسير ما نحا أصحابه هذا المنحى (1)

خامسا: ظهور الرأي والامتداد به

أثر الرأي على الاستدلال بالقرآن الكريم.

ما يمكن الجزم به هو ان السلف الصالح كانوا يحذرون الرأي ولا يقدمون بين يدي الله ورسوله. ولا يكونوا الرأي منهم الا نادرا وفى مواطن معدودة.

ولكن عند استعراضنا قضية الرأي فى جوهرها نجد الناس قد انقسموا الى فريقين:

1-فريق لا يؤيد استعمال الرأي

2- فريق يؤيد استعمال الرأي

ولكل أدلته التى استدل بها ويمكن ان نذكرها فى الآتى:

أ-استدلالات المانعين:

1-قوله تعالى : **(ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا).** (2)

2-وقوله تعالى: **(إزما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن واللاثم والبغى بغير**

الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون). (3)

فعلى مذهب هؤلاء المستدلين، الجملة **(وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)** (3)

معطوفة على قوله تعالى: **(قل حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ...)** (3)

3- وقوله تعالى: **(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)** (4)

1-القرطبي وتفسيره: الجامع لاحكام القرآن مثلا

2- الآية 36 لإسراء

3- الآية 33 الامراف

4- الآية 44 النحل

ومن السنن قوله صلى الله عليه وسلم - : « من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ». وقوله : « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » .

ب- استدلالات المجيزين للرأي في القرآن الكريم :

وفي الجانب الثاني نجد الداعين الى الاستدلال بالرأي يقدمون ادلة منها قوله تعالى :

1- (أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها) (1)

وقوله تعالى :

2- (ولو ردوه الى الرسول ^{بمعول} ، والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم). (2)

والايات في هذا الموضوع كثيرة منها ما تلمح، ومنها ما تصرح. اما من السنة ، فقد استدلوا بدعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس في قوله (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).

ولو كان النهي الاصل، ماكان للدعاء اي معنى.

وقد فسر الصحابة القرآن ولم يكن كل مافسروه سمعوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم- فالترجيح يقتضي منا حصر ما سبق في أدلة المنع والجواز في عنصر، ثم النظر في موضوع المنع وحدوده ومرضع الجواز.

1- النهي عن القول بالرأي في القرآن.

2- الاذن بالقول بالرأي في القرآن.

والنهي انصرف أصلا الى :

- تحديد موضع النهي والمنهي عنه.

فهناك من القرآن ما هو من علم الله، (وما يعلم تأويله إلا الله) (على قراءة) وكما ورد في تفسير القاسمي : قسم استأثر الله بعلمه. مثل الحروف المقطعة في أوائل السور والمتشابه، وما كان في وضع هذا وما سوى هذا فهو مجال بحث، ومجال رأي ، وفيه وردت الدعوة الى ضرورة التدبر، والاعتبار.

* أما الرأي . فهناك رأي مقبول وهو ما كان كما يقول الشاطبي جار على موافقة كلام العرب، وموافقة الكتاب والسنة . فهذا لا يمكن إهمال مثله. فالرأي الذي توافرت له وسائل النظر وامكانيات، الاستدلال فهو المخاطب بالنظر والتدبر والاعتبار.. ثم ان القرآن ذاته نوه بالعقل وحثه على التفكير والاستدلال، والعقل في القرآن مناط تكريم وتقدير واجلال ، وهو في

1 - الآية 84 النساء

2 - الآية 82 النساء

الشرع مناط تكليف، فهذا هو الرأي المقسود في النصوص المجيزة.
 أما الرأي المضطرب او النابع من فساد معتقد، أو هوى ، أو مرض في القلب أو خلل في العقل
 أو عناد في الطبع كما - هوحال المشركين والكفار وما ينطبق على أهل الاهواء من الفرق
 الزائغة والضالة أو المنحرفة - فهذا هو الرأي المنهي عنه.
 أما مجال النهي فهو في ما لا يصل اليه ادراك ، أو معرفة أو مالمس محل نظر واستدلال وانما
 محل توقيف ونقل مثل قول تعالى :

(ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتهم من العلم الا قليلا)(1)

و (لا يعلم من في السماوات و الارض الغيب الا الله...)(2)

و (وما قدروا الله حق قدره...)(3)

و (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين...)(4)

و (يسالونك عن الساعة ايان مرساها فيما انت من ذكراها..)(5) ونظير هذه الايات كثير
 ومحل إيمان قلبي وتوقيف .

المطلب الثالث : مرتكزات الاستدلال :

وما يمكن استخلاصه من كل ما سبق هو ان الاستدلال بالقرآن الكريم استند الى مرتكزات هامة
 ومختلفة تبلورت في :

أولا : استدالات تأسست على اللسان «اللغة العربية» وقواعده وضوابطه وطرائقه في الخطاب
 والانشاء..

ثانيا : استدلال مذهبي استند الى آراء فقهية ومناهج ومذاهب فقهية اعتمدت أصولا وقواعد
 معينة.

ثالثا : استدالات تأسست أصلا على آراء فرق وفلسفاتها مقبولة كانت أو مردودة و من
 المرتكزات الأساسية في العملية الإستدلالية المرتكز اللغوي الذي يعتبر من القواعد الأساسية
 وحتى الطرائق و الضوابط وهذا ما يتجلى من خلال ما يأتي :

المرتكزات اللغوية في الاستدلال بالقرآن:

اللغة : هي لغة القرآن الكريم ، فهو خطاب لغوي بلسان عربي مبين ؛ قال تعالى : ((انزلنا انزلناه

1. الآية 85 الإسراء.

2. الآية 65 النمل

3. الآية 19 الأنعام

4. الآية 17 السجدة

5. الآية 42 النازعات

قرانا عربيا لعلهم تعقلون). (1)

وقد عنى السلف الصالح باللغة كبير العناية فقد قال عليه الصلاة والسلام (اقرأوا القرآن بلحون العرب، وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين). (2) وقل قال سيدنا عمر ابن الخطاب «عنه لا يقرأ القرآن إلا عالم بالعربية». وكان عبد الله بن عباس -رضي الله عنه - يرحل إلى البادية، يسمع من الاعراب ويعجبه ان يسمع منهم حتى من أطفالهم.

وقد سن هؤلاء للعلماء طريقة حفظ اللسان والحرص عليه ، لان لغة العرب هي لغة القرآن . قال ابوشامة : (القرآن العربي فيه جميع لغات العرب لانه أنزل عليهم كافة وابيح لهم ان يقرؤوه علي لغاتهم المختلفة فاختلفت القراءات فيه لذلك). (3)

وقد قام علماء اللغة بالدور الكبير في خدمة اللغة العربية وذلك :

1- لحفظ القرآن من اللحن والخطأ

2- لتيسير السبيل امام غير العرب لحسن قراءة القرآن وفهمه.

وقد قامت أهم الدراسات اللغوية لهذا الغرض ثم لغرض آخر وهو :

3- ابراز الجانب البياني والبلاغي في القرآن ليعرف موضع الاعجاز فيه وقد انصبت هذه الدراسات على القرآن ذاته ، تدعيما لقواعد اللغة ، ولاراء العلماء ، او تدعيما لهذه المذاهب والمدراس التي اشتهرت مثل :

أ مدرسة الكوفة والبصرة. وكان لهاتين المدرستين خصائص معينة ومنهج في الكلام ومذهب

معين مدعم بشواهد وحجج وطرائق استدلال وكل فريق يعرف بمذهبه وآرائه.

ب- مدرسة الحجاز : وهي الاخرى مدرسة مغايرة للمدرستين، ولها سمتها في الكلام ومنهجها في الاستدلال ومصطلحاتها في قواعد اللغة وعلومها.

وقد اعتمد العلماء اللغة كعامل اساسي في الاستدلال بالقرآن الكريم وكان ذلك في الالفاظ أولا، والمعاني ثانيا .

الالفاظ : كان الصحابة أنفسهم يسألون عن الالفاظ ، وقد برشدون الى البيت الشعري او الدلالة اللغوية لدى الاعراب ، وقد اشتهرت مسائل نافع ابن الازرق مع عبد الله بن عباس حيث كان يسأل نافع عن الكلمة فيجيبه عبد الله بن عباس ، فيقول وهل عرفت العرب هذا

فيستشهد عبد الله بن عباس على ذلك بالبيت. (4)

1. الآية 02 يوسف

2 جمال الدين القاسمي محاسن التأويل ج 1 ص الحديث من رواية العاصم بن الحنفية بن زيد والثرثري حكيم . ذكره / القرطبي ج 1 ص 17

3 طه ياسين : الدراسات اللغوية إلى القرن الثالث

4- د عائشة عبد الرحمان الإعجاز البياني في القرآن الكريم و مسائل نافع بن الأزرق القسم الثاني من الكتاب الصيوطي الانتقان ج 1 ص 65

وقد ظهرت مباحث لغوية هامة تعنى بغريب القرآن ومشكله، ومفرداته ولهجات العرب. قال ابو بكر الانباري (قد جاء عن الصحابة والتابعين كثير من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكلة بالشعر، وانكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك، وقالوا : كيف يجوز ان يحتج على القرآن بالشعر وهو مذموم في القرآن والحديث ؟ وليس الامر كما زعموا من أنا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن، بل اردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لان الله تعالى قال : (انا جعلناه قرآنا عربيا) (1) وقال (بلسان عربي هيين) (2) وقال ابن عباس الشعر ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف من القرآن رجعنا الى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه). (3) المعاني : وقد اعتمد علماء اللغة - في الاستدلال اللغوي بالقرآن على المعاني - الطريقة نفسها التي سلكوها في الالفاظ.

وقد استعان العلماء النحهاء ، المفسرون ... في الكثير من مباحثهم بعلماء اللغة وهذا في اختصاصاتهم وكثير من العلماء فقهاء لغة كما هم فقهاء دين.

وقد أدى الاستدلال البياني واللغوي والنحوي دورا كبيرا وكل هذا تجلّى في مناهجهم وطرق تناولهم للايات وتفسيرهم لها وعلم المعاني ، ويوضح ما في هذه الايات من دلالات لفظية سواء من حيث فصاحتها او بلاغتها أو من حيث تناسبها وما فيها من جرس واثر ، وما في ذلك من تقديم وتأخير، او تكرار أو نظم وكذلك

مباحث الاسماء والانفعال والحروف ومعانيها وأدوات الربط، كل هذا له اثره في الاستدلال . وقد ظهرت بعض الكتب التي تحمل اسم معاني القرآن، وهي تدور في فلك النحو الى جانب معاني الكلمات القرآنية من حيث التفسير والتوضيح والقراءة والوقف وغير ذلك من فنون العربية ، نحو «معاني القرآن» للفراء و«معاني القرآن». للاخفش ويقول محققو «معاني القرآن» للفراء : وقد كتب في معاني القرآن.

كثير من الفحول. يقول الخطيب في (تاريخ بغداد) في صدر الحديث عن معاني القرآن لابي عبيدة : « وانه احتذى فيه من سبقه . وكذلك كتابه في معاني القرآن، وذلك أن أول من صنف في ذلك -يعني معاني القرآن- من أهل اللغة ابو عبيدة بن معمر ثم قطرب ابن المستنير ثم الاخفش ، وصنف من الكوفيين الكساني ثم القراء فجمع ابو عبيدة من كتبهم وجاء فيه بالاشارة وأسانيدها وتفسير الصحابة والتابعين والفقهاء». (4)

1- الآية 03 الزخرف

2- الآية 195 الشعراء

3- جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل في المقدمة والسيوطي: إلتقان ج 2 ص 55

4- محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم الاجزاء العشرة الاولى ط 1403/10 هـ ص 6 دار الشروق

فاللغة العربية هي اللسان العربي وهي لغة القرآن الكريم وقد دفع ذلك العلماء الى الاهتمام بها قصد الحفاظ على القرآن ، وتيسيره للقارئ الاعجم وغير العرب كما ان القرآن معجزة الله الخالدة وبه تحدى النبي « صلى الله عليه وسلم ». الناس جميعا وقد يخفى جانب الاعجاز على غير العرب، فاستدعت الضرورة العلمية ابراز هذه الجوانب التعجيزية والاعجازية في القرآن ليدركها غير العرب فيزداد ايمانهم، وتعرف حقيقة القرآن الكامنة في التحدي والاعجاز أصلا .

ثم ان من الناس «المهاندين» من زعم فكرة «الصرفة» وأن الله صرف الناس عن معارضة القرآن وهذا لايعني العجز البشري وإنما يعني صرفهم عنه وقد تعرض علماء اللغة الى تبیین كل هذا . فكانت خدمة اللغة خدماة للقرآن نفسه .

وقد حفظ القرآن للعرب لغتهم وامدها بالالفاظ كما أمدها بالمعاني ، وهيمن على الفصيح منها فابقاه وسكت عن غيره فنسبه الناس ، وفتح على العربية فتوحا كبيرة فغرف علماء كل علم منه وجعلوه الشاهد على صحة القول والمذهب والرأي ان في اللفظ -وبالاخص القراءات- أو في المعاني -وبالاخص التعبير العربي الوارد فيه من مجازات وكتابات واستعارات- وفنون الخطاب وضروب الكلام الواردة في القرآن الكريم.

يقول الشيخ محمد شلتوت «وعلم البلاغة التي تبرز خصائص اللغة العربية وجمالها اريد بها بيان نواحي الاعجاز في القرآن ، والكشف ،عن اسراره الادبية وتتبع مفردات اللغة والتماس شواردها وشواهد وضبط الفاظها، وتحديد معانيها ، أريد بها صيانة الفاظ القرآن ومعانيه ان تعدو عليها عوامل التحريف أو الغموض. (1)

فالقرآن خدم لسان العرب ، وعلوم العربية خادمة للقرآن لا مخدومة. و من العلوم التي خدمت القرآن علم النحو؛ يقول الشيخ شلتوت: «فالنحو الذي يقوم اللسان ويعصمه». وكما تعامل علماء اللغة و البيان مع القرآن مستدلين به ،أخذين منه شواهدهم وحججهم .فإن علماء الكلام والعقيدة - من مختلف الفرق - بحثوا عن حججهم و أدلتهم من القرآن و استدلوا به على مختلف أقضيتهم ومذاهبهم و آرائهم ومن هؤلاء.

1- محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم الاجزاء العشرة الاولى ط 1403/10 هـ ص 6 دار الشروق

المبحث الثاني

المطلب الأول : الاستدلال عند اصحاب الفرق : الجبرية والقدرية :

سبق ان ذكرنا ان اول بدعة ظهرت في الاسلام هي القول في القدر وكان ذلك في خلافة علي ابي طالب في حوار مع شيخ . حيث قال له هذا الشيخ اكان خروجنا بقضاء وقدر أم ماذا . وقد تبرأ عبد الله بن عمر - رضي الله - عنه ممن تحدثوا في القدر واعتبرها بدعة كما تبرأ من كلامهم . وجادل عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - هؤلاء وانكر عليهم (1) وقد نشأت عن هذه التساؤلات والمناقشات والآراء في العقيدة والايان والقدر والقياس فرق ومذاهب أهمها :

أ- الجبرية (2) : هي التي تعزم ان الامر أنف اي يستأنف العلم به والتقدير بعد وقوعه وهم اذ يقولون هذا يتفون عن الله القدرة والارادة وينفون عنه العلم والتقدير وهم نفاة للقدر وان من قال هذا القول «الجعد بن درهم» * وقيل انه اخذه عن يهودي : «قيل ان الجعد اخذ ذلك عن ابان بن سميان واخذه ابان عن طالوت بن اعظم اليهودي» ، وقد تعلم هذا الجهم * بن صفوان عن الجعد بن درهم .

ب- القدرية : اذا كان الجبرية غالوا في الحديث في القدر، فان القدرية هم ايضا غالوا في الحديث في القدر فقال : ان كل فعل الانسان هو ارادته المستقلة عن ارادة الله سبحانه وتعالى .

* الجعد كان مولى لبني «الحكم» وكان يقطن «دمشق» وأخذ ينشر رأيه فطلب في «دمشق» فهرب منا، ثم نزل «الكوفة» وفي «الكوفة» أخذ ينشر رأيه، ولكن والي الكوفة : «خالد بن عبد الله الفسري، تلقى الامر من «هشام» بن «عبد الملك» الخليفة المرواني يقتل «الجعد» فحبسه «خالد» . واذا بكتاب آخر من هشام يأتي يقتله، وصادف ذلك أيام «عبد الاحضى» . فلما صلى «خالد العبد» وخطب ، قال في آخر خطبته : انصرفوا ، وضحوا بضحاياكم ، تقبل الله منا ومنكم . فإني أريد اليوم أن أضحي به «الجعد» بن «درهم» فإنه يقول : ما كلم الله موسى تكليما ، ولا اتخذ ابراهيم خليلا ، تعالى الله عما يقولوا علوا كبيرا . ثم نزل وحز رأسه بالسكين بيده . (عن التفكير الفلسفي : عبد الحلیم محمود) ص 208-209

** جهم بن صفوان الترمذي - توفي سنة 128 هـ / 745 م - هو جهم بن صفوان السمرقندي ، هو محرز من موالى بني راسب الجهمي قال الذهبي : الضال المبدع ، هلك في زمان صفار التاهمين وقد زرع شرا عظيما ، وكان يقضي في عسكر الحارث بن سريج الخارج على امراء خراسان فقبض عليه نصر بن يسار فطلب الجهم استيقا فقال نصر : «لاتقوم علينا من البسانية اكثر مما قمت ، وامر بقتله ، فقتل» . « والجهمية : اصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة . ظهرت بدعته بترمد وقتله مسلم بن أحوذ المازني بمرور في آخر بني أمية - المصدر نفسه ص 86 - والاعلام الزردكلي ج 2 ص 141 ، وميزان الاعتدال ج 1 ص 197 والكامل لابن الاثير حوادث 128 ولسان الميزان ج 2 ص 182 .

1- محمد ابو زهرة تاريخ المذاهب الفقيه ج 1 ص 116

2- الشهرستاني : الجبرية : الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد واطافته الى الرب ، والجبرية اصناف .

فالجبرية الخالصة هي التي لاتثبت للعبد فعلا ، ولا قدرة على الفعل أصلا .

اثر هذا القول على الاستدلال بالقرآن :

وقد راح اصحاب هذه الاقوال في القدر يدعمونها بالقرآن، والقرآن يحتوي على آيات منها ما يبدو ظاهريا فيه معنى الحرية والارادة، ومنها ما فيه معنى القهر والجبر ومن ثم راحت كل فرقة تدعو لمذهبها بما تراه مناسبها من الآيات.

1- الاستدلال غيلان بالقرآن على بدعته.

«... وحكى ان عمر بن عبد العزيز بلغه ان غيلانا وفلاتا نطقا في القدر فأرسل اليهما .

وقال : ما الامر الذي تنطقان به ؟ فقالا : هو ما قال الله يا امير المؤمنين

قال : وما قال الله؟ قالا : قال : (هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)

(1) ثم قال : (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا). فقال عمر : اقرأ- فقرأ حتى بلغنا

(ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا، وما تشاؤون الا ان يشاء الله..) قال عمر كيف

تريان، تأخذان الفروع وتدعان الاصول (2)

2- وذكر عن المروزي قال (3): نقلت لابي عبد الله - يعني احمد بن حنبل- رجل يقول ان الله

اجبر العباد، قال هكذا لا تقول، وانكر ذلك وقال : (يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء)

والقائلون بالجبر يذهبون في استدلالهم على قولهم بالآيات التي يبدو في ظاهرها معنى ذلك مثل

: (وما رسمت اذ رسمت ولكن الله رسم). (4)

(ووبك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) (5)

- (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غذا الا ان يشاء الله) (6)

- (ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا قبي كتاب من قبل ان نبواها ان ذلك

على الله يسير) (7) ونظرة كل فريق الاحادية جعلته يذهب الى ما قيل اليه نفسه ويتمذهب به.

وهذه القدرية . نشأت في ظروف تميزت باضطرابات فكرية وفلسفات وافدة واختراقات مختلفة

لاصحاب ديانات قديمة. كما ان فرقة المعتزلة تشارك القدرية في اعتقاد ان الانسان يخلق

اعمالهم وله كامل الارادة.

= والجبرية المتوسطة : هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا (الملل والنحل - الشهرستاني ج 1 ص 86

1- محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الفقهية ج 1 ص 117 ، 124

2- احمد امين : فجر الاسلام ص 285

3- احمد تقي الدين ابن تيمية : كتاب القضاء والقدر ص 113

4- الآية 17 الأنفال

5- الآية 68 القصص

6- الآية 24/23 الكهف.

7- الآية 22 الحديد.

استدلال الزمخشري بالقرآن منتصرا لمذهبه:

ويستدل الزمخشري بالقرآن لفكرته عن الايمان بقوله تعالى: **(وما كان الله لبيضيع إيمانكم) (1)** فيقول عبر الله بالايمان عن الصلاة لأنها بعضها يتناولها الايمان ويقول شارحا رأيه من خلال عقيدته «... ان الايمان لا ينفع الا مع العمل، كما أن العمل لا ينفع الا مع الايمان» وانه لا ينفع عند الله الا الجامع بينهما الا شري قوله تعالى (... لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) (2) ويقول في الإيمان، على ان الايمان قول وعمل مستدلا على ذلك بقوله تعالى: **(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل).** (3) يقول معللا ذلك: فالطاعات من جملة الايمان، لان الايمان اعتقاد وقرار ويستدل على ذلك بقول الضحابة رضي الله عنهم عن ابن عمر قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص، قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار وفي كون الايمان ينقص يؤيد ذلك بقوله تعالى: **(يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم) (4)** فهو يستدل (5) بهذه الآية على ان الطاعة تحبطها الكبائر، اي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر، كقوله تعالى: **(لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا يجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم) (6)** ويعمل ذلك بقوله: فالصلاة طاعة والحفاظ عنها في أوقاتها وركعاتها وخشوعها وكل ما يتعلق بها حفاظ على الايمان، واضاعة بعض هذه الامور أو كلها احباط للعمل وهو انقاص له وهكذا الزكاة والصوم والحج وبقية الطاعات.

مناقشة مذهبه في الاستدلال

- فالزمخشري يتحدث عن الايمان ويعرفه حسب معتقد الاعتزال وهو يستعين على ذلك بالآيات القرآنية، يؤلها لتكون على مذهب الذي يراه ولتوافق طريفته في الاستدلال، وهو يصرح احيانا بلفظ استدلال لكنه في كثير من الاحايين يستشهد مباشرة على المعنى الذي يراه ان بالاشارة او التأويل ويتجلى التأويل بصفة واضحة عندما يتطرق للصفات او يتحدث عن اصول مذهب، الاعتزالي في التوحيد والعدل او باقي الصفات ... فهو يؤيد مذهب بالقرآن ويستدل على أصول مذهب ومعتقداته بالقرآن.

1- الآية 143 البقرة

2- الآية 158 الانعام - الكشاف ج 2 ص 411

3- الآية 173 آل عمران

4- الآية 33 محمد

5- الكشاف ج 1 ص 43 وج 2 ص 483

6- الآية 2 المجرات

أمثلة على ذلك:

صفة العلم : يستدل عليها بقوله تعالى : (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد)(1)

فهذا مجاز والمراد قرب علمه منه، وانه يتعلق بعلمه منه واحواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته، فكان ذاته قريبة منه كما يقال :الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة.(2). فهنا الزمخشري ينتصر لمذهبه الاعتزالي وينفي قرب الله تعالى الذي هو على مراده كما أراد فلا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

وهو اذ ينتصر لمذهبه فانه يستعمل في ذلك التأويل اللغوي حيث يقول مجاز : والمراد قرب علمه كما يبيل الى الاستشهاد بالعرف وكل هذا مجاف لحقيقة الايمان عند أهل السنة والجماعة وكذلك.

في استدلاله على قضية الاستواء :

قال الله تعالى: (الرحمان على العرش استواء)(3)، يقول الاستواء كناية على الملك ويقول : لما كان الاستواء على العرش وهو سليل الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استواء فلان على العرش يريدون الملك وان لم يقعد على السرير البتة. وقاله أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته الملك في مؤداه وإن أشرح وأبسط وأذل على صورة الامر . (4)

مناقشة الاستدلال :

فهو في الاستدلال أيضا ينتصر لمذهبه وينفي الاستواء لله تعالى ويذهب في تأويل ذلك مذهباً يتمشى واعراف اللغوية ليخلص الا أن هذا من الاشارة والرمز لا الحقيقة والوصف وقد كان أئمة السلف يقولون : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وكانوا يقولون الله استوى على مراده كما أراد.

وكذلك في حقيقة يد الله : في قوله تعالى : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد

الله فوق ايديهم) (5) يقول الزمخشري - يريد ان يد الرسول صلى الله عليه وسلم- التي تعلق ايدي المبايعين هي يد الله تعالى ، والله منزّه عن الجوارح والصفات والاجسام ، وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقد، مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى:

(ومن يطع الرسول فقد اطاع الله). (5)

1- الآية 16 سورة -ق-

2- الكشاف : الزمخشري ج 2 ص 402

3- الآية 05 طه

4- المصدر السابق ص 20 ج

5- الآية 10 الفتح -الكشاف ج 2 ص 305

مناقشة الاستدلال :

وهو كعادته ينتسب لمذهبه في قضايا الايمان ويلجأ الى الشرح الذي هو ضروب من ضروب التأويل متذرعاً في ذلك بتنزيه الله على ما لا يليق به فنفي الصفة الثابتة بنص الكتاب والسنة والاجماع في رأيه هو طريق الامثل لتنزيه الله عن وصفه بما يتصف به الخلق فهو يقول «الله منزّه عن الجوارح والصفات» وكأنما غيره قال ذلك ممن يؤمنوا بإثبات

الصفات التي نصت عليها الأدلة الثابتة والامر على غير ذلك .وقريب مما سبق قوله في :

الوجه : ويستدل على معناه بقوله تعالى : (ويبقى وجه ربك) (1)

أي ذاته الوجه يعبر عنه عن الجملة، ومساكين مكة يقولون ابن وجه عربي كريم ينقلنا من الهوان» (2)

مناقشة الاستدلال :

في هذا أيضا يلجأ الى التأويل بقوله الوجه هو الذات ثم يلجأ الى التدليل على هذا مما تقوله العامة. أي أنه يحاول البرهنة على مذهبه بالعرف المتبع لدى العامة.

فالزمخشري كما هو الحال بالنسبة للمعتزلة يتعرض لآيات الصفات فيؤولها تأويلاً خاصاً معتمداً على الحقيقة اللغوية ومقتضى اللسان العربي. كما يعتمد على الحقيقة العرفية مثل قوله -مساكين يقولون ابن وجه عربي ويدعم مذهبه الخاص باثار من أقوال السلف الصالح في بعض الاحيان يحملها على محمله الخاص.

كل هذا خدمة لمذهبه الاعتزالي ثم هو يستدل بالآيات التي تستدل بها بقية الفرق لكن الزمخشري يذهب الى تأويل هذه الصفات، كل هذا لانه يرى ان هذه الصفات لاتليق بالخالق اذ الماثلة تقتضي التشبيه، وهو لاشبيه ولا مثيل له (ليس كمثل شبيه) ومن نفى الشبيه والمثيل يقتضي عنده اللجوء الى التأويل وهذا مذهبه في كل آيات الصفات.

وقد رأينا المعتزلة كيف يذهبون في استدلالاتهم الى تأويل النص الدلالي باخراجه الى وجه من وجوه اللغة العربية او اعراب اعراباً تقديرية كل هذا لتفادي اعتقادات يرونها قاذحة في الايمان : كالشر، والقبح، واردة الكفر، فكل هذه الافعال وما شابهها لاتليق بالله ومن ثم بقدرون نسبتها الى غيره فالتأويل اللغوي قد يكون غير مقبول في كثير من الاحيان ، ولا يلجأ اعادة الى التأويل الا اذا لم يتمكن من التفسير لسبب من الاسباب ولا يمكن التقدير مادام الامر واضحاً فالاعراب الظاهري، اولى من الاعراب التقديرية و الزمخشري اذ ينسر القرآن فهو

1 - الآية 27 الرحمن

2- الزمخشري : الكشاف ج 4 تفسير سورة الرحمان الآية الآية 27 ج 4 ص 46

يتحيز الفردس ليقنتنص فأى اية يراها ملائمة من قريب ، او بعيد لاعتقاد مذهبي يتبناه هو وغيره من المعتزلة الا ويؤكد على ذلك بقوله : وهذا يدل على ... ومن امثلة ذلك.

1- دليل جواز انتقال المجادل من حجة لاخرى.

ففي قوله تعالى : (الم تو الى الذي حاج ابراهيم...) (1)

فيقول : «وكان الاعتراض عنيدا ، ولكن ابراهيم لما سمع جوابه الاحق. انتقل الى غير ذلك.

فالاول : دليل المحاجة

والثاني : دليل الانتقال من حجة الى اخرى. (2)

مناقشة الاستدلال:

والمعتزلة من الفرق الاسلامية التي احترفت الكلام واتقنته اتقانا كبيرا وتمرت على فنون الجدلي والمناظرة والمحاجة والاستدلال ومن ثم فهم يميلون الى الخصومات الفكرية والمناظرة العقلية وهي اهم شيء في كفاحهم من أجل الدفاع عن افكارهم وأرائهم ومعتقداتهم ، ثم انها -المجادلة- وسيلتهم في الدفاع عن العقيدة والاسلام ضد خصومه واعدائه ومن ثم فالزمامخشري يرى ان الانتقال في جدال الخصم من موضوع لاخر ممكن بل وارد في القرآن ذاته.

وللزمامخشري رأي في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو يستنبط من قوله تعالى : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول...) (3)

فيقول : اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة، الى ان يقول - وأمرء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتال الله ولا الى سنة -رسول الله- انما يتبعون شهواتهم حيث ذهب بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولوا الامر عند الله ورسوله وأحق صفاتهم اللصوص المتغلبة. (4)

مناقشة الاستدلال:

هذا مبدأ من مبادئ المعتزلة بل أصل من اصولهم الخمسة :

«الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فمع ان الموقف هنا موقف سياسي غير انه في ظاهره من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فاذا كان ماسبق يدخل تحت التوحيد بمفهوم المعتزلة وهو أصل من اصولهم فان هذا يدخل تحت

1- الاية 258 البقرة

2- الزمامخشري : الكشاف ج 1 تفسير سورة البقرة الآية 258 ج 1 ص 388

3- الاية 59 النساء.

4- الزمامخشري : الكشاف ج 1 ص 212

الأصل الآخر وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالزمخشري في تفسيره سار وفق الدستور الاعتزالي، يعتمد في ظاهر التفسير على :

1-العقل

2-منهج الفقهاء في الاستنباط والاستدلال

3- منهج المدافع عن الدين وذلك بالتصدي للمخالفين، ومحاولة رأب ما يراه متسما بالضعف كالجمع بين ما يراه متناقضا وسد باب الباب امام الطاعنين والمجادلين المعادين. وهذا المنهج في حد ذاته من أهداف المعتزلة: إذ قام الاعتزال أول ما قام دفاعا عن الدين وحماية للعقيدة، وذلك ان كثيرا ممن دخلوا الاسلام بعد الفتح كانوا من ديانات مختلفة يهودية ونصرانية ومانوية وزرانشية، وبراهمه وصانية ودهريين وغيرها من الفرق... وكانوا قد نشأوا على تعاليم هذه الديانات، وشبوا عليها وكان ممن اسلم من العلماء في هذه الديانات، فلما اطمانوا وهدأت أنفسهم واستوت على الدين الجديد وهو الاسلام، أخذوا يفكرون في تعليم دينهم. (1) ولا ينكر دور المعتزلة في الذوذ عن الدين والدفاع عن العقيدة، فهم الذين جادلوا الخصوم وافحموا المعاندين، وتصدوا لكل شبههم وأباطيلهم ان بالجدال والمناظرة، او بالتصنيف والتأليف. ولكن هذا لم يكن كله نافعا فقد يضطر الخصم الى مجازاة خصمه والحدل والمناظرة وهذا من أساليب الجدل والدعوة والتي هي أحسن وهو أسلوب عربي بليغ وقد ذكر القرآن أمثالا ونماذج لذلك مثل قوله تعالى : **(وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون، اتخذ من دونه الهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) (2) وكذلك قوله تعالى: (إنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) (3)**

وهذا من مقتضيات الحاجة والجدل وقد تأثر المعتزلة بأسلوب خصمهم في الكثير من المجالات وما نخلص اليه هو ان المعتزلة كانوا في جدلهم ومناظراتهم ودعوتهم متمسكين بالعقل جاعلين من الميزان منها الميزان الأول والآخر فكل ما استحسنته فهو الحسن وكل ما استقبحة فهو القبيح ثم حتى ان مفاهيم معينة عرفت حقيقتها دينا ولغة وعرفانا... فهي عندهم ذات مفاهيم عقلية صرفة : فالحكم والمتشابه، له حقيقة خاصة فالحكم ما وافق مذهبهم، والمتشابه ما خالفه، ورد المتشابهات الى الحكمات يعني رد ما لا يوافق مذهبهم إلى ما يوافق مذهبهم فقوله تعالى: **(إلى وبها ناظرة) (4)** متشابه فلا بد من رده الى محكم وهو **(لا تدركه الأبصار) (5)** و**(أمرنا مترفيها) (6)** متشابه فلا بد من رده الى محكم وهو **(لا يأمر بالفحشاء) (7)**

1-أحمد أمين: فجر الاسلام ج ص 7

2- الآية 22 يس.

3- الآية 24 سورة سبأ.

4- الآية 22 القيامة.

5- الآية 104 الانعام.

6- الآية 16 الإسراء.

7-الحكمات المتشابهات الكشاف ج 1 ص 126

ومدار التفسير والاستدلال الاعتبار بالنص الظاهر مادام يوافق المذهب واللجوء الى التأويل ما خالف المذهب. ثم ان اللغة اداة طبيعة في يد هؤلاء فيوظفونها لخدمة مذهبهم ، ومع ان الزمخشري يستشهد بكتاب سيباويه ويقدهس ويذهب في تمجيده الى حد بعيد. (1)

وكذلك كتب اللغة كالكمال للمبرد واصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم من علماء اللغة. لكن هذا لا يحول دون مخالفة هؤلاء وتطويع اللغة لخدمة المذهب بل لجعل النص ملائما للاستدلال على احقية وضعيه المذهب.

وتكاد تكون الايات المفسرة شواهد وأدلة للمذهب : فقوله تعالى: وكان عرشه على الماء يستدل به صاحب الكشاف على أن العرش والماء كان مخلوقين قبل السماوات والارض. (2)

وقوله تعالى: (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء) فيه دليل على أن الجنة فوق النار.. (3) وهكذا يمضي المعتزلة في كل ما يستدلون به من آيات القرآن الكريم على أصول مذهبهم وفروعه كل هذا من القرآن الكريم فأصولهم الخمسة هي مدار التفسير كله.

كما برز الإستدلال عند الفرق التي تميل إلى الناظرة و علم الكلام، و المباحث العقلية والفلسفية، فإنه ظهر أيضا عند فرق إتخذت لها مواقف سياسية و عرفت بعا على مدار التاريخ و منها الخوارج .

-
- 1- المحكمات والنتشابهات: النحل 104 المائدة اية 1 4 الاعراف 24 الاسراء 16 الكشاف ج 1 ص 126
 - 2- الزمخشري الكشاف ج 1 ص 436 الاية 7 من سورة هود
 - 3- المصدر نفسه ص 436 ج 1 الاية 7 من سورة هود.

المبحث الثالث

المطلب الأول :الخوارج و الإستدلال :

ان الخوارج *، الذين خرجوا على علي بن ابي طالب وان زعموا بأنهم الذين خرجوا في سبيل الله وابتغوا رضاه واستدلوا على ذلك بآيات كثيرة منها:

1- (و لو ارادوا الخروج لاعدوا له ، ولكن كره الله انبعاثهم فثبثهم وقيل اعدوا مع القاعدين)(1)

2- (فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا) (2) ويقابلهم القاعدون ، والخوارج يقابلهم القاعدون قال تعالى : (انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين)(2)

ومن فرق الخوارج من تسمى بـ الشارات أي الذين باعوا أنفسهم لله من قوله تعالى : (ومن الناس من يشوي نفسه ابتغاء مرضاة الله). (3)

وسموا المحكمة : أي الذين يقولون لاحكم إلا لله . وقد نادوا في علي أن لاحكم إلا لله وكانوا كلما رأوه نادوا بذلك اشارة الى قوله تعالى : (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون..)(4)

يقول الذهبي ويتأويل هذه الآية نفسها خرجوا على علي -رضي الله عنه- كما سموا بالخوارجية بنسبة الى القرية التي خرجوا إليها - حروراء - قرب الكوفة.

بعيدا عن كل هذه التأويلات -في الايات- فان الاجماع عند علماء الاسلام هو انها الفرقة التي انكرت على علي بن ابي طالب قبوله تحكيم الرجال وانكاره نتيجة التحكيم يقول ابن حزم. (5) أول من خرج عن علي جماعة ممن كانوا معه في حرب صفين. فهم أصلا من أنصار علي لكنهم خرجوا عنه لامر التحكيم واستدلوا بما سبق على كفره فهم يقولون :

1- بكفر علي بن ابي طالب رضي الله عنه مادام حكم يقول صاحب مقالات الاسلاميين»

الخوارج :هم جماعة ممن كانوا مع الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه - وخرجوا عنه في حرب صفين. ورفضوا التحكيم وقالوا بكفر علي وحاربه وقالوا : لاحكم إلا لله وهم المارقة الذين خرجوا بالنهروان وهم فرق اكبر هذه الفرق. المحكمة ، الازارقة. النجدات... ويجمعهم القول بالتهري من عثمان وعلي ويقدمون ذلك على كل طاعة وأراءهم ويناضلون عنها أشد نضال بالاستناد الى القرآن والى المبدل . يكفرون أصحاب الكباثر ويرون الخروج على الامام اذا خالف السنة حقا وواجبا (الملل ينصرف ج 1 - 114)

1- الآية 46 التنوية

2- الآية 83 التوبة

3- الآية 205 البقرة

4- الآية 46 المائدة

5- ابن حزم :الفصل في الملل بين الأهواء والنحل ج 3 م 301

اجمعت الخوارج عن إكفار علي بن ابي طالب : رضوان الله عنه ان حكم ، وهم مختلفون هل كفره
شرك أم لا ؟ (1)

2- تكفير مرتكب الكبيرة « واجمعوا على ان كل كبيرة كفر » إلا النجدات فإنها لا تقول بذلك
وقالوا بأن الله يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما إلا النجدات .

3- القول بجواز الامامة في غير قریش . كما قالت النجدات : « لا يلزم الناس فرض الامام وانما
عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم » كما ترى الخوارج انه يجب على الامام العدالة واجتناب الزور فاذا
جار وجب عزله فان لم يذعن لذلك قتل .

4- وهم يكفرون عليا - رضي الله عنه - ويطعنون في عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
ويتكلمون في الصحابة من أصحاب الجمل . (2)

وان اختلفوا في الفروع والناذر فهم متفقون في الاصول العامة للذهب وما يمكن ملاحظته على
الخوارج هو .

1- شدة تمسكهم بمبادئهم واخلاصهم لها الى حد التضحية بأنفسهم كما كانوا متصلين غاية
التصلب لارائهم ومبادئهم .

2- شدة تدبنتهم مع بدواة فيهم ، فقد كانوا متدينين الى حد كبير حتى ان ابن عباس لما أتاهم
ليجادلهم وجددهم يتلون القرآن ولهم دوي كدوي النحل ثم وجد جباها قرحة لطول السجود ، وابدأها
كشفتات الابل وعليهم قمص مرخصة وهم مشررون (2) كل هذا مع سذاجة وبدواة وجهل وأمية عند
الكثير منهم ولاسيما في اول عهدهم .

3- معظمهم من القراء ، وكانوا يتأولون القرآن ، ويستدلون به في الكثير من مواقفهم ان تمثلا
او استدلالا وجدلا ، أو استشهادا . فلما جاءهم ابن عباس ليجادلهم قال خارجيون دعه فان قي
هذا وقومه قال تعالى (**لهم قوم خصمون** ..)

وكانوا قبل خروجهم على علي الى الامصار يشاغبون عليها ويتلون : (**ومن لم يحكم ...
الكافرون**) وقد مر به خارجي « فتلا عليه » ، (**ولقد اوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن
اشركت ليجبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**) يعرض به . (3)

وكان الواحد منهم يتقدم الى الحرب ويلقي الطعنة في صدره وهو يقول : « **وعجلت إليك ربي
لترضى** » ولما غرق أحد قواد الخوارج في نهر الاهواز كان يقول (**ذلك تقدير العزيز العليم**) .

1- أهر الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ج 1 ص 156 ط 14052 هـ 1985 م

1- د . عمار الطالبي : آراء الخوارج ج 1 ص 99

2- احمد أمين : فجر الاسلام ص 256

3- المصدر نفسه ص 256

المطلب الثاني : الخوارج والقروان الضوييم:

الخوارج كبقية المؤمنين يتعاملون مع القرآن عن طريق التلاوة التعبدية او القراءة العلمية الاستنباطية ، فهم تفاعلوا مع القرآن وتأثروا به ، كما تفاعلوا مع القرآن واستنبطوا منه وما يمكن ملاحظته على الخوارج لاسيما في اول عهدهم :

« هو تمسكهم بظواهر الالفاظ ، واخذ المعاني بناء على فصاحتهم وقدرتهم البيانية وقد عرف الخوارج بقوة الجدل والنقاش ، وقد غلب عليهم مذهبهم فكان جدلهم بالقرآن الكريم .

يقول ابو زهرة : « وكانوا كما أشرنا يتمسكون بظواهر القرآن ، ولا يتجاوزون ذلك الظاهر الى المرمى والمقصد والموضوع وما يظهر لهم بادي الرأي يقفون عنده ولا يحميدون عنه قيد انملة. (1)

كما يذكر مثالا على ذلك بنظري على الاستدلال بالقرآن الكريم ويمكن تفصيله في الاتي :
اتهم عبيدة بن هلال اليشكري ، بامرأة ، حداد رأوه مرارا يدخل داره بدون اذنه فشكوه الى اميرهم قطري بن الفجاءة . فقال قطري : ان عبيدة من الذين يبحث « ما » علمتم ومن الجهاد بحيث رأيتم .

فقالوا : انا لا تقاره على الفاحشة.

فاقل: انصرفوا ثم بعث الى عبيدة ، فأخبره.

فقال : بهتوني بأمر المؤمنين كما ترى.

- قال: ان جامع بينكم وبينهم فلا تخضع خضوع المذنب، ولا تتطاول تطاول البريء . يجمع بينهم فتكلموا .

فقال عبيدة : بسم الله الرحمن الرحيم « ان الذين جاؤا بالافك عصابة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لكل امريء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم... » الى آخر الايات الكريمات ، فلما سمعوا الايات بكوا وقاموا اليه واعتنقوه وقالوا: استغفرلنا. (2)

يقول ابو زهرة : وبذلك أبعدهم بتلاوة الاية عن ان ينظروا في قضية الاتهام اهي صادقة فيستحق العقاب . أم هي كاذبة فيكونوا قد بهتوه.. وبذلك اصدروا الحم بالبراءة من الفاحشة من غير دليل وانتقلوا من النقيض الى النقيض. (3) والخوارج على اختلافهم يتسمون بهذه الظاهرة فهم ملازمون للقرآن تلاوة، وجدلا واستدلالا، وقافون عند حجته القرآن ودليله وان كانوا لا ينظرون

1- محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية جز 1 ص 78

2- ابو العباس محمد بن يزيد «المبرد» الكامل ج 2 ص 226/225 وعند ابي زهرة : المذاهب ج 1 ص 79/78 .

3- ابو زهرة : المذاهب الاسلامية ج 2 ص 79

الى ما يحيط بالنص من قوة او ضعف في الاستدلال والاستشهاد ، كما لا ينظرون الى علم القرآن، سواء تعلق الامر بسبب النزول ، وقد تفرق الخوارج الى فرق بحسب ما بينهم من اختلاف في الاستدلال ، فمنهم من يرى كفر علي كفر شرك، ومنهم من يراه كفر نعمة كما اختلفوا في مسائل في الاعتقاد والفقه والتفسير وهي في أغلبها إن لم تكن ناذرة فهي فرعية : « وأصبح لهم فقهاء ودعاة ينشرون أو خصوص النص من عمومه أم ناسخه من منسوخه... ويصدق فيهم ما ذكره ابن عباس لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سأله عن سبب اختلاف هذه الامة : فقال ابن عباس ان هذا القرآن انزل بين ظهرانينا وعرفنا على من أنزل وفيه أنزل، فيأتي أناس لا يعرفون كل هذا فيقرأون القرآن فيطبقون آيات نزلت في المشركين على المؤمنين فيستحلون دماءهم ، وأموالهم وأعراضهم. (1) هذه الظاهرة ، والظاهرة التي ذكرها ابو زهرة اي امرار الآيات على ظواهرها ، وغلبة الهوى أي الادعاء للمذهب حيث ملك عليهم مذهبهم كل جوارحهم واستولى عليهم وأصبحت النصوص القرآنية خادمة لكل هذا الاعتقادات.

ويمكن معرفة هذا وغيره من خلال دراسة بعض الاستدلالات القرآنية عند الخوارج .

المطلب الثالث : استدلال الخوارج على تكفير علي بن ابي طالب «كفر الله وجهه» .

فقد استدل الخوارج بقوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون..) وبناء على هذا الاستدلال أسسوا خروجهم عليه ومنابدته ووصفوه بمختلف الاوصاف التي تقودهم الى هذا الامر.

فقد استدلوا على ضلاله ، وسوء طريقته بآيات منها (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه وهو اعد الخصام..)(2) فقد قالت الازارقة ان هذه الآية فيه .

وكذلك قالوا ، في قوله تعالى : (كالذي استهوته الشياطين في نوح ميون له اصحابه يدعونه الى الهدى ائتتنا) (3)

فقد زعم حفص بن المقدم وهو من الاباضية وهو رئيس فرقة الحفصية :

- أن عليا هو الخيران الذي ذكره الله في القرآن.

- وأن اصحابه الذين يدعونهم الى الهدى : هم أهل النهروان. (4)

1- جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل ... ص 28

2- الآية 204 البقرة

3- الآية 71 الانعام.

4- ابو الحسن الاشعري : مقالات الاسلاميين. وأراء الخوارج لعمار الطالبي ص 118

غير أن التفسير الصحيح للآية هو :

ذلك المشرك الذي اضلته الشياطين وله أصحاب يمدونه في غيبه فهو لا يهتدي الى الحق أبدا،
وله أصحاب هداهم الله يدعونه الى الحق والهدى فلا يهتدي أبدا.

استدلال الخوارج على كفر مرتكب الكهيرة :

ومن القضايا التي أثارت الرأي ، قضية مرتكب الكهيرة « والجدل في هذه المسألة اثاره الخوارج
بعد التحكيم اذ حكموا بكفر من رضي في التحكيم باعتباره كهيرة في نظرهم.

وكفروا عليا رضي الله عنه كما كفروا من معه.. » (1) وقد استدلت الازارقة من الخوارج بقوله

تعالى : (وان اطعتموهم إنكم لمشركون) (2) . فطاعة الكافر كهيرة مؤدية الى الاشراك

وأكثر الخوارج مبالغة الازارقة. والفضلية التي تزعم أن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها ما يغفر

منها وما لا يغفر شرك (3) وهذا مستوحى من قوله تعالى : (ان الله لا يغفر ان يشرك به، ويغفر

ما دون ذلك لمن يشاء) . فالآية : نصت على ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

يشاء. فتكون الذنوب باعتبار هذه الآية :

1- ذنوب لا يغفرها الله وهي الشرك وما كان في معناه وحقيقته .

2- ذنوب ليس فيها شرك وهي دون ذلك فهي في مشيئة الله ان شاء غفر وان شاء لم يغفر.

فهؤلاء الازارقة يرون الذنوب جميعا شركا، بينما هاسوى الاشراك فهو اما كبائر، واما صفائر،
والعبرة كما يقولون بمن عصبت لا بالذنوب وقيمتها.

الاستدلال على القول بتشريك اطفال المشركين:

وقد دوس لابن الازرق مولى ادعى ان ابناء المشركين معذبين فانكر نافع بن الازرق ذلك، فما

كان من هذا المولى الا أن قرأ عليه قوله تعالى : (قال نوح وبلائتخذ على الارض من الكافرين

ديارا انك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) (4)

وقد ذهب المفسرون في هذه القضية مذهبا منهم من قال :

- ان الله أعلم نوحا بأنه لا يؤمن له إلا من آمن : (إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن)

فدعا وقتها عليهم وقال انك : (ان تذرهم ... ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) حتى قال محمد بن

كعب ومقاتل والربيع بن عطية وابن زيد انما قال «نوح» هذا حينما اخرج الله كل مؤمن من

1- محمد ابو زهرة: تاريخ المذاهب الاسلامية ص 113

2- الآية 121 الانعام.

3- عمار الطالبي ارا الخوارج ج 1 ص 142.

4- الآية 27 نوح.

أصلاهم وأرحام نسائهم واعقم أرحام النساء وأصلاب الرجال قبل العذاب بسبعين سنة. (1)

والى المعنى نفسه ذهب الرازي قائلا: "فان قيل كيف عرف نوح -عليه السلام- ذلك قلنا للنص والاستقراء" أما للنص فقوله تعالى: " (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) (2).

وأما الاستقراء: فهو لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم وجربهم.. فقد كان يموت الكبير على ذلك وينشأ عنه الصغير. (3)

وتذهب كتب التفسير في معظمها الى هذا المعنى غير أن الخوارج لهم مذهبهم في الاستنباط والاستدلال فلا يعنى هذا انهم أعلم بقدر ما يعنى انهم يخضعون التنزيل لاعتقاداتهم. فهم يرون ان أطفال المشركين حكمهم حكم آبائهم يعذبون في النار كما يلحق أطفال المؤمنين بأبائهم مستدلين على المعنى بقوله تعالى: (والذين آمنوا

واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذرياتهم) (4) والآية ذكرت الإيمان، واتبعتهم

ذريتهم بإيمان وهذا على تفسير العلماء ان الله حتى يجمع للأباء السرور بالابناء يرفع

ذريتهم الى درجة آبائهم ولو أنهم دونهم عملا. روي عن ابن عباس عن رسول الله

-صلى الله عليه وسلم- ان الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وان كان لم

يبلغوها بعملهم لتقربه عينه ثم تلا قوله تعالى (والذين آمنوا...) الآية (5) والحق أن

أولاد المشركين خدما في الجنة، اذ لا تكليف الا بالبلوغ ولا مسؤولية الا به والقلم

مرفوع على من لم يبلغ جاء في هامش القرطبي «سألت ربي فأعطيني أولاد المشركين

خدما لاهل الجنة» (6)

* * استدلال ابو بلال مرداس بن أنية:

وقد رأينا فيما سبق رأي الخوارج في تشريك ابناء المشركين: غير ان مرداسا وهو

أحد زعمائهم يرى أنه لا مسؤولية الا على صاحبها وهو في ذلك يستدل بقوله تعالى:

(**الّا تنذر وازرة وزر أخرى) (7)**

فقد خطب زياد ذات مرة فقال: «لا خذل الحسن بالمسيء والحاضر منكم بالفاسب،

والصحيح بالسقيم...» فعارضه مرداس قال: سمعنا ما قلت ايها الانسان وما هكذا

ذكر الله عز وجل عن نبيه.. (**الّا تنذر وازرة وزر أخرى) (8) وأنت تزعم أنك تأخذ**

المطيع بالمسيء، وخرج إثر هذه الحادثة. (8)

1- القرطبي ج18 ص 312

2- الآية 36 سورة هود

3- الرازي: التفسير الكبير ج30 ص 146

4- الآية 19 الطور.

6- القرطبي: ص 67 وهامشها وج 17

7- الآية 38 النجم

8- المبرد: الكامل ج2 ص 136 و154 و155

ولم تكن استدلالات الخوارج منصبة حول اعتقادهم وأراهم المذهبية فحسب، وإن كانت هذه هي السمة العامل في تفسيرهم القرآن عامة واستدلالتهم به خاصة ويغلب عندهم الاستدلال على التفسير وما ورد من تفسير فانما هو تأويل في أغلبه، فاستدلالات الخوارج تشمل بعض اصول فرق اخرى فهم يتطرقون الى قضية المنزلة بين المنزلتين ويبرهنون على بطلانها كما يتطرقون الى قضية مبدأ التقيہ ويتحدثون فيها والى مسائل مذهبية اخرى لفرق غير فرقة الخوارج.

استدلالتهم على فساد القول في المنزلة بين المنزلتين :

فالخوارج يرون أن المنزلة بين المنزلتين قول باطل ويستدلون بقوله تعالى (هو الذي خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن...) (1)

فلا منزلة عندهم بين المنزلتين اما كافر، واما مؤمن لان المنزلة بين المنزلتين بمثابة موقف الشاك أو الواقف، ومن ثم حسموا القول في هذه القضية وأبطلوها . (2)

7- وفي مبدأ التقيہ قالوا مستدلين بقوله تعالى : (فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية) (3) وقوله تعالى : (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لولم) (4)

فأبطلوا بذلك مبدأ التقيہ الذي تعمل به الشيعة وهو لا يتمشى مع ما يؤمنون به ويتصفون به فقد عرف الخوارج بشجاعتهم في القول والمبدأ والرأي ، كما عرفوا بقيامهم بالواجب في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر غير انه وجد من الخوارج من يقول بمبدأ التقيہ فقد خالف نجدة نافعا وقال به واستدل بقوله تعالى : (إلا ان تتقوا منهم تقاة...)(5) .

ويقوله تعالى : (وقال وجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه...)(6)

كما ادعى نجدة الى أن الايات على جواز الاستدلال بمبدأ التقيہ فقد استدلت ايضا بأثار من قول الصحابة منها قول عبد الله بن مسعود «رضي الله عنه» : ما من كلمة تدفعن ضرب سوط أو سوطين إلا تكلمت بها وليس الرجل على نفسه بأمين. (7)

هذه أهم إستدلالات الخوارج التي عكست أصول مذهبهم وفكرتهم ومعارضتهم . و قد تلون الإستدلال بألوان معارضة لما استدلوها به عند مخالفتهم ومنهم الشيعة بمختلف فرقها . وهذا ما سنراه في المبحث التالي .

1- الآية 2 التفاهن

2- د. عمار الطالبي: آراء الخوارج ج 1 ص 143

3- الآية 77 النساء

4- الآية 54 المائدة.

5- الآية 28 آل عمران . 6- الآية 28 غافر.

7- د. عمار الطالبي: آراء الخوارج ص 135 مقتبس.

المبحث الرابع

الاستدلال عند الشيعة

المطلب الأول :

لقد أدت الخلافة الى الخلاف بين المسلمين فعدها بعضهم وسيلة يتم بها اجتماع المسلمين وحماية البيضة وإقامة الحدود.....وعدها اخرون أصلا في الدين وعهدا ووصية، والشيعة ذهبوا لهذا المذهب فقالت لا بد من وصاية للامام يقول عبد الرحمن ابن خلدون حاكيا رأي الشيعة.

«ان الامامة ليست من مصالح الامة التي تفرض الى نظر الامة وتعيين القائم فيها بل هي ركن في الدين، وقاعدة في الاسلام ، ولا يجوز للنبي اغفالها وتفويضها الى الامة بل يجب عليه تعيين الامام ويكون معضوما عن الكبار والصغار» وهذا يعكس نظرية الشيعة في الحكم، فهم يرون-

1-الاولى بالخلافة الامام علي - رضي الله عنه-

ويرون أنه افضل الصحابة على الاطلاق ، ومنهم من يقدح في الصحابة : « ابوبكر وعمر وعثمان» ومن قال بافضلية هؤلاء وهم يتفانون في هذا التفضيل بين مكفر للصحابة ومفسد ، وإيسرهم من يقول بافضلية علي لكن يجوز امامة بقية الامة من باب يجوز امامة المفضول عليه على الفاضل.

يقول ابو الحسن الاشعري : وهم في اعتقادهم في علي رضي الله عنهم طوائف معتدل ومتوسط وغال، يقول في الغالية وهم خمسة عشرة فرقة .»

2- الشيعة والقرآن.

كانت للصحابة كتابات معينة فمنهم من كتب القصار ومنهم من كتب الطوال المفصل ، دون مراعات النزول او الترتيب التوقيفي ومجازا سميت مصحاف فليل مصحف عن عبد الله بن مسعود او مصحف عبد الله بن عباس وهكذا..

3- ولما أن كتب عثمان بن عفان المصحف، ووزعه على الامصار وحرق ما سوى ذلك اجمع الصحابة ومن بعدهم المسلمون على المصحف العثماني واعتبروا المصحف الامام وما سواه من الكتابات المنسوخة ، ولا عبرة ذلك وما يزعمه البعض من ادعاء ان هناك مصاحف غير المصحف الامامي ومنها مصحف فاطمة فلا عبرة به على الاطلاق، وما يزعمه البعض وان كتب في حري

1- عبد الرحمن بن خلدون المقدمة ص 155.745

2- ابوالحسن الاشعري مقالات الاسلاميين ج 1 ص 66

و جريدة فإن فيه أشياء كثيرة من العلم وما فيه آية من القرآن وفيه وصيتها، (1) .
 فد ذكر السيد محب الدين الخطيب تحت عنوان الطعن في القرآن الكريم فيما يأتي
 ... بل أن أحد كبار علماء النجف وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النور
 طبرسي، ألف في سنة 1292 وهو في النجف عند القبر المنسوب إلى الإمام علي
 تاب أسماء، فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، جمع فيه فئات
 نصوص عن علماء الشيعة ومجتهدتهم في مختلف العصور بأن القرآن زيد فيه
 نقص منه، وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران 1289 هـ يقول محب الدين
 خطيب « وعند طبعه قامت مشكلة لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك محصوراً
 بن خاصتهم ». (2) وهذا - كما يرى - مبدأ التقيية ويذهب إلى ذكر آيات مختلقة عند
 شيعة الزاعمين بتحريف القرآن والطاعنين فيه. غير أن الشيخ عبد الله دراز بعد
 إشارة إلى إدعاء بعض الشيعة حول القرآن وبعض المستشرقين يقول « ومها يكن من
 ر فإن هذا المصحف - المصحف العثماني - هو الوحيد المتداول في العالم الإسلامي -
 ا فيه فرق الشيعة منذ ثلاثة عشر قرناً من الزمان ونذكر هنا رأي الشيعة الإمامية
 م فرق الشيعة ».

كما ورد بكتاب أبي جعفر الام « إن إعتقادنا في جملة القرآن الذي أوحى به الله إلى
 يه محمد - صلى الله عليه وسلم - هو كل ما تحويه دفئا المصحف المتداول بين
 ناس الأكثر وعدد السور المتعارف عليه بين المسلمين هو 114 سورة أما عندنا
 ورتنا الضحى والشرح نكونان سورة واحدة، وكذلك سورنا الفيل وقريش وايضا
 ورتنا الانفال والتوبة. أما ما ينسب إلينا الإعتقاد في أن القرآن أكثر في
 ا، فكذب، (3). ومهما تكن نتيجة هذا الرأي وسابقه فإن ما يمكن استخلاصه هو:
 - ان من الشيعة من يرى في القرآن المتداول بيننا والذي هو المصحف الإمام المجمع
 ي إمامته عند كل مسلم. (4) كنماذج وعينات وفي قسم التأويل سنتطرق لأقسام
 تأويل مع إسهاب في القول والتوضيح.

د. حسين علي محفوظ أستاذ كلية الآداب جامعة بغداد تعنت عنوان / جوانب منهجية في دراسة السنة
 بوية/ محاضرات ومناقشات ملتقى ال16 للفكر الإسلامي: مطبوعات / وزارة الشؤون الدينية
 سان 6/ 13 شوال 1402 هـ الموافق لـ 27 يوليو أغسطس 1982 ص 178

محب الدين الخطيب: الخطط العريضة للأسس التي قام عليها بين الشيعة الإمامية لإثني عشرية 14
 ب 1380 هـ ص 9/8

الدكتور عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم ط 1400 هـ الموافق 1980 دار القلم الكويت ص 39 /
 ع

للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي: كتاب إيقاظ الأعلام إلى وجوب اتباع رسم المصحف الإمام، دار
 ند العربي ص 2/ 1403 هـ 1982 م

مهالغات الشيعة: يقول صاحب كتاب المراجعات. عن اهل البيت ومنهم علي... «وفي هذا القدر من آيات فضلهم كفاية وقد قال ابن عباس نزل في علي وحده ثلاث منة آية ويذكر في الهامش الاتي «أخرجه ثقة الاسلام الكليني بسنده الصحيح.

وفي قوله تعالى (ثم أوثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم، لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) (1) قال عليه السلام السابق بالخيرات هو الامام والمقتصد هو العارف بالامام والظالم لنفسه هو الذي لا يعرف الامام - ونحو هذا عن الطبرسي (2)، وقوله في «الذي جاء بالصدق وصدق به..» ان الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم. والذي صدق به امير المؤمنين علي بنص الباقر والصادق والكاظم عن ابن عباس .

- اخرج الشيخ الطوسي في اماليه باسناده الصحيح عن امير المؤمنين ان رسول -صلى الله عليه وسلم- وآله ، تلا هذه الآية « لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة» (3) فقال أصحاب الجنة من أطاعني وسلم لعلي واقر بولايته ، فقبل وأصحاب النار. فقال : من سخط الولاية ونقض العهد وقتله بعدي، وأخرجه الصدوق عن علي عليه السلام وأخرج ابوالمؤيد -يعني عليا- وشيعته هم الفائزون يوم القيامة. (4)

ورائحة التشيع تنبعث من هذه الاثار سندا وممتنا، وما يلفت النظر هو التفسير للآيات القرآنية وفق الاعتقاد المذهبي ، وأن الآيات تدعم المذهب وكأن لا صواب الى هذا المذهب. وهذا كثير في التأويل لاسيما عند الغلاة والمتحرفين وانا هو في حقيقة الامر تأويل يفرض الاستدلال لا أقل ولا أكثر.

المطلب الثاني : إستدلالات الشيعة

استدلّاهم على احقية علي بن ابي طالب رضي الله عنه بالخلافة بقول تعالى : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ..» (5)

قالوا هذا يعني طاعة من هو أعلم وأقدر ، والنبي «صلى الله عليه وسلم» قال : «أقضاكم علي» نص في الامامة فان الامامة لامعنى لها الا ان يكون اقضى القضاة في كل حادثة والحاكم بين المتخاصمين في كل واقعة وهو معنى قوله سبحانه وتعالى : « اطيعوا الله واطيعوا

الرسول واولي الامر منكم» (5). قالوا فأولوا الامر من إليه القضاء والحكم والى هذا

1- الآية 32 فاطر

2- تفسير ج 5 ص 244

3- الآية 20 الحشر

4- الامام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي : المراجعات كتاب خاتمة برك اسلامي: ص 42/43 و هامشها

5:57 النساء: 57

القول (1) ذهب صاحب المراجعات واستدل على أن الائمة هم المقسودون بقوله تعالى أو أولوا الامر منكم (2)

الاستدلال على أن عليا هو سراط الله المستقيم: واستدلوا على أن عليا هو سراط الله المستقيم لقوله تعالى : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (3)

كان الباقر والصادق يقولون : الصراط المستقيم هنا هو الامام ، ولا تتبعوا السبل أي أئمة الضلال فتفرق بكم عن سبيله ونحن سبيله (4).

مناقشة الاستدلال :

1- والوارد في كتاب التفسير جميعا بما فيها تفسير الطبرسي «وهو شيعي» ان الله تعالى بعدما ساق المحرمات (قل تعالوا اتل) ما حرم وبكم .. تتقون» ختم ذلك بقوله : «وإن هذا صراطي مستقيما» ، قال ابن عباس يريد ديني دين الخنيفية اقوم الاديان اشارة الى ضرورة اتباع دين الله ، والكفر بما سواه قال الطبرسي بعد ذكره لاقوال كثيرة ومعظمها يدور حول هذا المعنى «... وقيل يريد ان ما ذكر في هذه الايات من الواجب المحرم صراطي لان امتثال ذلك علي ما أمر به يؤدي الى التواب والجنة فهو طريق اليها والى النعيم فيها» (5) وقال القرطبي : «.. هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم...» وساق كلاما مقاربا للسابق.

2- امل صراط الله : اي صراطي ، فيجمع المفسرون على ان المراد طريق الله ويختلفون في الدلالات على ذلك قال الرازي (6) : «فدخل فيه كل ما بينه الرسول «صلى الله عليه وسلم» من دين الاسلام. وقال تقي الدين احمد بن تيمية : «فان الصراط المستقيم ان تفعل في كل وقت ما أمرت به في ذلك من علم وعمل ولا تفعل ما نهيت عنه» (7).

اما السبل : فهي الطرق المخالفة للاسلام مثل البدع، طرق الكفر، الشبهات. أما قوله تعالى : عن سبيله اي عن دينه، وصراطه ، وطريقه قال الطبرسي «اي فتشئت وتقبل وتخالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه اوصى، وقبل عن طريق الدين» (8)

1- الشهرستاني : الملل والنحل ص 163/164 ج 1

2- عهد الحسين شرف الدين الموسوي : المراجعات ص 35

3- الآية رقم 153 الانعام

4- المصدر السابق ص 34

5- الطبرسي : جمع البيان في تفسير القرآن ج 3 ص 235

6- الرازي : التفسير الكبير ج 13 ص 3 -

7- د. جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل ج 1 ص 22

8- الطبرسي : جمع البيان في تفسير القرآن ج 3 ص 235

وهذا التأويل مستبعد إذا قصد به أنمة أهل البيت على مذهب الشيعة اما إذا قصد به الاتمة بصفة عامة اي الهداية فان المعنى ينصرف الى ما يرشد اليه من طرق الهداية والرشاد لا الى ذواتهم.

فالاستدلال على أن عليا هو صراط الله المستقيم لم يرد في اثر صحيح ولم يقل به امام ، كما ان سبيله لم يقل أحد بأنه الباقر أو غيره وانما الوارد سابقا هو المجمع عليه عند المفسرين وما سوى ذلك فمن التأويلات المستبعدة وما تأسس على مستبعد فهو مستبعد بالضرورة. غير ان ما يلاحظ على هذا النقل انه :

- 1- ينسب الى ابن عباس وإلى أهل البيت فقط من مصادر لا قوى عند وضعها على محك النقد من حيث السند والتوثيق، فلم ترد في المصادر المغيرة ولا في المراجع المعتمدة.
- 2- احتياجها الى توثيق من مصاد معتبر نقلية حتى يقوى الاستشهاد والاحتجاج بها. ولا يقدر هذا ابدا في أهل البيت مادام لم يصح عنهم فهم مطهرون قال تعالى «يبيد الله ليهذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا»(1) وأهل البيت، هم اهل النبي «صلى الله عليه وسلم» زوجاته وابناؤه واصحاب الكساء ومفهوم اهل البيت عند الشيعة فيه الكثير من التعسف اي يخرجون أزواج النبي «صلى الله عليه وسلم». وأن هذه الرويات مع اعزازها الى السند القوي، فهي تعتبر من مرويات الشيعة ولكن عن مناقشة منطوق هذه النصوص المعنى خلاف ما ذهبت اليه هذه الرويات فحبل الله في قوله تعالى(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)(2) فحبل الله، هو القرآن وهو دين الاسلام. وهو الصراط المستقيم... وهو كما يقول الرازي : «فكان المراد من الحبل ، هاهنا كل شيء يتوصل به الى الحق في طريق دين الله، وهو أنواع كثيرة فذكر كل واحد من المفسرين واحدا من تلك الاشياء...»(3) فاذا كانت الآية تدعو الى الاعتصام بحبل الله، فهي تدعو الى الاعتصام بما يدعو اليه كل داع الى الله، وعلى اعتبار القصد فليس المراد الاشخاص لذاتهم وحمل هذه الايات على أهل البيت ، لا يقوى عند النظر في اسباب النزول وفي تفسير هذه الايات ، فقوله تعالى:(اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم..)(4)
- علاوة على الشك في الطريق المؤدي اليها، وظهور تحيز هذه المصادر الى القلوب في التشيع والى غلاة الشيعة، وهي مرجعهم فالطبرسي(5)، والكليني والكافي والعسكري كل هذه المراجع

(1) الآية 33 الأحزاب

(2) الآية 103 آل عمران.

3- الرازي : التفسير الكبير ج 8 ص 162

4- الآية 59 النساء.

5- الطبرسي : مجمع البيان ج 8 ص 156

تحمل اكاذيب عن أهل البيت وخاصة الباقر والصادق، الذين أخذ عنهم علماء السنة واعتبروا من الائمة الكبار، فقد تتلمذ عليهم كبار علماء السنة كمالك وغيره.

فاذا كان هذا الشك وارد في السند، فان مايقويه هو ماورد من سبب نزول هذه الاية وغيرها وتفسيرها.

فقد ذكروا « ان رجلا من الانصار خرج في سرية، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء فقال : أليس قد أمركم رسول الله ان تطيعوني.

قالوا : بلى

قال : فاجمعوا الى حطبا ، ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال اغرمت عليكم لتدخلنها.

فقال شاب منهم: انم قهرتم الى رسول الله من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله فان امركم ان تدخلوها فادخلوها .

قال: فرجعوا الى رسول الله فأخبروه.

فقال : لو دخلتموها ماخرجتم منها الى الابد إنما الطاعة في المعروف » (1) .

فاول الامر هاهنا يعني الامراء وقد قال المفسرون انما هم اهل القرآن والعلم وهو اختيار مالك رحمه الله وعن الضحاك (2) : يعني الفقهاء والعلماء في الدين ، وقيل هم الامراء والعلماء الامراء الذين يتبعون امر الله . والفقهاء ، فطاعة اولي الامر هاهنا في الاية مرتبطة بطاعة الله، وطاعة رسول الله ، اذ جاء اللفظ، واطيعوا الله، واطيعوا الرسول وعظفت اولي الامر بدون ذكر واطيعوا لزم من ذلك ان تكون طاعتهم اصلا من طاعة الله، ومن طاعة الرسول .

ثم جاد الحديث ليبين ان الطاعة في المعروف ، والحديث : لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق فيترتب على هذا ان المقصود في الاية انما هم الامراء المتبعون للدين، أو العلماء.

وكون الاية دلت او تدل على أهل البيتولم يعلم هذا الاستدلال الا عن طريق الشيعة فقد صرح بذلك الطبرسي (3) حيث قال بعد ذكره القول الاول وهو «انهم الامراء عن ابي هريرة وابن عباس وميمون بن مهران والسدي والحبائي والبلخي والطبري وذكر القول الثاني وهو إنهم العلماء ثم قال: «واما اصحابنا فانهم روى عن الباقر والصادق. أن اولي الامر : هم الائمة من آل محمد، وأوجب الله طاعتهم بالاطلاق كما اوجب طاعته وطاعة رسوله...»

-وعلى ظاهر الرواية فان هذا استدلال من الباقر ومن الصادق على أن المقصود باولي الامر ائمة اهل البيت لانه لم يرد في لفظ صريح يشير الى انها نزلت في «أهل البيت .

1- ابو الفداء ابن كثير تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 108

2- القرطبي: ج 5 ص 259

3- الطبرسي : مجمع البيان ج 2 ص 138

- في لفظ الطبرسي «وأصحابنا» وهو الشيعي أي الشيعة وهو هنا يذكر تأويلاتهم ولاعجب في هذا التأويل إذ الاصل يدعو الي أن الامر عهدا ووصاية الى أهل البيت فالطاعة من الواجب واللزوم بناء على هذا الاصل.

وما يمكن الجزم به هو ان الآية تنصرف الى أول الامر : أي العلماء الفقهاء والا فالعلماء والفقهاء والامراء وتبقى طريقة الوصول الى الحكم والامر فذاك موضوع آخر وله نصوصه واحكامه واستدلالاته.

5- أهل الذكر : (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون)(1) قد ورد هذا الشرط من الآية في الايتين في سورة النحل الآية 43 وفي سورة الانبياء والنص الكامل للايتين.

الآية الاولى «وما ارسلنا حق قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وللعلم يتفكرون»

فالآية : « وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون وما جعلناهم جسدا لياكلون الطعام وما كانوا خالدين» (2) فالسياق العام يوحي بان المقصود هم من لهم علم بأخبار الاولين أي أهل الكتاب وقد ذكر ابن كثير في الايات «أن الله تعالى أرشد من شك في كون الرسل بشرا الى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة هل كانوا انبياءهم بشرا أم ملائكة(3) .

وقال النووي : يعني أهل التوراة فيخبروكم أن الانبياء وكلهم كانوا بشرا فهم أهل العلم باخبار الماضيين» وهذا السؤال انما يوجهه من انكروا على محمد النبوة والرسالة أي الكفار : كفار قريش.(4). فاذا ماجئنا الى ما استدل به العلماء في هذه الآية فنجد:

ذهب الكثير من الفقهاء على ضرورة اتباع العامي مذهب من يستفتيه قال الفلاني فأوجب الله تعالى على كل من لا يعلم ان يسأل أهل العلم ومفهوم الامر وجوب اتباع أهل العلم(5).

وقد قال منكر التقليد ان هذا القول مقصود بهذا الواقعة بعينها أي سؤال أهل الكتاب في امر النبوة. ذكر هذا الرازي (6) وحقيقة الامر ان خصوص السبب لا يحول دون عموم المعنى .

فقد ذكر من المفسرين أن أهل الذكر انما هم أهل القرآن لتسمية القرآن بالذكر ، فقد قال تعالى

1- الآية 43، 44 النحل

2- الآية 107 الانبياء

3- ابر الفداء ابن كثير ج 3 ص 455

4- النووي : تفسير النووي ج 1 ص 430

5- الامام صالح بن محمد العمري : مختصر ايقاظ اولي الابصار. تحقيق سليم الهلالي. المكتبة الاسلامية قصر الكتب البلدية الجزائر ص 82

6- التفسير الكبير ج 22/21 ص 141

: (ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدخر) وقال : (وانه لذکر لد ولقوصد) وقد وافق

الكشاف على تسمية القرآن بالذکر فقال قيل للکتاب ذکر لانه موعظة (1)

وعلى هذا فأهل الذکر حسب السباق أهل الکتاب الذین لهم ذکر بأحوال البعثة الانبياء والرسل ، وطبيعة هؤلاء الرسل «الحسن قتادة، عبد الله بن عباس...» وهم کل من لهم علم ، وهم العلماء ، والفقهاء . وأهل القرآن . وهذا ما أجمع عليه العلماء .

أما كون أهل الذکر هم أهل البيت فبخصوص هذا الوصف لم ترد هذه الدلالة إلا عند الشيعة ، وذكر هذا هو الورد الطبرسي في تفسيره حيث قال : «فروي عن علي أنه قال عن أهل الذکر وروي ذلك عن ابن جعفر» (2).

6- استدلال بقوله تعالى :

«ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا» (3)

فحسب نزول هاتين الايتين اللتين نصهما (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء). قال العلماء : هاتان الايتان نزلتا بسبب ابن ابيرق السارق لما حکم النبي «صلى الله عليه وسلم» بالقطع وهرب الى مكة واراد قال سعيد بن جبیر لما صار الى مكة نقب بيتا بمكة فلحقه المشركون فقتلوه فأنزل الله : (ان الله لا يغفر ان يشرك به... الى قوله... فقد ظل ضللا بعيدا).

وقال الضحاک قدم نجر من قريش المدينة وأسلموا ثم انقلبوا الى مكة مرتدين فنزلت هذه الاية «ومن يشاقق الرسول». (4) فأسباب النزول للايتين مشترك كما اخبر به العلماء.

وسبيل المؤمنين هو طريق المؤمنين ، وهو الاسلام، يقول : الطبرسي «وقد استدل بهذه الاية على أن اجماع الامة حجة ، لانه توعد على مخالفة سبيل المؤمنين كما توعد على مشاققة الرسول (5) وهو اذ يسوق هذا القول فإنما هو وارد عند الاصوليين من الادلة المشهورة عندهم والمستشهد بها في كتب اصول الفقه ويذكرون أن الشافعي سئل عن دليل حجة الاجماع فطلب مهلة حتى يبحث الدليل وقيل انه قرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى وجد هذه الاية (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين، نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا» (3).

1- الكشاف ج 3 ص 411

2- الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج 4 ص 10

3- الاية 115 النساء.

4- القرطبي التفسير ج ص 385

5 محمد ابو زهرة الشافعي ص 1978 ص 269

قال صاحب المنهاج وأول من احتج بهذه الآية الشافعي وعيسى بن أبان. غير ان الطبرسي لا يرضيه هذا القول ولا هذا الاستدلال وانما يرضيه ان بصرفها الى أهل البيت فيقول .
والصحيح انه لا يدل على ذلك ، لان ظاهر الآية يقتضي متابعة ايجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهرا وباطنا لان من أظهر الايمان لا يوصف بأنه مؤمن الا مجازا فكيف يحمل ذلك على ايجاب متابعة من اظهر الايمان وليس كل من اظهر الايمان مؤمنا ومتى حملوا الآية على بعض الامة جهلها غيرهم .

على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين وهم الائمة من آل محمد «صلى الله عليه وسلم». على ان ظاهر الآية يقتضي ان الوعيد انما يتناول من جميع . بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين. ونحن انما علمنا يقينا ان الوعيد انما يتناول بمشاقة الرسول بانفراده بدليل غير الآية. فيجب ان يستدلوا بتناول الوعيد باتباع غير سبيل المؤمنين الى دليل آخر. (1)
-فالطبرسي هنا يرفض دليل حجية هذه الآية على الاجماع لانه لا يرى توفر سبيل المؤمنين فالناس عنده وان اظهر الايمان فلا يمكن الجزم بالايمان للجميع ومن تم لا يمكن توافر الاجماع لعدم توافر جماعة المؤمنين التي يعتد باجتماعهم.

يلمح الى نحلته وجماعته في قوله : غيرهم .
ويؤكد حمل الغير لهذه الآية على المحمل المزعوم : «حملها غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين وهم الائمة من آل محمد «صلى الله عليه وسلم» (2).
وهذا استدلال بالآية على أن المقصود من سبيل المؤمنين «انما هم الائمة من أهل البيت ولم يقل بهذا القول الا الشيعة ، فالائمة من أهل البيت ومن غير أهل البيت كلهم ضمن المؤمنين، وهم سبيل المؤمنين.

-اما التصريح بعصمة غير الرسل «عليه السلام» فهذا لم يرد الا عند الشيعة في أنتمهم والعصمة لا تكون إلا للنبي قال تعالى: (والله يعصمك من الناس) (3) فالاستدلال المرجح انما هو أن الآية تنصرف الى أن سبيل المؤمنين وهو اجماعهم انما هو أصل واجب الاتباع وعضد هذا المعنى الكثير من الايات منها. (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (4). و (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) (5) وغير هذه

1 - الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج 2 ص 230/229

2- المصدر نفسه ص 230

3- الآية 67 المائدة

4- الآية 142 البقرة 5- الآية 58 النساء

الآيات، ومن الأحاديث «لا تجتمع امتي على ضلالة» (1) و «سألت الله ألا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها» (2). وكذلك « لا تزل طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم» (6) وقوله -صلى الله عليه وسلم- «... ما رأه المسلمون حسن فهو عند الله حسن» (3) واجماع الصحابة «رضوان الله عنهم» بعد موته على كثير من الأمور.

أما الذهاب الى أن المقصود بهذه الآية غير المعنى عدا ماورد من سبب نزول من المذاهب البعيدة التي لا يدعها الى هوى أو نحلة ، أو رأي مذهب.

استدلاله بقوله تعالى : (انما انت منذر ولكل قوم هاد..) (4)

تحدث العلماء في الهداية وقسموها الى أقسام باعتبار الدلالة اللغوية فقالوا : مرشد وباعتبار وسيلة الهداية، فقالوا هداية العقل، فالعقل هاد، وهداية الحواس، فهي تهده صاحبها ورتبوا الهداية رتبا فقالوا:

-هداية الحواس : بمعنى الارشاد

-هداية العقل

-هداية الوحي

وفي قوله تعالى : (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه ، انما انت منذر ولكل قوم هاد). (5)

فهاد بمعنى : اي نبي يدعوهم الي الله، وبمعنى : الهادي الله، وعليك الانذار ، والله الهادي لكل قوم ان اراد هدايتهم.

وقد ذكر الطبرسي اقوالا ثلاثة وارجز فيها . لان مدارها وان اختلف التأويلات حول الهداية بمعنى الارشاد، او التوفيق وهي محسورة في هداية الله، وهداية النبي صلى الله عليه وسلم - ولكن اسهب في القول الرابع لان هذا القول يحضر معنى هاد في علي بن اب طالب رضي الله عنه فقال : والرابع ان المراد بالهادي : كل داع الى الحق وفي رواية عن ابن عباس قال لما نزلت الآية. قال الرسول : ان المنذر وعلي الهادي من بعدي يا علي! بك يهتدي المهتدون .

-وروى الحاكم ابو القسام الحسكاني : في كتاب شواهد التنزيل بالاسناد عن ابراهيم بن الحكم بن ظهير عن ابيه عن حكم بن جبير عن ابي بردة الاسلمي قال : دعا رسول الله-عليه السلام -

1-رواه الترمذي.

2-رواه احمد والطبراني وابن ماجة

3-رواه لاهخاري ومسلم عن معاوية.

4-رواه احمد.. والبخاري والطيالسي وابو نعيم والبيهقي.

5- الآية 7 الرعد.

بالظهور وعنده علي بن ابي طالب فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بيدي علي بعد ما تظهر والزمها بصدره ثم قال انما انت منذر ثم ردها الى صدر علي ثم قال ولكل قوم هاد انك منارة الانام وغاية الهدى وأمير القرى واشهد على ذلك انك كذلك. (1)

هذا ما ساهق الطبرسي وختم به الاقوال الثلاثة وكأنما هو الخاتمة والخلاصة وهو مدغم بشاهدين أثريين. وقد تعقب ابن كثير رواية ابن عباس وتعقب ذلك بقوله وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ولا يخفى على كل متتبع للمذاهب وتأويلاتها للنصوص أو اختلافها الأدلة، أو المغالاة في دعم الرأي والمذهب على حساب بقية الآراء والاقوال ما في هذه النصوص من رائحة تشم بل من إشارة ناطقة على مدى الجري ورأي الرأي والمذهب على حساب الحقيقة ومناقب الامام علي أن أكثر وأجل من أن يعوزه تأويل أو اثر يقول فيه حافظ كاهن كثير : حديث فيه نكارة. ثم ان الهادي بالمفهوم اللغوي تصدق على كل من يمارس الهداية أي يعين غيره على الاهتداء وحصرها في شخص معين اجحاف في حق الحقيقة. وعلى هذا فحصر استدلال صاحب الحسين الموسوي يمكن حصره في دائرة التعصب المذهبي.

8- استدلاله بقوله تعالى :

(صراط الذين أنعمت عليهم) (2) فالذين أنعم الله عليهم صرحت به الايات قال تعالى : (ومن يطع الرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا). (3)

ولا يخفى على أحد ما في القران من دلالة، فان الآية الاولى بمثابة المجلد، حيث قال القاسمي في تفسيره وهم المذكورون في الآية 68 النساء. (4) و ان الآية الثانية بمثابة المفصل. فالذين أنعم الله عليهم في : (الذين أنعمت عليهم) (2)

هو الذين أنعم الله عليهم في : (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (3)

والآية أشمل من ان تحصر في علي بن ابي طالب رضي الله عنه كما يذكره الشيعة (5) وقد جمع ابن كثير الاقوال في تفسير المراد فقال «اضافة الى آية -68 النساء- قال الضحاك عن ابن عباس صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وانبيائك والصديقين والشهداء والصالحين وذلك نظير قوله ربنا تعالى : ومن يطع الله والرسول فذلك مع الذين أنعم الله عليهم : الآية وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس هم النبيون وقال ابن جريج في

1 - الطبرسي : مجمع البيان ... ج 4 ص 147

2- الآية 6 الفاتحة

3- الآية 68 النساء.

4- جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل ج 2 ص 23

5- مجمع البيان في تفسير القرآن ج 1 ص 63

رواية لابن عباس هم المؤمنون، وقال وكيع هم المسلمون. و نرى الانسة كلهم يجمعون على ان الذين انعم الله عليهم هم الاصناف المذكورة سابقا ولا يعقل عقلا كما لا يجوز نقلا ان يكون المعنى ماذهبت اليه فرقة الشيعة وتركه هؤلاء . وهم أمناء على الدين والشريعة، وإنما الصحيح هو ان التعصب المذهبي هو الغالب على التأويل المستبعد والاستدلال المردود وهو مظاهر في الحديث عن قوله تعالى: (صراط الذين انعمت عليهم...).

المطلب الثالث : غلاة الشيعة واستدلالهم بالقرآن الكريم:

الشيعة كلهم يغلب عليهم الاستدلال التأويلي ، وهم في التأويل أصناف لكن التأويل المفضوح هو تأويل الغلاة منهم فهناك فرق ذهبت مذاهبا غريبا.

ادعت البيانية : وهم أصحاب بيان بن سمعان التميمي في قوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه...) (1) إن الله على صورة الانسان وأنه يهلك إلا وجهه» (2)

وهذا من قببح الاستدلالات وهو دليل على كفرهم، اذ يقولون قولا اذا في العقيدة وهذه الفرقة لاتقول بهذا القول فقط بل تذهب الى نبوة بيان هذا بعد ان ادعت ان عليا حلت فيه روح الله. وتأولوا في ذلك قول الله عز وجل : (هذا بيان للناس وهدى) (3) فكتب بيان هذا بعد ادعاء النبوة الى ابي جعفر محمد بن علي الحسين بدعوه الي نفسه والاقرار بنبوته يقول : «أسلم تسلم، وترتق في السلم، وتنج وتغنم فانك لاتدري أين يجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول إلا البلاغ وقد اعذر من أنذر». (4)

وقالت البيانية بأن عليا رفع وأنه يرجع وان الرعد صوته والبرق تبسمه وعقيدة الرجعة عقيدة الكثير من الشيعة . تستدل البيانية على عقيدة الرجعة بقوله تعالى : (هل ينظرون إلا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام...) (5)

وتشارك البيانية ضلالاتها فرق كثيرة منها :

السهمية : وهي نسبة الى عبد الله بن سبأ من أمة سواداء كان يهوديا فاعتنق الاسلام وشغب على عثمان، وانظم الى جيش علي وزعم أن عليا وصيا ثم قال هل هو نبينا وأن ما مات وإنما رفع، وأنه يعود كما يعود عيسى ويملا الدنيا عدلا كما ملئت جورا وقال عجبت لمن يؤمن برجعة

1- الآية 88 القصص

2- ابر الحسن الاشعري : مقالات الاسلاميين ج 1 ص 66

3- الآية 138 آل عمران

4- الشهرستاني : الملل والنحل ص 152

5- الآية 210 البقرة

عيسى ولا يؤمن برجعة محمد (1) ثم ادعى الوهية على: ويزعم السبئية ان دليلهم على عقيدة الرجعة قوله تعالى: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد... (2) وعقيدة الرجعة هذه عند الكثير من فرق الشيعة /يقول جولد تسيهر: «فكرة الرجعة ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من وضع عقائدهم التي اختلفوا بها ويحتمل ان تكون قد تسربت الى الاسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية». (3) وغلاة الشيعة يذهبون مذاهب مختلفة في تأويل القرآن الى درجة تطويع الآيات للاستشهاد بها على كل ما يعتقدونه من عقائد. «فالتفسير الشيعي للقرآن بلغ الغاية القصوى من التأويل التحكمي المعتسف في العثور على آيات قرآنية تؤيد هذا النظام المقرر». (4)

ولا يعني هذا ان المعتدلين من الشيعة لا يذهبون الى التأويل المستبعد او يستدلون بالآيات على ما يعتقدون بل انه من المسلمات الايمانية عندهم.

الأئمة يخصصون النصوص العامة، ويقيدون النصوص المطلقة

وهم يؤمنون بأن الأئمة يعلمون كل العلوم: يقول الطوسي: «أنه قد تثب ان الامام، إمام في سائر الدين متولي الحكم في جميعه جليلة ودقيقة، ظاهره وغامضه وليس يجوز الا يكون عالما لجميع الاحكام وهذه صفته». (5)

ومن الشيعة من يعتقد بأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خص عليا بعلوم خاصة، وانها انتقلت الى بقية أئمة أهل البيت فهم مخصصون بهذه العلوم دون سواهم.

وعند فرق أخرى نظرية الفيض، أو الاشراق، أو العلم اللدني وهم في ذلك يستدلون بقوله تعالى في الخضر العبد الصالح: (وعلّمناه من لدنا علما ..) (6) ويذهبون الى أن

النصوص ظاهرا وباطنا، وأن الباطن لا يعلمه إلا الأئمة، ومن هذه الفرق الباطنية

التي جاءت بالأعاجيب في التفسير الذي تزعمه للقرآن، وفي الاستدلالات الغربية. (7) إن هذه الاستدلالات تعكس هي الأخرى الاستدلال المذهبي عند الشيعة، سواء الغلاة أو

المعتدلين، وقد تلون الاستدلال في كل ما سبق بلون الفرق المختلفة في آرائها الفلسفية والسياسية والعقيدية، وقد يكون في آراء فقهية وهذا ما سنراه في المباحث الآتية.

1- جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الاسلام ص 176

2- الآية 85 القصص

3- المصدر السابق: ص 191

4- المصدر نفسه ص 176

5- محمد ابو زهرة تاريخ المذاهب الاسلامية ج 1 ص 57

6- الآية 64 الكهف.

7- المصدر نفسه تاريخ المذاهب الاسلامية ج 1 ص 61-62

المبحث الخامس

الاستدلال الفقهي بالقرآن الكريم

المطلب الأول : اثر الاصول في الاستدلال الفقهي :

حقيقة أن الصحابة لما كانوا يتعاملون مع القرآن والسنة لم تكن لديهم قواعد دقيقة، وضوابط ثابتة وأصول محررة، وإنما معنى هذه الحقائق أو معظمه هو الذي كان موجودا لديهم. فاللغة : ملكوا ناصية الخطاب، وأتوا قوة من الفصاحة والبلاغة وفهم مقتضى الخطاب العربي وما يستدعيه.

والادلة الشرعية : كان النبي -صلى الله عليه وسلم - وهو مبلغ الشريعة بين ظهرانيهم ومن خلال هذا التبليغ عرفوا مقاصد الشريعة ، وقد صرح لهم أكثر من مرة بذلك كقوله -صلى الله عليه وسلم- : « لا ضرر ولا ضرار »، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (1)، وهذا كثير في النصوص القرآنية والحديثية.. فلم تكن الحاجة تستدعي وجود هذا العلم ولا غيره مثل علم قواعد اللغة .. فهم يصلون الاحكام الشرعية بما سبق ذكره، ثم ان النبي -صلى الله عليه وسلم - بين أظهرهم يقوم اجتهاداتهم ليقر الصواب ويرد الخطأ.

وهكذا كان عهد الصحابة اذ هو حلقة تابعة للحلقة السابقة؛ حقيقة أنه لا يعرض رسول الله أحد فضلا وتقوى وعلمًا، غير أن علماء الصحابة وفقهاهم كفوا الأمة إن في حمل ما سمعوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من علم أو في الاجتهاد. وفي عهد التابعين لم تستدع الضرورة بالخاص وجود علم يستعان به للوصول الى الادلة الشرعية ، غير أنه ظهر جمع لفقهاء السلف الصالح، وتبويبه يقول أبو الاعلى المودودي : - «فلقد قام مجلس من العلماء تحت رئاسة وإشراف أبي حنيفة ذلك الرجل النافذ البصيرة بتحقيق أحكام القرآن ، ونظائر الفتاوى والقراءات والأحكام السابقة واستخراج أحكام الشريعة ووضعها في صورة منقحة، ثم اجتهد أعضاؤه اجتهادا عريضا في إطار مبادئ الشريعة ورتبوا من أجل الضرورات المحتمل حدوثها في كل شق من الحياة القوانين اللازمة الصالحة للتطبيق». (2)

ولقد كان للتبويب الفقهي والتدوين أثر إيجابي ونافع ولكن سرعان ما انقلب هذا التراث الفقهي عند فريق من المسلمين الى جدل ونزاع عنيفين وبدأت الشقة تتسع حتى تبلورت في فريقين :

1- الآية 76 الحج

2- أبو الاعلى المودودي : الخلافة والملك شركة الشهاب ص 164 ، 1988/4/19

1 فريق يتشبه بالنصرس النقلية ، وأخبار السلف الى حد كبير ، وهؤلاء في تمسكهم طوائف مختلفة : عالم يفقه ما يحمل ويحسن التصرف فيه ، ومتبع يتمسك ببضاعة قليلة في الفقه ، وثالث ليس له فقه ولا علم على الاطلاق ، ويسمى هؤلاء أنفسهم بأهل الحديث .

قال الامام الرازي : «أما أصحاب الحديث فكانوا حافظين لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلا أنهم كانوا عاجزين عن النظر والجدل وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأي سؤالاً أو إشكالا سقط في أيديهم عاجزين» .(1)

2- وفريق ثان : قليل البضاعة في السنن والأحاديث وآثار السلف ، كثير النظر والاستدلال يجتهد بناءً على المقاصد العامة من النصوص القرآنية وعمومات الخطاب ويدور حول المصلحة وجوداً وعدمها؛ وهذا الفريق بين مقر بأولوية النقل معتذراً عن عدم بلوغه ، فإذا بلغه وصح عنده رجع اليه مجتهداً في فهمه والاستدلال به، وبين مغال في استعمال العقل الى حد الافراط.

واحتدم النزاع بين الفريقين الى حد تبادل التهم والتراشق بالتفسيق والتكفير ، فأهل الرأي يتهمون أهل الحديث بالحشوية وببلادة الذهن والعجز ، وأولئك يتهمون أهل الرأي بالمروق والزندقة وتعطيل نصوص الشرع .

فظهر الامام الشافعي محمد ابو ادريس فحسم هذا النزاع بتقعيد القواعد وتأصيل الأصول ، ومد الجسور بين الفريقين وأذاب جليد الحقد وقضى على الشحناء.

قال الرازي : « لولا الشافعي لكان أصحاب الحديث في عمى » ، (1) فقد وضع الشافعي رسالته وتكلم فيها عن :

القرآن وبيانه، والسنة ومقامها بالنسبة للقرآن الكريم، وأقام الادلة على حجية السنة ، لم يسبقه إليها غيره.

كما تكلم عن الناسخ والمنسوخ، وعلل الاحاديث والاحتجاج بخبر الآحاد، وما يجوز فيه الخلاف وما لا يجوز .

وقد أعاد تأليفها بمصر، وهي تشتمل -علاوة على ما سبق - على بيان الأمر والنهي، والخبر والقياس وغير ذلك من المباحث الاصولية. (2)

وقد تكلم في هذا العلم في غير الرسالة إذ له مباحث في أحكام القرآن واختلاف الحديث وفي القياس (كتاب القياس) وفي إبطال الاستحسان. (2) و بهذا العمل بدأت جسور العلم تمتد

1- الفخر الرازي :ج 17 لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة.

2- د. شعبان محمد اسماعيل : أصول الفقه ورجاله وتاريخه ص 68

الى الفريقين وبدأ علماء الاثار يشتغلون بهذا العلم، و طفق علماء الفقه يطبقون هذه القواعد الاستدلالية على النصوص مستخدمين ما لديهم من رأي ونظر وفقه وعلم حتى ظهر المذهبان المشتهران في الامة وهما:

أولاً : مذهب الحنفية وأهل الكلام.

ثانياً : مذهب الفقهاء .

ولكل مذهب آثاره وطرائقه في الاستدلال بالقرآن الكريم على الاحكام الشرعية. وبعد الامام الشافعي -الذي قعد أصول هذا المذهب - جاء أتباعه فساروا على دربه واستعملوا أصولاً في استدلالاتهم على الاحكام الفقهية .

وقد كان الشافعي -رضي الله عنه - من أئمة السنة، وكان يرى أن القرآن هو المصدر الاول الذي تستنبط منه الادلة وهو مدار الشريعة.

المطلب الثاني : أثر الفقه في الاستدلال بالقرآن الكريم :

إذا ما تأملنا طريقة استدلال الفقهاء بالقرآن الكريم ، فإننا نجدها تدور أصلاً على العلة وجوداً ونقياً، وهم في ذلك متبعون لا مبتدعون؛ فقد دلت آيات قرآنية كريمة - تعتبر أصول الرسالة الاسلامية، وأصول الشرائع - على ذلك دلالة تكاد تكون صريحة ؛ قال الله تعالى في الاستدلال على بعثة الرسل وأمر أخرى :

1- (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الوسل) (1) فجملة (لئلا يكون للناس) : -أي المشركين والكفار المحاجين - تعليل لبعثة الرسل .فقد علل سبحانه وتعالى بعثة الرسل بقطع الحجة على الناس. ونظير هذا المعنى كثير في القرآن الكريم. كما أن من التعليل للبعثة قوله تعالى في بعثة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (وهما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (2) فالرسالة المحمدية رحمة للعالمين.

2- على الخلق : (هو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليلوكم ايكم احسن عملاً). (3) فقد علل الخلق بالابتلاء : أي اختبار الناس وإظهار من هو أحسن عملاً .

3- وفي الموت قال تعالى : (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق

الموت والحياة ليلوكم ايكم احسن عملاً) (4) فخلق الموت والحياة علة ذلك الاختيار

1- الآية 165 النساء

2- الآية 107 الانبياء

3- الآية 7 هود

4- الآية 2 الملك

بالنسبة للناس حتى يحسنوا العمل . بل خلق الجن والانس علته -العبادة- قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (1)

فالتعليل ظاهرة متكررة في القرآن الكريم، في العقائد أو العبادات أو الاحكام الشرعية، والفقهية . ومن هذه العلة انطلق كثير من الصحابة في استنباطاتهم الفقهية مع عوامل أخرى تتعلق بالنص من آثار كأسباب النزول وغيرها، أو بالنص ذاته سواء من حيث دلالاته اللفظية الصريحة أو غير الصريحة.

وهذا أيضا مستنبط من كتاب الله الذي **علل الكثير من الاحكام** : قال تعالى بعد الحديث عن الطهارة المائية ثم الترابية: (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ، ولئن يريد ليبطركم وينتم نعمته عليكم) (2)

قد استنبط من هذه ومثيلاتها قواعد عامة منها: ان الشريعة جاءت لرفع الحرج.

وكذلك قوله تعالى في الصلاة والصيام والزكاة وغيرها : (اقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (3) ، (كتب عليكم الصيام... لعلكم تتقون) (4)
(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم .) (5)

وبغيرها من النصوص القرآنية الكثيرة التي نصت على علة الامر، أو الاذن ، أو النهي، أو المنع... والعلة تكون أحيانا صريحة وأحيانا غير صريحة .

وقد اتفق الفقهاء المجتهدون -أصحاب المذاهب الفقهية المشتهرة ، والمندثرة ، والذين بقيت أقوالهم حجة وكذا المذهب الظاهري -اتفق هؤلاء جميعا على أن المصدر الاساسي الاول في مذهبهم هو :

القرآن الكريم على تفاوت : في الفهم لما يحتمل الظن من حيث الدلالة، فالفقهاء من عهد النبي -صلى الله عليه وسلم - الى عصر التدوين وهم يتعاملون مع النص القرآني فقها وعلماء، عملا وتطبيقا ؛ فقد فهم عدي بن حاتم الطائي قوله تعالى : (... واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم انهوا الصيام الى الليل) (6) أن المقصود من ظاهر النص هو ربط خيطين ، وظل يأكل ويشرب حتى اتضح الصبح الذي عيبتين. فلما أبلغ فهمه للرسول -صلى الله عليه وسلم - لم يقره على ذلك ، وأعلمه أن المقصود اتضح الفجر؛ فالتعبير هنا على مقتضى اللسان العربي والمقصود منه -فقد جعله في الكشاف تشبيها بليغا- والمقصود حتى يطلع الفجر الصادق . غير أن عبد الله بن عمرو بن العاص لما تيمم ولم يتوضأ حين أصبح جنبا، واخبروا النبي -عليه السلام - بذلك قال: «ما دفعك الى ذلك يا عمرو؟

1-الاية 56 الذاريات	2- الاية 6 المائدة
3-الاية 45 العنكبوت	4-الاية 183 البقرة
5- الاية 104 التوبة	6-الاية 186 البقرة

قال عمرو: ذكرت قوله تعالى: (ولا تغفلوا انفسكم ان الله شان بكم رحيمًا) (1) فتيمنت يا رسول الله، سكت النبي -صلى الله عليه وسلم- (2) وفي سكوته اقرارا، فذاك فقه، وهذا فقه، اذ الفقه لغة الفهم، وكل فهم على قدر ما لديه من أدوات الفهم، وما كل الناس فقيه «فكل حامل فقه الى من هو أفقه منه» والصحابة متفاوتون في فهم معاني القرآن». (3)

وما موقفنا ابي بكر في سقيفة بني ساعدة واستدلاله بقوله تعالى: (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان) (4) الا فقها، فقد قال -عليه الصلاة والسلام-: «ابدأوا بما بدأ به الله» والتقديم هنا له حكمة وعلّة.

وكذا قول عمر بن الخطاب للجنّد حين رغبوا في تقسيم الاراضي المفتوحة: «أخشى ان يأتي من لا يجد ارضا» واستدلاله بقوله تعالى: (...كفي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) (5) فهو فقه. وقد كان يقع الخلاف بين الصحابة -رضوان الله عليهم- حسبما يفهمه كل منهم في النص القرآني وما يحيط به من أدلة خارجية غير أن الصحابة في نظرهم لايات الاحكام كانوا يتفقون أحيانا على الحكم المستنبط، وأحيانا يختلفون في فهم الآية فتختلف أحكامهم في المسألة التي يبحثون عن حكمها.

وهذا الامر والاختلاف في الفهم انتقل الى التابعين وهم الذين ورثوا علم الصحابة مع تفاوت هذا الميراث الادبي سواء من حيث النقل أو من حيث الاجتهاد.

المذاهب الفقهية واستدلالها بالقرآن:

والاقضية التي حدثت للصحابة، والفتاوى، والآراء الفقهية كلها انتقلت الى المذاهب. وذلك عن طريق جمع فقهاء المذاهب هذه النصوص القرآنية وما تعلق بها من استنباطات واستدلالات وسنن وفتاوى وأقضية وآراء، بالاضافة الى اجتهاداتهم الخاصة فيما اقتضته الضرورة وما لم يجدوه فيما نقلوا: جدد حوادث كثيرة للمسلمين لم يسبق لمن تقدمهم حكم عليها، فأخذ كل إمام ينظر الى هذه الحوادث تحت ضوء القرآن والسنة وغيرهما من مصادر التشريع ثم يحكم بالحكم الذي ينقدح في ذهنه ويعتقد أنه هو الحق الذي يقوم على الادلة والبراهين (6)

1- الآية 29 النساء

2- في فقه السنة فضحك رسول الله ولم يقل شيئا: السيد سابق ج 2 ص 78 ط 1403/5 هـ 1983

3- جمال الدين القاسمي: قواعد التحديث في فن مصطلح الحديث 46، و72

4- الآية 101 التوبة

5- الآية المشر 7

6- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ج 2 ص 433 - 434

المبحث السادس

الإستدلال بالقرآن عند أبي حنيفة

المطلب الأول :

أبو حنيفة * : لقد كان الامام ابو حنيفة يعتمد في مذهبه على القرآن الكريم الذي هو المصدر الاول للتشريع الاسلامي (1) يقول : « أخذ بكتاب الله تعالى ، فما لم أجد في سنة رسول الله ، فما لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه أخرج بقول من شئت منهم ، وأدع من شئت منهم ولا أخرج من قولهم الى قول غيرهم » (2) وحقيقة الاخذ بالكتاب عند ابي حنيفة تعني بنصه مفهوما ومنطوقا حسب حقيقة هذا النص ودلالته وهي على أصناف :

1 - الخاص والعام : لقد اتجه ابو حنيفة في استدلاله بالقرآن الكريم الى ما فيه من نصوص ، فقرر أنه يشتمل على العام والخاص :

- فالعام في مذهبه : هو اللفظ الذي ينتظم الجمع سواء أكان باللفظ أم بالمعنى مثل الاسماء (زيدون) والاسماء المرصولة (الذي...) وغير ذلك من الالفاظ الدالة على الجمع .

- وأما الخاص في مذهبه : ما يدل على بعض ما دل عليه مفهوم العام.

استدلال ابي حنيفة بالخاص من قوله تعالى: (اركعوا واسجدوا...) (3)، فالركوع اسم للاتحناء والميلان عن الاستواء، ودلاله في ذلك من دلالة الخاص ، فهي قطعية فيها ، لا تحتل البيان وراعا وكل رواية فيها بييد لذلك الميلان عن الاستواء نسخ لا بيان، ولا تنسخ آية بمحدث آحاد وهو قوله عليه السلام : «عربي لم يظمن في ركوعه» : «قم فصل فإنك لم تصل» (4) ومن دلالة الخاص عند ابي حنيفة النعمان قوله تعالى: (يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق واسجدوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين) . (5)

* أبو حنيفة - توفي سنة 150 هـ 767 م هو النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي الامام الاكبر الفقيهية المجتهد المحقق احد الائمة الاربعة عند اهل السنة قبل أصله من أبناء فارس اراده عمر بن هبيرة أمير العراقيين على القضاء فامتنع ورعا وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء بخناد فأبى فحلف عليه ليفعلنه فحلف ابو حنيفة انه لايفعل فحبسه الى أن مات كان قوي الحجية والاعلام ج 8 ص 36 وتاريخ بخناد ج 13 ص 323

1- د. شعبان محمد اسماعيل / اصول الفقه تاريخه ورجالاه ص 545 و546

2- المصدر نفسه ص 545

3- الآية 75 الحج

4- محمد ناصر الدين الألباني : صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ص 134 .

5- الآية 7 المائدة

فدلالة الآية على أفعال الوضوء من قبيل دلالة الخاص، فلا تحتسب البيان وراء ذلك، فلا يبينها قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يقبل الله صلاة امرئ حتى يفتح الطهور مواضعه فيغسل وجهه ثم يده» الذي يدل على شرط الترتيب ولا يبينها أيضا قوله عليه الصلاة والسلام: «لا صلاة لمن لم يسم الله»، ولا قوله صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالنيات» الذي يشترط النية. (1) هذه أقوال تنسب إلى مذهب أبي حنيفة (2) يقول أبو زهرة: «على علم أن أبا حنيفة عندما قرر هذه الفروع كان يعلم بالأحاديث المروية في بابها و إنني أشك في أنه كان يعلم بهذه عندما قرر هذه الأحكام» (3). فالشيخ أبو زهرة يشك في علم أبي حنيفة للأثار لكنه لا يشك في أنه وضع هذه القواعد بناء على أصل خاص هو من طرائق استدلاله بالقرآن، واستنباطه للأحكام الفقهية.

- والعام كالخاص قطعي في دلالاته سواء أكان من القرآن أم من السنة عند علماء الأصول من الحنفية. (4)

والحنفية تقول في العام إذا خصص أن دلالاته تكون في باقي الأمور بعد التخصيص ظنية: يقول أبو زهرة: «ولعل حديث الربا مع آية الربا يصلح مثالا لذلك، فإن الله تعالى قال: (... واحل الله البيع وحرم الربا) (5) فكان إحلل البيع مخصصا بكونه خاليا من الربا. وقوى ذلك المعنى أو دل على التخصيص، قوله صلى الله عليه وسلم- فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله: «الذهب بالذهب، مثل بمثل، يد بيد، والفضل ربا، والملح بالملح مثل بمثل، يد بيد والفضل ربا، والشعير بالشعير مثل بمثل يد بيد والفضل ربا، والتمر بالتمر يد بيد والفضل ربا». (6)

وقد توسع فقهاء الحنفية بعد إمامهم في قضية العام والخاص ودلالة كل واحد منهما على حدة وعلاقة كل من العام بالخاص، والخاص بالعام، في القرآن من جهة وفي القرآن والسنة من جهة ثانية، ومدى نسخ أو تخصيص الخاص للعام، وقعدوا على هذا أصولا وقواعد فقهية عدة من المذهب وهي مبسطة في ثنايا كتب المذهب، وكتب الأصول الفقهية على مذهب الحنفية.

1- صحيح البخاري باب النية

2- محمد أبو زهرة: أبو حنيفة وأرواه وفقهه ص 247-248، دار الفكر العربي بالقاهرة

3- المصدر نفسه ص 248 الفقرة الأخيرة.

4- المصدر نفسه ص 249 الفقرة 2 تحت رقم 10، 85 ومن 255 تحت رقم 91

5- الآية 273 البقرة

6- صحيح مسلم في كتاب المساقاة حديث 82

المطلب الثاني : الاستدلالات الفقهية عند الأحناف بالقرآن الكريم :

ومن الامثلة على استدلالات فقهاء الحنفية بالقرآن تعريفهم لـ:

2- بيان القرآن الكريم :

يرى ابو حنيفة - رضي الله عنه- وبعبه ائمة المذهب ان بيان القرآن بيانا كافيا وان احتاج الى بيان، فالغا السنة هي التي تبينه؛ وهم يقولون ان بيان السنة للقرآن ثلاثة أقسام :

- القسم الاول :

أ- بيان تقرير : وهو ان يجيء البيان للسنة مؤكدا لمعنى الآية، مقرأ له مثل : (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .(1)

والسنة تبين هذا بيان تقرير، فتقول : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»(2)

-القسم الثاني:

ب-بيان تفسير: فمثلا (... و يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) .(3)

فهذا من العام الذي يحتاج الى تفسير وبيان .

قوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء) .(4)

فهو من المشترك اللفظي الذي يعني الطهر كما يعني الحيض.

غير أن السنة بينت هذا و ازالته الابهام العالق باللفظ المشترك «طلاق الأمة ثنتان وعدتها حيضتان» .(5). وهم يقولون يجوز أن يكون البيان متتاليا أو منفصلا أو متفصلا متراخيا ولا يجوز ان يتأخر عن وقت الحاجة .

- القسم الثالث :

ج-بيان التبديل: وهو النسخ وهو أقسام :

1-نسخ القرآن بالقرآن : وهو جائز عندهم .

2 -نسخ السنة بالسنة وهو جائز.

3- ونسخ القرآن بالسنة وفيه خلاف .

فهذه أهم طرائق استدلال الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان، وصاحبيه ابي يوسف ومحمد

الشيباني وعلماء الحنفية من فقهاء وأصوليين في استدلالهم بالقرآن الكريم على الاحكام

1-الآية 184 البقرة .

2-حديث صحيح رواه البخاري

3-الآية 72 التوبة.

4- الآية 226 البقرة.

الفقهية، وتقنينهم للقواعد الفقهية والاصول المذهبية، ونذكر خلاصة آرائهم منقولة من كتاب ابي
زهرة (1) مالك -رضي الله عنه -

خلاصة ما يقوله الحنفية في مذهبهم :

لقد قالوا في اصولهم : ان الكلام ان كان يفهم من النظم ولم يكن قد سبق له الكلام فهو
الظاهر كتجليل البيع وتحريم الربا من قوله تعالى : (واحد الله البيع وحرم الربا) والنص هو ما
يفهم من النظم وسيافه كالتفرقة بين البيع والربا من حيث الحل والحرم في قوله تعالى :
(واحد الله البيع وحرم الربا). ويقول فخر الاسلام بيان النص الظاهر : «والظاهر اسم لكل كلام
ظهر منه المراد به للسامع بضيغة مثل قوله تعالى : (واحد الله البيع) ظاهر في الاحلال، وأما
النص فزاد وضوحا عن الظاهر بمعنى من المتكلم لا في نفس الصيغة -أي أن المتكلم
يقصده-... وذلك مثل قوله تعالى : (واحد الله البيع وحرم الربا)، لانه سبق الكلام لاجله
فازداد وضوحا بمعنى في المتكلم لا بمعنى في سيفته .وحكم الاول ثبوت ما انتظمه يقينا وكذلك
الثاني الا ان النص عند التعارض اولى من الظاهر .

وأما المفسر فهو ما ازداد وضوحا عن النص سواء أكان بمعنى النص أم بغيره بأن كان اللفظ
مجملا فلحقه بيان قاطع، أو كان عاما، فلحقه ما انسد به باب التخصيص مثل قوله تعالى
(فسجد الملائكة كلهم اجمعون) (1) فان الملائكة جمع عام محتمل التخصيص ، فانسد باب
التخصيص بذكر الكل، وذكر الكل احتمل التفرق فانسد بقوله (أجمعون) وحكمه الايجاب
قطعا بلا احتمال تخصيص ولا تأويل الا أن يحتمل النسخ والتبديل، فان ازداد قوة وأحكم المراد
به باهماده عن احتمال النسخ والتبديل سمي محكما، مثل قوله تعالى : (ان الله بكل شيء
عليم).» (2) بعد كل هذا يلخص الشيخ ابو زهرة هذا النص في قوله : «وترى من هذا ان اللفظ
بالنسبة للمعنى المعهود انقسم الى اربعة أقسام ادناها :

- 1- الظاهر : وهو ما يفهم من الكلام ولم يسبق له .
- 2- والنص : وهو ما يفهم من الكلام وسبق له .
- 3- والمفسر : وهو ما يفهم من الكلام وسبق له و كان معه ما يدل على انفساد باب تأويله
بغير ما يظهر منه ، وباب تخصيصه .
- 4- والمحكم : هو ما انسد فيه باب التأويل، والتخصيص والنسخ . (3)

1- الآية 72 ص

2- محمدابو زهرة / مالك رضي الله عنه : حياته ، عصره، آراؤه وفقهه ص 278 / دار الفكر العربي : دار
الثقافة العربية للطباعة ت 91672 عاهدين / ص 280/279 هامشي الصفحتين.

3- المصدر نفسه ص 280 ، هامش الصفحة.

المبحث السابع

مالك و الاستدلال بالقرآن

المطلب الأول : مالك* و القرآن

إذا كان أبو حنيفة الفقيه قد غلب عليه أنه اشتهر بالرأي، فإن مالكا - رضي الله عنه - أمام دار الهجرة وأمام الأثر، قد عُرف عنه الوقوف عند النصوص و الأثر، وقد نصحه من نصحه قبل تأليف كتابه فقال له : وطى . للناس موطأً وتجنب :

1- شذائد عبد الله بن عمر.

2- شواذ عبد الله بن مسعود.

3- رخص عبد الله بن عباس .

ولما ألف « الموطأ » ، حاول هارون الرشيد أن يلزمه الناس به، فاعترض مالك قائلاً : «ناشدتك الله يا أمير المؤمنين لا تفعل، إن علم رسول الله توزع في المصارف إذا جمعت الناس على الكتاب ضيقت عليهم متسعاً. (1)

مالك - رضي الله عنه - و القرآن الكريم :

ومالك - رضي الله عنه - كبقية إخوانه من الفقهاء جعل القرآن أول مصدر يستقي منه أحكامه وأدلته وبراهينه، وكان ينظر إلى القرآن نظرة سمو واحترام وتوقير وتقدير.

فالقرآن عنده هو اللفظ والمعنى، يؤن باللسان العربي، فأعجز بلغاتهم، وهو يستنكر على من يتناول على تفسير القرآن دون علم بالعربية فبقياً : « لا تؤتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب » جعلته نكالا (1).

مالك و استدلاله بالقرآن الكريم :

« لقد ذكر علماء المذهب المالكي أن مالكا كان يأخذ بنص القرآن، وظاهره ، ودليله أي : مفهوم المخالفة، ومفهوم الموافقة. وأنه كان يأخذ بالعلة التي بين عليها ». (2) كما يأخذ بهذه الأمور في

* مالك بن انس - رضي الله عنه - 93 هـ 179 م

هو امام اهل المدينة بن مالك بن انس الاصبحي « قبيلة يمنية » قال الشافعي : « مالك حجة على خلقه بعد التابعين وقد ألف الموطأ واستغرق تأليفه أربعين سنة، عرض خلاله على سبعين فقيها.

وهو من الائمة الكبار والعلماء الاجلاء، توفي بالمدينة / الديباج المذهب / ابن فرحون

1- محمد ابو زهرة : مالك رضي الله عنه حياته وعصره اراؤه وفققه ص 278 دار الفكر العربي : دار الثقافة

العربية للطباعة ت 916724 عايدي.

2- المصدر نفسه ص 279/278

السنة: فالامام مالك -رضي الله عنه- من الفقهاء الذين اتمدروا في استدلالهم بالقرآن الكريم على الاحكام الفقهية وما تقتضيه حقيقة الظاهر وان لم يقصد البيان هذا حقيقة واصطلاحا كما يفعل الاصوليون عادة وان ظهر هذا عند المالكية في أصولهم من بعد فالنص عندهم أقوى من الدلالة، كما استنبطوا في الفروع المأثور عن مالك رضي الله عنه وقالوا:

1- ان النص ما لا يحتمل التأويل

2- وان الظاهر يحتمل التأويل

وقالوا إن النص له اطلاقان:

أولهما: ان يكون النص ما لا يتطرق اليه الاحتمال اصلا، كلفظ: الواحد فانه نص في معناه فلا يحتمل الاثنين ولا الثلاثة، ومثله سائر الاعداد.

ثانيهما: ان يكون النص ما لا يقبل احتمالا ناشئا عن دليل، أما الاحتمال الذي يعضده دليل، فلا يخرج اللفظ عن كونه نصا على هذا الاطلاق.

يقول القرافي في (تنقيح الفصول): «ان القسم الاول هو الاولى، فان دلالة أقوى

الدلالات، لوجود ارتفاع الدلالة الى غايتها وهذا الذي يجعل قبالة الظاهر، فاذا قلنا

اللفظ فاما نص او ظاهر..» ومن امثلة العمومات القرآنية:

استدلال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على من رآه يحمل لحما فقال: «ما هذا؟

قال: لحم اشتهيته فاشتريته يا أمير المؤمنين فقال له: او كلما اشتهيته اشتريته؟ ثم

تلا عليه الآية: (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)، ذكر الشاطبي الآية وقال:

«وسياق الآية يقتضي انها انما نزلت في الكفار الذين الذين رضوا بالحياة الدنيا من

الأخرة، ولذلك قال الله تعالى: (ويوم يعرض الذين كفروا على النار...» -ثم قال- ..

اليوم نُجزون عذاب الهون) فالآية غير لاثقة بأحوال المؤمنين، ومع ذلك فقد أخذها عمر

مستندا في ترك الاسراف مطلقا وله اصل في الصحيح، (1)

في حديث المرأتين المتظاهرتين على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث قال

عمر للنبي -صلى الله عليه وسلم-: أدع الله ان يوسع على امتك فقدوسع على فارس

والروم وهم لا يعبدونه، فاستوى جالسا فقال: «أو في شك يابن الخطاب، أولئك قوم

عُجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا».

يقول الشاطبي: «فهذا يشير الى ماخذ عمر وان دل السياق على خلافه» (1) ويسوق

امثلة أخرى في أمر العموم وما يعتريه من تخصيص ... ويستنبط قواعد عامة منها:

-صحة الأخذ بعموم المعنى اللفظي وإن دل الاستعمال اللغوي او الشرعي على خلافه.

ويسوق بعض استدلالات الفقهاء والاصوليين على ذلك فيقول في الآية (و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ...) : « فانها نزلت فيمن ارتد عن الاسلام بدليل قوله (ان الله لا يغفر ان يشرك به) ثم ان عامة العلماء استدلوا بها على أن يكون الاجماع حجة وانه مخالفة عاص وعلى ان الابتداع في الدين مذموم .» (1)

مع ان الامام الشاطبي من المالكية ومن محققهم، إلا أنه يرى في العام دلالة متبعا في ذلك رأي الاحتاف فيقول : « ان الخلاف فيه في ظاهر الامر شنيع لان اغلب الادلة الشرعية عمدتها هي العمومات، فاذا عدت في المسائل المختلفة بناء على ما قالوه ايضا من ان جميع العمومات او غالبها مخصص، صار معظم الشريعة مختلفا فيه اهو حجة أم لا ؟..

ولقد ادى هذا الوضع الى شناعة اخرى وهي ان عمومات القرآن ليس فيها ما هو معتد به في حقيقته من العموم وان قيل بأنه حجة بعد التخصيص، وفيه ما يقتضي ابطال الكليات القرآنية واسقاط الاستدلال به جملة الا بجهة من التساهل وتحسين الظن لا على تحقق النظر والقطع بالحكم. (2)

ويسوق كذلك من الادلة على حجية العموم، فيما فهمه الناس اثناء خطابهم بالقرب فيقول : « ووجه آخر وهو أن العرب حملت اللفظ على عمومه في كثير من أدلة الشريعة مع ان معنى الكلام يقتضي على ما تقرر خلاف ما فهموا .» (3)

ولم نسق رأي الشاطبي هاهنا معترضاً لأخذ مالك - رضي الله عنه - بعموم القرآن واستدلاله به مخصصا الا لنفاسة هذا القول وقوة حجته . وقد بسط الكاتب فيه وأطال، + جبر صفحات 287/269 ج (3) بأدلة نقلية من الكتاب وصحيح السنة، وما تعلق بها من نقول أثرية، وساق قواعد أصولية، ولفوية مستندا في كل هذا الى الحقيقة اللغوية ، والحقيقة العرفية، والحقيقة الشرعية ومدى تطابق او عدم تطابق هذه الحالات على بعضها بتحليل علمي كعادة الشاطبي في مناقشاته الاصولية العلمية التي تعتمد المنطق اللغوي، والجدل الكلامي المستند الى القرائن والقواعد العقلية والنقلية مع مقاصد الشريعة العامة والخاصة .
ومالك « يرى أن للعموم مخصصات ذكرها القرافي فقال ان مخصصات العموم عند مالك خمسة عشر وهي :

1- الكتاب بالكتاب : فالاية تكون مجملة في موضع ثم تكون مفصلة في موضع آخر.

2- الكتاب بالسنة : فقد تكون السنة من مخصصات القرآن.

1- الشاطبي : الموافقات ج 3 ص 284

3 - المصدر نفسه ج 3 ص 291

3- المصدر نفسه الجزء 3 ص 273

- 3- الكتاب بالعقل ومثلوا لذلك بقوله تعالى: (خالق كل شيء، وهو على كل شيء قدير).
فالعقل دليل على تخصيص العقل بغير ذاته وصفاته، وكذلك القدرة .
- 4- الكتاب بالحس ومثلوا لذلك بقوله تعالى: (تدبر كل شيء باصر وبها)، وقوله تعالى: (ما تدبر من شيء الا جعلته كالرسيم) فالحس دليل على انها لم تدمر الجبال والانهار وغيرها مما اتت عليه فانه خلاف المشاهد .
- 5- الكتاب بالاجماع: فقد جاءت عمومات في القرآن اجمع العلماء من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم على أنها مخصصة.
- 6- الكتاب بخبر الاحاد: فقد رأى ان دلالات عموم الكتاب ظنية، و دلالة الاحاد ظنية ومن ثم فهي تخصص (اي دلالة الاحاد) عمومات القرآن.
- 7- الكتاب بالقياس: تخصيص عمومات القرآن بالقياس؛ يقول ابو زهرة: « فان مالكا او عبارة ادق يكاد ينفرد بهما -اي التخصص بالقياس والعادات- من غيره من الفقه ومن احدهما يتجلى مقدار الرأي من فقه مالك -رضي الله عنه- فعالمك يرى ان عام القرآن يخص بالقياس سواء أكان أصل القياس خبر آحاد ام متواترا وسواء أكان القياس خفيا أم جليا . »
- 8- الكتاب بالعادات: والعادات المقصودة هنا هي العرف البياني الخاص الذي بوجه الاستعمال في عصر نزول القرآن أي ما كان يفهمه المسلمون و ما يحيط بالاستعمال من شؤون تقيده وتجعله في دائرته. يقول القرافي: «... إذا تأخرت العادات عليها لا تعتبر، انما تعتبر من العادات ما كان مقارنا لها فكذلك نصوص الشريعة لا يؤثر فيها إلا ما قارنها من العادات.» (1)
- فهذه تكاد تكون محل اجماع لانها عبارة عن تفسير لواقع النزول على مقتضى المقام .
وهناك مخصص آخر ذكره بعض المالكية؛ فقد ذكر ابن العربي في (احكام القرآن) (2) عند تفسيره قوله تعالى: (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة) فقال: «ان مالكا -رضي الله عنه- قال في المرأة ان كانت شريفة القدر لا يلزمها ارضاع ولدها ان قبل ثدي غيرها لمصلحة المحافظة على جمالها جريا على عادة العرب في ذلك، وخص بذلك عموم القرآن.» وهذه المخصصات (الكتاب بالكتاب... الكتاب بالعادات) محدثنا عما تراه منها قائما بنفسه وتركنا ما هو من مقتضيات الاسلوب ثم ان التخصص اصلا هو محل نزاع بين بعض المالكية كما رأينا في رأي الشاطبي وبقية المخصصات مثل القياس، فهي محل نزاع بين المالكية، والاخرى فهي محل اختلاف في الشرح .

1- محمد ابو زهرة: مالك رضي الله عنه حياته وعصره اراؤه وفقهه ص 295 - 296

2- ابن عربي احكام القرآن

والعبارة في هذا إنما هي في طرح الامر جلبيا واثبات طريقه مالك بلمه المالكية وهم من فقهاء المسلمين في طريقة استدلالهم بالنص القرآني في الفقه ؛ وهذا نوع من التفسير للقرآن فهما اختلفت الاراء في الاصول الفقهية الاصلية منها ، والتبعية ، فان هذا الاختلاف في حد ذاته يدل على ذهنية فقهية معينة تتعامل مع الايات القرآنية كأصل اساسي لتستنبط منها أحكاما فرعية أو تأتي بأحكام فرعية فتستدل عليها بنصوص قرآنية .

وهذا مجال من الاستدلال ، وهناك مجالات أخرى نعرض لها بأمثلة ومناقشة وهي دائما طرائق الاستدلال بالنص القرآني لدى الفقهاء .

المطلب الثاني : نماذج وأمثلة من الاستدلال على الحكم الشرعي بالقوان:

أثر الفقه على الاستدلال القرآني:

يشترط فقهاء المالكية في الدليل النقلي إتضاح دلالاته على الحكم المستدل به عليه لأن الدلالة في المنطوق عندهم قد تكون : 1- أمرا .

2- كما تكون نهيا .

3- وتكون تخييرا .

وحتى الامر ذاته قد يخرج الى أغراض أخرى لقربنة لفظية ، أو معنوية ، أو سياقية .

1- فالاستدلال على الامر مثل قوله تعالى : (واقموا الصلاة وآتوا الزكاة) .

2- الاستدلال بالامر الذي تصرفه قربنة الى حالة أخرى كقوله تعالى : (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض...) ، فالامر هنا انصرف الى الاذن .

3- الاستدلال بالنص القرآني على غير الوجوب كقوله تعالى : (واشهدوا اذا تبايعتم..)

4- الاستدلال بالنص القرآني وانصراف الدلالة الى الاعتبار كقوله تعالى : (انظروا الى ثمره اذا اثم وینعه...) .

5- الاستدلال بالنص القرآني وانصراف الدلالة الى الوعيد كقوله تعالى : (فاذنوا بحوب من الله ورسوله) .

6- الاستدلال بالنص القرآني وانصراف معنى الدلالة الى الالهانة : (ذق انك انت العزيز الكريم..)

7- الاستدلال بالنص القرآني وانصراف معنى الدلالة الى معنى التكذيب كقوله تعالى : (فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين..)

8- الاستدلال بالنص القرآني وانصراف المعنى الى دلالة «التسوية» كقوله تعالى : (فاصبروا أو لا تصبروا...)

9- الاستدلال بالنص القرآني وانصراف المعنى الى دلالة عدم الاكثارات كقوله تعالى على لسان سحرة فرعون : (فاقتض ما انت قاض ، إنا تقضي هذه الحياة الدنيا)

10- وينصرف ايضا الامر في النصوص القرآنية الى دلالات اخرى مثل :

أ- الاكرام في قوله تعالى: (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نجهرون)

ب- والمشورة في قوله تعالى على لسان بلقيس : (يا ايها الملأ اقتوني في امري).

ج- والتكوين في قوله تعالى: (كونوا قردة خاسنين) .

د- ودلالة التعجيز في قوله تعالى : (كونوا حجارة او حديدا او...)

وكمال القدرة في قوله تعالى : (كن فيكون) . (1)

وهذه الصيغ كلها -في جانبها الشكلي والعام- تقتضي الامر لكن في حقيقة أمرها تنصرف الى دلالات أخرى لا يقصد منها أمر ولا نهى، وقد رأى مالك -رضي الله عنه- أن الامر المطلق يقتضي الوجوب ابتداء ولا يحمل على غيره الا بقريئة صارفة لان الشارع حين أمر المكلف أراد الطاعة وطاعة الشارع واجبة.

وقد توسع الاصوليون في الدلالة على الامر، وهل يتعلق به الحكم على سبيل التكرار أو على سبيل الوقت المتسع، وعلى سبيل الدلالة الكفائية أم العينية، وهل يدل على العين أم الجنس أم يدل على الكل أو الأبعاض ، أم الاداء أو القضاء وهل يقتضي الوسيلة أم لا ؟ أي هل ما أدى الى الواجب فحكمه كحكم الواجب أم لا ؟ حول كل هذا، اختلف فقهاء المالكية اختلافا واسعا، ليس المجال مناسباً لذكره لكن ما تجدر الإشارة اليه هو أن الاستدلال الفقهي بالقرآن تحكمه ضوابط أصولية، سواء كانت عامة تصدق على المذاهب الاسلامية كلها، أو خاصة من اصطلاح علماء المذهب أو محل نزاع بين علماء المذهب ذاته، فيكون الاختلاف تبعاً لذلك النزاع.

كما أن هذا الاستدلال تحكمه قواعد لغوية وعرفية ودلالات شرعية.

ومن الامثلة المشهورة عند فقهاء المالكية والتي خالفوا بها غيرهم:

استدلالهم على عدم غسل الاتاء الذي ولغ فيه الكلب، ورجعتهم في ذلك قوله تعالى : (فكلوا مما امسكن عليكم).

فالامر عندهم للندب لأن سور الكلب عندهم طاهر، ويقولون : «لو كان لعابه نجسا لتنجس الصيد بماسسته» . (2)

وهم في قولهم هذا يستدلون بالنص القرآني الذي يفيد عندهم اليقين ان من حيث الدلالة أو من حيث الثبوت وهو مقدم على النص الحديثي. فمن اصول ومذهب مالك -رضي الله عنه- تقديم الخطاب القرآني على الاثر النبوي ، مع أن الحديث رواه مالك واحمد والشيخان عن ابي هريرة : «إذا شرب -وفي رواية ولغ- الكلب في اتاء احدكم فليغسله سبع مرات». وقد سئل

1- محمد عبد العتي الجافني : المدخل الى اصول الفقه المالكي ط 1401/1 هـ 1981م ص 25

2- المصدر نفسه ص 26

ابن معذل لماذا تروون الحديث وتخالفونه؟ فقال : ليعلم أنا على علم تركناه. (1)

فما كل ما رواه مالك من الاحاديث في موطن استشهد به.

هذه استدلالات متعلقة بالامر، ومن الاستدلالات بالقرآن ما جاءت بدلالة اللفظ وتفيد النهي، والنهي عند فقهاء المالكية ينصرف الى التحريم الا ما دلت القرينة فيه على غير ذلك وهذا مذهب جمهور الفقهاء والاصوليين المالكية. وهذا النهي هو النهي المطلق، وهو ما ينهي عن فعل الشيء بدلالة صريحة لا تحتل التأويل وتكون صيغته «بلا تفعل» ومن صيغ الامر ما خرج بحسب السياق والقرائن والدلالات الى معاني أخرى واستدلوا بأمثلة على ذلك نذكر منها:
أ- استدلالهم على معنى الارشاد كقوله تعالى: (لا تسالوا عن أشياء ان تبدى لكم تسؤكم).

ب- استدلالهم على معنى الياس : اي اليأس (لا تعتذروا اليوم)

- استدلالهم على بيان الحقايرة كقوله تعالى : (ولا تعدن عينيك الى ما صنعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه).

د- استدلالهم على بيان العاقبة كقوله تعالى : (و لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون).

هـ - استدلالهم على الدعاء كقوله تعالى : (وبنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا...).

ومثيلات هذه الايات في القرآن الكريم كثيرات فالنهي هنا لا ينصرف الى الاذن بالترك للشيء مطلقا ، وانما هو ذهب الى غرض آخر تدل عليه طبيعة النص ان في دلالة اللفوية او القرآنية الحالية أو السياقية أو أي شيء آخر.

وقد توسع الفقهاء في دلالات النهي، وفقه الاستدلال بالنهي الى تفرعات يطول ذكرها ولا يستحسن الحديث فيها كضوابط عامة في الاستدلال القرآني، وانما الاشارة الى وجودها كاف مع العلم انها محل تنازع بين فقهاء المذهب وأصوليه وكما هو الحال في أصول الاستدلال الفقهي عامة والتي هي محل نزاع بين أئمة مذاهب السنة بين أخذ ببعضها وتارك للبعض الاخر، وتارك لبعض فروعها وأخذ بفروع اخرى، ومخالف في الشرح والتفسير والاستدلال، وهذا هو الفقه اذ هو استنباط الاحكام التفصيلية من ادلتها الاصلية فحذار الصواب المحجة قوة وضعفا، والاستدلال توقيفا واخفاقا.

علاقة الامر بالنهي عند المالكية ودلالته على ما يسمونه بمفهوم المخالفة، أي هل أن الامر بالشيء نهى عن ضده ؟.

هذا أصل عظيم عند المالكية، ويسميه المالكية دليل الخطاب وهو يدور أصلا على دلالة المفهوم : «وذلك باثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه». (2)

1- ابن عرؤذ المالكي : ارشاد السالك الى أن التقيض في الصلاة هو مذهب مالك ص 72

2- ابو زهرة : مالك ص 299

- ثم منهم من يقسمه الى عشرة أقسام باعتبار القيد الذي يعبرف المفهوم الى المخالفة في حالة غيابه مثل :
- 1- مفهوم العلة : (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله ...) .
 - 2- مفهوم الشرط : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)
 - 3- مفهوم الغاية : (انموا الصيام الى الليل) .
 - 4- مفهوم الاستثناء : (ولا تقبل لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا)
 - 5- مفهوم الحصر : : (انما المشركون نجس) .
 - 6- مفهوم الزمان: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم انموا الصيام الى الليل) .
 - 7- مفهوم المكان : (إن الصفا والمروة من شعائر الله) .
 - 8- مفهوم العدد : (فاجلدوهم ثمانين جلدة) .
 - 9- مفهوم الاسم او اللقب : (إن قريظون وهاسان و جنودهما كانوا خاطئين)
 - 10- مفهوم الصفة : مثل قوله تعالى : (و ربانيكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) .
- فالوصف الاول : (اللاتي في حجوركم) لاعبرة به ولو أنه لا تكون في حجره فهي محرمة ، اما الثاني ، فالعبرة به (اللاتي دخلتم بهن) فاذا لم يدخلوا بهن ، فلا حرج .
- هذا مفهوم المخالفة ، وعندهم ايضا مفهوم الموافقة او الاولى ، وهو كثير في اصول المالكية وفي استدلالاتهم الفقهية فالضرب للوالدين محرم و نص التحريم إنما هو الاولى : فاذا قال الله تعالى : (فلا تقل لهما اف...) فمن باب أولى أن لاتضربهما ؛ وهذا هو القسم الاول : أي اذا ثبت الاقل ، فيثبت الاكثر .
- القسم الثاني : أثبت الحكم في الاقل ، لان القلة لا تقتضي قوة الحكم في الكثرة مثل قوله تعالى : (ومن اهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك) . (1)
- فمن لا يؤمن على دينار ، بالاولى لا يؤمن على قنطار .
- ومن يؤمن على قنطار يؤمن ضرورة على دينار .
- وهذه دلالات تفهم بالقياس اللغوي ، ويقتضيها الحس اللغوي ، وهذا من خصائص اللسان العربي و منه :

فحوى الخطاب أو لحن الخطاب أي دلالة الاقتضا - بمعنى دلالة اللفظ على ما يتوقف عليه صدق الكلام كقوله تعالى : (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فانفلق) ، فإن الكلام يقتضي قرلا مقدرًا وهو : فنضرب البحر فانفلق ، وهذه الخصيصة من خصائص اللغة إذ الحذف من مقتضيات البلاغة في اللسان العربي .

والحق أن القرآن هو الخطاب العربي وتبينه قواعد اللغة وأساليبها وخصائصها أن العبارة أو الاقتضاء أو الإشارة ، ثم أن من الأحكام الشرعية ما يقتضي بيانها «البيان النبوي» ، والمالكية في استدلالاتهم بهذا القسم يأخذون بالسنة النبوية الشريفة ، ومالك -رضي الله عنه- أمام السنة والآثر قبل أن يكون أمام فقه ورأي ، وهكذا فقهاء المالكية يأخذون بالسنة في مجال عمومات القرآن وأطلاقاته وهم في ذلك :

« 1- المالكية من فقهاء أهل المدينة ، وكل من سلك مسلكهم : يوسعون مواضع الحاجة ويرون أن كل ما صح من الآثار في وضع من المواضع التي ذكرها القرآن فهو مبيّن له مخصص لعمومه ، مقيد لمطلقه ، أو مبيّن لخاصه .

2-المالكية من فقهاء أهل العراق : يجدون مواضع الحاجة إلى البيان ، فالخاص عندهم لا يحتاج في القرآن إلى بيان فكل ما جاء في السنة متعلق بموضوعه فهو زيادة عليه لا تقبل إلا إذا كانت في قوته من حيث الثبوت» . (1)

المبحث الثامن

الشافعي و الاستدلال بالقرآن الكريم

المطلب الأول : الشافعي و القرآن الكريم .

سبق أن استعرضنا رأي ابي حنيفة النعمان و مالك في القرآن الكريم ورأينا أن الشافعي* هو أول من أصل الاصول، وقعد القواعد في رسالته التي عدها العلماء من الكتب المقعدة لهذا العلم؛ من جملة ما يقول فيها :

« فكل من قبل عن الله، وفرانضه في كتابه قبل عن رسول الله وسنته، بفرض الله طاعة رسوله على خلقه ، وأن ينتهوا الى حكمه، ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل لما افترض الله من طاعته فيجمع القبول لما في كتاب الله ولسنة رسول الله القبول، لكل واحد منهما عن الله وان تفرقت فروع الاسباب التي قبل بها عنهما. كما أحل وحرم وفرض واخذ بأسباب متفرقة كما شاء جل ثناؤه (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون).

ومن ثم فرأي الشافعي -رضي الله عنه- في القرآن هو رأي كل الامة. فقد تصدى لمن أرادوا القدح في القرآن من حيث كونه يحتوي على الفاظ غير عربية كأنما يشككون فيه؛ فقال : «منهم من قال ان في القرآن عربيا واعجميا والقرآن يدل على أنه ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب..» (1) و بين أن كل الفاظ القرآن عربية ورد الحجة القائلة ان الفاظا عربية سرت الى الاعاجم فجمعوها ثم عادت ثانية الى أصلها فعربت .

- والشافعي يرى القرآن والسنة هما من مصدر واحد، وإن كانت السنة تالية رتبة للقرآن الكريم فكلاهما وحي من ال : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) وهذا ما ورد في النص السابق والمقتطف من رسالته.

استدلالات الشافعي على عروبية القرآن الكريم :

لا يكتفي الشافعي بالرد على الخصوم بالحجج المنطقية بل يسرد الآيات مستدلا بها مثل قوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين).

* الشافعي -رضي الله عنه - 150 هـ 204 هـ

هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع وهم قرشي ولد بغزة وحمل الى مكة وفيها تلقى العلم، حدث عن مالك وحفظ المرطأ واجازه فيه. ظل ينتقل بين مكة وبغداد في طلب العلم اشهر كتب كتاب «الرسالة» وهي رسالة في اصول الفقه كذلك «الا». توفي بغزة سنة 204

1- محمد ابو زهرة: الشافعي حياته، وعصره واراؤه وفقهه ص 208

وقوله تعالى : (قرأنا عربيا غير ذي عوج لعلهم ينتقون) .

ولا يكتفي بالبرهنة العقلية في جدله في رسالته ولا بالأدلة النقلية التي تنص على عربية القرآن ، بل يذهب الى مقتضى الرسالات كلها والرسول جميعا فيقول : «ان كتاب النبي يكون بلسان قومه مستدلا بقوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) . (1)

والذي يشير الالتفات في هذا الكلام وهذه الأدلة النقلية انما هو ظاهرة الاستدلال عند الامام الشافعي -رضي الله عنه -، فهو يعتمد فيها على:

-الجدل الكلامي ، البرهنة العقلية المنطقية في المناقشة والتحليل والتعليل .

-السرود الكمي للآيات الواردة في الدلالة على حقيقة الموضوع .

- ثم غرضه من كل هذا الجدل، والاستشهاد بالآيات هو الوصول الى نتيجة حتمية وهي :

وجوب تعلم اللغة العربية حتى يشهد المسلم باللغة العربية فيقول : «اشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويتلو كتاب الله وينطق بالذكر فيما فرض عليه من التكبير وأمر به (من) التسبيح والتشهد وغير ذلك» . (2) هذا للمسلم عامة.

-أما للعالم خاصة : فيجب عليه إتقان اللسان العربي ليستنبط الاحكام الشرعية حتى تنتفي عنه الشبه.

- يقول في رسالته : «انما بدأت بما وصفت عن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره لانه لا يعلم من ايضاح جمل علم الكتاب احد جهل لسان العرب، وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقتها . ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب نصيحة للمسلمين» . (3)

العام والخاص في القرآن :

ويقسمه الشافعي الى ثلاثة أقسام :

1- عام ظاهر : يراد به العام أي كل ما دخل في هذا السياق.

2- عام ظاهر : يراد به العام ويدخله الخصوص.

3- عام ظاهر : يراد به الخاص.

وهذا التقسيم يدل على ملكة علمية أصولية، ودقة في الشرح والتحليل تعود لعوامل شتى.

1- الشافعي ص 208 فقرة 3 - ابو زهرة و : رسائل في الفقه واللغة تحقيق د. عبد الله الجبوري ص 192

ص 3 - ط 1982

2- الشافعي : الرسالة ص 20

3- الشافعي : الرسالة ص 49

المطلب الثاني: نماذج وامثلة على بعض الاستدلالات:

هذه بعض النماذج والامثلة التي ساقها الشافعي -رضي الله عنه-:

أولاً: استدلاله على العام الظاهر الذي يراد به العام الظاهر: (خالق كل شيء) (1)، (وهو على كل شيء وكيل) (1) ... عموم هذه الآيات يفيد أن أي شيء من سماء وأرض وذي روح وشجر فالله خلقه: (ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) (2) يقول: فكل دابة فعلى الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها.

ثانياً: استدلاله للعام الذي يراد به العام ويدخله الخصوص:

1- (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) (3).

2- (المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) (4).

3- (فابوا أن يضيفوها) (5).

-فالصيغ في هذه الآيات عامة:

1- تفيد الأولى بعمومها أن على أهل المدينة ومن حولها جميعاً أن ينفروا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه.

2- وتفيد الثانية: أن أهل القرية جميعاً ظالمون.

3- وتفيد الآية الثالثة أن الاستطعام من أهل القرية الكاملة وذلك في قوله تعالى: (حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) (5) والامتناع والرفض كان كذلك.

ولهذا التعميم وجه ولذلك لم تنف ارادته، ولم يسقط اعتباره، (6)

لكن في كل هذه النصوص العامة من حيث الخطاب من هو أولى بالعام، ففي الآيات الأولى، الأولى بالخطاب أهل الطاقة والكفاية والقدرة على النفر مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

أما الثانية: فالخطاب إلى من وقع منه الظلم بالفعل.

أما الثالثة: فمن طلب منهم الطعام ووقع منهم الامتناع.

إذا فكما يقول أبو زهرة: «ففي الآيات عموم معتبر وخصوص مقصود». (7)

1- الآية 103 الانعام.

2- الآية 6 هود.

3- الآية 121 التوبة.

4- الآية 174 النساء.

5- الآية 76 الكهف.

6- محمد أبو زهرة: الشافعي، ص 212-213-214 بتصريف طفيف.

7- المصدر نفسه ص 213

ثالثاً : العام الذي يراد به الخاص .

-ويقول : ان العام الذي يراد به الخاص اما يفهم من الآيات وما أحاط بها بنزولها .

- او بالآيات الاخرى التي تخصصها .

- وإما ان يكون بتخصيص السنة والآثار الصحاح.

ويستدل على هذا بقوله تعالى :

1- (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) . (1)

فليس الناس كلهم تكلموا وإنما هم أفراد منهم ابو سفيان، وليس كل الناس قالوا حسبنا الله وإنما جماعة من المسلمين وأن اعتقدها كل المسلمين.

2- (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين -الى قوله تعالى - من بعد وصية يوصي بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم) .

فجاءت السنة لتبين وتخصص ما يأتي :

1- لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر.

2- لا يرث القاتل.

3- ثم انه لا وصية لو ارث.

3- ومن العام الذي خصه القرآن ، (القرآن يخصص القرآن) ، قوله تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) .

فقد خصص ما جاء في الاماء: (فاذا احصن فإن اتين بغاشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب).

بعض ضوابط هذا الاستدلال :

ان هذا الاستدلال وان كان معظمه ينصرف الى دراسة خاصة للاصول الفقهية والاستدلال على هذه الاصول الفقهية بنصوص قرآنية ، فان هذا يعكس طريقة الامام الشافعي -رضي الله عنه- كأصولي وفقهه في الاستدلال من جهة ويعكس الاستنباط الفقهي من جهة ثانية في مجال أصول الفقه. وهذه الاستدلالات تحكمها ضوابط سبق وان أشرنا الى بعضها منها.

1- العلم بالتنزيل ، من حيث أسبابه، وعلومه.

2- العلم بالسنة وأسباب ورودها وفقهها وعلاقة كل من القرآن والسنة ببعضهما.

3- العلم باللغة العربية، ودلالة الخطاب العربي، وحقبة اللغة كوسيلة للاستنباط الفقهي والاجتهاد من حيث الوجوب والضرورة.

كما يعكس هذا العنصر مدى قابلية النص القرآني المستدل به للاجتهاد، وطبيعة الشافعي كفتيه تجعله يوظف القواعد الاصولية، والفقهية، وحقائق التنزيل من حيث قابليته للاجتهاد لينتج فقها غزيرا تحكمه أصول فقهية وقواعد لغوية، ومقاصد شرعية عامة وخاصة. فالقرآن عند الشافعي هو البيان الكلي للشرعة سواء أكان بيان نص ، او بيانا يحتاج الى بيان سنة. وقد كان الشافعي يستشهد على كل هذا بالنص القرآني. وقد سلك الشافعية بعده طريقته في الاستدلال الى أن كُتبت الهمم وجاء من يقيس احكام الشرع المستنبطة لديه بأقوال الرجال ، بل جاء من يتعصب لأقوال الرجال على حساب دلالة النصوص القرآنية وحقائق التنزيل ويؤولها التأويل البعيد او المستبعد .

عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث التاسع

الإمام أحمد و الاستدلال بالقرآن الكريم

و أئمة آخرون

المطلب الأول : احمد بن حنبل و القرآن الكريم.

وإن ذكرنا الى أن من خلف الشافعي في مذهبه ذهب البعض الى التعصب المقيت وتعطيل النصوص والجسود على التقليد واعدام العقل نعمه التدبير والاستنباط فان الامام احمد بن حنبل من تلامذه الشافعي وكانت له نظرة مغايرة لنظرة أستاذه في كثير من المجالات.

لقد ابتلي أحمد بن حنبل في قضية خلق القرآن بلاء كبيرا حيث تعرض للضرب ورغم ذلك فإنه لم يقل ببدعة المعتزلة (1) لمي كون القرآن مخلوقا ، بل قال لا أقول فيه الا ما قاله الله تعالى . و الامام احمد يرى ان السنة هي التي تفسر القرآن، وانه لا يفسر القرآن إلا النبي صلى الله عليه وسلم - يقول : « ان الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وانزل عليه كتابه الهدى والنور لمن تبعه وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره، وباطنه ، وخاصة ، وعمامه ، وناسخه ومنسوخه وما قصد له الكتاب فكان رسول الله هو المعبر عن كتاب الله الدال على معانيه، شاهده في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيه، واصطفاهم له ونقلوا ذلك عنه ، فكانوا أعلم الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم -وما أراد الله من كتابه(2) بمشاهدتهم وما قصد له الكتاب فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم-(2) ومن هذا النص، يتضح رأي أحمد في فهم القرآن وتفسيره ويتكهن حشر ذلك في الآتي .

صنهج الإمام أحمد ابن حنبل في تفسيره القرآن :

يرى أن القرآن ينبغي أن يفسر :

اولا : بالقرآن.

ثانيا : بالسنة، تفسير النبي صلى الله عليه وسلم-

ثالثا : بأقوال الصحابة.

* أحمد بن حنبل 164 هـ 241 هـ - هو احمد بن هلال الشيباني المروزي البغدادي ولد ببغداد وكان اكثر طلبه للعلم ببغداد. كان امام في الحديث وحجة ويشمل 40.000 ، كان فقهيا حافظا متقنا، ملازما للورع الحنفي محافظا على العبادة الدائمة حتى ضرب بالسياط فعصمه الله من البدعة، وجعله اماما يقتدى وملجأ يلجأ اليه، روى عن البخاري ومسلم وابو داود... توفي سنة 241 هـ .

1- محمد ابر زهرة : احمد بن حنبل ص 66

2- ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي : مناقب الامام احمد ط 1977 ص 154/155 دار الالاق الجديدة.

وإذا تأملنا هذه الأقسام الثلاثة وجدناها تعود إلى التفسير النقلي أو الاثري، ومن ثم :

- فالعام من القرآن إن لم يفسره القرآن ذاته، فالسنة هي التي تفسره.

وهذا التفسير يحمل تخصيص العام، وتقييد المطلق، وتفسير الميهم.

واحمد بن حنبل -رضي الله عنه - متمسك بالسنة والأثر حتى أن الأحاد عنده ترتفع إلى رتبة التخصيص، ويقدم حديث الأحاد حتى على القياس وغيره. أما المتواتر عنده والمستفيض فهو ينسخ حتى القرآن. (1)

والاستدلال عند أحمد بن حنبل والحنابلة بعده إنما هو أصلاً بالنصوص القرآنية الصريحة الدلالة أو غير الصريحة لكن بدون مغالاة في التأويل، فالتأويل عندهم ما وافق مقتضى النصوص ذاتها من حيث السياق والقرائن، وما وافق مقتضى اللسان العربي من حيث دلالة الالفاظ على المعاني، وصلاح المعاني للالفاظ، بعيداً عن المجازات المفرقة في البعد والتأويل. والاستدلال عندهم بالنصوص الحديثية على تفاوت بين رتبها ودرجاتها ولا يقولون برأي الرجال أو يقدمونها على الآثار في الفقه أو الرأي لأقوال الصحابة الأولية.

المطلب الثاني : الاستدلال عند الظاهرية :

والظاهرية يعتمدون في استدلالهم على صريح النص، وهم يحكمون بظاهر النص ولا يقولون بالتأويل، وأول من أظهر المذهب داود الظاهري.

ومن الاستدلال عند الظاهرية قوله تعالى : (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) : «فان النص وارد في الكافرين، ولكن معناه المأخوذ من لفظه يفيد كل من يكونون في حال عصيان وينتهون من هذا العصيان ويتوبون فيكونون في غفران الله تعالى. فالتعميم جاء من ظاهر النص ولم يكن من قياس.... وهكذا.» (2)

ابن حزم ورايه في بعض الاستدلالات :

يقول ابن حزم بعد استدلاله بالآية: «ولو كان ثمة موضع للرأي لكان الكتاب قد فرط في شيء.» (1) ويستدل بقوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر). (2)

* وأول من أظهر هذه المذاهب داود الظاهري -داود بن علي الاصفهاني 270 هـ=

1- محمد ابو زهرة : احمد بن حنبل، حياته وعصره، آراؤه وفقهه ص 210 دار الفكر العربي دار الحماس للطباعة شارع الجيس كنيسة الامن.

2- محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ج 2 المذاهب الفقهية دار المعهد الجديد للطباعة ص 346.

فان كان ابن حزم الظاهري يرى ان الاستدلال إنما يكون بالكتاب وبالسنة، فإنه لا يخرج عن ظاهر هذه النصوص الى تأويل، سواء بقياس أو غيره، وهو كما سبق في استدلاله الاول بالاية (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، يرى أن القرآن شمل كل شيء حتى انه ساق أثرا يدل على فضل حامل القرآن، فيقول: « وقد كانت عائشة -رضي الله عنها- تقول: من قرأ القرآن فليس فوقه احد» (1) وهي تعني من قرأ وعلم وعمل بما قرأ، وهذا مذهب السلف الصالح حينئذ في القراءة.»

يقول ابن حزم في بيان القرآن: «والبيان يختلف في الوضوح، فيكون بعضه جلياً، ويكون بعضه خفياً فيختلف الناس في فهمه، فيفهمه بعضهم بفهمه، وبعضهم يتأخر عن فهمه» (2). وابن حزم نفسه يرى أن بيان القرآن يكون كالتالي:

1- القرآن يبين القرآن مثل العام والخاص والناسخ والمنسوخ ويقسمه الى:

أ- بيان مقارن للزمان، فيسمى تخصيصاً.

ب- بيان متأخر في الزمان، ويسمى نسخاً.

ويرى ان النسخ استثناء للمعوم في الزمان، وليس كل نسخ استثناء.

استدلال ابن حزم على عدم تعارض القرآن:

و يستدل على ذلك بقوله تعالى: (اقلًا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً).

ومن ثم فلا تعارض بين النصوص القرآنية أبداً، وان أي تعارض يمكن ازالته بما سبق من التوضيحات في العام والخاص، والنسخ.

اذا كانت استدلالات الائمة الكبار الذين انتسبت اليهم مذاهب تنقسم بالاجتهاد والعلم والتحري للمصلحة العامة للمسلمين، فقد جاء ائمة من بعدهم هم طبقات في المذهب ومراتب في الاجتهاد وأثرت عنهم استدلالات فقهية معتبرة نتطرق الى بعضها ثم ناقشها:

المطلب الرابع: أ - استدلال الجصاص بالاية:

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله... الى قوله تعالى- الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور).

فهو يستدل بهذه الاية على: - صفات الخلفاء الراشدين

- ويستثني معاوية بن ابي سفيان، فيقول: «... وهذه صفة الخلفاء الراشدين الذين مكناهم

1- محمد ابو زهرة: ابو حنيفة النعمان -رضي الله عنه- ص 263

2- محمد ابو زهرة: تاريخ المذاهب الفقهية، مقتبس عن الصفحات 388/3871

الله في الارض وهم : ابوبكر ، وعمر ، وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - وفيه الدلالة الواضحة على مسحة إمامتهم لاخبار الله تعالى بأنهم اذا مكثوا في الارض قاموا بفروض الله عليهم، وقد مكثوا في الارض فوجب ان يكونوا ائمة قائمين بأوامر الله منتهين عن زواجره ونواهيه، و لا يدخل معاوية في هؤلاء لأن الله إنما وصف بذلك المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وليس معاوية من المهاجرين ، بل هو من الطلقاء» (1)

مناقشة الاستدلال :

فهذا الاستدلال وإن ظهر في عمومه موقفاً إلا أن فيه تكلفاً، فإن عصبية الرجل واضحة، و إن حملته على معاوية - رضي الله عنه - ظاهرة . ثم أن الآية لا تدل دلالة صريحة على ان خلافة الخلفاء الاربعة صحيحة أم باطلة، كما أنها لا تشير لا من قريب ولا من بعيد على عدم صحة خلافة معاوية - رضي الله عنه - وهذه القضايا مما علمت عقيدة وجاءت نصوص نقلية قرآنية وسنية، وأقوال السلف الصالح فصلت فيها، فلا لزوم للبعد في التأويل من أجل إثبات فكرة أو نصرة مذهب .

ب- استدلال ابن عوبي وقياسه :

ففي سورة النساء : (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) (1)، يقول مستدلاً بالآية على وجوب الثواب في الهبة للعين : «فقد استدل علماؤنا على أن هذه الآية دليل على وجوب الثواب في الهبة للعين، وكما يلزمه ان يرد مثل التحية يلزمه ان يرد مثل الهبة (2)

مناقشة الاستدلال :

وإذا تأملنا هذا القياس الذي قام به ابن عربي، نجد قياساً مع فارق. فهذا موضوع التحية، والرد بأحسن، والامر للاستحباب والرد للوجوب، والهبة تعطى بمحض ارادة ، ولا رغبة للمعطي في الاستفادة من أعطي، غير أن ابن عربي يرى خلاف هذا حيث يقول : «وهذا فاسد لأن الامر ما أعطى إلا ليعطي، وهذا هو الاصل فيها، وأنا لا نعمل عملاً لمولانا إلا ليعطينا، فكيف بعضنا لبعض...» (2) . ثم ما نلاحظه في هذا الاستدلال هو قياس قضية على قضية (رد السلام على جزاء الهبة) ، وسحب الدليل الاول على القضية الثانية ، فكأنه قال: رد الجواب واجب بعد السلام . الهبة كالتحية . الجزاء والثواب في الهبة واجب كوجوب رد السلام .

1 - د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ج 2 ص 442/443

2- المصدر نفسه 452 . 453 .

ج- استدلال عماد الدين ابو الحسن محمد بن علي الطبري

المعروف بالصبيا الهراسي : (1)

وفي استدلالات هذا الامام نجد الدفاع عن المذهب الشافعي جليا : ثم زيادة على شدة تعصبه للمذهب ، فهو يرد على من تعرضوا لامام المذهب -أي الشافعي- أو بعض آراء المذهب وأقواله؛ فعند قوله تعالى: (درهت عليكم امهاتكم...) ، نجده يرد على الجصاص ما استدل به لمذهب القائل بأن الزاني بامرأة يحرم عليه أصول المرأة وفروعها ، ويفند ما رد به الجصاص على الشافعي في هذه المسألة حيث يقول : « إن الجصاص لم يفهم كلام الشافعي -رضي الله عنه- ولم يميز بين محل ومحل ، ولكل مقام مقال ، ولتفهم معنى كلام الله رجال ، وهو ليس منهم . » (1)

فالكيا الهراسي يتجرد للدفاع عن مذهب الشافعي وهو في تفسيره الفقهي يتعرض لاستدلالات المذهب فيعيدها مدعما لها ثم يتطرق الى الاستدلالات المناهية للمذهب فيفيدها . ونرى المحور الاساسي في استدلال هؤلاء انما هو المذهب وأراؤه وأحكامه ، فهو المرجع لاي استدلال مهما كان .

د- نموذج من الاستدلال الفقهي عند بعض الشيعة :

إن تطرقنا لهذا النموذج ، سيقصر على الجانب الفقهي فقط ، و المسائل التعبدية (جانب العقائد سنتطرق له في الاستدلال المذهبي عند الفرق) . ففي قضية المسح على الخفين ، يستدل صاحب (الشرعيات البانعة والاحكام الواضحة القاطعة) بقوله تعالى من سورة المائدة الاية 6 : (يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة -أفري قوه- فامسحوا برؤوسكم وارجلكم) ، يقول : « ان المسح على الخفين والجوربين لا يجوز وهو مروى عن علي -عليه السلام- وابن عباس وعمار بن ياسر وابي هريرة ، وعائشة ، وقال عامة الفقهاء انه يجوز المسح عليهما ، حجتنا هذه الاية وهي قوله تعالى : (وارجلكم) ، فأمرت بتطهير الرجلين ، والمسح على الخفين لا يكون مطهرا لهما » (2) ، وساق آثارا مسندة وناقشها ، وهو في استدلاله يمثل :

- 1- الفقيه المعتدل : فهو من الزيدية ، وهناك بعض التقارب في المسائل الفرعية الفقهية بين مذهب الاثنى عشرية والزيدية من جهة ، والمذاهب السنية من جهة ثانية .
- 2- هو يناقش بمنطق علمي وسند اثري ، اي يسرد الاثار الواردة في الباب (المسح على الخفين) ، ثم يذكر تاريخ النزول (ايات المائدة) ويتطرق الى موضوع النسخ .
- 3- يتطرق الى خلاف الصحابة في هذه المسألة الفقهية : (قول عمر بن الخطاب وعلي بن طالب

1- محمد حسين الذهبي : التفسير و المفسرون ج 2

2- المصدر نفسه 472

وعمر بن العاص، وعائشة وعمار) و هذا فقه اثري.

فهذا النموذج يعكس الاستدلال الفقهي في الفرعيات اكثر مما يعكس المذاهب الشيعية في الاصول والكليات والمبادئ العامة.

من خلال التعرض للاثر الاصولي والفقهي على الاستدلال بالقرآن الكريم في كل ما سبق ، يمكن ان نخلص الى النتائج التالية:

- ان الفقه في حقيقته انما كان من الاصلين (القرآن الكريم والسنة الصحيحة).
- لا يقوى الحكم الفقهي الا اذا قوي استدلاله، وأقوى استدلال انما هو من القرآن اولا، ثم السنة، ثانيا و أقوال الفقهاء المدعمة بالإستدلالات القرآنية والحديثية ثالثا .
- الفقهاء يمثلون باستدلالاتهم القرآنية التفسير العلمي لآيات الاحكام الواردة في القرآن الكريم، وكثير من العلماء فسروا القرآن بتبيان شرائعه في آيات الاحكام وحتى في غيرها.
- للفقهاء اثر كبير على الاستدلال بالقرآن الكريم .
- الاصول الفقهية انما هي استنتاجات من آيات تشير الى الاصول و المقاصد العامة في الشريعة : فهي أصلا إستنباط من القرآن ، ثم إنها لا تقوى الا بالاستدلال عليها من القرآن ومن السنة : شأنها شأن الفقه اذ الاصلان الأساسيان هما الكتاب والسنة ومساوهما فتبعية.

الفصل الرابع المؤولون و أصنافهم ، و السالكون منهج السلف

سنتناول في هذا الفصل ظاهرة التأويل؛ و المؤولين و أصنافهم و مدى أثر كل ذلك على الإستدلال .
كما نتناول أيضا السالكين منهج السلف الصالح و خصائص منهجهم و أثر ذلك على الإستدلال .

المبحث الأول

التأويل ، المؤولون و أصنافهم

المطلب الأول : التأويل و المؤولون :

لقد تجلت ظاهرة التأويل في الاستدلالات القرآنية في الفصول السابقة وعند أصناف معينة من الناس، كما ظهرت هذه الظاهرة عند جماعات و فرق مختلفة ومتباينة غير أن ظهورها الفعلي له تأثير كبير على العملية الاستدلالية بحيث أن للظاهرة أهمية كبيرة تقتضى دراستها وحصرها وتمييزها. وهي ظاهرة طبيعية في النصوص، وليست في حد ذاتها ضرا، ولكن الضرر في استعمال أصحابها لها. ولا يمكن معرفة هذا الضرر حتى يرد التأويل الى خلفياته وأصحابه، فيتضح الامر، ولهذا أرتأينا حصر أصناف المؤولين المشهورين ثم دراسة الظاهرة وفق المقتضيات العلمية، وتصنيفها حسب ذلك .

1- السلفيون : ونعني بهم السلف الصالح، والسالكين منهجهم، وهذا لا يعني أن السلفيين يفهمون تأويل القرآن كغيرهم من الخلف أو من سلك منهج الخلف، بل ما يتبين من خلال فهم حقيقة التأويل عند السلف هو ما يأتي :

حقيقة التأويل : أ - التأويل بمعنى التفسير اذ كثيرا ما تكون الكلمة تعني لدى السلف التفسير.
ب - التأويل بمعنى إرجاع معنى الآية المحتملة لمعاني كثيرة الى معنى هو أولى من بقية المعاني لقرينة راجحة في نفس المؤول إما لفظية أو حالية، أو في نص آخر أصرح .

التأويل عند السلف: والتفسير عندهم عادة ما ينصرف الى ادراك حقائق اللفظ، أو ما يتعلق بالآية من علم سواء انحصر في السبب الذي نزلت لاجله الآية أو الحكم أو ناسخه من منسوخه، وجملة كل ما يتعلق بالتنزيل من علوم، وقد عرف تفسير الصحابة بخصائصه النقلية والاثرية وبما علموا من علم التنزيل. أما التأويل عندهم، فيقصد به التفسير فيكون مرادفا له في الدلالة كما يقصد به فهم معنى الآية؛ فقد سئل علي بن أبي طالب : هل عندكم من شيء إلا ما في كتاب الله،

1- أولئك الذين ساروا على نهج السلف في العثيدة و الشريعة . (محمد أبو زمره : تاريخ المذاهب الإسلامية ج 1 ص 211

فقال: لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن...» (1)
وكذلك قد دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لابن عباس فقال : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». وكان عبد الله بن عباس من كبار المفسرين كما كان من المؤولين، والصحابة رضوان الله عليهم يطلقون كلمة تأويل على تفسير ، كما يطلقونه على حمل اللفظ على معنى من المعاني، وهذا قليل وليس إلا عند علمائهم وخاصتهم ؛ فحين نزل قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)(2) قال عبد الله بن عباس : أنا من يعلم تأويله.

وقد تأول سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه (بإياها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتكم)(3) بالمعنى الذي رآه مناسبا للفهم الصحيح للاية معضدا فهمه بقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا عمل في الناس بالمتكر ولم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقاب». (4)
كما تأول سيدنا عمر بن الخطاب قوله تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم) ، بقوله : الكمال دليل الزوال . « فلما نزلت الاية وقرأها النبي صلى الله عليه وسلم بكى عمر، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما يبكيك يا عمر؟ فقال عمر: ابكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما اذا اكمل فانه لم يكمل شيء الا نقص، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: « صدقت» (5) وتأول عبد الله بن عباس قوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح» -الاية- بقرب أجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وواقعه في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولما نزلت سورة النصر، فرح الصحابة وبكى العباس فقال : ما يبكيك يا عم ؟ فقال : إنه لكما تقول وقيل : بكى العباس وعمر فقال لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما يبكيكما ؟ فقيل نعمت إليك نفسك يا رسول الله. قال : صدقتما نعمت إلي نفسي.(6)

وهذه الاقوال لم تقف عند ظاهر الاية والسورة بل غاصت الى أبعد من ذلك وذهبت الى معنى مؤول لم يتنافى والقرينة الحالية، فمن البدهة أن كل شيء كمل يؤول الى نقصان. كما أنه من البدهة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد إكماله دوره وأدائه الرسالة التي كلف بها يلتحق أن بالرفيق الاعلى. وهذا التأويل كان ظاهرة ملحوظة عند الصحابة رضوان الله عليهم وعند علمائهم بالاختص. وهذا التأويل هو حمل الاية على معنى من المعاني الباطنة ، وهو ضرب من ضروب التفسير اذ يعمد الى دلالة المفهوم، وعلى هذا كان استعمال كلمة تأويل عندالسلف الصالح من الصحابة.

1- البخاري باب الجهاد ج 4 ص 69 . والتفسير والمفسرون ص 59

2- الآية 7 آل عمران

3- الآية 105 المائدة

4- أبو بكر محمد بن سعيد الاموي المروزي :مسند أبي بكر الصديق. تحقيق شعيب الارناؤوط ص 130 ط 1399

5- القرطبي : التفسير ج 06 ص 61، تفسير القاسمي ج 1 ص 53

6- القرطبي : التفسير ج 20 ص 231/230

و هذا المذهب يعتمد أصلاً قرآن معقولة تدعّمه سواء كانت هذه القرآن لفظية أم حالية، أو في نصوص أخرى.

التأويل عند الصحابة : والقرآن - كما قال عليه الصلاة والسلام - «دلول له محامل فاحمل على أحسن الوجوه».

وقد حملت الصحابة رضوان الله عنهم على أحسن المحامل، مع ما هم عليه من تقوى وعلم، فقد علموا التنزيل وعلم التنزيل، وما تعلق بالتنزيل من علوم . ان في سبب النزول ، أو في النسخ، أو التقييد أو ما الى ذلك من العلوم التي صنف الكثير منها العلماء فيما بعد ، هذا ، فضلاً عن كونهم من العرب الاتحاح الذين يفهمون العربية سليقة وتنشئة، والقرآن نزل بلسان عربي مبين وقد ضم أفصح ما عند العرب وأبلغه، وهيمن على اللسان العربي فكان قرآناً عربياً : (قوانا عربياً غيو ذبي عوج لعلمهم يتقون) (1) ، فكان فهم معانيه الظاهرة والباطنة يقتضي معرفة اللسان العربي وما علم من حقيقة اللغة وحقيقة تعبير العرب عن المعاني والمقاصد في اللفظ الحقيقي أو المجازي من فنون البيان والتعبير التي بلغت عندهم درجة سامية . يقول ابن قتيبة : «ويكل هذه المذاهب نزل القرآن» (2) فكان الصحابة أعرف الناس بالفاظه ومعانيه، وما غاب عنهم التمسوه عند الاعراب وفي دواوين الشعر؛ وعلى هذا كان التأويل عند الصحابة من السلف الصالح يعتمد أصلاً على :

1- العلم باللسان العربي ، ومذاهب العرب في كلامهم.

2- العلم بعلم التنزيل وما تعلق بالقرآن من العلوم.

وعلى هذا فقولهم « تأويل الآية » ، انما هو من قبيل المقصود من الآية عندهم ومن قبيل المفهوم منها . وعلى هذا المحمل تحمل لفظة (التأويل) عند الصحابة؛ قال الراغب الاصفهاني : «إن التفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل التفسير في الالفاظ والتأويل في المعاني والجمل...» وعلى هذا يمكن تصنيفهما كالآتي :

1- التفسير يعتمد الظاهر والالفاظ ، وتفسيرها.

2- التأويل يعتمد الباطن والمعاني.

ووفق التفسير بمفهوم الابانة عن الالفاظ والمعاني، فسر الصحابة القرآن وكان التأويل عندهم بمعنى التفسير. أما ما اصطلح عليه بعد ذلك بالتأويل، فهو لا يخرج عن تأويلات حول معاني بعض الايات وغالباً ما تكون في فهم عامة لبعض الايات، تزيد السامع فائدة ولا تنقصه ، أو تركيبه ولا تمس أصول العقيدة ، ومقتضياته، ولا أحكام التشريع أو الاداب العامة، وانما هي حول التشريع أو قصص الانبياء والرسل والسابقين أو جوانب اجتهادية يعذر من يردّها ولا يلام من يقبلها؛ فقد روى

1- الآية 28 الزمر

1- مسلم بن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ج 1 ص 79

الزهري، قال: «قلت لعروة: ما بال عائشة تتم في السفر (يعني الصلاة)؟ قال: تأولت كما تأول عثمان -أراد بتأويل عثمان أن تأول الصلاة في الحج- ، (1) وهذا كثير في حياة الصحابة.

ومن التأويل عندهم ما كان يدور حول بعض ما ورد في القرآن كعدد الفتية المؤمنين «أصحاب الكهف» فقد قال تعالى: **(ما يعلمهم إلا قليل)** (2) وقال عبد الله بن عباس: أنا من القليل الذي يعلم عددهم. وعبد الله بن عباس من علماء التفسير وله في تأويل بعض سوره وآياته كثير من التأويلات: فقد قال في قوله تعالى: **(وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)** (3) قال ابن عباس: «أنا ممن يعلم تأويله» (4) وهكذا بقية علماء الصحابة، فلم في تأويل القرآن أقوال في ألفاظه أو في معانيه، غير أنهم كانوا كما قال عبد الله بن عباس: التفسير على أربعة أوجه:

1- وجه تعرفه العرب بكلامها.

2- وجه لا يعذر واحد بجهله.

3- وجه يعلمه العلماء.

4- وجه لا يعلمه إلا الله .

وعلى هذا كان تأويل الصحابة، فيمكن تصنيف تأويلاتهم حسب المحاور التالية
تأويلات الصحابة: 1- تأويلات تعلقت بالألفاظ اللسان العربي ومعانيه، فقد كان الصحابي يسأل عن اللفظة من كلام العرب مثل (تخوف) كما يسأل هو عن اللفظة مثل سؤال سيدنا أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- عن (الأرب) ثم رجوعه عن ذلك، كما كان السؤال يدور حول الألفاظ، فقد سأل نافع ابن الأزرق عبد الله بن عباس عن الكثير من الألفاظ وكان يجيبه ويستشهد له على ذلك بما أثر عن العرب. (5)
ومن التأويل ما انصرف الى المعاني من حيث الدلالات البلاغية والادبية ومقتضى لغة العرب من مجازات وحقائق اللسان.

2- تأويلات من علماء الصحابة أثبتت ما لديهم من علم بحقائق التنزيل ومقاصده وما يقتضيه القرآن من علوم، فقد سأل نافع ابن الأزرق عبد الله بن عباس عن قوله تعالى: (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) (6)، وقوله تعالى: (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) (7) فكان هذه الآيات توهم التعارض.

1- جمال الدين القاسمي: التفسير ص 14

2- الآية 22 لكهف

3- الآية 7 آل عمران

4- التفسير جمال الدين القاسمي المقدمة، ص 16

5- عائشة مبد الرحمن التفسير الجهاني وشواهد نافع ابن الأزرق: المبحث الثالث ص 266 وما بعدهم

6- الآية 101 المؤمنون

7- الآية 27 الصافات.

وكذلك سألته عن نظائر لهذا المعنى فقال: **(ولا يكتُمون الله حديثاً)** (1)، وقال: **(ربنا ما كنا مشركين)** (2)، ففسر عبد الله بن عباس هذه الآيات لنافع ابن الأزرق، وأول له المعاني مبعدا عنه ما يتصوره من توهم، فقال: **(فلا أنصاب بينهم)** في النفخة الأولى، وتلا قوله تعالى: **(فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء)** (3) **(فلا أنصاب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)**، أما التساؤل فهو في النفخة الأخيرة: **(فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)** وأما قوله تعالى: **(ما كنا مشركين)** وقوله تعالى **(... ولا يكتُمون الله حديثاً)** فيعمل ذلك قائلان: «فإن الله يختم لاهل الإخلاص تسويهم، فقال المشركون: تعالوا نقول ما كنا مشركين، فختم على أفواههم فتنتطق أيديهم فعند ذلك عرف أن الله لا يكتُم حديثاً» (4) فهذه التأويلات كلها انصرفت إلى المعنى، فقد كان نافع ابن الأزرق يتوهم تناقضاً كما أن خالي الذهن من حقائق علوم التنزيل يتوهم التناقض أثناء تلاوته القرآن، تأول نافع التناقض فسأل عبد الله بن عباس عن هذه الظاهرة فما كان من ابن عباس إلا أن يزيل هذا التناقض، بما أول من معاني مرد هذه المعاني إلى موضعها فكانت آية في حال، وآية أخرى في حال غيرها ومن ثم زال التناقض. وهذا التأويل فيه ما يعتمد على سبب النزول أو موضوع الآية أو جزء من محل الاستدلال، وقد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى: **(ولا يُحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا يُحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم)** (5) وقال مروان: «لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمده بما لم يفعل معذبا لنعذب أجمعون» حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي -عليه الصلاة والسلام- عن شيء، فكتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك؟ (6) وهذا أيضا ما فعلته عائشة -رضي الله عنها- مع من سألها عن الطواف بالصفاء والمروة من قوله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله)، (7)

ضوابط تأويل الصحابة: وهذا التأويل كثير عند الصحابة، وهو يرجع أصلا إلى علمائهم، وما يلاحظ في هذا التأويل أنه يعتمد على:

- 1- صحة المقتضى من الظاهر المقرر في اللسان العربي والجارى وفق مقاصد العربية.
- 2- أن يكون له شاهد من نص ظاهر في محل آخر ليشهد لصحته من غير معارض.
- 3- أما ما يتعلق بما استأثر الله بعلمه سواء من حيث:

1- الآية 42 النساء

2- الآية 23 الانعام

3- الآية 65 الزمر

4- الشاطبي: الموافقات ج 1 ص 32

5- الآية 188 آل عمران

6- القاسمي: معانن التأويل ج 1 ص 22، وقال أخرجه الشيخان

7- الآية 157 البقرة

8- القاسمي، المصدر نفسه ج 1 ص 67

- الالفاظ المنفصلة أو المتصلة كما هو الحال بالنسبة للمقطعات من الحروف مثل المقطعات في أول السور، أو بعض الحروف.

- من المعاني المتعلقة سواء بأيات الصفات، أو المعاني أو الاخبار أو بكل ما هو من شأن الغيب ومن مقتضيات الايمان التي تستوجب التسليم والتفويض.

والصحابه في هذا الباب بالذات اكثر الناس إلتزاما فيه بما اقتضاه النقل، والشرع. ولم يشهد عندهم أي تأويل مجاف لحقيقة التنزيل وبالاخص القرآن، بل كانوا يؤمنون بهذه الايات ولا يتعدون الى أكثر من ذلك .

والصحابه -رضي الله عنهم- أسلم الناس من ظاهرة التأويل في هذا المجال، ومنهجهم أحكم. **التفسير هو التأويل** : وعلى هذا الفهم لحقيقة دلالة التفسير والتأويل على أنها معنى واحد أو على أن التأويل الذهاب الى معنى الايات ومفهوم النصوص دون إهمال أو معارضة المنطوق والدلالة القطعية ، فإن تأويلهم وضع لمن بعدهم من الصحابة والتابعين قواعد عامة اعتبرت قواعد السلف في المنهج التأويلي، وسار عليها من جاء بعدهم من خيرة القرون حتى أصبح هذا المنهج، هو ما يصطلح عليه بمنهج السلف ويمكن بلورته في العناصر التالية :

أولا : التأويل عندهم بمعنى التفسير فهو مرادف له، وعلى هذا جرى في كثير من الاحيان ، ومعظم ما أوله الصحابة إنما فسروه وذلك لما لديهم من علم إن بسبب نزوله أو بما يقتضيه من علوم أخرى ، أو حسب اللسان العربي .

ثانيا : التأويل الفهم الملائم لمعنى الايات، فكثيرا ما يعتمد التأويل على اثبات حقيقة معنى من معاني كثيرة تحملها الايات لعومها واطلاقها وهو من باب تأويل القول الى ما يصير اليه، ولم يكن هذا الا عند علمانهم .

ثالثا : لم يعرف الصحابة حقيقة التأويل الا في معاني التفسير، وحتى ألفاظه، وانحصر هذا التأويل في مجال العبادات والمعاملات، وبعض المعارف المتعلقة بالقصص القرآني واخبار من سبق ، وكانت هذه التأويلات في النصوص الظنية الدلالة كما كانت مجال اجتهاد ومحل عذر بين بعضهم البعض ، وهي التأصيل العملي لحقيقة الاجتهاد فيما بعد.

رابعاً : لم يشهد لهم تأويل فيما يتعلق بقضايا العقيدة سواء ما يتعلق بالذات أم بالصفات او الاعمال أو أي شيء غيبي بل كانوا يسلمون بها كما هي، ويؤمنون بها على ما هي عليه دون تمثيل أو تعطيل أو تأويل ، وقد وردت عنهم آثار تدل على امرار هذه الآيات المتعلقة بالصفات وتركها؛ هذا عند الصحابة.

المطلب الثاني : التأويل بعد عهد الصحابة :

أما عند التابعين وتابعيهم ، فقد أخذت هذه القضايا بعدا آخر فأصبحت منهجا مرتبا بأصوله

ومبادئه وخصائصه حيث تكلم الناس في أمور الغيب والعقيدة، وفي الشرائع والاخلاق والاداب، فكان الصحابة والتابعون يجيبون الناس بما حفظوا وبما علموا، وفهسوا غير انهم لم يخرجوا عما سطره الاولون وكان منهج هؤلاء جميعا يعتمد على الاصول التالية :

1- الوحي : فمصدر التلقي كان بالنسبة اليهم هو الوحي سواء في القسم المتلو منه وهو القرآن ، أو في غير المتلو منه؛ فكان النقل عند السلف الصالح هو المصدر الاول في كل قضايا العقيدة والشريعة ومختلف الامور ، فلا يقبلون أمرا إلا بأثرة علم إن من كتاب الله أو سنة رسوله : « تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي » (1).

كما أن القرآن عندهم فيصل كل شيء، فقد قال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ستكون فتنة. قلت -علي- : فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال : كتاب فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الالهواء. ولا تلتبس به الالسن، ولا تنقضى عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل ،ومن دعا إليه هدي الى صراط مستقيم» (2). فكان الصحابة وقاين عند كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فما كان في القرآن يفهمونه بالقرآن نفسه. فإن لم يكن بد من غيره فيالسنة وكلاهما وحي من الله تعالى؛ قال تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)، فإن لم يكن في هذا ولا ذاك أحجورا ومرورا الامور كما هي على مراد الله تعالى.

1- الفطرة وترك التكلف : لقد اعتمدوا على فطرهم السليمة، وعقولهم الراشدة ، وفهموا أن أدلة التنزيل توجه الناس الى فطرهم النظيفة المركوزة في نفوسهم وعقولهم الرشيدة المأمورة بالتدبير والتفكر في آلاء الله وآياته . فمن الشواهد على استدلال القرآن على العقيدة ما يوجه به الناس الى معاشهم وما يلمسونه ويرونه بأعينهم قوله تعالى : (افرأيتم ما نحرشون ، انتم تزعمونه ام نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمتم تفكهون.. افرأيتم الماء الذي تشربون ، انتم انزلتموه من المن ان نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون. افرأيتم النار التي تورون، انتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشون) (3) .

ونظير هذا كثير في القرآن الكريم وفي مختلف قضايا الايمان، والغيب وما يتعلق بحقيقة الايمان وحقيقة الدين مما هو عادة من أصول الدين والايمان. ولهذا اتسم منهج السلف الصالح في تلقي الايمان

1- صحيح البخاري : باب لزوم السنة

2- القرطبي : تفسير ج 1 باب فضائل القرآن من رواية الترمذي ص 5 . جزء 1

3- الايات 63-64-65 الواقعة

بالقوة والسلامة إذ هم تلقوه أسلا من كتاب الله وسنة رسوله . كما اتسم تجدد هذا الايمان بالقوة والاستمرار والحياة، إذ هم يتقلبون في الاء الله في كل غدواتهم وروحاتهم ويشهدون آياته في الافاق وفي الانفس ، وهي تستنطق فيهم فطرهم السليمة. وتحرك عقولهم للتدبر والاستدلال، ولم يكن ثمة مجال للتعقيد ولا للتكلف ، فهم بعيدون عن هذا كل البعد حتى في الامور الصغيرة: فقد عتب عمر بن الخطاب على نفسه السؤال عن «الأب» وعده تكلفا. وقد سأل في صحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ماء في مقراة قائلا : « أترد عليك السباع يا صاحب المقراة، أولغت عليك السباع الليلة في مقراتك ؟ فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : يا صاحب المقراة لا تخبره، هذا متكلف، لها ما حملت في بطونها، ولنا ما تركت شرابا طهورا». (1) ونهاهم عن التنطع فقال : «هلك المتنطعون»... فالصحابه والتابعون الذين اهتموا بهديهم بعيدون كل البعد عن التنطع والتكلف كيفما كان، في الالفاظ أو في المعاني، في الادلة والبراهين أم في غيرها.

3- اتباع العلم والاجماع عليه : فقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- من أعلم الناس بحقائق هذا الدين، وهم مع ذلك يسألون بعضهم بعضا، فلا يفعلون فعلا إلا على بينة وعلم، وكان علمهم من علم رسول الله- صلى الله عيه وسلم- ومن ثم، فمصدر التلقي عندهم جميعا هو الوحي، كتاب الله والسنة، وهم على تفاوت في هذا. ومن ثم، فالتساؤل بينهم على العلم ، فهم يعتقدون على علم ويتعبدون على علم، ومدار أعمالهم كلها على العلم، فحلل إجماعهم إنما هو العلم، وهذا صريح الايمان: فقد قال تعالى : (فاعلم انه لا إله إلا الله) فسبق العلم على الايمان.

وهذه السمات والخصائص طبعت قرون الخيرية الثلاثة ، فبالرغم من وجود علماء كبارا أفذاذ كأصحاب المذاهب وغيرهم فلم يخرجوا عن هذا المنهج لانهم رأوه أسلم وأحكم وأعلم، واستنكفوا أن يقولوا بما لم يقل به أسلافهم. فقد سئل مالك -رضي الله عنه- عن الاستواء، فقال لسائله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة . (2) وقال الامام أبو حنيفة في الفقه الاكبر : «وما ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال أن يده قدرته ونعمته لان فيه إبطال الصفة ، وهذا قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفة بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان بلا كيف». قال الازاعي: «كنا والتابعون متوافقون نقول: ان الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته » (3) وقد أخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي ، قال: « كان سفيان الثوري وشعبة وحماة بن زيد وسلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ويروون هذه الاحاديث (أحاديث الصفات) ولا يقولون كيف . قال أبو داود : وهو قولنا ».

1- رواه الدارقطني عن ابن عمر «رضي الله عنه خرج رسول الله في بعض السفارة ليلا».

2- فتح الباري ج 13 ص 407 وما بعدها.

3- المصدر نفسه ج 406/13

قال البيهقي : وعلى هذا معنى أكابرنا. (1) فهذا منهج السلف الصالح، وعلى منهجهم سار السالكون .

وقف ابن تيمية موقف العالم المصلح من مشكلة التأويل « ورأى أن أخطر المشاكل والتي هي سبب الخلاف بين المتكلمين إنما هي مشكلة التأويل وذلك لما في لفظ التأويل من إجمال وإبهام لم ينتبه إليه أحد منهم، ولم يعرفوا الفرق بين استعمالات التأويل المختلفة » (2)

وشرح حقيقة التأويل في دلالتها اللغوية، والشرعية وحصر تأويل النصوص في أمرين ، فرأى أن أسلوب الكلام إما إنشاء وإما خبر.

فالإنشاء : يتعلق بأمر الشريعة من أوامر ونواه .

والخبر يتعلق بأمر العقيدة : من أمور الغيب والايان والقيامه وأحوالها، والبعث والكلام في الصفات. (3)

وعلى هذا قال الصحابة والسلف الصالح بتأويل الاوّل، وهو واجب. أما الثاني في الاخبار، فلا يعلم حقيقته إلا الله ومن ثم لا مجال للخوض فيه، وساق نصوصاً قرآنية يستدل بها مثل قوله تعالى: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين). وقوله تعالى في الحديث القدسي : «اعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.....». وقد قال عبد الله بن عباس : «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الاسماء» (4)

وموقف ابن تيمية هذا من جنس موقف الصحابة، فقد عدوا التفسير تأويلاً وقصروه على ما يتعلق بعلوم الدين من فقه وعلم ومعرفة بالاداب والاخلاق والسلوك الاجتماعي، واحجموا عند التشابه من الايات القرآنية في اللفظ كالمقطعات من الحروف في أوائل السور، أو في المعاني المتعلقة بالعقيدة. وموقف ابن قيم الجوزية كموقف شيخه؛ يقول في معرض الحديث عن الصفات: «ومراد السلف في قولهم بلا كيف فهو نفي التأويل، فإن التكييف الذي يزعمه أهل التأويل فإنهم هم الذين يشبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة ، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي اثبتها لنفسه، وإنما أهل الاثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله لنفسه ويقول كيفيته كذا وكذا حتى يكون قول السلف بلا كيف رداً عليه، وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل، تحريف اللفظ وتعطيل معناه» (5) فأبن تيمية في

1- ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج 13 ص 407

2- محمد السيد: الامام ابن تيمية وقضاياها التأويل ص 131

3- المصدر نفسه ص 132

4- ابن عباس : تنوير المقباس في تفسير ابن عباس 199

5- ابن قيم الجوزية : اجتماع الجيوش الاسلامية ص 77.

عرض رده على المؤولين بين أن حمل كلام السلف في قولهم « بلا كيف » إنما يحمل على المؤولين لا على المثبتين بلا تأويل، وهو هنا لا يرى هذا التأويل ويعتبره مما يوقع في المحاذير التي نهى عنها الشرع، ويبين هذه المزالق في :

بعض مزالق المؤولين :

1- نفى حقيقة النصوص.

2- اثبات التكليف الذي زعموه متأولين.

3- تعطيل صفات الرب.

وهذه كلها بدع وقعوا فيها بفعلهم إذ مثلوا الخالق بالمخلوقين في الصفات، فوقعوا في الحرج فأولوا . فلما أن أولوا وقعوا في التعطيل. وموقف الشيخين والعلماء الذين سلكوا منهج السلف الصالح إنما يتمثل فيما سبق ذكره، وهو التمييز بين دلالة التأويل في حقيقتها اللغوية . فما تعلق بتفسير قالوا به ولا حرج في ذلك، ووفق المذهب يقول ابن جرير الطبري: «القول في تأويل الآية كذا وكذا». أو عنوانوا كتبهم بلفظ التأويل كما فعل القاسمي : «محاسن التأويل...» . أما ما تعلق بأمر غيبية لا يمكن ادراكها إلا عن طريق النقل، أو أن النقل في ظاهره يوهم شيئاً من التشابه، فما كان إلى إظهاره شيء من علم السلف الصالح قالوا به كما هو الحال عند عبد الله بن عباس مع نافع ابن الأزرق ، أما ما كان غير ذلك فمذهبهم فيه التسليم وأجروه على ظاهره والإيمان به على مراد الله كما أراد.

المبحث الثاني

إذا كان التأويل قد عرف عند السلف ومن سلك منهجهم بما سبق، فإنه قد ظهر عند من سواهم بطرائق مغايرة وأخطر هذه الجماعات المؤولة، الشيعة بكل فرقها.

المطلب الأول : التأويل عند الشيعة :

لقد خالف الشيعة السنة في أمور كثيرة أهمها خلافة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ ذهبوا إلى أن الخلافة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت لعلي وكانت بوصية منه - صلى الله عليه وسلم - . وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار الناس . «نصت الرافضة منهم على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نص على استخلاف علي بن أبي طالب وأظهر ذلك وأعلنه» (1) وبوحي من الله تعالى .

وليس الأمر عند الامامية يقتصر على هذا فحسب، بل الامام عندهم قد خص بعلم ظاهر الشريعة وباطنها . وظاهرة التأويل ليست في تأويل النصوص حتى يستدلوا على أحقية الخلافة والامامة ، وإنما التأويلات المتعلقة أصلاً بالائمة .

وتستفحل قضية التأويل عند مختلف فرق الشيعة بقدر إيغالها في التشيع وإفراطها فيه، فالامامية ، ترى « أن الاتمة وهم الارصياء استودعهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أسرار الشريعة. فالنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يبينها كلها، بل بين بعضها، فبين ما اقتضاه زمانه وترك للارصياء أن يبينوا للناس ما تقتضيه الازمنة من بعده وذلك بأمانة أودعها إياهم» (2) وهذا الادعاء موجود عند الشيعة كلها، ولكنهم يتفاوتون في هذا باعتبار فرقهم؛ فمنهم من يرى أن الاتمة مفضلون عن سواهم وهم خاصة الناس ويؤثرون عن سواهم بالفهم اللدني والالهام والعلم. ومن الشيعة من يرى أنهم أوتوا الاشراق والفيض الالهي، ففضلوا عن سواهم.

نظوية التأويل عند الشيعة :

التأويل ظاهرة ملازمة للتشيع عامة في ادعاء الوصية، وفي تعاليمهم الدينية؛ فهو يرتبط أصلاً بمفهوم الامامة وحقيقتها وما يترتب عنها. واتفاقهم في الوصية وفي خصوصية الاتمة من أهل البيت من الامور المشتركة بينهم ، وهم يتفاوتون في تعيين هؤلاء الاتمة بعد علي بن أبي طالب مباشرة غير أن الاتمة عندهم خاصة، وعند بعضهم خاصة الخاصة، ومن ثم فهم ميزوا بكونهم أمناء على الدين وخصوا بتبليغه وتفسيره. وهم يرون أن النصوص القرآنية وغيرها عامة، لها ظاهر وباطن،

1- ابو الحسن الأشعري : مقالات الاسلاميين ج 1 ص 87

2- محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ج 1 ص 56

وأنة لا يعلم هذا إلا الاتمة . فهم يخصصون العام، ويقيدون المطلق، وأن لكل نص تفسيراً وتأويلاً، والاتمة هم مصدر تأويل هذه النصوص والاحكام والشرايع وحقائق الدين ومقتضياته . وهم معصومون لا يجري عليهم الخطأ، وهم ملهون . وطاعتهم دين. ويصل الحد عند بعض الفرق منهم الى جعل طاعة الامام هي الدين وأن الاتمة يرفعون التكليف عن المكلفين . (1) ويكاد يكون التأويل هو الاصل عند الشيعة وما سواه الاستثناء.

التأويل والقرآن الكريم :

كل ما سبق ذكره من القرآن الكريم . فقد اعتمد الشيعة النص القرآني مادة علمية وراحوا يحملون النصوص القرآنية ما يستحيل أن تتحملة . وقالوا في القرآن بأهوائهم وهم يزعمون في ذلك أنهم يعتمدون العقل، وأن العقل يقيد القرآن. ثم أن ما يحسبونه من النقل، إنما مستنده أئمة أهل البيت ومن تشيع لهم من صحابة وتابعين حتى يصل الاسناد الى المتأخرين . وقد عرف التفسير القرآني عند الشيعة تأويلاً كبيراً حتى غدا هذا التأويل المرجع الاساسي للحركات الباطنية المختلفة ذات النوايا الخبيثة مثل الحركة الاسماعيلية والقرمطية وغيرها من بقية الحركات الهدامة.

الشيعة والقرآن الكريم :

وقد ذهب الشيعة في تأويلات القرآن الكريم الى التأويل المذهبي وتعسفوا فيه تعسفاً كبيراً الى حد الغلو؛ فقد أولوا ألفاظاً عربية تأويلات متعسفة تتعارض مع صريح اللفظ ودلالة المعنى. وقد اصطدموا بظواهر الايات القرآنية ودلالاتها القاطعة ، وحتى المتشابه منها فإنه لا يقبل تأويلاتهم ذات المرتكزات المغايرة لطبيعة التأويل وحقيقته كما هو الحال عند السنة، ولهذا ذهبوا الى تفسير بعض الامور وفق معتقدهم المذهبي.

أمثلة ونماذج على تأويلاتهم :

من تأويلاتهم في الشجرة الملعونة في القرآن أنها هي الدولة الاموية (2) غير أن المفسرين من أئمة السنة يقولون بأن «الشجرة الملعونة» إنما هي شجرة الزقوم التي أوعد بها الله الظالمين طعاماً وأنها الواردة في قوله تعالى : (لاكلون منها فمالئون منها البطون، ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم). (3)

وقد ادعى أناس رجعة علي واستدلوا بقوله تعالى : (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلسى وعدنا حقاً ولكن اكثر الناس لا يعلمون)(4). فقد روى قتادة أنهم ذكروا لابن

1- عند الفرقة المنسوبة الى المختار الثقفي ينظر للنسخ في القرآن الكريم : محمد التومجي ص 18

2- حولد زهير : تعليق عبد الحلیم النجار ص 292

3- الآية 62-63 الصافات ، ذكره القرطبي والطبري وغيرهما من المفسرين

4- الآية 38 من سورة النحل.

عباس -رضي الله عنه- أن ناسا بالعراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ويتأولون هذه الآية، فقال عبد الله بن عباس : «كذب أولئك، انما هذه الآية للناس عامة ولعمري لو كان علي مبعوثا قبل القيامة ما انكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه» .(1)

وتأويل الشيعة للقرآن الكريم وفق هذه الوجوه الغربية كثير، و ما يمكن اجماله في مذهب الشيعة تجاه القرآن الكريم أنهم اذ يشير البعض منهم إليه مشككا فيه زاعما أن آيات تخص الولاية اسقطت منه، فإن معظمهم يذهب في تفسيره مذهب التأويل . معتمدا في ذلك على أصول مذهبهم، وعلى أئمتهم ، فأئمتهم هم التفسير الحقيقي للقرآن الكريم سواء في صريح اللفظ والدلالة أم فيما هو ظني الدلالة، وهذا مجالهم الواسع في التأويل.

المطلب الثاني : هتكتكات واسس هذا التاويل :

اذا ما رد التاويل مباشرة الى المذهب واعتبر هذا التاويل من التاويل المذهبي ، فإن وراءه دوافع أساسية لها تأثير كبير على عملية التاويل سواء كانت هذه العوامل والمؤثرات قريبة أم بعيدة.

1- ظاهرة التحريف : تحريف النص ظاهرة منتشرة عند غلاة الشيعة إن في اللفظ كماضافة الكثير منهم لمقاطع زعموا أنها من القرآن ومنها بسمونه بأية الولاية، أو التحريف في المعاني كما هو الحال في تفسير الكثير من المعاني المتعلقة بالآيات القرآنية على غير وجهها ودلالتها كقولهم في : (ولكل قوم هاد) مز: قوله تعالى : (إنما انت منذر ولكل قوم هاد) ان الهادي هو الامام وهو علي، وهو كل امام من آل بيته من السلسلة النورانية.

2- التناقض الواضح : عند دراسة مختلف تأويلات الشيعة، يتضح التناقض الصارخ في تأويلاتهم، والتناقض بين فرقهم فضلا عن غيرهم وهذا يعني أنهم متناقضون أصلا مع أنفسهم، وأن المزام التي يزعمونها كلها لا تقوم لها حجة اذا استدعى الموقف حجة قوية. وقد رأينا التاويل عند السلف الصالح يتماشى مع التفسير ولا يتعارض معه وإنما هو زيادة فهم، وانتقال من المنطوق الى المفهوم، في حين أنه عند هؤلاء التناقض الصارخ مع صريح النصوص، قال تعالى: (اليوم اكملت لكم دينكم وانممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً).

وهم يقولون أن الائمة خصوا بنصيب كبير من الشريعة وعلومها ومن التبليغ وهم يبلغون ما لم يبلغه الانبياء، وهذا الطعن عينه في الرسالة والرسول؛ فالله تعالى يقول : (يا ايها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس).

والعصمة أصلا لم تكن إلا للانبيا . وهم لا يقفون عند عصمة النبي - صلى الله عليه وسلم - بل ينقلون العصمة للائمة، بل بعض الفرق منهم تطعن حتى في عصمة النبي - صلى الله عليه وسلم - وتثبت العصمة لأئمتهم . والنبي - صلى الله عليه وسلم - مع دعوة الكثير من الآيات الى طاعته،

1- جولد تدهيصر، مذهب التفسير الاسلامي ص 292

لم يدع الناس الى ترك التكليف بدعوى طاعته، وهذا ما ادعته بعض فرق الشيعة لامتهم المعصومين، و خلاصة القول في هذا، أن التأويل عندهم مبني على التناقضات ولا يستقيم عقلا ولا نقلا، ولا يقول به سليم العقل أو سليم الفطرة.

المطلب الثالث: تأويل غلاة الشيعة،

صدر هذا التأويل عند البعض منهم -الاسماعيلية- وعن فلاسفة اشراقيين قدامى وعن براهمة هنود، وبوذيين وبقايا ممن كان عند الكلدان والفرس من عقائد وأفكار حول الروحانيات، (1) فكثير من الاعتقادات كالرجعة وانتقال الارواح الى كائنات حية كالائمة والصالحين وحتى بعض الاجسام من الحيوانات، كل هذا صادر عن فكرة التناسخ عند الهنود، وهذا ما ذهب اليه إخوان الصفا في تأويلاتهم الفاسدة وقد أثبتتها الشيعة، وهذه الاعتقادات الباطلة وجدت لها انصار في فرق ضالة وكافرة مثل البهائية والقاديانية في نظريات المظهر الالهي في الباب أو البهاء (2) وفكرة الحلول من أهم الافكار الواردة عند غلاة الشيعة، فقد زعم عبد الله بن سبا أن عليا حلت فيه روح الله ثم زعم مرة أخرى أنه هو الله، وفي الجملة، فان فكرة التناسخ والحلول من الافكار الشائعة لدى غلاة الشيعة، فعنهم من يجعلها في الإمام علي ذاته، ومنهم من يجعلها في الائمة من بنييه، ومنهم من يذهب بعيدا ليجعلها في قانتهم وزعمائهم وأئمتهم عامة، يقول عبد القادر محمود: «مما يؤكد لنا أن فلسفة إخوان الصفا هي الموسوعة الضخمة للفلسفة الباطنية بوجه عام وتوثيق اعلام ودعاة الاسماعيلية بازاء اخوان الصفاء» (3) وهؤلاء من الذين يؤولون القرآن تأويلات بعيدة ويكثرون من ذلك في مؤلفاتهم، يقولون في تأويلات الآيات عن الماء الذي نزل من السماء: (فسالت اودية بقدرها) (4) أو مثل قوله تعالى: (أنزل من السماء ماء... فاحتمل السيل زبدا رابيا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) (4) يقول اخوان الصفاء (أنزل من السماء ماء) يعني القرآن . (فسالت اودية بقدرها) : يعني حفظتها القلوب بمقاديرها من القلة والكثرة، (فاحتمل السيل زبدا رابيا): يحمل ما يحمل ألفاظه وظاهره من معانٍ حفظت متشابهاتها فقط قلوب المنافقين الزائفة. (فأما الزبد فيذهب جفاء): فهو الاباطيل، (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) فمعناه: ألفاظ التنزيل التي تثبت في قلوب المؤمنين والمصدقين وتثمر الحكمة. (5)

1- محمد ابو زهرة: العقائد الإسلامية ص 60نقرة 53

2- د. عبد القادر محمود الفكر الاسلامي والفلسفة المعارضة ص 44/43

3- المصدر نفسه ص 44

4- الآية 17 الرعد

5- د. عبد القادر محمود: الفكر الاسلامي والفلسفات المعارضة ص 43

4- جذور التأويل الباطني تعود الى اليهودية كما تعود الى المسيحية. وقد تأكد مما لا يدع مجالا للشك أن عبد الله بن سبأ اليهودي قد نقل من الافكار اليهودية كفكرة الحلول، وفكرة الرجعة، وقال : عجبت لمن يقول برجعة عيسى - عليه السلام - ولا يقول برجعة محمد. وتأويلات الآيات عند الباطنية من الشيعة لا تخلو من لؤثة اليهودية حتى في ظاهر الآيات؛ يقول عبد القادر محمد القط : « فالعبيون الاثنتا عشرة : هم الائمة، وأن الذبيح اسحاق عليه السلام وهو الواقع في هذه التأويلات كأسس وعمد الباطنية من أيام السبئية اليهودية الشيعية الاولى » (1) وقد ذكر احمد أمين أن نسب المذهب الشيعي يعود الى اليهودية، فقال : « وقد ذهب الاستاذ -لهوسن- الى أن العقيدة السبئية نبعت من اليهودية أكثر مما نبعت من الفارسية مستدلا بأن عبد الله بن سبأ يهودي ». (2) إن تأويلات الشيعة، المعتدلين منهم وغلاتهم، قد مست كل جوانب القرآن في العقائد، وفي أصول الدين، وفي الشرائع والاحكام، وفي القصص وغير ذلك من حقائق التنزيل. كما أن للمسيحية جذورا في أصول التأويل للقرآن الكريم عند الشيعة. يقول المستشرق جولد زيهير : « وفكرة الرجعة ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من عقائدهم التي اقتصوا بها، ويمكن أن يحتمل انها تسربت الى الاسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية » (3) وقد فسر المفسر الشيعي : (يحق الحق بكلماته) بأنها الائمة، كما أكد الشيعة تأويلهم المتعسف للآية : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) فقالوا بفكرة الرجعة. وهذه التأويلات ذات الجذور الممتدة الى دبانات محرفة وفلسفات فاسدة هي الارضية الفكرية والفلسفية وحتى العقيدية للتأويل لدى الشيعة، وهم لا يعتبرونها قضية ظنية محتمل الظن ويحتاط في بناء العقائد والاحكام والمعاملات عليها، بل هي عندهم من أوكد القطعيات وعليها مدار العقائد والشرائع والاحكام والاداب، وهي الجانب الجوهري واليقيني للدين وبذلك يخالفون السنة جملة وتفصيلا، شكلا ومضمونا.

المطلب الرابع : الجانب الاشاري في التأويل عند الشيعة :

وإذا كان التأويل قد انصرف الى الالفاظ العربية حيث أولت في بعض الاحيان تأويلات غريبة، والى المعاني الخاصة والعامة للآيات فأولت هي الاخرى تأويلات تميزت بالتعسف والتناقض ومخالفة القرآن ذاته في مقاصده العامة والخاصة وخالفت ما صح من السنن والآثار وقد علمنا مدى تحفظ السلفيين من الاشارة الى معاني الحروف والالفاظ التي اعتبرت محل اعجاز وتحد وهي على مراد الله كما أراد فيها لا تؤول ولا تفسر- فإن الشيعة يعتمدون التفسير الاشاري (بل التأويل...) حتى في صريح دلالات الالفاظ والمعاني التي هي محل تواتر عند علماء اللغة وعلماء السنن والآثار:

1- المصدر نفسه ص 35

2- أحمد أمين : فجر الإسلام، و المصدر السابق ص 192

3- جولد زيهير : مذاهب التفسير : ص 313

« أن تذبحوا بقرّة » عندهم هي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، و« مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » فهما علي وفاطمة. يقول جولد تسيهر في التأويل المعتمد على التفسير الاشاري: «وسلك الشيعة في ذلك طريق المجاز والاشارة، فاذا قيل في الآية 91 من سورة المائدة : (إنهما يبويد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكرالله وعن الصلاة) كان هذان الامران القبيحان اسمين المراد بهما التستر على ابي بكر وعمر، وتحت الجيت والطاغوت : (الم تو الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجيت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا) 51-52 النساء لا يفهمان إلا معاوية وعمر و ابن العاص (1) . وهذا النوع كثير عندهم يستوعب كتابها كاملا : «فان التمرود هي الغضب على ابراهيم ، وذبح اسحاق هو اخذ العهد ، وانفلاق البحر لموسى هو انفلاق علمه إذ علمه كالبحر. أما العقوبات التي سلطها الله على قوم موسى كالجراد والقمل والضفادع والدم، فهي مجرد احتجاجات، وجن سليمان فهم أعلام الباطنية في ذلك الزمان، والشيطان رمز أهل الظاهر الذين كلفوا بالاعمال الشاقة، وكلام عيسى في المهد صبيا مجرد علم الباطن» (2) و هكذا فالمفسر الشيعي يحول دائما مدلولات القرآن الصريحة الواضحة الى رموز لمفاهيم وعقائد وأفكار شيعية واسقاطات لغضبهم ومقتهم على من خالفهم، ولم يسر في طريقهم، وأخطر من هذا جميعا تأويلات أخرى ، إذ أولوا ألفاظا ومعالم دينية على أسماء أئمتهم وخاصتهم، وحتى مراتب أئمتهم والعاملين لدعوتهم ، فقد قالوا في كلمة «لا إله إلا الله»: ف « لا » : الداعي، و «إله» : الحجة، و «إلا» : الامام، و«الله» : الاساس. و أغرب من هذا «لا» : دليل على السابق، «إله» : دليل على التالي، «الا» : دليل على الناطق، «الله» : الاثير» (3) وكذلك أولوا العبادات والامور والنواهي ، فقد قالوا في قوله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) ، قالوا : إن الميتة كالظاهر ، والظاهر بدون باطن بلا روح، وقوله تعالى : (واصطرونا عليهم حجارة من سجيل) معناه أننا رميناهم بمسائل صعبة من قبل الناطق مع دفعهم بالباطن الحقيقي قبل هلاكهم في الظاهر لئلا يخرجوا من الدنيا غير محجوبين» (4) وهذا التفسير كثير عند الشيعة - معتدليهم وغلاتهم - وقد انطلقت من هذا التأويل الاشاري فرق ضالة ومنحرفة فذهبت الى ادعاء استكناه حقائق الاشياء والاطلاع على أحوال معينة من خلال رموز عديدة ، فنككوا عبارات القرآن وألفاظه وكلماته وحروفه وحولوا ذلك الى أعداد وحسبوا حسابات زعموا أنها من الاعجاز العددي وهي ليست في شيء كما ذهب الى ذلك

1- جولد زيهير : مذاهب التفسير : ص 313 و 1 ابن قتيبة مختلف الحديث ص 86

2- المصدر نفسه

3- دكتور الجر : الفلسفة العربية ج 2 ص

4- محمود عبد القادر، الفلسفة الصوفية في الاسلام « مصادرها ونظرياتها ».. ص 151 ط 1965/1

بعض الباطنية والحلولية و الاتحادية من صوفية وغيرهم . وظاهرة التأويل عند الشيعة اوسع من أن يحاط بها أو أن تجمع في هذه الوريقات انما هي من قبيل ذكر الاصول العامة للتأويل عند الشيعة كلهم . وهي عندهم خاصة بالائمة الذين هم مستودع تفسير القرآن والشرائع والاحكام بل هي محل فخر عندهم : يقول محقق شيعي لكتاب « أساس التأويل » للنعمان بن حيون التميمي المغربي قاضي قضاة الفاطمية 363 هـ زاعما : « إن القرآن نفسه ايد هذا المنهج مع يوسف الصديق عليه السلام في الكثير من الايات والتي منها (ولنعلمه من تاويل الاحاديث) ، وعلى أساس أن الراسخين في العلم في صف واحد مع الله، وهم الذين يعلمون تأويل الايات .» ويمضي مادحا للتأويل الباطني زاعما ان غير الشيعة الباطنية عجزوا عن النفاذ الى حقيقة النصوص، وتأويلها حتى في أهل الكتب السابقة مثل التوراة والانجيل، فيقول : « حاولوا تأويل التوراة تأويلا باطنا فلم يقدر لهم النجاح. كما أن سانت أوغسطين - القديس اوغسطين- حاول وتلامذته واتباع مدرسته تأويل الانجيل ، تأويلا باطنيا ولكنهم لم يستطيعوا تنفيذ الفكرة لاعتبارات شتى يطول شرحها، فجاء الاسماعيليون ونشروا نظامهم الفكري فكان أول منهاج طبقوه ودعوا إليه نظام التأويل. (1)

إن التأويل في حقيقته عند الشيعة دعامة أساسية، و مرتكز من أهم المرتكزات الإستدلالية التي تجلت في استشهاداتهم القرآنية و تفسيرهم، وهم و إن عمدوا إلى التأويل فإنما هو من منطلق عقيدتهم و آثارهم و هو من قبيل التأويل المصوغ بالصيغة الشيعية . أما عند غيرهم فمنه ما هو منطلق من نظرات عقلية و قياسات منطقية و مفاهيم كلامية و فلسفية و قد تجلى هذا من خلال المدرسة العقلية، مدرسة المعتزلة و من سار في ركابهم .

1- د. عبد القادر محمود الفكر الاسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث ص 63 عن القاضي النعمان

المبحث الثالث

التأويل عند المعتزلة

المطلب الأول :

ومن المؤولين المعتزلة ، فقد ذهب هؤلاء الى تأويل ما في القرآن من ألفاظ تتحدث عن الاعتزال حيث أشار الى هذا الرازي بقوله : « قال القاضي عبد الجبار وهو رئيس المعتزلة : كل ما ورد في القرآن من لفظ الاعتزال، فإن المراد منه الاعتزال عن الباطل فعلم أن إسم الاعتزال مدح». (1) وقد ورد التأويل عندهم حتى في الاسم : اعتزل - معتزلة.

ومما اتفق عليه علماء الاسلام أن لقب الاعتزال التصق بهم منذ أن اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري وخالفه الرأي في مرتكب الكبيرة، ثم زعم ما زعم من تأويلات . وتأسست أصول على أقوالهم التي تعتمد العقل أساسا وفيصلا وعرفت فيما بعد بأصول المعتزلة، ولا يعتبر معتزليا إلا من آمن بها وصدقها وبنى عليها اعتقاده وفعله.

نظرية المعتزلة في التأويل : لقد تجسدت نظرية التأويل عند المعتزلة في الاتي :

مثلوا، فأولوا، ثم عطلوا، مثلوا صفات الخالق بصفات المخلوقين فوقعوا في المخرج فلجأوا الى التأويل، ومن ثم قادهم هذا التأويل الى تعطيل صفات الله مما جعلهم يذهبون الى تفسير آيات الصفات على اعتبار مجازات اللغة، كما كانوا يذهبون الى تأويلها تأويلات لغوية ونحوية فيها الكثير من التعسف.

أمثلة ونماذج على ذلك :

قال الزمخشري في قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة للربها ناضرة) : «المراد بـ «ناظرة» الثانية: منتظرة، فالمؤمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ينتظرون ذلك اليوم» (2) وقال : «إن تقديم المفعول به (الى ربها) يفيد الاختصاص بمعنى أن هذه الوجوه تنظر الى ربها خاصة، ولا ينظرون الى غيره... ومعلوم أنهم ينظرون الى أشياء ليس لها حصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم... فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص». (2) ويستمر في تأويله باللجوء الى اللغة، والعرف اللغوي، فيقول : «والذي يصح معه أن يكون من قول الناس : أنا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقيع والرجاء . ومنه قول القائل :

إذا نظرت إليك من ملك، والبحر دونك زدتنى نعمة» (3)

1- تأليف : علي الشامي ، ابو لبابة حسني، عيد المجيد النجار : المعتزلة الفكر والعمل ص 25

2- الزمخشري : الكشاف ج 4 ص 192

3- المصدر نفسه ج 4 ص 544

مناقشة الاستدلال :

وهذا مذهب الزمخشري في كل آيات الصفات، فكل آية يرى من خلالها دلالة على الرؤية يؤولها بشكل يدفع الرؤية، وكل آية يرى المعتزلة أنها تشير الى صفة من الصفات التي تتنافى وأصولهم المذهبية ، يؤولونها ويتهمون غيرهم بالتشبيه والمشبهة ؛يقول الجبائي : « ذلك أن أوائلهم كانوا يقولون بالرؤية مع التشبيه ، ثم من بعد لما عرفوا فساد القول بالتشبيه ثبتوا على القول بالرؤية للالف والعادة واحتجوا بقوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)، وهذا لا حجة لهم فيه لان النظر ليس هو الرؤية، فتحمل الآية على النظر الى الشواب والانتظار كما روي عن كثير من الصحابة» (1)

المطلب الأول : ائمة المعتزلة و تأويلاتهم :

فالجبائي -وهو شيخ من شيوخ المعتزلة- يبنى الرؤية ، ويرى أن من اثبتوا الرؤية إنما شبهوا ولكن لما علموا أنهم وقعوا في هذا الخطأ الفاحش عادوا ثانية فتركوا دعوى التشبيه غير أنهم ظلوا على الثبات على الرؤية بحكم الاعتقاد والالف.

ثم هو يرد هذا الاحتجاج الذي اثبتته جماعة السنة في قوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» فيرى أن هذا الاحتجاج باطل. ويعود الى اثبات معنى الآية على حد تأويله وفق ما يذهب إليه الزمخشري بالاعتماد على الدلالة اللغوية، والدلالة العرفية. وسواء كان الزمخشري او الجبائي أو غيرهما، فالقول واحد إذ العبرة إنما هي بالمنهج المتبع والطريقة المتخذة في التأويل .

ولم يخالف المعتزلة في تأويلهم جماعة السنة في مسألة الرؤية فقط بل حتى الشفاعة أنكروها واستدلوا على الانتكار بقوله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)، ويؤولون ذلك بقولهم أن الشفاعة إنما تكون لأهل الشواب دون أهل العقاب ولأولياء الله دون اعدائه، ويقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم- يزيدهم تفضيلا وتعظيما في الجنة، هذه هي شفاعته مستدلين على ذلك بقوله تعالى : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع مطاع). فتأويل المعتزلة اعتمد هنا على الاستدلال بالآيات ولكن الآيات التي تنفي الشفاعة دون النظر الى التي تثبت الشفاعة.

وإذا ما تأملنا العقيدة في أصولها ومقتضياتها، فإننا لا نجد تسلم من قول المعتزلة ، وربطها بأصولهم ونظريتهم في التأويل، كل هذا ليوافق مذهبهم. وحتى الآيات الصريحة، فهي عندهم مؤولة. يقول الزمخشري في قوله تعالى : (إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(2) «الوجه أن يكون الفعل المنفي (لا يغفر...)، والمثبت (يغفر) جميعا موجّهين الى قوله تعالى (لمن يشاء)».

1- الزمخشري : الكشاف ص 544 ج 4

2- الآية 48 النساء

كانه قيل : إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون ذلك ، على أن المراد بالاول من لم يتب، والمراد بالثاني من تاب .« (1)

كل هذا التأويل المتعسف والذي لجأ فيه الزمخشري الى مخالفة مألوف اللغة ليوافق مذهبهم القائل بأن الذنوب لا تغفر الا بالتوبة ، صغيرة كانت أم كبيرة. ولما وقفت الآية صريحة أمام عقيدتهم، أولوا هذا التأويل المتعسف.

وهكذا يذهب المعتزلة في التأويل، وما يحكم تأويلهم إنما مذهبهم على العموم وأصول هذا المذهب خصوصاً، ثم نظرتهم للايمان والعمل وفهم كل هذه القضايا . و رغم اتباع المعتزلة للعقل وإخضاع النقل له، وغلبة النزعة العقلية على تفكيرهم، فإن من التأويلات ما لا تستسيغه العقول ورغم هذا فهم يقبلونه لا لشيء سوى لأنه يتماشى وأصول مذهبهم ونظرياتهم في التأويل .

التأويل عند الأشاعرة :

لم يستمر أبو الحسن الأشعري على مذهب الاعتزال بعدما تأكد من مجانفته للحقيقة، بل عاد أدراجه الى مذهب السنة والجماعة، وكفر عن أخطائه التي اقترفها طيلة أربعين سنة وهو على الاعتزال، يستدل كما يستدلون، ويؤول كما يؤولون ، ويفسر كما يفسرون ويعتقد ما يعتقدون.

ودرجع عن كتبه التي ألفها، واعتبر كتاب «الإبانة» خير دليل على توبته وإنابته غير أن الكثير لا يسلم لهذا التائب ولا يرى في أوبته خيراً.

منهج أبي الحسن الأشعري في التأويل :

وسلك أبو الحسن الأشعري في منهجه :

- النقل أولاً : بما فيه من نصوص يقينية الثبوت ويقينية الدلالة.

- العقل ثانياً : فقد كان يدعم النقل ويحتج له ويورد البراهين والادلة العقلية، وهذا ما لم يرض خصومه.

يقول في مقدمة «الإبانة» : «أما بعد، فإن كثيراً من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم الى التقليد لرؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً ولا أوضح به برهاناً ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين فخالفوا رواية الصحابة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -...» (2)

يقول أبو زهرة : «وقد سلك الأشعري في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل، فهو

1- الزمخشري : الكشاف : تفسير الآية 48 النساء ج 1

2- أبو الحسن الأشعري : الإبانة في اصول الديانة ، تقديم فضيلة الشيخ حماد الأنصاري ص 46 م.ع السعودية .

منشورات مركز الدعوة . الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ، ط 1405 هـ .

يثبت ما جاء في القرآن والحديث الشريف - في كل ما يتعلق في العقائد - وينتج الى الادلة العقلية المنطقية يستدل بها على ما جاء في القرآن الكريم والسنة عقلا. بعد أن وجب التصديق بها كما هي نقلا (1) و على هذا سار أتباعه الذين سموا فيما بعد بالاشاعرة وأسسوا مذهبهم في الاعتقاد وفق هذه النظرة والمبادئ العامة والاصول الثابتة ، حتى أصبح المذهب الاشعري من مذاهب الفقهاء من الشافعية والمالكية. و إن غلب الاشاعرة النقل على العقل، وجعلوا النقل أصلا والعقل تابعا له، فإن من العلماء من جاء بعدهم فجعل العقل هو الاساس بيد أن هذا العقل يسير وفق توجيه الشرع له، ثم أن النقل يأتي ليدعمه، وعرف هذا العالم بالماتريدي.

التأويل عند الماتريدية :

يقول ابو زهرة : «فالتأويل عند الماتريدية يعني حمل المتشابه على المحكم ، فإن لم تكن هناك طاقة للتأويل فالتفويض أسلم» (2) فالماتريدي أخذ عن المعتزلة تقديم العقل أولا، وأخذ عن الاشاعرة تقديم النقل أولا، فكان هو في الوسط، عقل مقدم لكن وفق مقتضى الشرع، ثم النقل يأتي ليدعم العقل ثانيا. و اذا ما نظرنا الى التأويل عند هؤلاء جميعا نجد يدور حول أمرين - العقل أولا ، والنقل ثانيا- على تفاوت في استعمال هذه الاصول : فالمعتزلة تفالي في استعمال العقل الى حد يجعلها تعطل النقل نهائيا وذلك بتأويل بعيد يكون في الغالب من قبيل إخضاع النقل للعقل. ثم أن الاشاعرة توسطوا بين المعتزلة المغالين في استعمال العقل، وخصومهم الداميين للعقل والمستعملين النقل بدون أدنى نظر للعقل، فجمعوا بين الاثنین لكن قدموا النقل وجعلوا العقل سندا له ودعموا. فجاء الماتريديون وتوسطوا بين المعتزلة وخصومهم ، فقدموا العقل وفق ما يقتضيه الشرع ثم أهدوا العقل بالنقل.

وما يمكن استخلاصه من هؤلاء المؤولين جميعا، أن المعتزلة تحسب من الفرق الاسلامية وتصنف ضمنها، والاشاعرة والماتريدية يحسبون أنفسهم من أهل السنة والجماعة، وخصومهم لا يسلمون لهم بذلك، وتأويل هؤلاء يشترك في النزعة العقلية على تفاوت.

1- المعتزلة يفرقون في التأويل الى حد ملامسة الآيات القرآنية لمذهبهم.

2- يتعسفون في تأويل الآيات القرآنية

3- أما الاشاعرة والماتريدية فقد أخضعوا العقل للنقل وأبوا الا أن يتخلدوا من النقل الاساس الاول، والعقل في خدمة هذا النقل على اختلاف في هذا الاستخدام.

وهناك من الفرق من غالت في تأليه العقل الى حد أخرجها من دائرة الاسلام وجعلها تصنف ضمن النحل الضالة والمبتدعة، وقد سميت بالمعطلة.

1- محمد ابو زهرة : المذاهب الاسلامية ج 2 ص 186

2- المصدر نفسه ج 1 ص 200

وقد نظرت هذه الفرق الى آيات القرآن التي تدور حول قضايا العقيدة والايان نظرة تمثيل وتشبيه فأولتها حسب أهوائها، فوقعت في التعطيل؛ ومن هذه الامور التي عطلتها: الاستواء، والرؤية، والكلام (كلام الله، والنزول، والعرش وغيرها)؛ قال عثمان بن سعيد الدارمي: «ما ظننا أنا ننظر الى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الاسلام الى إثبات العرش والايان به حتى ابتلينا بهذه العصاة الملحدة في آيات الله، فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الامم قبلنا والى الله نشكر ما أوهت هذه العصاة من عرى الاسلام واليه نلجأ وبه نستعين.» (1)

المطلب الثاني: تأويل القرآن عند الجهمية:

إدعت الجهمية أنها تؤمن بكل ما جاء في القرآن من آيات وصفات غير أنها لا تؤمن بها على ظاهرها غير أنها أولت ذلك حتى لا يتعارض ما تؤمن به، وتأولت من الايات ما يوافق مذهبها واعرضت عما لا يوافق مذهبها فأخذت الايات الموهمة التشبيه عندها فأولتها وتركت ما يتعارض ومذهبها، بل ان الجهميين تأولوا التفسير متعسفين، فاجتزأوا الآية دون نظر الى سياقها ولحاقها؛ قال ابو سعيد عنهم: «قال بعضهم: دعونا من تفسير العلماء إنما احتجاجنا بكتاب الله..» (2)

ويقول في عملهم التأويلي: «تعلقتم بوسط الآية، وأغفلتم فاتحتها وخاتمتها» (2)

وقد تأولوا الرؤية تأويلاً أدى الى تعطيلها لحصرهم الرؤية في الجارحة والزمان والمكان، وقالوا هذا يستحيل في حق الله لتعالبه عن هذا، وأولوا كل هذه الايات التي تنص على الصفات؛ فقال في قوله تعالى: (وجاء بركب الملك صفا صفا) (3) وقوله تعالى: (هل ينتظرون إلا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام...) (4) معنى اتيانه في ظلل من الغمام ومجيئه والملك صفا صفا كمعنى كذا وكذا. يقول ابو سعيد الدارمي: «ولكن ان كنتم محقين في تأويلكم هذا وما ادعيتم من باطلكم -ولستم كذلك- فأتوا بحديث يقوي مذهبكم.. أو بتفسير تروونه صحيحاً عن احد الصحابة أو التابعين». (2) ولقد كان هذا التأويل - سواء عند المعتزلة أو عند الفرق الكلامية الأخرى - من دعائم الإستدلال القرآن، و لم يكن عند هذه المذاهب و الفرق بل حتى عند الطوائف الأخرى و الجماعات و من هؤلاء الصوفية .

1- الامام ابي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، كتاب الرد على الجهمية تحقيق زهر الشاوش- المكتب الاسلامي ص 12

2- المصدر نفسه ص 19

3- الآية 22 الفجر

4- الآية 210 البقرة

المبحث الرابع التأويل عند الصوفية

المطلب الأول : نظرية التأويل عند الصوفية :

إن ظاهرة التأويل (1) عند الصوفية ترجع أصلا الى تلك الاشارات والرموز التي تحمل معان صوفية ودلالات خاصة، وهي في مجملها يمكن ادراجها ضمن التفسير الاشاري.

والصوفية يعتمدون الرمز ويرون فيه دلالات على حقائق نفسية وروحية و مواجد مختلفة، والرمز عندهم حقيقة يجدها السالك في نفسه وفي حياته وان اختلفوا بين معتدل سالك منهج السلف الصالح، ومغال سائر على مناهج مستوردة من ثقافات وديانات وافدة.

وقد وردت ظاهرة التأويل عند الصوفية بكثرة حتى أن هذه التأويلات جمعت في مصنفات خاصة سميت بـ «المستنبطات» (1) وهي عندهم :

« ما استنبطه أهل الفهم من المحققين بالمرافقة لكتاب الله عز وجل ظاهرا، وباطنا ، والمتابعة

لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- ظاهرا وباطنا ، والعمل بها بظواهرهم وبواطنهم » (2)

الصوفية المعتدلون و التأويل : وفي هذا التعريف ما يدل دلالة واضحة وصريحة على أن الصوفية الحقيقية تلتزم المنهج السلفي « كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » في الظاهر والباطن، في اللفظ والاشارة، في الشريعة والحقيقة.

يقول أبو سليمان الداراني : «ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب ، و السنة » (3)

وقد أبرز العلماء الجوانب الروحية في حياة علماء الاسلام فكانت الأنموذج العملي للتزكية الباطنية التي نصت عليها الآية: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لغفي ضلال مبين) (4)

وتأويل هؤلاء لا يخرج عن مقاصد القرآن، ومعاني الايمان ودلائل الاعمال الخيرة والسجايا الفاضلة.

لكن ورد عند بعض المغالين منهم المتعدد عن الفهم المرضي للسيرة وتأويلات لا تقوى على الثبات عند وزنها بميزان الكتاب والسنة.

ويمكن حصر فهم التأويل عند هؤلاء في :

1- د. خليل الجر : الفلسفة العربية ج 1 ص 240

2- المصدر نفسه ص 240

3- زكريا، الأنصاري : الرسالة القشيرية ج 1 ص 114

4- الآية 2 الجمعة

صوتكزات تاويلات الصوفية :

1- الالفاظ : فهموها على أنها قوالب لمفاهيم خاصة في الحالات و المقامات والتجليات والمواجيد ، وهي مراحل ودرجات في طريق الصوفي مثلا :

التوكل، الشكل، اليقين، الصبر.... كل هذه في سلم التصوف تعني مراتب معينة.

2- المعاني: ففي المعاني المألوفة والمعروفة في الوضع والاصطلاح وحتى في اعراف العامة، فهي تعني عندهم أشياء أخرى، فالحياء والغيرة والحب تعني حقائق صوفية معينة». ويكون هذا التأويل الذي يصرف اللفظ في دلالاته الظاهرية والمعنوية الى حقيقة صوفية معينة مغايرا تماما لما ينبغي أن يكون عليه من تفسير للنص أو تأويل له ، ومغايرا تماما للحقيقة في أشكالها المختلفة اللغوية والاصطلاحية، والعرفية.

المطلب الثاني : زماذج من تاويل الصوفية :

1- ففي التفسير المنسوب الى ابن عربي في سورة النصر (1)، يقول : «... المطلق الذي لا فتح وراءه وهو فتح باب الحضرة الاحدية والكشف الذاتي بعد الفتح المبين في مقام الروح بالمشاهدة». فهذا الكلام مغاير لما صح نقلا وما تقتضيه اللغة، وعرفه الناس؛ فالحقيقة الاثرية هي كما جاء في رواية الطبري: «بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة نزلت (اذا جاء نصر الله والفتح)، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الله أكبر جاء نصر الله والفتح، وجاء نصر أهل اليمن». (2) وأخرج البخاري عن عمر بن سلمة : لما كان الفتح : «بادر كل القوم بإسلامهم الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت الاحياء تتلاوم باسلامها قبل فتح مكة فيقولون دعوه وقومه، فان ظهر عليهم فهو نبي». (2)

ويتفق علماء التفسير في جميع كتبهم على أن الفتح هو فتح مكة ، يقول ابن عاشور : «ولم يختلف أهل التأويل أن المراد بالفتح في الآية هو فتح مكة». (3)

غير ان التفسير الباطني (1) في هذا الكتاب يذهب مذهبا مغايرا لما سبق ذكره.

سأخذ على هذا التأويل :

وما يؤخذ على هذا التأويل هو :

1- مغايرته للوضع اللغوي المتفق عليه بين علماء اللسان.

2- اختلافه عما ورد في صحيح الآثار والنصوص النقلية.

3- معارضته صراحة للحقيقة العلمية في أشكالها اللغوية، والاصطلاحية والعرفية.

1- محي الدين بن عربي : تفسير القرآن الكريم ج 2 ص 865

2- صحيح البخاري باب التفسير سورة النصر

3- الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 30 ص 587

فمثلا في قوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) (1)

يقول ابن عربي : «سبحان الذي أسرى» : أي نزله من اللوح المادي، والنقائص التشبيهية بلسان حال التجرد والكمال في مقام العبودية الذي لا تصرف فيه أصلا .

ليلا : في ظلمة الغواشي البدنية والتعلقات الطبيعية لان العروج والتلقي لا يكون إلا بواسطة البدن.

من المسجد الحرام : أي من مقام القرب المحرم عن أي يطوف به مشرك القوي البدنية» (2)

مناقشة هذا الاستدلال :

وهكذا يستمر في تفسير معظم الايات والسور تفسيراً لا يمت بصلة الى الاثار النقلية ولا إلى المفهوم العقلي، وإنما يعتمد أصلاً المصطلح الصوفي الفلسفي ، وهكذا في الكثير من التفسير الصوفي والاشاري منه بالأخص.

3- يورد صاحب «مذاهب التفسير» نموذجا آخر حيث يقول في قوله تعالى : (واضرب لهم مثلا

اصحاب القرية اذ جاءهم المرسلون ، اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا

اليكم مرسلون ، قالوا ما انتم الا بشو مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون) (3)

قرأ الصوفية : إن القرية: هي الجسم و المرسلون الثلاثة: الروح والقلب والعقل .

مناقشة هذا الاستدلال :

هذا التأويل بعيد كل البعد ، لان الحقيقة العلمية تصرح أن الامر غير ذلك : فكتب التفسير تذكر

أن : القرية : هي انطاكية. و أن المرسلين : هم رسل عيسى - عليه السلام- . (4)

المطلب الثالث : حقيقة التأويل عند الصوفية :

وهكذا يتضح أن هذا التأويل يعتمد تطويع النصوص القرآنية لتكون قوالب لمعان صوفية

(مصطلحات، مفاهيم..) أو فلسفة صوفية معينة، وهذا الجانب يكثر عند المتأثرين بالتصوف

الدخيل الذي يحمل فلسفات وافدة، وله أصول أجنبية عن الثقافة والفكر الاسلاميين.

و اذا كانت الكثير من الايات في دلالاتها الخاصة والعامة تدعو الى ضرورة تأمل القرآن والتعمق

في معانيه قصد الوصول الى إدراك حقيقته ، فإن هذا لا يجعل من الاغراق في التأويلات سببا الى

تفسير القرآن أو تأويله وان كان من الصوفية من يرى أن الاغراق في المجاهدات الصوفية

والرياضات الروحية طريق الى تجليات أو فيوضات او مراتب يفيض فيها من العلمي اللدني ما

1- الآية 1 الاسراء

2- ابن عربي : تفسير القرآن ج 1 ص 705

3- الايات 12/ 13 يس

4- مختصر تفسير الطبري سورة «يس» وبقية الكتب ابن كثير، القرطبي، ابن عاشور.....

يجعل صاحب هذا المقام في حال تسمح له أن يقول في معاني القرآن برأيه ، مستنديين في ذلك الى قوله تعالى : (وانتقوا الله ويعلمكم الله) الآية ، وقوله -صلى الله عليه وسلم- : «انتقوا فإسه المومن فإنه ينظر بنور الله» (1) و الى حالات بعض المومنين الاصفياء (عمر وإلهاماته مثلاً). لكن هذه الاقوال لا بد لها من دعائم وهي أصلاً من كتاب الله ومن سنته ، تسير على سمتهما ووفق مقاصدهما وإلا فلا سبيل الى قبولها. و من ثم ، فدعوى هؤلاء الصوفية لا بد لها من دعم من كتاب وسنة بغض النظر عن كونها تجليات أو فتوحات أو مواجيد أم فهوما خاصة. أما الاعتماد على الفلسفات الاشراقية القديمة والنظريات الغنوصية، فهذا لا يفسر نصاً ولا يعول عليه في شيء إلا ما صادف حكمة قبلتها العقول السليمة والفطر النظيفة وكانت من الامور المحبذة. يقول السهروردي : «وكان في الفرس أمة يهدون بالحق، وبه يعدلون ، حكماء فضلاء غير مشبهة المجوس قد أحيينا حكمتهم النورية الشريفة التي يشهد بها دون أفلاطون ومن قبله في الكتاب المسمى «الحكمة الاشراقية» وما سبقت الى مثله». (2)

مناقشة التأويل :

وما يذم على هذا التأويل النابع أصلاً من الفئة التي ارتضت المنهج الدخيل على التصوف الاسلامي والمتمثل في :

1- الفلسفات القديمة والديانات القديمة، والآراء، والافكار الفارسية ، والهندية والنصرانية واليهودية.

2- المجاهدات ، والرياضات التي لا مستند لها في أصول التزكية النفسية والتربية الروحية في كتاب الله، ولا سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم- ولا المعتمد من مؤلفات علماء المسلمين المعتد بعلمهم والمرضية طرائقهم التربوية.

فلا يمكن الجزم بأن الآثار الصوفية وأدبياتهم خالية من هذا، فهي حاضرة وبطرق مختلفة ومتنوعة ضمن السير والتراجم (3).

ومن النصوص والشواهد ما يعكس فكرة الاتحاد، أو الحلول، وفكرة الفناء. يقول ابن تيمية : « السالك في أول أمره بين الطاعة والمعصية، ثم يرى طاعة ولا معصية، ثم لا طاعة ولا معصية..» (4)

1- رواه الترمذي من حديث أبي سعيد : وقال جماعة من السلف وفي قوله تعالى (إن في ذلك لآيات للمتوسمين)
الحجر 75 أي للمتفرسين : القاسمي : قواعد التحديث ص 165

2- الجر : الفلسفة العربية ج 2 ص 34

3- تنظر الرسالة القشيرية : تراجم الصوفية ج 1 ، صفحات 73 . 75 . 140 ...

4- ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم ج 1 ص 463

ويعني هذا بدهاة أن بعض سالكي السوفية يتدرجون من رتبة الى رتبة الى أن يصلوا الى رتبة قد تكون :

1- رتبة سقوط التكليف.

2- رتبة اتحاد العابد بالمعبود. (1)

وهذا يعني عندهم أن هذا السالك يصير الى درجة إما الاتحاد بالمعبود أو الفناء فيه، وكلتا النظريتين دخيلتان على حقيقة التربية الروحية في الاسلام. ورغم وجود ظاهرة التأويل عند الصوفية، فهي متباينة تبين الصوفية ذاتهم اذ لا توجد فرقة من الفرق الاسلامية مشتتة الاراء مثل الصوفية حيث لا يجمعهم جامع، ولا تنتظمهم أسس عقائدية او فكرية أو تفسير معين، فيكاد يكون كل صوفي صاحب نظرة خاصة في جميع المباحث التي يتعرض لها.

ومن الصوفية من كانت تأويلاتهم وإشاراتهم بمشابه المواعظ والحكم والنكات وهي كثيرة في كتب الرقائق والمواعظ، والكثير منها يستأنس به ويمكن أن يكون مادة علمية صالحة للتربية والتهذيب ولها ما يؤصلها من الكتاب ومن السنة النبوية الشريفة، ومن الطرق المستقيمة للتربية من حياة السلف الصالح.

1- يقول الحلاج : فأذا أنت أنا . الحلاج الطوايبي ص 134

المبحث الخامس

أنواع التأويل (قريب، بعيد، مستبعد) .

المطلب الأول : التأويل القريب، المقبول :

من خلال دراسة « ظاهرة التأويل » ذات الاثر البالغ على الاستدلال عبر العصور ومختلف الطوائف والفئات من السنة والجماعة ، والشيعية والمعتزلة والصوفية والخوارج ، تبين لنا أن الظاهرة ذات وجود في الثقافة الاسلامية ، والتراث الاسلامي وان هذه الظاهرة مختلفة من حيث الاسس والقواعد العامة والمرتكزات التي تقوم عليها ، كما أن مواصفات التأويل وخصائصه تختلف من فئة لاخرى إختلافا شكليا وجوهريا ، وهذا التأويل يعكس في ظاهره الجانب الاجتهادي في النصوص التقليدية ذات الدلالات الظنية التي تقبل الاجتهاد وهي كثيرة من حيث اللفظ وما يقتضيه من عصور أو خصوص ، أو اشتقاق أو إشتعال، والمعنى وما يتضمنه من دلالات عامة تحتاج الى تخصيص أو ما يقتضيه اللسان العربي من مجاز، وبيان وبديع أو مواضع الاعجاز أو في القرآني لفظا ومعنى . وهذا جانب اجتهاد فيه علماء الاسلام وأوضحوا مجالات القول فيه . وقد ذهب التأويل بعيدا حيث اصطبغ بصبغة عقلية صرفة راحت تفسره وفق مقتضى نزعة عقلية تجريدية بحتة . كما صيغ هذا التأويل بأصول ليست من لغة ولا نقل وإنما هي توافق بين فرق تواضعت على تأويل كل ما خالفها وفق اصول مذهبها . وقد قالت بعض هذه الفرق أقوالا ذهبت الى حد الدخول في دائرة الكفر والزندقة كما هو الحال عند الجهمية وغيرها . وعرف التأويل عند الشيعة عامة وعند غلاتهم خاصة بنزعة قديمة تؤمن بنقاوة عرق يحكم الناس وراثته إبتنا عن أب وكابرا عن كابر . ثم ان التأويل عندهم صبغه لون من الحقد الدفين على من خالفهم ، ومن يزعمون انه غضبهم حقهم ، وقد برز التأويل عندهم في ثوب مذهبي وقام مواز للتأويل عند غيرهم . وان كانت بعض الفرق منهم قد اشتركت مع فرقة المعتزلة في النزعة العقلية ، غير ان ظاهرة التشيع قد طغت على التأويل عندهم .

وما يمكن ان نستخلصه هو أن التأويل الشيعي للنص القرآني تقاطع مع تأويلات عامة المسلمين في أمور هي ثابتة عن السنة كثبوتها عن الشيعة مثل الآيات الواردة في أهل البيت وطهارتهم ، وما ورد في الامام علي كرم الله وجهه، وهناك تأويلات أخرى مغايرة ومعارضة لما هو عند السنة تظهر في تأويل الفئات الضالة والتي دخلت دائرة الكفر، فقالوا بحلول الذات الالهية في علي وفي أنصتهم، وكان لتأويلهم الذي يعتمد الجانب الاشاري القسط الكبير في تشجيع المذهب الباطني الفاسد.

وعرف التأويل عن بعض الصوفية بفعل التفسير الاشاري والادعاء ان الظاهر للعمامة والباطن للخاصة كالشيعة، غير أن هؤلاء يقصرونه على أئمتهم، أما الصوفية فقد ادعوه لخاصة خاصتهم (اهل الاسرار والتجليات والكشف والمواجيد من اهل الحقيقة)، وهكذا ظهر التأويل في نصوص الثقافة الاسلامية عامة، وفي النص القرآني خاصة.

وتفسير هذه النصوص وفق المقتضى والواقع وما افرزته بعض الكشوفات والاختراعات جعل الناس يسرعون الى تأويل الايات حتى يوائموا بين المخترعات والقرآن، وحتى لا يوسموا بالتأخر ومعارضة المدنية والتقدم، كل هذا أدى الى ظهور التأويل في القرآن وجعله ينقسم الى أنواع :

- تأويل مقبول مستند الى قرائن مقبولة.

- تأويل مستبعد مستند الى قرائن مستبعدة

- تأويل مردود مستند الى قرائن فاسدة ومردودة.

وهذا التأويل هو من جنس التفسير وذلك لقرينه من معنى اللفظ. وهو يعود لطبيعة اللفظ ذاته ، وفيه ما يعود لطبيعة النص.

اما ما يعود لطبيعة اللفظ، فيمكن مناقشته من خلال اللغة ذاتها .

التأويل القريب باعتباره دلالة اللفظ :

ان القرآن عربي واللسان العربي له خصائص معينة في الاصل وفي الاصطلاح، وقد شمل الفاظا، كما شمل دلالات علي المعاني ، فكانت هذه الدلالة بصريح اللفظ وهو المنطوق من العربية كما كانت هذه الدلالة باشارة المعنى. (1)

- الدلالات بصريح اللفظ : فيما تواضع عليه العرب، وشاع بينهم فاصبح علما على دلالات مختلفة، الاسماء والانفعال والحروف وان لم يعرفوا هذا التقسيم، فكانت من الكلمات ما لها دلالة خاصة : «فكلمة الاسد مثال للحقيقة اللغوية في الحيوان المفترس المعروف، واستعمال كلمة «دابة» في التعبير على كل ما يدب على وجه الارض.

غير ان كلمة دابة أعم في الاستعمال اللغوي والعرفي. فبين اللفظتين خصوص وعموم، وهذا كثير في اللغة العربية ، فحمل الدابة على الاسد عموم يقتضيه التأويل وتحكمه صحة الدلالة والاستعمال والسياق والقرائن. وكلمة الاسد وان كانت في دلالتها اللفظية لا تحتمل الا معنى واحدا وهو الحيوان المفترس، فكل تأويل استند على دلالة لفظية من هذا النوع فهو مما يقبله اللسان العربي،(2) ولا يجافي الحقيقة الشرعية في كثير من الاحيان ،

1- الراجعي.. تاريخ الادب العربي ص 224

2- البوطي : اصول الفقه / مباحث الكتاب والسنة ص 59

وعلى هذا ذهب الكثير من المفسرين للقرآن الكريم في تأويلاتهم لدلالات اللفظ الوارد في القرآن الكريم من منطلق مفهوم اللسان العربي، كقوله تعالى : « وحصل عليهم فإن صلاتك سكن لهم » بأن الصلاة إنما هي الدعاء.

وهذا أصل الوضع اللغوي في الاستعمال العربي، وكثيرا ما يضطر المؤول الى معرفة الدلالة اللغوية حسب الوضع اولا ليبنى تأويله حسب هذه الدلالة. وهذا هو الاصل في التأويل المقبول اذ يعتمد المدلولات اللغوية والفهم العربي لهذه الالفاظ.

واللفظ العربي في حد ذاته يحمل دلالات متعددة وهذا يعود لاسباب شتى :

دلالة اللفظ المتعددة (1) : فمن العرب من تواضع على دلالة اللفظ بمعنى معين، ومنهم من خالف الدلالة ليضع اللفظ على معنى مغاير كما هو الحال بالنسبة لاسماء الاضداد مثل لفظ « القرء » التي تدل على الحبيض كما تدل على الطهر، فكان من أول اللفظ بالطهر مصيبا، ومن أوله بالحبيض مصيبا كذلك لان اللفظ يصلح للمعنيين معا، ويبقى السياق أو القرينة اللفظية هما اللذان يقرران ما اذا كان المقصود هو الطهر او الحبيض، فاذا جاءت السنة النبوية ووضحت ذلك زال الاشكال. و من ثم يمكن حمل اللفظ على اكثر من معنى لاستيعابه لهذه المعاني ويكون التأويل على معنى من هذه المعاني المستوعبة من قبيل التأويل القريب والذي يرضاه اللسان العربي - لغة القرآن - وتقره الاستعمالات اللغوية، وهذا النوع مصدر اختلاف لدى المفسرين والمؤولين ويتضح في الاحكام الفقهية المؤسسة على هذه الدلالات اللغوية.

ومن الالفاظ الواردة في اللسان العربي ما تقبل التأويل وهي على وجه مغاير في الرسم للتفسير كحقيقة الالفاظ ذات الحروف المقطعة والمركبة مثل ألم ، وص، وكهيعص، وهي أنواع :

- المتكونة : من حرف واحد : ق. ص... الخ

- المتكونة : من حرفين : يس

- المتكونة : من ثلاثة أحرف : ألم

- المتكونة : من أربعة أحرف المر.

- المتكونة من خمسة احرف : كهيعص

وهذه الالفاظ من المتشابه الذي ذهب الناس في تأويله مذاهب مختلفة :

- فمنهم من ردها الى أصل لغوي، ومنهم من ردها الى دلالة اعجازية.

- ومنهم من ردها الى اصل اللغة ذاتها وطبيعة العرب في حديثهم.

-وقد تجنب العلماء تأويلها، ومن أزلها لم يصل الى طائل يقيني مجد وبالتالي انقسم
الناس فيها الى مذهبين :

المذهب الاول : الاحجام عن التكلم فيها : حيث قالوا : «ان هذا علم مستور، وسر
محبوب استأثر الله به» .

المذهب الثاني : ان القصد منها معلوم وذكروا فيها ما يزيد عن عشرين وجها، فمنها
القريب، ومنها البعيد. (1)

هذا التأويل بين العلماء في اللفظ وجد له ما يدعّمه في اثر السلف، ومن ثم راح كل فريق
يقول في هذه الالفاظ والحروف والكلمات ما يجد به دعما من أقوال السلف، ولا يخلو هذا
التأويل من إفراط وتفریط وإن وجدت في بعضه وجهة قول أو رأي معقولة. هذه هي أهم
التأويلات باعتبار اللفظ في وضعه الاصطلاحي الاول.

العاويل باعتبار استعمال اللفظ :

أما باعتبار الاستعمال، فتدخل في الدلالات مقاصد اخرى منها :

- الاستعمال العربي : فقد تطلق كلمة «أسد» (2) ويراد بها غير المعنى المستعمل، ولا يمانع
الاستعمال العربي في هذا، وهو عند العلماء من قبيل المجاز .

ومن ثم، فإن الفیصل بين الكلمة واستعمالها المجازي انما هو العلاقة القائمة بين هذه
الكلمة وهذا الاستعمال. فاذا ما نظرنا الى المعنى الحقيقي لكلمة «مغلولة» في قوله
تعالى : «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط...»، فان السياق يصيح :
ولا تجعل يدك مربوطة الى عنقك، ولا تبسطها كل البسط... ومن ثم، لا يصبح لهذا
الاستعمال اية دلالة مقصودة. ولكن اذا قيل : «ولا تبذر كل التبذير ولا تكن بخيلا» ، فإن
المعنى يستقيم مع الاية كل الاستقامة. فافتضى هذا انصراف الكلمة من الدلالة اللغوية
القاموسية الى الدلالة العرفية، او ما يقتضيه العرف اللغوي في الاستعمال، وهذا اللجوء
الى المجاز ضرب من ضروب البيان عند العرب وهو من الاستعمالات العربية اللغوية، وهو
كثير. وهذا التأويل مستند في الاستعمال اللغوي العربي.

وهذا التأويل المبني على المجاز أنواع باعتبار صرفه عن الحقيقة :

أولا : هناك حقيقة لغوية

ثانيا : حقيقة شرعية

ثالثا : حقيقة عرفية.

1- عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج 1 ص 172/171

2- رمضان البوطي: مباحث في الكتاب والسنة ص 560/59

أولاً: الحقيقة اللغوية والاستعمال : قد يكون الاستعمال السياقي مغايراً للحقيقة اللغوية المعجمية المباشرة و لا يمكن وقتها فهم الدلالة اللغوية الا بتأويلها مع الاستعمال السياقي، وما يقتضيه اللسان من مجاز قال تعالى : (واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من العجر ثم انموا العظام الى الليل) (1) وقال تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا...) (2) وهذا النوع كثير في القرآن الكريم.

ثانياً : الحقيقة الشرعية : وقد ذهبت بعض المؤولة الى الاعتماد على الحقيقة الشرعية منها قوله تعالى : (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتنا وساء سبيلاً...) (3) وقد استدل المنفية على أن الزنا يوجب حرمة المصاهرة، وعلى هذا فالمراد عندهم بالنكاح الوطء أي لا تنكحوا من وطأهن آباؤكم، ومن زنا بها الاب فقد وطئها فحرم على ابنه نكاحها. لكن الشافعية وجمهور الفقهاء والمالكية يقولون إنما المراد بالنكاح العقد لأنه حقيقة شرعية فيه، وأما الوطء فمجاز شرعي، والحقيقة الشرعية أرجح من المجاز الشرعي، وعليه فالزنا لا يوجب حرمة المصاهرة .

ثالثاً : الحقيقة العرفية : فالعرف ما تعارف عليه الناس وقد اعتبره الفقهاء «من الذين استدلوا بالاية - (خذ العفو و امر بالعرف) (4)

الاصم القراني بنى استدلاله هذا على ان المراد بالعرف في هذه الاية : عادات الناس وما جرى تعاملهم به». (5) فمن التأويلات القرآنية ما كانت في الاساس معتمدة على اعراف وعادات قبلية كانت سائدة لدى الناس أثناء النزول، فلا يمكن فهم هذه التأويلات الا اذا تم الرجوع الى العرف. (6)

فالتأويل اللغوي يعود أصلاً الى المشترك، وهو باب واسع :

-مشترك باعتبار اللفظ

-مشترك باعتبار المعنى

يقول البوطي : «وأقوى ما استدل به العلماء في ذلك ان الكلمات متناهية في حين ان المعاني غير متناهية، وفي اللغة الفاظ تدل - على سبيل البذل - على أكثر من معنى

1- الاية 178 من سورة البقرة.

2- الاية 29 الإسراء.

3- الاية 22 النساء.

4- الاعراف الاية 199 .

5- عمر بن عبد الكريم الجدي : العرف والعمل في المذهب المالكي، ص 310

6-د. محمد الذهبي: التفسير والمفسرون ج 1 ص 58

بدون مرجع وذلك هو معنى الاشتراك» . (1) و هذا مجال التأويل والاجتهاد. وما يمكن استخلاصه هو ان اللغة في حد ذاتها كأداة للتعبير تتضمن من المعاني ما يطابق الالفاظ في الوضع والدلالة ، ومن المعاني ما يفوق الدلالات القريبة ويذهب بعيدا الى الدلالات البيانية والبلاغية . وهذه المعاني تقاس على مدى جريانها وفق اللسان العربي ، اذ كل معنى جار على غير اللسان العربي فليس من قواعد التأويل . وهذا لا يعني صرف الايات الى الشاذ من اللغة وقليل الاستعمال من كلام العرب . وقد حمل العلماء الكراهة التي وردت عن احمد في تفسير العران وفق اللغة على ان المراد منها انما «..مسرف الآية عن ظاهرها الى معان خارجة محتملة بدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبا الا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها» . (2)

التأويل المستند الى القواعد النحوية والصرفية :

إن قواعد النحو والصرف ما هي الا قوانين مستنبطة من كلام العرب الذين لم تفسد عربيتهم ، وأعلى الكلام العربي صحة واحتجاجا انما هو القرآن الكريم.

فالقواعد النحوية والصرفية وان كانت خادمة لا مخدومة، فإنه لا يستغني عنها في ابراز الكثير من الدلالات والمعاني، ولا يستثنى من هذا التأويل الا ما كان من قبيل التعصب للذهب أو قاعدة أو رأي؛ قال سعيد الافغاني : «ترد الشواهد في كتب النحاة محرفة أحيانا ويكون موضع التحريف هو موضع الاستشهاد على قاعدة تزعم ولو حرر الشاهد ما كان للقاعدة مؤيد» . (3)

وهذا التأويل المستند الى قواعد اللغة -سواء كانت نحوا أو صرفا أو اشتقاقا- اذا كان مستنده هو القرآن أو اللغة العربية المجمع عليها بين علماء اللغة فإن هذه القواعد تعتبر ضابطا يحكم عملية التأويل .

التأويل المستند الى اثر: و من التأويل المستند الى اثر ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وهذا التأويل يعتمد السنن والاثار ، ويقيد التأويل بحديث أو بأثر أو بما يفهم منه النسخ أو التقييد أو ما يرد عن الصحابة من هذا فحكمه حكم المرفوع الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اذ الصحابة لا يخبرون الا بما سمعوا ورأوا وكذلك التابعون لا ينقلون الا ما حفظوا عن الصحابة؛ قال الزركشي : «إعلم ان القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل ، وقسم لم يرد، و الاول إما يرد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- او الصحابة او

1- رمضان البوطي : مباحث في الكتاب والسنة : المشترك اللفظي ص 72

2- جمال الدين القاسمي : تفسير القاسمي محاسن التأويل ص 8

3- الموجز في قواعد اللغة العربية : سعيد الافغاني ص 6

رزوس التابعين ، فالاول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم اهل اللسان فلاشك في اعتماده، او بما شاهدوه من الاسباب والقرائن فلا شك فيه» (1) والى المعنى نفسه يذهب الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره (2).
والصحابه - كما سبق الذكر - يفسرون ويؤولون ومن أكبر المؤولين علماؤهم وبالاخص عبد الله بن عباس، فقد أول سيدنا عمر الاية (اليوم اكملت لكم دينكم وانممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) على ان فيها أجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووافق النبي - صلى الله عليه وسلم - على هذا التأويل، كما أول ذلك العباس، وأول عبد الله بن عباس سورة النصر بأن فيها أجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووافقه على هذا التأويل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأول عبد الله بن مسعود الاية «وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» بأنها تحوي ضمناً للجنة - لمغيرات خلق الله - (3) وقد تكلم الناس في الصلاة الوسطى، فمنهم من ذهب الى انها الظهر لانها في وسط النهار، ومنهم من ذهب الى انها المغرب ، ومنهم من ذهب الى انها العصر وذلك في الاية (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين).

ومن أول الصلاة بأنها العصر. استند الى قوله - صلى الله عليه وسلم - يوم غزوة الاحزاب: «اللهم املا قبورهم وبيوتهم تارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس». (4)
وهذا التأويل الى عهد الصحابة يمكن حصر مرتكزاته في الاتي :

1- اعتمادهم في التأويل على 'قرآن ذاته اذ أن ما يأتي مجملاً في جهة، يأتي مفصلاً في جهة اخرى، وما يكون مطلقاً في جهة يكون مقيداً في جهة اخرى، وما هو متشابه في جهة يقابله محكم في جهة ثانية ، والمحكم يضبط المتشابه.

2- ما علموا من احوال التنزيل ، ان في الاسباب ، او في تاريخ النزول ، او في حكمة التدرج في النزول ، وعلل الاحكام وناسخه من منسوخه وكل ما يتعلق بذلك .

3- ما علموا من تفسيره - صلى الله عليه وسلم - وما حفظوا من سنن وآثار .

4- مكانتهم في العلم ورسوخهم فيه.

وهكذا التابعون في التأويل، فهم حملة علم الصحابة وليس لهم من رأي في التأويل الا

1- الزركشي : البرهان ج ص والاتقان للسيوطي ج 2 ص 183

2- الحافظ ابن كثير : التفسير ج 1 ص 6 . 7

3- صحيح البخاري في 65 كتاب التفسير 59 سورة الحشر باب -وما اتاكم الرسول فخذوه-

4- صحيح البخاري في 65 كتاب التفسير 42 سورة البقرة وحافظوا على الصلوات ...»

الاجتهاد فيما يقتضي الاجتهاد والنقل بكل امانة لما تقتضيه العملية من نقل .
إذا كان هذا التأويل قريبا و تقره الحقائق اللغوية، و العرفية و الشرعية، فإن هناك من
التأويل ما يستبعد أن تقره حقيقة من الحقائق السابقة و منه التأويل البعيد و المستبعد .

المطلب الثاني : التأويل البعيد :

وهذا التأويل فيه نصيب من الرأي ، ونجد بعضه عند التابعين وعند من جاء بعدهم من
اهل الرأي. فقد استنبط الامام علي (1) ان اقل الحمل ستة اشهر من قوله تعالى :
(وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) (2) (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين)(3)
وقد نسب البعض هذا التأويل الى عبد الله بن عباس ، غير ان العبرة انما هي بدلالة
التأويل ، فلا يحتاج الى ادراك حقيقة التأويل الا بمزيد من التأمل والتفكير مع ان اللفظ
يقتضي شيئا غيره ، لكن اذا ما ملنا بعيدا للمجد استحالة ذلك .
فالحمل والفصال ثلاثون شهرا، والرضاع اربعة وعشرون شهرا، فيبقى ستة اشهر ، وهذا
تأويل بعيد.

وقد أول بعض المفسرين قوله تعالى : (فلا يخرجنكم من الجنة فتشقى)(4) ان المراد هو
مخاطبة الاثنين ولكن الشقاوة جاءت لادم فقط، وهذا يعني ان آدم وبنيه هم عرضة
للمصائب والبلايا والاعمال الشاقة؛ يقول الشيخ الشعراوي : «ولكن قول الله سبحانه
وتعالى : -فتشقى- قد آثار جدلا... ذلك أن معنى ان يخرج آدم وزوجته من الجنة
فيشقىا». وما لاحظته الشعراوي تلميحاً ، اجاب عنه الرازي تصريحاً فقال: «السؤال الثالث
: لم اسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء مع اشتراكهما في الفعل 1. الجواب من
وجهين :

- احدهما : ان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاؤهم، كما أن في ضمن
سعادته سعادتهم فاخص الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على رعاية الفاصلة.
- الثاني : أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة». (5)
واستدل أناس بأن هذا يفهم منه العمل لادم دون حواء، و هذا تأويل بعيد لكنه لا يتنافي
حقيقة وظيفه كل جنس لهذا النوع البشري واستدلال الاصوليين بقوله تعالى : (فاعتبروا يا
اولي الابصار)(6) . على حجية القياس و على اعتبار هذا دليلاً شرعياً، وهذا يستدعي

1- جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل 139 ج 1

2- الآية 15 الاحقاف 3- الآية 233 البقرة 4- الآية 117/116 طه

5- الرازي : التفسير الكبير ج22 ص 125

6- الآية 2 الحشر

اطالة النظر كما يعني جولة في الفكر. وهذا الدليل البعيد، لم يكن محل قبول وتسليم من قبل كل العلماء، فمنهم من قال ان هذه الآية ليس فيها اي دليل على الفياس وحجيته بقدر ما يخبر الله تعالى نبيه والمؤمنين بحال يهود بني النضير الذين اخرجهم من مساكنهم على اثر غدرهم وخيانتهم وحشرهم الى الشام. اما قوله تعالى «فاعتبروا يا اولي الابصار» فهو يدعو الى العظة والاعتبار لا أقل ولا اكثر، قال تعالى : (هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار) (1). غير ان المستدلين بالآية على القياس يرون فيها دليلا على حجتيه وذلك بقولهم : «ومرضع الاستدلال قوله سبحانه وتعالى (فاعتبروا) ووجه الاستدلال ان الله سبحانه بعد ان قص ما كان من بني النضير الذين كفروا وبين ما حاق بهم، قال (فاعتبروا يا اولي الابصار) اي «قيسوا» أنفسكم بهم لانكم أناس مثلهم وان فعلتم مثل فعلهم حاق بكم مثل ما حاق بهم». (2) وكثير هي الاصول الفقهية التبعية التي كانت محل اخذ ورد، قبول ورفض بين العلماء لظنية الدلالة واختلاف الناس في التأويل، فقد استدل الفقهاء على اعتبار العرف وحجتيه لقوله تعالى: (... فذالذو واهم بانصرف) (3) و من هؤلاء الذين استدلوا بالآية «القرافي» في كتابه «الفروق» وقد بنى استدلاله هذا على ان المراد بالعرف في الآية عادات الناس وما جرى تعاملهم به، فحيث أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم - بالامر دل على اعتباره في الشرع والا لما كان للأمر فائدة. ولكن من العلماء من لا يرى في هذه الآية اي دليل للعرف؛ فقد روى البخاري عن عبد الله بن الزبير قال : «ما أنزل الله هذه الآية الا في اخلاق الناس». (4) و ذهب المحدث عبد السلام الناصري الى عدم موافقة الاحتجاج بالآية ويقول : هو ضعيف جدا وباطل، وصرح ابو عبد الله المقرئ بأن الاستدلال بالآية ليس بالقوي من حيث ان العرف ينزع الخصم في التفسير وواقفه ايضا في الرد العلاء الغرياني ذاهبا الى ان الاستدلال بالآية ليس بالحسن لان المراد بالعرف فيها المعروف الذي هو ضد المنكر والمعروف الذي معناه الصدقة والاحسان». (5)

1- الآية 2 الحشر

2- عبد الوهاب خلاف علم اصول الفقه ص 55

3- الآية 199 الاعراف

4- صحيح البخاري ج 6 ص 6 كتاب التفسير.

5- عبد الكريم الجبدي : العرف والعمل في المذهب المالكي ص 58/57

وماعدا الاصلين الاساسيين (الكتاب والسنة) فبقية الامسول التبعية محل نزاع والاستدلال على حجيتها من الكتاب محل نزاع أيضا ، والتأويل على حبيبه محل نظر واختلاف .
و مشيلات هذا من التأويلات البعيدة كثيرة، و هذه التأويلات تكون إلى التأويل القريب أقرب كما يكون غيرها إلى التأويل المستبعد أقرب و هذا ما نراع مع التأويل المستبعد .

المطلب الثالث : التأويل المستبعد :

من التأويل ما لا يحتمله اللفظ ، ولا يحتمله المعنى المراد تأويله للأية وليس له أي مستند نقلي، او اي وجه من وجوه التأويل القريبة او البعيدة. و هذا التأويل مستبعد لاستبعاد اللفظ العربي له، والاستبعاد المعنى له، ولعدم وجود اي وجه من وجوه التأويل السابقة في التأويلات القريبة؛ والبعيدة فقد ادى تأويل بعض ارباب الكلام في ان الآية (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع...) تدل على جواز نكاح تسع نسوة هراثر.(1) وهو قول بعض الشيعة ، وذهب بعض اهل الظاهر الى ان العدد الذي يباح هو ثماني عشرة امرأة وزعموا ان «مثنى . ثلاث ورباع» اما هي الفاظ منفردة معدول بها عن اعداد مفردة وان الواو بين هذه الكلمات ، فيكون للجمع ، فيكون معنى التعدد اثنين اثنين، وثلاثا ثلاثا، واربع اربعا ومجموعها ثماني عشرة.(1)

وهذا مغاير لاجماع الامة ولحقيقة اللغة وما دلت عليه السنة الصحيحة. لكن هذا الفهم، وهذا التأويل المستبعد وارد عند بعض الرافضة وبعض اهل الظاهر. وكذا، جمع مثنى وثلاث ورباع على انه يدل على اللفظ المعدول عليه اثنين اثنين، ثلاث ثلاث، ر ح رباع. ومن التأويل المستبعد ما ذهب إليه بعض الناس من ان الله تعالى لم يحرم من الخنزير الا «لحمه» قال تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) ومن ثم فشحمه وجلده من الاشياء الحلال. يقول القاسمي: «ولفظ اللحم يتناول الشحم وغيره بخلاف الشحم». (2)
والتأويل المستبعد عند اصحاب الاراء والملل المغالية والمنحرفة عن الملة الخنفيه ملت السلف. فقد تأول الخوارج قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الذا الخصام)(3) قالوا نزلت في حق علي كما ذهبوا الى تأويل قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاء الله)(4) بأنها في عبد الرحمن ابن ملجم قاتل الامام علي كرم الله وجهه .

1 - القرطبي : التفسير ج 5 ص 17

2- جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل ج 1 ص 65

3- الآية 204 من سورة البقرة

4- الآية 207 البقرة

كما اولوا قوله تعالى : (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله) (1) على ان المقصود هموا الخوارج ، وقالوا في «الشرأة» - اسم ثان للخوارج- على انه من قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) . ، وكانوا يعارضون عليا وهو يخطب قائلين: لاحكم الا لله. (2) وقد تأول الخوارج الكثير من الايات القرآنية وهذا ماد فعهم الى استباحة دم الامام -كرم الله وجهه- وقتله ثم المباهاة بذلك ، وتأويل آيات نزلت في غير هذا ثم تزكيتهم عملهم هذا.

ومن ادعى ان الحاكمية لله «ان الحكم الا لله» ولا حكم للرجال في امر الله . حتى كان الامام علي -رضي الله عنه- يقول لهم كلمة حق اريد بها باطل.

والتأويل ظاهرة متفشية عند الخوارج . وما يمكن ملاحظته في تأويل الخوارج هو:

1 - الخوارج في بدء ظهورهم كانوا من البدو والاعراب وعامة الناس غير ان اكثرهم من القراء ولهم بالقراءة شغف كبير، وهم كثيرو العبادة وقراءة القرآن؛ فقد ذكر ابن عباس ان لهم بالقرآن دويا كدوي النحل.

2- تأولوا كثيرا من الايات القرآنية في المؤمنين فاستحلوا دماءهم حتى وصل بهم الامر ان آمنوا من ادعى انه من اهل الكتاب، وقتلوا من الصحابة من أحجم عن تكفير علي بن ابي طالب .

واغراقهم في التأويل لم تكن له فلسفة ذات آراء وأفكار ومبادئ. اللهم الا الثورة والتمرد واعتقاد الحق الى جانبهم وكفر وفسوق من سواهم. وهم في تأويلهم للقرآن فرق يصل البعض منها الى حد المغالاة كالازارقة واليزيدية، وبعضهم الاخر وان وافق التأويل في اصول المذهب فانه يخالف في الفروع ومسائل الاختلاف من القضايا الجزئية.

ومن التأويل المستبعد التأويل الشيعي للقرآن الكريم فهم يمثلون تقيض الخوارج ، وهلك في الرجل -علي- شخصان مبغض قال ومحب غال.

وذهبت الشيعة الى تأويل القرآن ليوافق مذهبهم فظهر التأويل عند علمائهم كما ظهر حتى عند عامتهم، ومن التأويلات ما يصل الى درجة السخافة قال الله تعالى : (الله نور السموات والارض مثل نوره كشمسكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقسية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضوب الله الا مثال للناس والله بكل شيء عليم) (3)

1- الآية 100 النساء.

2- احمد امين : فجر الاسلام ص 257 ط 1975 11 -3- الآية 25 للنور

فقد اول الشيعة كالآتي :

«المشكاة : فاطمة الزهراء»

المصباح : هو الحسن

الزجاجة : الحسين

واما الشجرة المباركة : فهو الخليل ابراهيم.

ولا شرقية ولا غربية : بمعنى لا يهودية ولا نصرانية

أما نور على نور : فهو إمام بعد إمام. (1)

والتحريف من أقوى الدعائم عند الباطنية للوصول الى غايتهم وذلك بالتأويل . ومن

الامثلة على ذلك قولهم في : (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) (2)

- أن النجم : هو رسول الله.

-والعلامات : هم الائمة

وقوله تعالى: (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (3)

بأن الآيات : هم الائمة ، والنذر : هم الانبياء.

وكتأويل اخرين : (هم يتساءلون عن النبا العظيم) (4) بأن الامام عليا رضي الله عنه

هو النبا العظيم. » (5)

واولوا الشجرة الملعونة على أنها «دولة بني امية وان المغضوب عليهم هم بنو امية؟ و ان

قوله تعالى : (ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة) ان المقصود انما هي عائشة -رضي الله

عنها- وما يلاحظ على التأويل عند الشيعة انه يتسم بالخصائص والمرتكزات التالية.

اولا : انه يعتمد على مفاهيم سياسة وعقيدية هي عبارة عن الانعكاس التام لما يؤمن به

ثانها: ان التأويل عندهم لا يستند على اي اساس لا لغوي ، ولا اثري، ولا عقلي ، اللهم

الا ما يرد عن طريقهم الخاص ووفق سندهم المعتمد.

ومن التأويلات المستبعدة ما شهدته الفرق المعطلة التي احدثت في آيات الصفات مثل

الجهمية والقدرية ، وحتى المعتزلة في البدع التي احدثتها كبدعة القول بخلق القرآن وبدعة

تأويل النصوص القرآنية التي تنص على التوحيد وعلى العدل، وعلى الامر بالمعروف والنهي

1- د . عبد القادر محمود الفكر الاسلامي ص 23

2- الآية 16 النحل

3- الآية 101 يونس

4- الآية 2.1 النبا

5- عن الكافي في الاصول للكليتي 216/1

عن المنكر ، وآيات التوبة والاستغفار وغيرها من الآيات ، وهذا يتجلى من خلال تفسير المعتزلة للقرآن حيث تبرز ظاهرة التأويل في الخصائص والمرتكزات التالية :

- 1- التأويلات عبارة عن انعكاس للمذهب الاعتزالي في أصوله ومظاهره وكل أدبياته .
- 2- التركيز على الآيات التي تتوافق ومذهبهم الاعتزالي وتأويل ما عداها .
- 3- غلبة الرأي على الأثر في كل استدلالاتهم.

أما مرتكزات التأويل عند المعتزلة فهي :

- 1- التركيز على العقل وجعله الوسيلة الأولى لتفسير الآيات النصوص وتأويلها في حالة معارضتها صريح النصوص.

- 2- الاعتماد على اللغة وقواعدها في الاشتقاق والدلالة أو في الظواهر الاعرابية.
- 3- تأثر المنهج الاعتزالي بطرائق علماء الكلام والمناطق والفلاسفة، وبعده كل البعد عن طريق السلف الصالح، وعن المنهج النقلي واتهام أصحاب الآثار بالتشبيه مرة والحشوية مرة أخرى. وإن كان ثمة من تفسر عند المعتزلة، فإنما هو التعسف في تأويل آيات الصفات، والآيات الدالة على المشيئة الإلهية أو البشرية، ونشر منهجهم . ومن ثم، فكل ما مضى من استدلالات فإنها مؤسسة على قاعدة تأويلية وهي كلها أمثلة عن التأويل المستبعد وتحقق صفة الاستبعاد بكل مقوماتها وخصائصها ومعطياتها.

وإذا كان المعتزلة قد أولوا معتمدين على العقل، مهملين النقل، فإن الصوفية هم الآخرون أولوا القرآن مشتركين مع من سبقهم من الفرق في الابتعاد عن الحقيقة والاشتراك في الضلال .

فقد اعتمد الصوفية الإشارة، وأولوا القرآن تأويلات إشارية قلما يصادفون فيها الحقيقة، ففي «فصوص الحكيم» وفي تفسيره وكتب أخرى، يقدم ابن عربي رموز الصوفية في أجل صورة من الكذب والبهتان، يقول جولد تسيهر : «... لم يعدل ابن عربي أن يخرج للناس شرحه التأويلي للقرآن الكريم على أنه تفسير، وإن لم يستوعب هذا الكتاب نشاطه في التفسير كما لم تصل الإشارات الصوفية التي ذكرت فيه إلى أعماق القرار الذي وصل إليه ابن عربي بآيات القرآن في كتب أخرى» (1)

والرمز الصوفي دلالة على حقائق صوفية قد تكون طبيعة بشرية كما قد تكون لعمليات الهية أو أذواق ومواجيد وحالات تكون أيضا فتوحات.... الخ.

1- جولد تسيهر تعريب / مذاهب التفسير الاسلامي ص 249

ومن الامثلة على ذلك قوله تعالى : «واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا اخفت عليه فالقيه في اليم ولاتخافي ولانحنني انا رادوه اليك وجعلوه من المرسلين... وحرصنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصدون...» (1) ومن ثم فهذه الايات كلها اشارات :

- قالتابوت : هو «الناسوت» وهو الطبيعة البشرية بقواها الحسية البشرية وقواها النظرية والفكرية .

-واليم الذي القي فيه موسى: هو اليم والمعرفة العليا، وانما استطاع موسى ككل انسان آخر أن ينفذ الى الثاني بواسطة الاول .

- الام المرضع التي رفض كل المراضع إلا هي : هذه الام، هي الشريعة وبالتالي فهو يرفع كل الشرائع السابقة» (2) وهكذا يحمل ابن عربي اخطر بدعة وهي بدعة الاتحاد التي يدور حولها معظم كلامه في تفسيره.

ولا يقف الرمز والتأويل عند القصص القرآني بل ينتقل حتى الى الجوانب الاخرى كالعقيدة والشريعة ، فقوله تعالى : « وآتى المال على حبه ذواي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب».(3) فالمال هو العلم الذي هو مال القلب .

وذوو القربى : هي القوى الروحانية القريبة اليها.

واليتامى : هي القوة النفسية لانقطاعها.

مثل اليتامى من الاطفال عن نور الروح الذي هو الاب الحقيقي.

والمساكين هي القوة الطبيعية لكونها دائما السكون لثوب البدن».(4)

وهذا من اغرب التأويلات اذ لا يوافق حقيقة لغوية سواء تصرحوا او تلويحا.

ولا يوافق حقيقة شرعية : فلم يقل بهذا الكلام اي فقيه ولا امام إلا من كان على مذهب غلاة الصوفية، ولا وافق هذا التخريف حقيقة عرفية. فقد عرف علماء السلف الصالح التصوف، وكانوا اسوة وقدوة ولم يخرجوا عن ظاهر التنزيل ولاحقيقته ، ولم يقولوا في الشريعة قولا تفهم منه اية شبهة، بل كانوا فقهاء ظاهر، كما كانوا فقهاء باطن : فابن قيم الجوزية يكتب من جهة «اعلام الموقعين» ، كما يكتب من جهة اخرى «مدارج السالكين» وغيره من الكتب التي تربي النفوس وتغذي الارواح والعقول .

1- الابهة 7 القصص 7 الى 12

2- محي الدين بن عربي تعليق ابو العلا عفيفي ج 2 ص 302 دارالكتاب العربي 1400/3

3- الابهة 177 البقرة

4- جولد تسهر / عبد الحليم النجار ص 256/257

والصوفية لا يقفون عند الرمز فحسب، بل يذهبون الى تفسير الايات وفق مذهبهم الصوفي حلوليا، او اتحاديا مستقطين على ذلك نظرياتهم الصوفية في الاشراق او في الفيض او في الوجد او ما الى ذلك.

وقد عمد الصوفية الى القراءات فاختراروا منها ما وافق مذهبهم فأفرغوه من حقيقته اللغوية العلمية وما يقتضيه من وجه الدلالة ووضعوا فيه مفاهيمهم الخاصة؛ ففي قوله تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (1)، هم يقرؤون قوله تعالى في الآية السابقة بقراءة : «إنا كل شيء...» برفع كل على معنى نحن كل شيء.. ونحن خلقنا كل شيء بقدر ، وفي هذا التعبير عن التوحيد الجوهرى بين الله والعالم فهو - سبحانه - عين الاشياء. (2) و التأويل الصوفي ظاهرة ملحوظة عند الصوفية وقلما يكون هذا التأويل على منهج السلف الصالح او يجد ما يدعّمه من كتاب او سنة، او وجه من وجوه اللغة او اثره من علم او مسكة من عقل او ذرة من تقوى. إن هذا التأويل بمختلف أنواعه ، كان من دعائم الإستدلال عند المؤلفين بمختلف أنواعهم ، و قد تميز هذا الإستدلال بظواهر التأويل المختلفة ، غير أن من العلماء من لم يذهب إلى هذا التأويل و سلك مسلك السلف الصالح في قضية الإستدلال ، و من هؤلاء ابن تيمية ، و تلميذه ابن القيم وغيرهما من العلماء ، و هنا ما سنراه معهم وفق طرائقهم الإستدلالية في المباحث التالية .

1- الآية 49 القمر

2-جول تسهر / عهد الخليم النجار ص 283

المبحث السادس

ابن تيمية و استدلالاته

المطلب الأول :

سبق القول أن السلف هم السابقون من سلف الامة الصالح الذين ثبتت عدالتهم وتزكيتهم بالنصوص القرآنية والحديثية، واجماع الامة وأنهم الاهدى سبيلا الذين اختارهم الله ليظهر الدين فيهم، كما اختارهم اصحابا لرسوله، فهم اطهر الناس نفوسا، وابرها قلوبا اختارهم الله أوعية لدينه . وهم الذين اتبعوا ولم يتدعوا، وحرصوا علي السداد في القول والعمل، وعدوا قولهم من عطلهم فالتزموا في أقوالهم كالتزامهم في أعمالهم، فكانوا للناس هداة، وللدين دعاء . وهؤلاء النفر هم الذين سمو بالسلف الصالح، وما أثر عنهم من قول او فعل او اعتقاد في الدين سعي بمنهج السلف أو منهج السنة والجماعة.

1- والسنة والجماعة اذا اطلقت، فانما تعني مايقابل الشيعة اي ان المنتسبين للاسلام قسمان: « 1 » - الشيعة، و « 2 » - السنة، وهذا التقسيم هو الذي تجده في بعض الاطلاقات ابن تيمية لاسيما في كتابه « منهاج السنة »، وهذا المعنى يدخل فيه كل من ادعى انه من أهل السنة والجماعة .

2- أما المعنى الاخص، فهو ما يقابل أهل البدع والاهواء من جهمية، وشيعة، وخوارج، وفرق انتسبت لبدعة أو هوى. والمعنى الاخص هو الذي يعني منهج السلف، ومن خصائصه ارجاع كل امر الى كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وما اثر عن الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم جميعا-.

وعقيدة السلف في الايمان والقرآن وغيره عقيدة نقية خالصة : فالقرآن عندهم هو كلام الله، وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع، سمعته الملائكة وسمعه جبريل، وموسى، وتسمعه الخلائق يوم القيامة وهكذا بقية الصفات من غير تأويل او تمثيل او تعطيل وانما هي على مراد الله كما أراد . والسلف الصالح في تعاملهم مع القرآن، انما يؤمنون بمحكمه ومتشابهه ويردون المتشابه الى المحكم والى علم الله .

- والتأويل عند السلف يكون بمعنى التفسير كما يعبر عن ذلك الطبري في تفسير «القول في تأويل الآية وهو يعني تفسيرها» كما يعني الحقيقة التي يصير إليها الشيء.

وأهل السنة والجماعة، وجماعة السلف لا يكفرون احدا من اهل القبلة الا ما نص الدليل على كفره، التكفير والتحليل والتحريم وكل ماشابهه انما هو لله وحده . ثم أنه لا تعارض بين الشرع والعقل، فللنقل العصمة وليست للعقل. والصحابة عدول كما نصت عليهم النصوص القرآنية والحديثية واجمع على ذلك علماء السلف الصالح .

وكل من سار على منهج السلف فهو منهم، ويعتبر من أهل السنة، الفرقة الناجية التي قال فيها - صلى الله عليه وسلم - : « ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، والباقون هلكي، قبل : من الناجية ؟ قال : أهل السنة والجماعة. قبل : وما السنة والجماعة ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي » (1)

وعلى هذا جاء تفسير قوله تعالى : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) . (2)

وان طريق السنة والجماعة، هو ما كان عليه سبيل النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وما سوى ذلك من الأهواء والملل فهي السبل المتفرقة. وقد سار علي الطريق علماء كثيرون وساهموا في بعثه وتوضيحه للناس، وصدق فيهم قوله - صلى الله عليه وسلم - : « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الي يوم القيامة ».

وأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- كالفيث : قال - عليه الصلاة والسلام- : « مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره » . (3)

وقد تجلّى هذا التعامل السلفي مع القرآن الكريم في اقوالهم مستدلين مستنبطين، او في الجدل والمناظرة . وكان هذا الاستدلال وفق رؤية متحدة في معالم المنهج السلفي تختلف باختلاف معطيات كل عصر ومصر، ومقتضيات كل حياة من الحيوات حسب طبيعة المواضيع المتداولة . وقد ارتأينا معالج ظاهرة الاستدلال بالقرآن الكريم من خلال منهج علماء اعلام عرفوا بالمكانة العلمية، والاخلاص للدين وللامة، ولم نزاع في ذلك الزمن بقدر ما راعينا مواصفات المنهج المشتركة في عمومها بين هؤلاء الاتمة الاعلام ، ومنهم :

ابن تيمية * وعقيدة السلف :

ان ابن تيمية من أهم المجددين لهذا المذهب والسائرين عليه، والمدافعين عنه بحماس واخلاص بالغين، وقد نذر نفسه للذود عنه والرد عن خصومه ومتابعية مكابدهم وكشف خباياهم وهتك استارهم . ويتضح كل هذا من خلال ما ألفه من كتب ورسائل وما رد به من

* ابن تيمية :تقي الدين احمد عبد الحكيم شيخ الاسلام. ابن تيمية فقيه ومفسر وعالم كبير أفتى وفسر القرآن وألف مؤلفات كثيرة في العقائد والفقه والثقافة الاسلامية وحارب الخرافات والشعوذة ،ودعا الي الرجوع الي ما كان عليه السلف .واجه التنار بقلمه وسيفه قاوم بدع المبتدعة من صوفية وغيرهم سجن مرات ترك مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم منها مجموعة الفتاوى الكبرى ورسائل في الفقه والعقيدة والتفسير والتصوف ناهزت مؤلفته خمسمائة. مؤلف

1- فتح الباري : الاعتصام بالكتاب والسنة، ومنهاج السنة البغوي ، جاب الاعتصام بالكتاب والسنة

2- الآية 153 الأنعام القاسمي : محاسن التأويل المقدمة.

3- رواء الترمذي عن انس بن مالك «صلى الله عليه وسلم»

ردود وفتاوى. فكتبه: ك (العقيدة الحموية)، و (الواسطية)، و (التدمرية)، و (المراكشبة) و (شرح الاصفهانية)، و (مجموع فتاواه الكبرى)، و (الصغرى). وما أثر عنه من تفسير للقرآن الكريم أو ما رآه من قواعد أصيلة في التفسير، أو ما كتب عنه، كل هذا يكشف بجلاء واضح عقيدة السلف الصالح، وعلم السلف الصالح، ومنهجهم. يقول: «ما جمعت الا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام احمد اختصاص بهذا. والامام احمد انما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- ولو قال احمد من تلقاء نفسه ما لم يجرى به الرسول لم نقبله. وهذه عقيدة محمد -صلى الله عليه وسلم- وقلت مرات قد امهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن احد من القرون الثلاثة التي اثنى عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: -خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم- يخالف ما ذكرته فأنا ارجع عن ذلك». (1)

وعند دراسة ابن تيمية من خلال حياته العلمية ومؤلفاته المختلفة والكثيرة، يتبين ان ابن تيمية عكس ما سبق أن ذكرناه في مواصفات السالكين لمنهج السنة والجماعة. وقد عالج ابن تيمية أمهات المشاكل والقضايا في العقيدة سواء في اثبات وجود الله تعالى، او صفاته او صدور هذا العلم عنه، وتصديه لاهل الأهواء والبدع والفلاسفة والمناطقية، وهو في كل هذا يسير على منهاج السلف الصالح؛ فهو لا يرى انه يسير على منهج احمد ابن حنبل بقدر ما يرى ان ابن حنبل نقل مذهب السلف ومذهب السنة والجماعة، ولو كان على غيره ما رد قوله وما احمد الا مبلغ. ثم ان ابن تيمية يتوخى صياغة جديدة لمنهج قديم، فهناك مستجدات لم يقل فيها الاسلاف شيئا لعدم ورودها بالنسبة لهم، وعاشها ابن تيمية فقال فيها وجد واجتهد وفق الاصول التي سار عليها السلف الصالح، ومن ثم فهو ليس اعادة لماض وانما هو كذلك وفي نفس الوقت بعث لمنهج مرضي من الله. قد رانت عليه بدع، واعتزته عوارض فاقتضى الحال ان يجدد ويبعث من جديد.

ومن خلال دراسة منهج ابن تيمية من خلال تعامله مع الاصل الاول القرآن الكريم واستدلاله به، تتضح لنا هذه الجوانب وهذه الدعاوى ومدى انعكاسها على الظاهرة الاستدلالية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاستدلال عند ابن تيمية:

يعتبر تقي الدين احمد بن تيمية من العلماء المجتهدين الذين جسدوا بحق منهج السلف في حياتهم العملية والعملية والجهادية؛ فقد كان سلفيا في عقيدته، وفي فقهه وفي تصوفه، وفي فكره وتصوراته، وهو يرجع في كل شيء الى الكتاب والسنة، والى من

التزموا بالكتاب والسنة من الصحابة والتابعين . وابن تيمية من انمة السنة، كان اذا شرع في الدرس يفتح الله عليه اسرار العلوم وغوامض ولطائف ودقائق الفنون والنقول، والاستدلالات بالآيات والاحاديث، والاستشهاد بأشعار العرب (1) و ظاهرة الاستدلال بالقرآن الكريم عند ابن تيمية في كتبه الفقهية والعقيدية، ورسائله ومناظراته من الظواهر الاساسية حيث يفتح كلامه بحشد كبير من الآيات بين يدي الموضوع لتكون الاستدلال لما من شأنه ان يطرحه من العلوم، والآراء والفهوم، او تفنيدات آراء الخصوم وفهومهم . وقواعد الاستدلال عند ابن تيمية مبنية على تصوره للقرآن الكريم؛ فهو يرى ان القرآن انما بينه (2) الرسول - صلى الله عليه وسلم - أي تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة، أو أقوال التابعين . وهو لا يحيد الرأي في التفسير؛ يقول :

«فأما تفسير القرآن الكريم بمجرد الرأي فحرام» . (3) ويسوق آثارا نبوية شريفة و يخلص الى موقف السلف مستشهدا به، فيقول : «ولهذا محرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به .» (4) وعلى هذا، فأصح الاستدلالات عند ابن تيمية ما تأسست على هذه القواعد العامة التي يراها بمثابة الاصول في التفسير، وما سوى ذلك فهو منبع الخطأ والاصل في الفساد، ويعنون لذلك بقوله: «في الاختلاف في التفسير باختلاف طرق الاستدلال» وهذا النوع الثاني عنده من اسباب الاختلاف، وهو التفسير الناتج عن الرأي ويعلل ذلك بقوله: «قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل القرآن الكريم عليها فهم يراعون المعنى الذي يريدونه من غير مراعاة لمعاني القرآن الكريم»، ثم يقول - :

1- «تارة يسلبون لفظ القرآن وما اريد به.

2- وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه.

وفي كلا الامرين قد يكون ما قصدوا نفيه او اتباعه من المعنى باطلا، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول» (5)

وابن تيمية يرى هذا الرأي ويؤكدده لاسيما عند اصحاب الفرق، فيقول : «تارة يستدلون بآيات على مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه» (5) وهذا مما هو ملحوظ عند اصحاب المذاهب والفرق حتى قال الكرخي : «أن آية آية على غير مذهبنا، فانما هي مؤولة أو

1- ابرو الحسن الندوي: رجال الفكر والدعوة في الاسلام ، الحافظ ابن تيمية ص 136

2- احمد تقي الدين ابن تيمية : مقدمة في اصول التفسير ص 46

3- المصدر نفسه ص 47

4- المصدر نفسه ص 33

5- المصدر نفسه ص 34

منسوخة». وهذا قمة التعصب المذهبي. غير ان هذا غالبا ما يكون في الفروع الفقهية ولا يكون في اصول الدين ، أو قواعد الاعتقاد ، والخطر في هذا اننا هي الفرق وهذا ما نص عليه ابن تيمية في قوله : «ومن هؤلاء الخوارج والرافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم» (1)

فاذا كانت هذه هي اهم قواعد الاستدلال عند ابن تيمية، فيمكن حصرها في الاتي :

أ- اعتماد منهج السلف في أصول تفسيرهم واستدلالاتهم .

ب - الابتعاد عن منهج اهل الاهواء والاراء النابعة من الاعتقاد ثم الاستدلال.

وقد تمحورت الاستدلالات عند ابن تيمية- في مختلف المجالات العلمية والعملية التي بحث فيها - في المحاور التالية :

1- محور العقائد وما تعلق بها من تقاليد وعادات وبدع وخرافات وفرق ضالة : فكان يتناول هذه القضايا مستدلا على ثباتها وصحتها او نفيها وبطلانها، وضمن ذلك مناقشة النقل، والعقل، وطريقة القرآن في اثبات العقائد ومنهج الفلاسفة والمناطق في ذلك .

2- محور الفقه والمباحث الشرعية : وهذا الصنف هو الاستدلال الفقهي الذي دار حول التقليد والاجتهاد، وقضايا الاصول ومسائل الفروع وكذلك حول قضايا اجتماعية واجهت المسلمين كالطلاق الثلاث في المجلس الواحد.

3- الرد على الفرق المنحرفة ، والضالة.

4- الدعوة الى العودة الى الاصلين (كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وتجديد الدين والابتعاد عن التقليد والضعف والانحطاط.

وإذا ما تأملنا مؤلفات ابن تيمية، وفتاواه، و رسائله و مناظراته وما ترك من تراث، لا نجدها تخرج عن هذه المحاور ولا تبعد عن طريقته في الاستدلال اللهم إلا المادة العملية، والاحوال الخاصة بالواقعة. أما ما سوى ذلك فلا يختلف عن منهج السلف الصالح - رضي الله عنهم -.

المادة الاستدلالية الاولى لابن تيمية:

والقرآن هو المادة الاساسية الاولى في الإستدلال عند ابن تيمية، وظاهرة غزارة الاستدلال ملحوظة عنده، فكتبه مليئة بالاستدلالات القرآنية. وهو يعتمد في استدلاله على :

1- القرآن بالقرآن : فهو يرى أن ما أجمل في موضع فصل في آخر، وما اختصر في موضع

بسط في موضع آخر. يقول : فان اعيانا أن لا نجد تفسيراً لبعض الايات فيه :

1- ابر الحسن الندوي: رجال الفكر والدعوة في الاسلام ، المحافظ ابن تيمية ص 34

2- فعلينا بالمرتبة الثانية تفسيره وهي سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فهي شارحة له وموضحة له، وفي هذا يقول الله تعالى: (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون) (1) ولهذا قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- : «ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه» (2) يعني السنة.

فان لم نجد تفسير ما نريد لا في القرآن ولا في السنة، كان المرتبة الثالثة.

3- وهي التفسير بأقوال الصحابة: فانهم ادري بذلك لما شاهدوه من القرآن والاحوال التي اختلفوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماءهم وكبرائهم كالائمة الاربعة الخلفاء الراشدين والائمة المهديين: (عبد الله بن مسعود، والحبر البحر عبد الله بن عباس...) (3) ومن هذه القواعد الاساسية في فهمه للتفسير يستمد مادته الاستدلالية في القرآن الكريم.

فهو يتطرق الى الموضوعات التي يطرحها ويناقشها، أو يرد فيها على أصحابها في سرد حشد من الآيات، قد تبدو للوهلة الاولى جمعت هكذا بفعل قوة حفظه واستظهاره الحجة، لكن عند الرجوع الى ما يتعلق بها من علم (سواء من حيث سبب نزولها، أو نسخها، أو خصوصها وعمومها...) يتضح ان الامام ساق هذه الآيات وفق ما يؤمن به من حقيقة دلالتها على الموضوع وفق ذلك الترتيب.

المطلب الثالث: استدلال ابن تيمية؛

1- فاستدلاله على مفهوم (الوسيلة) شرعا بقوله تعالى : (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) (4)، وقوله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . اولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) (5) فهذا الاستدلال على حقيقة الوسيلة يعني بدهاها انها جاءت عامة غير مفصلة في الآية الاولى (الوسيلة) ولكنها من بعد جاءت مفصلة (ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) (5) . ويقول ابن تيمية بعد ذلك : « وهي ما يتقرب به اليه من الواجبات والمستحبات » . (6) ولا يكتفى الامام بالاستدلال بالآيات وفق ترتيب ان الآية يفسرها ما بعدها، بل يذهب الى الاستدلال بالسنة بعد الاستدلال بالقرآن الكريم.

1- الآية 44 النحل

2- رواء البيهقي من المقدم معدبكرهيب، من رواية أبي داود وابن ماجه قواعد التحديث 58.

3- أحمد تقى الدين ابن تيمية المقدمة ص 7-8

4- الآية 37 المائدة

5- الآية 57 الإسراء

6- تقى الدين ابن تيمية: قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص 48

2- فهو يستدل على عدم طلب الجزاء اثناء اسداء الجميل او العمل الصالح : قال: «ومن الجزاء ان يطلب الدعاء. قال تعالى عن اثنى عليهم: (إنها نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شحورا...)» ، ثم يقول : والدعاء جزاء، ويستدل على هذا القول بالحديث فيقول : قال رسول - صلى الله عليه وسلم - «من أسدى اليكم معروفًا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تعلموا ان قد كافأتموه». ومع الحديث النبوي الشريف، فانه يذكر تفسير الصحابة -رضي الله عنهم- ويتخذ من اقوالهم مادة علمية في الاستدلال : يقول في الموضوع نفسه - في ان الدعاء جزاء - : «وكانت عائشة اذا أرسلت الى قوم بصدقة تقول للرسول اسمع ما يدعون به لنا حتى ندعو لهم بمثل مادعوا لنا ويبقى أجرنا على الله» (1) و لا يكتفي بقول الصحابة - رضي الله عنهم - (وهذه الرتبة الرابعة في التفسير كما يراها) بل ينتقل الى أقوال السلف الصالح : قال : «قال احد الناس اذا قال لك السائل: بارك الله فيك، فقل وفيك بارك الله» (2) و هذا يدل على ان الامام اذ يستدل بالقرآن الكريم في مختلف المواضيع، فانما هو يفسر القرآن الكريم على منهج السلف الصالح ، وان استدلالاته من جنس تفسيره من حيث الالتزام بالمنهج السلفي. و ابن تيمية غزير الاستدلال وفق المنهج السلفي و حتى و هو يشرح حقائق الدين يغذي هذا الشرح بالشواهد القرآنية والاستدلالات على حقيقة هذا الشرح وهذا المعنى. يقول في :

3- حقيقة الاسلام : «دين الاسلام الذي بعث الله به الاولين والآخرين، فلا يقبل من أحد ديناً غيره». هذا في معرض الحديث عن الدين الاسلامي وضرورة الالتزام به، ونلاحظ أن كلمتي (الاولين) و (الآخرين)، تشملان الانبياء والرسل. ومن ثم يمكن تصنيف الدعوى في الاتي : - دين الاسلام : (حقيقته ، حكمه...)

- بعث الله به الاولين والآخرين.

- لا يقبل الله ديناً غيره .

فاذا تأملنا المادة الاستشهادية من القرآن الكريم على هذا وجدناها :

« 1- (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً قلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (3).

2- ثم يقول : « وكان نوح وابراهيم وموسى واتباع الانبياء - عليهم السلام - على الاسلام

ويسوق الشواهد .»

3- قال نوح : (واصرت ان اكون من المسلمين) (4).

1-2- تقي الدين ابن تيمية : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص 48

3- الآية 85 آل عمران 4- الآية 72 هونس

4- وقال الله عن ابراهيم : (وسن يرغب عن سلة ابراهيم، إلا من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين، إذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وانتم مسلمون)(1).

5- (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين)(2).

5- وقالت السحرة : (ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)(3).

7- وقال يوسف: (توفني مسلما والحقني بالصالحين)(4).

8- وقال تعالى : (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها السبيون الذين اسلموا للذين هادوا)(5).

9- وقال عن الحواريين : (اذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسلي، قالوا آمننا، واشهد باننا مسلمون) (6) « (7)

فان الايات هاهنا متظافرة حرق حقيقة واحدة، وهي التعريف العلمي للاسلام .

وقد تدرج استدلال الشيخ حول القضايا التالية :

1- البرهنة على أن الدين المقبول و الوحيد إنما هو الاسلام .

2- على أن دين الاسلام هو دين الاولين والآخرين .

3- والمادة الاستدلالية كلها تصب في تعريف حقيقة الاسلام .

وهكذا عندما يتكلم عن الهداية و عن الظلم وبقية الموضوعات، وهذه حقيقة علمية عند تقي الدين ابن تيمية.

والامام تقي الدين ابن تيمية اذ يستدل بالقرآن الكريم، فانما يسلك في ذلك منهج الصحابة

ذاتهم والسلف الصالح، و ائمة المذاهب الفقهية حتى ان المادة العلمية و الفقهية و الاثرية

ترد بعد الايات و الاحاديث، فتكون مرة مادة استدلالية متدنية رتبة عن رتبة القرآن

والحديث وأقوال السلف الصالح، كما تكون احيانا الشروح العلمية للائمة والعلماء.

و رغم ان ابن تيمية حنبلي المذهب وينظر الى أحمد ابن حنبل نظرة توقير واجلال (كثيرا ما

1- الآية 132 البقرة

2- الآية 84 يونس

3- الآية 126 الأعراف

4- الآية 101 يوسف

5- الآية 44 المائدة

6- الآية 111 الشعراء

7- عن قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة لتقي الدين احمد بن تيمية ص 41/40، الايات فقط.

يستشهد بأقواله ويرى فيها المثال الصادق لمذهب السنة والجساعة). فهو لا يظهر عليه هذا ولاي شعر بالتعصب» له بل يتحدث عن رأي جمهور العلماء والفقهاء ويذكر الانتماء اصحاب المذاهب المشتهرة. يقول : « وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي ومالك وحتى غيرهم من الفقهاء... ». فلا ترى من خلال هذه الاقوال الفقهية الا مادة استدلال علمية تحتل مكانها ضمن التسلسل الاستدلالي في منهج الامام.

4- يقول في موضع الخلف بالمخلوقات : « والخلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب ابي حنيفة واحد القولين في مذهب الشافعي وهو مذهب احمد... ». (1) ولا يكاد قارىء كتب تقي الدين ابن تيمية ودارس ظاهرة الاستدلال يجد فرقا بينها وبين ما كتب السلف اللهم الا فيصاحبا من محدثات وتطرق اليها الامام. وهو يرى ان المنهج الاعلم والاسلم هو منهج السلف الصالح : « من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا... فمن خالف قولهم، وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد اخطأ في الدليل والمدلول جميعا » (2) يقول الهراس : « والسلف في نظر ابن تيمية خير القرون قبلا، واهداهم سبيلا، وهم افضل الناس بعد الانبياء، فاذا كانت امة محمد خير امة اخرجت للناس كما نطق بذلك الكتاب الكريم فاولئك خير امة محمد كما قال صلى الله عليه وسلم - : خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » (3)

فكرة عن استدالات تقي الدين ابن تيمية:

لقد كانت حياة تقي الدين ابن تيمية جهادا من اجل الحق، وصبرا ومصابرة ونصرة للحق، ولهذا عند التطرق للاستدلال لديه، نجد لا يخرج عن :

- اجابات لمسائل عقيدية او فقهية او علمية، سئل عنها فأجاب بما رآه الصواب من منهج السلف الصالح، ومعظم رسائله الفها لهذا الغرض وقد تنوع الاستدلال عنده بتنوع المادة العلمية التي عالجها.

5- **استدلالاته في العقائد** : استدلال على صدق الانبياء وتنزيههم الله بقوله تعالى : (سبحان وبك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين) (4) فقد ذكر هذه الآية الكريمة

* ذهب الى هذا المعنى ابو زهرة في كابه ابن تيمية ص 78 فقرة 85 و 86 .

1- تقي الدين احمد بن تيمية : قاعدة جليلة في التوسيل والوسيلة ص 50

2- تقي الدين احمد بن تيمية : قاعدة في اصول التفسير ص 41

3- محمد خليل الهراس : ابن تيمية السلفي ص 43

4- الآية 181 الصافات

دليلا على صدق الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وان الانبياء- بلغوا ما كلفوا به، و أنهم بلغوا رسالات ربهم، و وصفوا الله بما يليق به ونزهوه عن كل ما لا يليق به ؛ يقول بعد ذكره الصفات الواجبة في حقه تعالى : «ثم رسله سادقون معصومون بخلاف الذين يقولون على الله ما لا يعلمون . ولهذا قال سبحانه : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين) . وحديثه في العقيدة كله استدلالات بالقرآن الكريم ، فما ان يذكر ما يجب في حق الله سبحانه وتعالى من صفات إلا ويستدل على ذلك بالقرآن. ولما يذكر ما يتنزه الله عنه من صفات يذكر الايات الشاهدة على ذلك وهكذا في كل أبواب العقيدة.

فطريقة ابن تيمية في استدلاله في العقيدة طريقة سلفية بحيث لا تخرج عن الكتاب والسنة وما صح من آثار السلف.

- فالعقيدة عنده تعتمد ما جاء في الكتاب و صحيح السنة، وما كان عليه صالح سلف هذه الامة من القرون المشهود لها بالخيرية وهي الخيفية السمحاء النقية التي ظاهرها كباطنها والتي لا يحيد عنها إلا هالك، وهذا مذهب السنة والجماعة.

وقد كتب ابن تيمية في العقيدة وفق منهج السلف وتلقيت كتاباته بالقبول من قبل علماء الامة وعامتها، واصبحت مصدرا لتلقي العقيدة السلفية نقية صافية ؛ يقول ابو الحسن الندوي : «وفي ثامن رجب في مجلس من العلماء كان قد انعقد عند نائب السلطنة قرنت رسالة «العقيدة الواسطية» وتباحث معه العلماء وجهوا اليه الاسئلة وقرروا اخيرا أنها مقبولة ومتفقة مع عقيدة أهل السنة...»(1).

6- رده الاستدلالات الناهية من الرأي والهوى : ابن تيمية يمقت الرأي ولا يقول به، وبالاخص الرأي النابع من هوى، وقد خاض معارك كثيرة مع اهل الفرق والاهواء ورد عليهم آراهم وأهواهم وما رآه باطلا خالصا.

وفي قوله تعالى : (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظروا كيف تعملون)(2) .

و قوله تعالى : (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة)(3) .

و قوله تعالى : (وهو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض)(4).

و قوله تعالى : (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق)(5).

1- ابو الحسن الندوي : رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج 2 ص 67

2- الآية 14 يونس

3- الآية 30 البقرة

4- الآية 165 الانعام

5- الآية 26 ص

فهو يتطرق لمفهوم الخلافة، ويسحح المفهوم الغالط لدى بعض الناس من كون الخلافة تعني خلافة الله، فيقول: «أي خليفة عن قبلك ليس المراد انه خليفة الله وانه من الله كانسان العين من العين كما يقول ذلك بعض الملحدين القائلين بالحلول والاتحاد» (1). ثم يواصل كلامه قائلاً: «الاستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل على أن هذا الاسم (خليفة) يتناول كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم يستخلفه كقوله تعالى: (ثم جعلناكم خلائف الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) الآية

وقوله تعالى: (وهو الذي جعلكم خلائف الارض...) (2).

وقوله تعالى: (لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون...) (3).

وقوله تعالى: (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح...) (4).

وفي القصة الاخرى (خلفاء من بعد عاد...) (5).

وقال موسى لاخيه هارون: (اخلفني في قومي...) (6).

وقال تعالى: (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا) (7)

وقال: (ان في اختلاف الليل والنهار) (8). اي فهذا يخلف هذا، وهذا يخلف هذا فهما

متعاقبان. قال موسى - عليه السلام - : (عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في

الارض فينظر كيف تعملون) (9).

قال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما

استخلف الذين من قبلهم) (10).

-ثم يقول مستنتجاً- : فغالب هذه المواضع ليكون الثاني خليفة عن الاول وان كان الاول لم

يستخلفه. (11)

مناقشة الاستدلال :

وعند تأمل هذا الاستدلال، نجد ان الامام تقي الدين ابن تيمية يتميز بالاتي :

1- غزارة الاستدلال وكثرته من حيث المادة القرآنية.

2- اعتماده القرآن أولاً في الاستدلال على الحقائق الدينية والعلمية .

1- تقي الدين ابن تيمية : منهاج السنة ج 1 ص 137 -6 الآية 142 الأعراف

2- الآية 165 الأنعام

3- الآية 60 الزخرف

4- الآية 69 الأعراف

5- الآية 74 الأعراف

6- الآية 62 الفرقان

7- الآية 6 بونس

8- الآية 129 الأعراف

9- الآية 55 النور

10- الآية 55 النور

11- ابن تيمية وفكره السياسي : تأليف قمر الدين خان ، ترجم وتعليق د. احمد مبارك البغدادي ص

3- تركيزه على موضع الاستدلال او الاستشهاد . فهو يقصد الاستخلاف بالمفهوم اللغوي ، أي أحد يخلف الآخر ، ويعتمد الدلالة العرفية كعامل أساسي في الاستدلال .

4- ويعتمد الحديث كدليل على الاستدلال الذي يذهب اليه ، فقد ساق في هذا الصدد قوله صلى الله عليه وسلم :- « وددت أني رأيت خلفائي -وقال رحمة الله على خلفائي- ، قالوا : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يحبون سنتي ويعلمونها للناس» . وهذا ان صح من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو حجة . و إن لم يكن من قوله فهو يدل على أن الذي وضعه كان من عاداتهم استعمال لفظ الخليفة ، فمن خلف غيره وإن لم تستخلفه فاذا قام مقامه وسد مسده في بعض الامور فهو خليفة» . وحتى الاثر الذي ساقه للاستشهاد اثبت صوافقة الاستشهاد به في حالة عدم ثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم- او في حالة عدم ثبوته .

أما في الاولى : فقد رأى انه حجة ولا يشك في ذلك اي مؤمن . أما في حالة عدم ثبوته ، فقد رأى ان من وضعه راعى حالة الاستعمال العرفي لكلمة (خلفائي) . وما يمكن التأكيد عليه ثانية هو أن ابن تيمية يتميز :

1- بالاستشهاد القرآني بكثرة وبغزارة .

2- بالاعتماد في استدلاله واستشهاده بالمنهج السلفي وفق ما يراه الاتسب في تفسير القرآن الكريم .

هذا استدلاله علي حقيقة مفهوم لفظة (خليفة) وقد كتب في السياسة الشرعية والفقه السياسي ، وموضوع الحسبة وغيرها من الشؤون التي تتعلق بالحكم وله في ذلك استدلالات واستنباطات لها ما يدعمها .

7- استدلاله على أركان الولاية :

يقول ابن تيمية . للولاية ركنان :

1- القوة

2- والامانة

كما قال تعالى : (ان خير من استاجرت القوي الامين)(1)

وقال صاحب مصر ليوسف: (... **إِنَّكَ الْبُيُوتُ لَدِينَا مَكِينٌ** امين) (2) ثم يعمل ذلك بقوله : «فالقوة في كل ولاية بحسبها ، فالقوة في امارة الحرب ترجع الى شجاعة القلب والى الخبرة بالحرب والمخادعة فيها ، فان الحرب خدعة والى القدرة على أنواع القتال... والقوة في

1- الآية 26 القصص

2- الآية 54 يوسف

الحكم بين الناس، ترجع الى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة والى القدرة على تنفيذ الاحكام .

والامانة : ترجع الى خشية الله ، والا يشتري بآياته ثمنا قليلا وترك خشية الناس..» (1) ويقول في موضع اخر : «اجتماع القوة والامانة في الناس قليل ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (اللهم اشكر اليك جلد الفاجر وعجز الثقة) فالواجب في كل ولاية الاصلح بحسبها» (2).

8- استدلاله في تولية الولايات : يقول مستدلا بالاية (يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون) (3) : « فان عدل عن الاحق الاصلح لغيره لاجل قرابة بينهما او ولاء عتاقة او صداقة او موافقة في بلد او مذهب او طريقة او جنس كالغربية والفارسية والتركية والرومية او لرشوة يأخذها منه من مال او منفعة او غير ذلك من الاسباب أو لضعف في قلبه على الاحق أو عداوة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهى عنه في قوله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول و. تخونوا اماناتكم وانتم تعلمون)» (4).

هذا الاستدلال هو الى التفسير اقرب منه الى الاستدلال، غير ان الامام يوضح أنواع الخيانة والاسباب المزدية اليها، وما دامت هذه الوظائف والمسؤوليات أمانات ، والقائمون عليها حماة للدين ومقيمين لحدوده، فهي امانة الله، وامانة رسوله وأمانة المؤمنين ، وكل من ضيعها فقد خان الله، وخان الرسول وخان المؤمنين. وان هذا الاستدلال -لمطابقته لحقيقة المعنى المراد- لم يثر اي اشكال او عدم موافقة. ومن هذا المنطلق، فالامام كان -وهو يشرح اسباب الخيانة ومظاهرها- يوضح وجه الشبه بين الخيانة الواقعة في حالة مطابقة تلك المواصفات والشبه الوارد في الاية. ومن ثم، كانت العلاقة وثيقة وكان الاستشهاد من شدة موافقته كأنما هو ضرب من ضروب التفسير.

9- دراسة استدلال المتكلمين ورد ابن تيمية عليهم : واذا كان ابن تيمية -الامام السلفي الفقيه الاثري المفسر العالم- لم يمنعه ذلك من ان يخوض في امر السياسة حيث تحدث فيها من منطلق ما يقتضيه الدين وما يقتضيه القرآن و السنة والقواعد الشرعية، فكان له من الفقه السياسي ما كان، فانه كذلك تعرض للفرق وأصحاب الآراء

1- قمرالدين خان : ابن تيمية وفكره السياسي ص 188

2- تقي الدين ابن تيمية : السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية. ص 19

3- الاية 27 من سورة الانفال

4- ابن تيمية : السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية الفصل الاول لا استعمال الاصلح ص 10

المارقة والاهوا.. والفلاسفة والزنادقة وناقشهم واستدل على فساد رأيهم بصحيح المنقول وسريح المعقول، وبرهن لهم بما لا مجال فيه للشك على أنه لا تعارض بين صريح المعقول وصحيح المنقول، غير أن اعتقاده بأن النقل أقدر على إجلاء الحقيقة من العقل، جعله يفضل النقل على العقل دون أن يغمط حق هذا الأخير . يقول الهراس : « ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن ابن تيمية كان يعترف بالعقل كعنصر أساسي مستقل من عناصر الاستدلال في مسائل العقيدة أو أن له من السلطة في شؤون الدين ما به يقوى على مزاحمة النص فضلا عن تقديمه عليه » (1)

فإن تسمية وقف من المعتزلة، والفلاسفة وعلماء الكلام موقفا خاصا، وقاس كل أقوالهم واعتقاداتهم بالكتاب والسنة وحال السلف، فما رضيه هذا المنهج قبله واعتبره من صميم الدين، وما رده هذه الأصول رده ولم يعتد به على الإطلاق بل يرى من الواجب ضرورة تعريته والتشهير به ومقاومته.

القرآن هو الفيصل : وما يمكن استخلاصه من رأي ابن تيمية في هذا المجال بالذات هو أن القرآن هو الفيصل الذي به يهتدى وأن ما قبله القرآن قبل وما رده القرآن رداً، وإن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بيان القرآن، فقبولها بقبول القرآن، وردها يرد القرآن، وأن سلف هذه الأمة الصالحين خير من فهم هذين الأصليين وخير من علم علمهما وهم خير ترجمة لما ينبغي أن يكون عليه المؤمن وأن صوابهم كثير وخطأهم نادر ومتدارك، يقول : « وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله ورسوله فمعه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر وبه يتفكر وبه يستدل » (2).

المنطق اليوناني و الاستدلال في رأي ابن تيمية : إن ابن تيمية يرى المنطق اليوناني لا يؤدي إلى نتيجة وما هو إلا وسيلة وأداة لحفظ العقل من الخطأ لا أقل ولا أكثر؛ فهو وسيلة فقط. يقول في هذا المعنى أبو زهرة : « إن المنطق يزن الاستدلال ولا ينشئ الدليل فهو يقيس مادة الدليل ولكن لا يوجد مادة الدليل ومثله في ذلك مثل كل العلوم الالوية » (3) وابن تيمية لا يقف عند اعتبار المنطق أداة فحسب بل يحكم بعدم جدوى هذا العلم وعدم الفائدة منه. يقول : « أما العلوم الموروثة عن الأنبياء صرفاً فهي أجل وأعظم من أن يظن أن لاهلها التفاتاً إلى المنطق . إذ ليس في القرون الثلاثة من هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس من كان يلتفت إلى المنطق أو يعرج عليه مع أنهم في تحقيق العلوم

1- محمد خليل هراس : باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص 51

2- تقي الدين ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى ج 1 ص 42

3- محمد أبو زهرة: تقي الدين ابن تيمية ص 348

وكمالها بالغاية التي لا يدرك احد شأوها كانوا اعمق الناس علما وأقلهم تكلفا وأبرهم قلوبا . ولا يوجد لغيرهم كلام فيما تكلموا فيه الا وجدت بين الكلامين الفرق اعظم مما بين القدم والفرق» (1) فابن تيمية يرد على الفلاسفة المسلمين والمناطقة ، ويرى ان ما اعتمده من أدلة وبراهين ، لا أصل له ، حتى ما لفقوه للآيات القرآنية الكريمة فهو يرده وينفي عن الآيات ما ذهب اليه هؤلاء .

رده استدلال الفلاسفة والمتكلمين : وفي قوله تعالى : (وكذلك نهي ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين)(2)

يقول ابن رشد في نقد طريقة المتكلمين : « وذلك ان الجسم السماوي وهو المشكوك في الحاقه بالشاهد ، الشك في حدوث اعراضه كالشك في حدوثه نفسه لانه لم يحس حدوثه لا هو ولا أعراضه ولذلك ينبغي ان يجعل الفحص عنه من أمر حركته، وهي الطريق التي تفضي بالسالكين الي معرفة الله بيقين، وهي طريق الخواص التي خص الله بها ابراهيم - عليه السلام - بقوله (وكذلك نري الموقنين). فهذا الاستدلال الذي ساقه ابن رشد لم يرق ابن تيمية ورد عليه قائلا : « قول هذا وامثاله ان ابراهيم استدل بطريق الحركة هو من جنس قول اهل الكلام الذين يذمهم اصحابه - صلى الله عليه وسلم - وسلف الامة، لكن هو يزعم ان ابراهيم استدل بطريقة الحركة وهو يزعم ان طريقة الخواص - طريقة ارسطو واصحابه - حيث استدلوا بالحركة. ان حركة الفلك اختيارية وانه يتحرك للتشبه بجوهر غير متحرك (الصورة او الله) . فابن تيمية لا يرى هذا الرأي، ويعتبر هذا الاستدلال فاسدا ومردودا ويرى انه لم يقل به سلف هذه الامة وأنه من الكلام المذموم». وهو من كلام اصحابه - يعني اصحاب ابن رشد - من الفلاسفة والمناطقة ، وهو يرد مذهب الفلاسفة في الاحتجاج على العقائد لان منهجهم يفتقر الى الدليل .

رد استدلال ابن سينا : وفي قوله تعالى : (لا احب الاقليات...) (2) رأى الفلاسفة يستدلون على حدوث الجسم بطريقة التركيب، وزعموا ان دليلهم هو دليل ابراهيم - عليه السلام - في قوله تعالى : (لا احب الاقليات) مفسرين الاقول بالحركة جعل هو الاقول بمعنى الامكان : قال في الاشارات : « قال قوم ان هذا الشيء المحسوس موجود لذاته واجب بنفسه لكنك اذا تذكرت ما قبل في شرط واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس واجبا وتلوت قوله تعالى : (بما احب الاقليات) فإن الهوية في حظيرة الامكان أقول».

فابن تيمية يرى أن الاقول ملازم للشمس والقمر والكواكب وهي لم تزل ولا تزال أقلة وأن

1- محمد ابو زهرة: تقي الدين ابن تيمية ص 248 - 249

2- الآية 75 الانعام

أقولها وصف لازم لها إذ كونها ممكنة الوجود والامكان لازم لها . وعلى ذلك فاستدلال ابن سينا أشد بطلانا من استدلال المتكلمين (1) فتقي الدين بن تيمية يقف من المتكلمين والمناطقة والفلاسفة موقف الحذر، وقد قاوم المبالغين في المنطق المتخذين منه أداة للوصول الى الايمان وإقرار حقيقة القضايا الايمانية، والذين جعلوا منه ميزانا للعلوم الشرعية ؛ يقول : « ولما كنت بالاسكندرية اجتمع بي من رأبته يعظم المتفلسفة بالتهويل والتقليد، فذكرت له بعض ما يستحقونه من الجهل والتضليل ،واقترضى ذلك أني كتبت في قعدة بين العصر والظهر من الكلام على المنطق ما علقته تلك الساعة » (2)

كما رد على ابن رشد تحليله للعلة، وعده من قبيل ما يفعل أهل الكلام، فهو ينحى باللائمة أيضا على أبي حامد الغزالي، ويرى أنه هو الذي أدخل المنطق في التفكير ووظفه في العلوم الدينية. يقول في الكلمات التي تدل على استعمال المنطق وتقديسه : « وإنما كثر استعمالها من زمن ابي حامد فإنه أدخل مقدمة من المنطق اليوناني في أول كتابه المستصفي وزعم أنه لا يثق بعلمه إلا من عرف هذا المنطق .

وصنف فيه معيار العلم ومحك النظر وصنف كتابا سماه القسطاس المستقيم ذكر فيه خمس موازين الثلاث الحمليات، والشرطي المتصل، والشرطي المنفصل، وغير عباراتها الى أمثلة من كلام المسلمين وذكر أنه خاطب به بعض أهل التعليم».(3)

وابن تيمية يميل الى استعمال المنطق ولا يراه صالحا، ولا لائقا بالفطرة السليمة، والدين فطرة، والاسلام هو دين الفطرة، والايان فطري وكل هذا لا يحتاج إلا الى استعمال الفطر المركوزة في النفوس ويحتج على ذلك بقوله : « (في الفطرة) هي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة وهي التي فطرهم عليه يوم قال : (الست بوبكم، قالوا بلى)»(4).

وقد رد على الفلاسفة بمختلف أصنافهم وفند مقولاتهم ولم ير في اتباعها أي خير، يقول ابن تيمية في مناقشة الاشاعرة .

رد إستدلال الاشاعرة : ففي قوله تعالى : (اقرايتم ما نمنون، انتمم تخلقونه ام نحن الخالقون) (5) يقول : « هؤلاء المتكلمون قد يذكرون أدلة يجعلونها أدلة القرآن، ولا تكون هي إياها كما فعل الاشعري في اللمع وغيره، حيث احتج بخلق الانسان وذكر قوله

1- محمد خليل الهزاس : باعث النهضة الاسلامية . تقي الدين احمد ابن تيمية صفحات 72/71/70

2- المصدر نفسه ص 73

3- تقي الدين ابن تيمية : مجموع فتاوى ابن تيمية 265/27-269

4- المصدر نفسه : ج9 - 184

5- لاية 58/59 - الواقعة .

أفرايتم ما نؤمنون انتم تخلقونه ام نحن الخالقون؟) لكن هو يظن أن النطفة فيها جواهر باقية، وأن نقلها في الاعراض على حدوثها، فاستدل على حدوث جواهر النطفة، وليست هذه طريقة القرآن ولا جمهور العقلاء . بل يعرفون أن النطفة حادثة بعد أن لم تكن مستحيلة عن دم الانسان وهي مستحيلة الى مضغة وأن الله يخلق هذا الجوهر الثاني من المادة الاولى بالاستحالة» (1).

ومن خلال ما سبق من آراء ابن تيمية العلمية ، ورأيه في تفسير القرآن الكريم واستدلالاته به، ومواقفه من المستدلين بالقرآن الكريم، يتبين أن ابن تيمية من الائمة الذين سلكوا منهج السلف في الاستدلال بالقرآن وأنه وضع الاسس العلمية للمنهج الاستدلالي السلفي، بما سلك في ذلك من طرق وما ألف وما أثر عنه من نقد، وقد أخذ عنه تلامذته هذه المنهجية الاستدلالية وساروا على طريقته و منهم ابن قيم الجوزية .

1- صبري المتولي : منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم ص 206

المبحث السابع

ابن قيم الجوزية و استدلالاته

المطلب الأول :

ومن السالكين منهج السلف الصالح بن قيم الجوزية، ويكاد يكون الاستمرار العلمي لابن تيمية في منهجه الاستدلالي بالقرآن الكريم إلا في بعض المسائل التي خالفه فيها وتميز بها عنه. وابن القيم يعتمد في بحثه العلمي في مختلف المجالات المعرفية على منهج السلف، معتمداً في ذلك القرآن، وصحيح السنن، وما اجتمع عليه الصحابة، والسلف الصالح. وظاهرة الاستدلال عنده لا تقل عن ظاهرة الاستدلال عند ابن تيمية غير أنها لا ترقى الى غزارة استدلاله لكنها متنوعة وبارزة. يقول الدكتور صبري مشولي : «وأهم الملاحظات التي سجلناها ان جهد الاستدلال عنده لا يفصل عن جهد الاستنباط...» (1)

منهجه في تفسير القرآن الكريم :

وهو في درسه في القرآن الكريم يتميز بالخصائص التالية:

أولاً : يعتمد على القرآن ذاته، فهو يميل الى تفسير القرآن بالقرآن، فكثيراً ما يجمع الآيات الكثيرة حول الموضوع الواحد ثم يذكر ما يتعلق بتلك الآي من سبب نزول، ومن كلام الصحابة حول هذا السبب ويكثر من روايات الصحابة، وكثرة الروايات تعني امورا كثيرة منها معرفة محل الاجماع عندهم لاثبات الصحيح وإبطال الضعيف، ومعرفة السبب توجب العلم بالسبب ثم ان كلام الصحابة في سبب النزول فيما لا مجال للرأي فيه بمثابة المرفوع ويركز في هذا على معرفة النسخ وحقيقة النسخ من المنسوخ، والسابق من اللاحق، وهكذا كل ما يتعلق بالقرآن من علوم. وفي هذه المادة العلمية الأثرية والغزيرة قوة على الفهم وحسن الاستدلال والاستنباط.

ثانياً : يعتمد المرتبة الثانية في التعامل مع القرآن الكريم، وهي تفسيره بالسنن الصحيحة، وهو كثير الاستشهاد على المعنى بالسنن ويذكر رواياتها واسانيدتها ومن المعول

* ابن قيم الجوزية: 691 هـ - 751 هـ تلميذ ابن تيمية وصاحبه الملازم له في كل احواله ارتبط اسمه باسم استاذه وسلك على نهجه اسمه باسم استاذه وسلك على نهجه وأضاف إضافات كثيرة لمنهج استاذه. كان كثير العبادة والعلم يتصف بالصبر والورع مجتهداً مجدداً محارباً للتقليد والبدع والمبتدعة، مقدراً للامة والعلماء، عاش حياة علمية. دعا الى عقيدة السلف كاستاذه ومذهب السلف لا يرى تأويل ماورد من صفات الله يقول : «ان التأويل هو أصل الخلاف وان الله سبحانه ورسوله لم يرد التأويل بكلامه ولادل عليه. ترك كتباً شتى أهمه إعلام الموقعين.

1- صبري مشولي : منهج اهل السنة في تفسير القرآن الكريم ط 1406 هـ 1986 دار الثقافة والنشر والتوزيع ص 192.

عليهم عنده في تصحيح الآثار شيوخه ابن تيمية، فكثيرا ما يذكره قبل الاثر وهو يعزوه اليه، وهو بفضل قول احمد على غيره من الائمة لا تعصبا له أو لمذهبه وانما لعلمه ان احمد لا يذكر القول الا وله الدليل عليه.

وايضا : لا يعتد بقول التابعين ما لم يكن من الاجماع، ولو أن هذا التابعي من كبار التابعين أو إمام من الائمة المعتبرين وهو يرى ان رأيهم يورد للاستئناس والشرح فقط وهو في هذا الشرط مخالف لاستاذه ابن تيمية.

خامسا : اعتماده الجانب اللغوي، والدلالات البيانية والبلاغية، وهو يركز في الكثير من الاستدلالات عند التابعين وعند من سبقهم ثم يغوص في الدلالات النحوية والبلاغية والبيانية، وقد يرجع استدلالا على استدلال أو استنباطا على استنباط بناء على استنتاجه اللغوي أو البلاغي ؛ وهذا كثير في تفسيره واستدلاله. وقد يميل الى استدلال معين من استدالات السابقين فلا يرضى حتى يستشهد على المعنى بما لديه من الشاهد الشعري والادبي وهذا ايضا كثير عند ابن القيم ، وهو في هذا لا يحكمه إلا القواعد اللغوية بعيدا عن اي تعصب أو تحامل .

سادسا : وكثير ما يخلص من خلال الاستدلالات القرآنية وما يتعلق بها من درس علمي -يعتمد علم السلف الصالح، والقواعد اللغوية- الى استنباط قواعد عامة وتكون تلك الايات بمثابة الاستدلال القرآني على تلك القواعد العامة.

سابعها : ولا يخفى ما لابن القيم من روحانية وصوفية سلفية تغوص في المعاني القرآنية، فكثيرا ما يستدل على المقامات الصوفية والاحوال الايمانية باشارات قرآنية قد تكون منطلقا من الدلالات اللفظية للآيات مثل «الحمد» أو من دلالات المعنى كما هو الحال في استدلاله على أن رتبة «الغربة» تدل عليها الآية (5) من سورة المائدة .

وما يمكن ان يكون كملاحظة محورية واسبابية في استدالات واستنباطات ابن القيم هو ان تفسيره في كثير من مواضعه وجوانبه يقترب من التفسير الموضوعي ولما في هذا التفسير من مادة علمية متجانسة متكاملة ذات موضوع واحد، والاستدلال في هذه الدراسة له حضور كبير ونوعي .

المطلب الثاني : استدالات ابن القيم الجوزية :

وابن القيم اذ يستدل ، فانما يستدل بالكتاب والسنة، وهذا منهج السلف وهو يكثر من ذلك الى حد الايهام بأنه في عصر التابعين على سنن الصحابة.

استدلاله على خدمة الزوجة زوجها : يأخذ ابن القيم النص التالي :

1- «حکم النبي - صلى الله عليه وسلم - بين علي ابن طالب، وفاطمة الزهراء -رضي

الله عنهما حين اشتكيا إليه الخدمة ، فحكم على فاطمة بالخدمة الباطنية خدمة البيت و حكم على علي - كرم الله وجهه - بالخدمة الظاهرة» ، وذكره ابن حبيب في الواضحة .
 2- وبالنص الثاني : « صرح عن أسماء انها قالت : كنت اخدم الزبير خدمة البيت كله ، وكان له فرس كنت أسوسه وكنت احش له . فقد استدل على وجوب خدمة الزوجة لزوجها الخدمة الباطنة بهذه الاحاديث وقوى استدلاله بقوله - صلى الله عليه وسلم- : « اتقوا الله في النساء فانهن عوان عندكم» . وبين أن العاني هو الأسير ، « ووظيفة الأسير خدمة من هو في قبضة يديه» (1) ومع ان هذا الاستدلال أصلا بالسنة ، فإن ما يمكن استخلاصه من الناحية الشكلية هو :

- 1- الطرح العلمي للقضية ، وحسن المعالجة : فان موضوع خدمة الزوجة زوجها من المواضيع الحساسة والهامة ، وكثيرا ما يقع الحيف في مفهوم الخدمة فيؤدي الى الاعتداء في الحكم .
 - 2- الاستشهاد على الموضوع بالنصوص الأثرية والتي تدور حول العلة ذاتها : شكوى فاطمة الزهراء - رضي الله عنها- من الخدمة ، خدمة أسماء - رضي الله عنها- لزوجها تأكيد الاستدلال بالحديث « فانهن عوان» . واستخلاصه من ان العاني ملزم بخدمة من أسره . وهذا الترتيب الموضوعي فيه الكثير من الاستنباط الفقهي الذي لا يتنافى ومقاصد الشرع وقواعده وان هذا يتماشى مع العرف معتبرا في خدمة الزوجة زوجها وقد اعتبره الشارع في حقوق الزوجات وواجباتهن(2) ، فقال تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)(3) وهذا الاستدلال بالحديث النبوي والذي آل صاحبه في نهايته الى استنتاج أن خدمة الرجل واجبة تتماشى وطبيعة الحياة والعرف ، ثم قاده ذلك إلى القول بأن هذا يدخل ضمن الواجبات والحقوق وهو ما يستدعي الاستدلال بقوله تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ..) . وهو في هذا يمزج بين الكتاب والسنة في الاستدلال ، وكل يكمل الآخر وهذا من طبيعة المنهجية الاستدلالية السلفية عند ابن قيم ، وهذه طريقة ابن القيم في معظم استدلالاته .
- نماذج وامثلة على ذلك :**

« وفي الاستدلال على التحريم في دين الله بخبر علم يسوق الآية : (قل انما حرم وبهي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)(4) «(5) ويسوق أدلة اخرى من السنة ،

- 1- د . عبد العظيم عبد السلام شرف الدين ص 182 (في قسم الجزية ، عصره ٥٠٠-٥٠٠هـ ، أركان الفقه ...
- 2- المصدر نفسه ص 182
- 3- الآية 228 البقرة 4- الآية 33 من سورة الاعراف
- 5- ابن قيم الجزية : عصره ومنهجه أراؤه في الفقه والعقائد والتصوف ص 112

ومن امثلة السلف الصالح أقوالهم :من الصحابة، والتابعين وهو في استدلاله هذا انما يقرر حقيقة ايمانية وعلمية وهي الابتعاد عن القول في دين الله بغير علم مع أن الآية صريحة في ذلك، فالمحرمات : هي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير حق والشرك وان يقولوا على الله ما لا يعلمون.فهو يزيد هذا الاستدلال وضوحا وشرحا بذكر عزوف الصحابة والتابعين عن القول في دين الله بغير علم. وبهذا يكون قد ذكر الامثلة التطبيقية لحقيقة استدلاله من حياة السلف الصالح العلمية والعملية، وهو في هذا يؤكد على منهج السلف الصالح في تقرير الحقائق العلمية والشرعية.

المطلب الثالث : المنهجية الاستدلالية عند ابن القيم الجوزية :

وابن القيم الجوزية في منهجه الاستدلالي عامة يتبع منهج السلف الصالح، وفي استدلاله بالقرآن الكريم ومنهجه، يسلك الطريق نفسه الذي سلكه شيخه ابن تيمية ويمكن بلورته في الاتي :

أولا : التركيز على الجانب النقلي وتفضيله على ما سواه، مع التأكيد على صحة ثبوت هذا النقل بطرائق الاثبات .

ثانيا : الاجتهاد في الاستدلال وفق مقتضيات الاستدلال بعيدا عن التعصب لاي رأي ، أو التحامل عليه، وهو في هذا يرى ان الصحابة اذا اجتمعوا حجة ، واذا اختلفوا -وكان اختلافهم فيما للرأي فيه نصيب - ، تختلف درجة حجية اقوالهم باعتبار مكانتهم العلمية، وهو يرى ما اثر عن الصحابة من النقل بمثابة المرفوع، يقول : «لان الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين لهم معاني القرآن ونشره لهم كما وصفه تعالى بقوله : (لتبين للناس ما نزل إليهم) ، فبين لهم القرآن بيانا شافيا كافيا » (1) وهذا مذهب شيخه ابن تيمية ، فهو يرى أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بين لهم الذكر. و ابن القيم يتعامل مع آراء التابعين سواء اكانوا من اصحاب المذاهب او من الائمة المحتج بهم تعاملوا واحدا؛ فهو يستأنس بآرائهم ويأخذ ويرد الا احمد ابن حنبل لغلبة ظنه بأنه لا يأخذ الرأي الا وله دليل. فمنهج ابن القيم الاستدلالي يتفق ومنهج استاذه إلا في بعض الامور التي تفرد بها ولهذا نجد استدلالاتهم القرآنية على المعاني المستنبطة، والمعارف المستخلصة وفي الرد على الخصوم من اصحاب الرأي النابع من هوى أو تعصب أو نحلة معينة، نجد الاستدلال عندهم يكاد يكون واحدا.

1- ابن قيم الجوزية اعلام الموقعين عن رب العالمين ج 3 ص 403

- استدلال ابن تيمية وابن القيم :

ردهما على المعتزلة : تكاد تكون القضايا الخلافية بين المعتزلة وائمة السنة معدودة. هذا في أصول المذهب الاعتزالي واهمها : «رؤية الله». يستدل ابن تيمية على ان الرؤية ممكنة ويستشهد بالقرآن، فيقول في قوله تعالى : (وجوه يوهنذ ناضرة الى ربهنا ناظرة) (1) : «الاخبار المتواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم- ترد على المبتدعة، كقوله في الاحاديث الصحيحة «انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر لا تضارون في رؤيته» وقوله لما سألته الناس : هل ترى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل ترون الشمس صحوا ليس دونها سحب ؟ قالوا : نعم . وهل ترون القمر صحوا ليس دونه سحب ؟ قالوا : نعم . قال : فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر». يقول ابن تيمية «فشبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه المرئي بالمرئي، فان الكاف حرف التشبيه داخل على الرؤية» (2)

استدلال ابن قيم الجوزية :

وفي قوله تعالى (... ورضوان من الله اكبر...) يقول : «من اعظم نعيم الجنة النظر الى وجهه الكريم، وسماع كلامه وفترة العين بالقرب منه ورضوانه فلا نسبة للذة ما فيها المأكول والمشروب والملبوس الى هذه اللذة ابدا. فأيسر يسير من رضوانه اكبر من الجنان وما فيها من ذلك كما قال تعالى : (ورضوان من الله اكبر). ويسوق حديث الرؤية فيقول : «قوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر الى وجهه». وجاء في حديث آخر: «أنه سبحانه اذا تجلى لهم رأوا وجهه عيانا نسوا ما هم فيه من النعيم وذهلوا عنه ولم يلتفتوا اليه». (3) وعلى هذا المنوال كانت ردود الشيخين ابن تيمية وابن القيم لبدع المعتزلة في تفسيرهم لايات الصفات مستدلين على مذهبهم بتأويل الايات وصرفها وفق وجهتهم الخاصة او الى في أصولهم الخمسة التي ارتضوها كأصول عامة لمذهبهم الاعتزالي وأسسوا عليها كل الاراء. وقد خالفنا المعتزلة وابعدا العقل، وجعلنا النقل هو الاصل في تلقي أصول الدين وقواعد الاعتقاد، وحقائق الشرائع، أما العقل فهو تبع لها. وخالفنا حتى ابا الحسن الاشعري، فضلا عليه احمد ابن حنبل ولم يريا في منهجه . -الجامع بين العقل والنقل- غنية والذي يلجأ فيه الى التأويل في بعض الاحايين -وابن تيمية براهم جبرية، أو مائلين للجبرية ومذهبهم يزدي اليها، وقد صرح بذلك تلميذه ابن القيم. (4) ومذهب المعتزلة عنده

1- الاية 23.22 القيامة

2- صبري المتولي : منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم ص 170 1411 هـ 1981

3- ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين. ج 3 ص 44.43

4- محمد ابو زهرة : ابن تيمية «حياته، عسره اراؤه فقهه» ص 304

اقرب من مذهب الاشاعرة الى منهج السلف الصالح « وقد هاجم تلميذه ابن القيم الجبرية والمعتزلة والاشاعرة ولم يرتض ما ذهبوا اليه » . (1) فرأى الشيخون في استعمال العقل الى جانب النقل بطريقة الفلاسفة والمتكلمين، و المعتزلة، والاشاعرة -على ما بينهم من الاختلاف في هذا الاستعمال- كله مردود عندهما. ومعظم رسائل الشيخين تدور حول هذه الطريقة ردا لاستدلالات الخصوم من اصحاب الاهواء والبدع والكلام ؛ ف «رسالة القضاء والقدر» دراسة لحقيقة القضاء والقدر وعرض لمختلف الفرق كالمعتزلة وأئمة مذهبهم ومؤسسيه وكذلك بعض فرق الشيعة المتأثرة بمنهج المعتزلة والمتكلمين وبعض طوائف الخوارج والمرجئة والجهمية والقدرية والمعتزلة. و هي دراسة تتخذ من المنهج السلفي المشار اليه اولا طريقة، وهي حافلة بالاستدلال القرآني كما هو حال ابن تيمية في استدلاله بالقرآن والذي لا يخلو باب من رسالته من الاستدلال بالآيات القرآنية (2) بل ولا فقرة منها، قتل الموضوعات كلها بحثا، وخلص الى النتيجة المرضية وفق طريقته الاستدلالية بالقرآن الكريم والى النتيجة التي يراها مذهب السلف الصالح، وهكذا في بقية رسائله، والطريقة نفسها نجدها عند ابن قيم الجوزية : ففي رسالته «اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعتزلة والجهمية» يتطرق ابن القيم الى أقوال المعتزلة بكل فرقتهم ومنهم الجهمية وفق طريقة شيخه وكان الموضوع هو من تأليف شيخه وفق الطريقة السلفية والمنهج السلفي عارضا للشبهة ثم يدحضها بحشد من الايات والاثار من سنن وأقوال السلف الصالح، وان كانت ثمة من زيادة ملحوظة، فانما في الشاهد اللغوي وفي الاستشهاد بالشعر، وهذه ميزة خاصة ينفرد بها ابن القيم في تأليفه. (3)

إذا كان الإمامان ابن قيم، ابن تيمية من أئمة السنة وسلكا منهج السلف الصالح في طريقتهما الاستدلالية فهناك من الأئمة من استطاع أن يتحرر من مذهبته و يخلق في آفاق الإستدلالي و من هؤلاء الإمام الشوكاني .

- 1- عبد العظيم عبد السلام شرف الدين : ابن قيم الجوزية.. ص 361
- 2- تنظر رسالة : القضاء والقدر : لابن تيمية ضبط وشره وتنسيق د. احمد عبد الرحيم الساتح- ود. السيد الجميلي- دار الفكر العربي ص 1. 1411 هـ 1991.
- 3- تنظر رسالة اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعتزلة والجهمية تحقيق فؤاد احمد زمزلي - دار الكتاب العربي ط 1401/1 - 1988

المبحث الثامن الستدلال عند الشوكاني

المطلب الأول :

الامام الشوكاني من الشيعة الزيدية، وقد تفقه على المذهب الزيدي حتى بلغ الذروة فيه وجمع كثيرا من علوم الدين : فهو المفسر الذي لا يبارى، والمحدث الكبير فكتبه تنسم بسمه السلف، ففي «نيل الاوطار» يبدو محدثا ضليعا بطرق الرواية ويعلم الاسانيد وبحال الرجال، وهو في ذلك على منهج علماء سلف الامة والمحققين منها . أما في «فتح القدير في التفسير»، فهو على غير ما هو عليه في «منتقى الاخبار اي النيل» إذ تبدو جليا عنده سمة التجديد والتي تكمن اصلا في الدعوة الى الاجتهاد ونبذ التقليد، والدعوة لي الرجوع الى ما كان عليه السلف الصالح، ونبذ كل ما عليه الناس من خرافات وبدع وتقليد. وقد عرف الامام الشوكاني في دعوته الى ذلك بالامام السلفي المنتقى آثار السلف الصالح، والنمى على المقلدة قولهم، وألف في ذلك رسالة كاملة هي «القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد».

الشوكاني والقول :

الشوكاني من العلماء المجتهدين المجددين، وقد اعتمد على القرآن في منهجه التجديدي واعتبره المصدر الاساسي. وقد رأى العلماء فريقين : فريق جمع الاثار والسنن والاخبار وسلك مذهب الرواية، وفريق اخر أخذ بالاجتهاد والنظر في اللغة والعلوم الآلية. فاستفاد من منهج الفريقين، كما استفاد من المفسرين السابقين له، وحاول الترجيح بين طرائقهم، وحرص على جمع كل هذا في منهجه في التفسير، غير ان الشوكاني المفسر غير الشوكاني المحدث.

وأهم ميزة عنده : اقتفاؤه منهج السلف الصالح في التفسير، ونبذته للتقليد والذي يتجلى في منهجه التجديدي والاصلاحي.

* الشوكاني : 1173 هـ - 1250 هـ هو محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني ولد في بلدة هجرة بشوكان نشأ في صنعا . تولى حجر ابيه نشأ على العلم، اشتغل بطلبه، ونشأ على العكوف على كتب العلم والادب والتاريخ ونشأ على الحفظ المذاكرة حتى صار اماما كبيرة ومرجعا للناس. تفقه على مذهب الشيعة الزيدية وبرع فيه وألف وأفتى وخرج من التقليد الى منصب الاجتهاد . عقيدته حمل الصفات على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف وتجلت في رسالته «التحفة بمذهب السلف» . دعا الى العودة الى ما كان سلف الامة ألف كتبها هامة ومفيدة منها . - القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد - نيل الاوطار في الحديث والسنة - تفسيره المشهور به فتح القدير.

المطلب الثاني : إستدلالات الشوكاني :

نبهه للتقليد واستدلالاته على ذلك : فهو كلما وجد اية تذكر ما كان عليه الاباء والاجداد من كفر وضلال وتنمي على متبعيهم ذلك، الا واتخذ منها دليلا على دعواه الى الاجتهاد؛ ومن الامثلة على ذلك :

1- استدلاله بالآية : (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها . قل ان الله لا يامر بالفسح ان يقولون على الله ما لا تعلمون) (1).

2- استدلاله بالآية: (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا) (2).

3- استدلاله ايضا بالآيات : (اذ قال لابيهِ وقومه ما هذه المصائيل التي انتم لها عاكفون ؟ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم انتم و آباؤكم في ضلال مبين) (3). فظاهر هذه الايات منصب على اقوام من الكفار ممن سبقوا، غير ان الشوكاني يتخذ من كل هذه النصوص أدلة على رد التقليد والدعوة الى الاجتهاد؛ يقول في تعليقه الاستدلال في الآية : (اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها) (4)؛

«ان هذه الآية الشريفة لا عظم زاجر، وأبلغ واعظ للمقلدة، الذين يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق، فان ذلك من الاقتداء بأهل الكفر لا بأهل الحق فانهم القائلون : (انا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم لمقتدون)، والقائلون: (وجدنا آباءنا عليها والله امرنا بها) (3)».

ثم يبين وجه الاستدلال بقوله : «والمقلد لولا اغتراره بكونه وجد آباء على ذلك المذهب مع اعتقاده بأنه الذي أمر الله به وانه الحق لم يبق عليه، وهذه الخصلة هي التي بقي بها اليهودي على يهوديته، والنصراني على نصرانيته، والمبتدع على بدعته، فما أبقاهم على هذه الضلالات الا كونهم وجدوا آباءهم في اليهودية او النصرانية او البدعة واحسبوا الظن بهم بأن ما هم عليه هو الحق الذي امر الله به، ولم ينظروا لأنفسهم ولا طلبوا الحق كما يجب ولا بحثوا في دين الله كما ينبغي وهذا هو التقليد البحت والقصور الخالص» (4).

ثم يوجه دعوته الى المقلدة قائلا : «يا من نشأ عن مذهب من هذه المذاهب الإسلامية انا لك النذير المباليغ في التحذير من ان تقول هذه المقالة او تستمر على هذه الضلالة . فقد اختلط الخير بالشر والصحيح بالسقيم، وفسد الرأي بصحيح الرواية، ولم يبعث الله لهذه الامة الا رسولا واحدا امر باتباعه ونهى عن مخالفته فقال : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)».

1- الآية 28 من سورة الاعراف

2- الآية 31 من سورة التوبة

3- الآيات 52-53-54 الانبياء

4- الشوكاني:فتح القدير في التفسير ج 2 ص 189

ثم ينحى على رأي الانمة في المذاهب فيقول : « لو كان محض رأي ائمة المذاهب واتباعهم حجة على العباد لكان لهذه الامة رسل كثيرون متعددون بعدد أهل الرأي المكلفين للناس ما يكلفهم الله به. وان من اعجب الغفلة وأعظم الذهول عن الحق اختيار المقلدة لاراء الرجال مع وجود كتاب الله ، وسنة رسوله ووجود من يأخذونهما عنه. ووجود آلة الفهم لديهم وملكة العقل عندهم ». (1)

مناقشة الاستدلال:

وعند تأمل الآية، والاستدلال ووجه ذلك، يتضح ان الامام الشوكاني يحمل دعوة الاجتهاد ونبذ التقليد، فكلامه كله يدور حول هذه القضية، وقد بلغ تكبيره للمقلدة حد قرنهم فيه باليهود والنصارى وهذا من جهة التشييت بما عليه الاباء والاجداد، ثم علل ان هذا كان حائلا في طريق هدايتهم ومن ثم خلص الى فساد القول باتباع الاباء والاجداد. وهذا القول مذهب العلماء الذين دعوا الى التجديد والاجتهاد ونبذ التقليد والتعصب، وقد نص القرآن في الكثير من الايات على فساد هذا الزعم - اتباع الاباء والاجداد - قال تعالى : (وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، قال او لو جئناكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) (2) ثم يعلل الشوكاني هذا الاتباع للاباء والاجداد فيقول : « والمقلد لولا اغتراره بكونه وجد آباء على ذلك المذهب مع اعتقاده بأنه الذي امرالله به، فهو يرد هذا الاتباع لله وانما يعتقد هذا المقلد ان آباءه بلغوا هذا الامر ، ومن ثم لا بد من الوصول الى النتيجة الحتمية وهي الاتباع وهذا ما نصت عليه الآية : (وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها). فاذا فسد الادعاء وثبت ان الله لم يأمر بها، سقط وجوب الاتباع وثبت الترك والابتعاد، ومن ثم قاله لم يأمر بهذا (قل إن الله لا يامر بالفحشاء، اتقولون على الله ما لا تعلمون؟!) وعلى هذا يجب الترك والابتعاد ، اذا فالمقلد مغرور بهذه الدعوة الباطلة ولولاها لما كان متبعا لكل هذا. (1) فالمنطق الذي وظفه الامام الشوكاني في هذا الاستدلال اقتضى بداهة فساد الادعاء بفساد الدعوى. والامام الشوكاني يرتب قضاياها ترتيبا منطقيا اذ لو كان الاستدلال خاليا من هذه المقدمات، لما كان للاستدلال اي وجه ولكن لما قال : وهذه الخصلة التي بقي بها اليهودي على يهوديته، والنصراني على نصرانيته والمبتدع على بدعته...اصبح للاستدلال وجه شبه، ووجه شبه معقول جدا؛ فإن من البدع ما يجعل صاحبه في مرتبة اليهود والنصارى والمشركين وقد سبق القول في بدع الجهمية والباطنية وغيرها، ثم ان علة الاستدلال ومضربه تكمن

1- الشوكاني : فتح القدير في التفسير ج 2 ص 189

2- الآية 23/24 من سورة الزخرف

في «الخصلة» المانعة من التدبر والتفكر، وهي : (وجدنا آباءنا على ملّة) أو (على هذا).
والاستدلال الى هذا الحد يسير وفق منطوق النص في المعنى الناهري بهذه القرائن ووفق
مفهومه بالتأويل المستند الى القرائن المقبولة وقد تضافرت الايات، والاحاديث واقوال
السلف الصالح وائمة الاسلام من ائمة المذاهب السنية وحتى المعتدل من الشيعية على
بطلان فساد القول بـ «التقليد». وعلى هذا، فدعوى الشوكاني لنبذ التقليد والاجتهاد من
دعوى السلف الصالح. ولهذا فنداء الشوكاني : «فيا من نشأ على هذه المذاهب
الاسلامية... عندهم» (1) نداء كل عالم سلفي.

ولا دليل يثبت التقليد غير آيات يبدو ظاهرها يدعو الى ذلك كقوله تعالى : (فاسألوا اهل
الذکر ان كنتم لا تعلمون...) (2) وهذه الاية نصت على أن المراد من السؤال انما هم علماء
اهل الكتاب، الذين يعلمون اخبار هذا النبي. ثم ان توظيف هذا هو، أما استدلالهم بآية :
الاية في موضع الدعوى الى التقليد باطل. قال العلامة الشنقيطي : «رد على المقلدة :
(فاسألوا اهل الذکر ان كنتم لا تعلمون) فهو استدلال في غير محله، فان الاية لا تدل
على هذا النوع من التقليد الاعمى الذي هم عليه، من التزام جميع أقوال رجل واحد وترك
جميع ما سواها. ولاشك ان المراد بأهل الذکر اهل الوحي الذين يعلمون ما جاء من عند الله
كعلماء الكتاب والسنة» (3)

وعلى هذا تحمل بقية الايات الموهمة بالتقليد، وكذلك ما احتج به من اثار نبوية شريفة مثل
قوله -صلى الله عليه وسلم- في شأن الرجل الذي اصابته شجة في رأسه ثم احتلم فسأل
اصحابه : هل تعلمون لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نرى لك رخصة وأنت قادر على
الماء ؟ فاغتسل فمات، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : «قتلوه قتلهم الله. الا سألوا
اذ لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال» : يقول في الاستدلال بهذا الاثر العلامة الشنقيطي :
«فهو استدلال ايضا في غير محله»، ويعلل ابن قيم الجوزية قضية هذا الاثر اكثر فيقول :
«ان النبي -صلى الله عليه وسلم- انما أرشد المستفتين كصاحب الشجة بالسؤال عن
حكمه وسنته فقال : قتلوه قتلهم الله، فدعا عليهم حين افتوا بغير علم»، يقول الشنقيطي :
«فما احتج به المقلدون فهو من اكبر الحجج عليهم».

وفساد التقليد وارد باجماع علماء الامة جميعا. قال ابو حنيفة النعمان - رضي الله عنه -

1- الشوكاني فتح القدير ص 190

2- الاية 43 سورة النحل .

3- العلامة محمد امين الشنقيطي : القول السديد في حقيقة التقليد ص 33 ط 1 - 1405. 1985.

4- المصدر نفسه ص . 34

: « لا يحل لاحد ان يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه ». (1)
 وقال مالك رضي الله عنه : « ليس احد بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - الا يؤخذ من
 قوله ويترك الا النبي - صلى الله عليه وسلم - » (2)
 وقال الشافعي :- « ما من احد الا وتذهب عليه سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 وتغرب عنه، فمهما قلت من قول أو أصلت من اصل فيه عن رسول الله خلاف ما قلت
 فالقول ما قال رسول الله وهو قلبي » (3).

وقضية ذم التقليد ومنعه أمر مشهور بين علماء الاسلام، وما جاء في خلاف ذلك من
 الاستدلالات لا تقوى أمام استدلالات ذم التقليد عند الفحص والدراسة.
 ونبل الشوكاني لأراء الرجال مسألة قتلت بحثا، وقد قسم الرأي الى قسمين :

1- رأي مذموم

2 رأي محمود

وأراء الرجال التي تحجب الحقيقة مردودة بنص القرآن الكريم : (لقد كان لكم في رسول
 الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (4)، وقوله تعالى : (وما
 اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (5)، الآية وقوله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا
 مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم) (6)
 وقوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله...) (7)،
 والايات في هذا الصدد كثيرة جدا.

ويؤكد الامام الشوكاني ثانيا على ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة حيث يقول : مع وجود
 كتاب الله ووجود سنة رسوله، والايات الدالة على وجوب الاعتصام بكتاب الله وسنة
 رسوله، والاحاديث كثيرة، وقد اجمع علماء الامة جميعا على وجوب اتباع كتاب الله وسنة
 رسوله، ولم يخالف في هذا احد ممن يعتد بمخالفته.
 ويختم دعوته بالتأكيد على الاجتهاد من العلماء المؤهلين لذلك الذين بلغوا درجة الاجتهاد
 وتوفرت لهم شروطه.

1- ابن عبد البر: الانتقاء فضائل الثلاثة الائمة الفقهاء.

2- إرشاد السالك لموطأ الامام مالك ج 1 ص 227

3- ابن قيم الجوزية : اعلام الموقعين ج 2 ص 363/364

4- الآية 1 2 الأحزاب

5- الآية 7 الحشر

6- الآية 3 6 الأحزاب

7- الآية 1 الحجرات

والشوكاني في هذا الباب يبدو مجددا كما يبدو من محبي الاجتهاد والداعين إليه. وهكذا تأتي بقية الاستدلالات في هذا الباب .

2- استدلاله على فساد مبدأ التقليد: (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون..)(1). يقول : « في هذه الآية ما يزجر من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد عن التقليد في دين الله، وإيثار ما يقوله الاسلاف على ما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

فان طاعة المذهب لمن يقتدي بقوله ويستق بسنته من علماء هذه الامة مع مخالفته لما جاءت به التصوص، وقامت به حجج الله وبراهينه ونظقت به كتبه وانبيائه، هو كاتخاذ اليهود والنصارى والرهبان اربابا من دون الله، للقطع بأنهم يعبدونهم بل اطاعوهم، وحرموا ما حرموا، وحلوا ما حلوا، وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الامة وهو اشبه به من شبه البيضة بالبيضة والشجرة بالشجرة، والماء بالماء » (2) ثم يسوق نداء حارا في الدعوة الى نبذ التعصب وترك كتب كتبها الاموات، ويدعو الى الالتزام بالكتاب والسنة ويختم نداءه بهذا البيت والدعاء:

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

و «اللهم هادي الضال، مرشد التائه موضع السبيل... اهدنا الى الحق وارشدنا الى الصواب واوضح لنا منهج الهداية» (3)
مناقشة الاستدلال :

وهو في استدلاله هذا كسابقه ينعى على المقلدة مذهبهم ويغلظ لهم القول مؤكدا على ما في الآية من زجر ويلفت انتباههم الى ذلك.

- ثم يضع بين ايديهم ما يقوله الاسلاف (اي السابقون لهم: الابهاء والاجداد) وما في كتاب الله وسنة رسوله، ويركز على طاعة المذهب لقول الاسلاف مع وضوح مخالفة هذا القول لكتاب الله وسنة رسوله بالادلة القاطعة.

- ويؤكد على ان هذا هو صنيع اليهود، وصنيع النصارى في اتباع احبارهم ورهبانهم وهذا ما جاء في صحيح الاثر في الآية نفسها : فقد روي عن حذيفة بن اليمان وغيره انهم قالوا : «لم يعبدوهم من دون الله ولكنهم احلوا لهم وحرموا عليهم فاتبعوهم. قال عدي بن حاتم :

1- الآية 31 التوبة

2- الشوكاني : فتح القدير في علم التفسير ج 1 ص 189

3- المصدر نفسه ص 237

اتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقي العنقيليب. قال لي : يا عدي القتي هذا الوثن من عنقك، فانتهييت اليه وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى علي الآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) قال : قلت : يا رسول الله انا لم نتخذهم اربابا. قال : بلى، ليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونهم، ويحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه ؟ فقلت : بلى، فقال : تلك عبادتهم». ومن ثم، فاستشهاد الشوكاني بالآية مطابق كل المطابقة لموضوع التقليد واتباع رأي الرجال وإشاره على كتاب الله وسنة رسوله ، اذ لا يشرع الا الله أو رسوله بأمر منه. فهو يقول: «فهو كاتخاذ اليهود والنصارى والاحبار والرهبان اربابا من دون الله للقطع بأنهم لم يعبدوهم بل اطاعوهم وحرموا ما حرموا وحلوا ما حللوا» وهذا ما جاء في الاثر الصحيح . ثم هو يطبق هذا على المقلدة فيقول : «وهذا هو صنيع المقلدة...» ويؤكد ذلك بمطابقة المشبه للمشبه به فيقول : «وهو اشبه به من شبه البيضة بالبيضة والشمرة بالشمرة، والماء بالماء.»

ولا يغادر آية تناولت موضوع تقليد الانباء للاباء، وتزمتهم على آراء قديمة وعقائد اباء وأجداد، الا واستعمل كل هذا كشاهد على حال المقلدة اليوم - في عهده- ثم وظف استنكار القرآن لذلك ووعيده في الدعوة الى نبد هذا التقليد والتعصب والدعوة الى الاجتهاد. والشوكاني من السالكين منهج السلف في فهمه وفي تفسيره وهو متبع لهم ويقول بقولهم في العقائد وفي آيات الصفات وفي قضايا العقيدة ويخالف ما سواهم من الفرق .

3- استدلاله على حياة الشهداء : ويستدل الامام الشوكاني على حياة الشهداء

(1) بقوله تعالي : (ولا نحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اصواتا بل احياء عند ربهم يووقون)، فهو يرى أن هذه الحياة حقيقية لا مجازية فيقول : « وقد اختلف اهل العلم في الشهداء المذكورين في الآية من هم ؟ فقيل : شهداء احد، وقيل شهداء بدر، وقيل شهداء بنر معونة... وعلى فرض انها نزلت في سبب خاص، فالاعتبار بمعوم اللفظ لا بخسوس السبب. ومعنى الآية عند الجمهور أنهم احياء حياة محققة.

ثم اختلفوا، فمنهم من قال : انها ترد اليهم ارواحهم في قبورهم فيتنعمون. وقال مجاهد برزقون من ثمر الجنة، اي يجدون ريحها وليسوا فيها. وذهب من عدا الجمهور الى أنها حياة مجازية، والمعنى أنهم في حكم الله مستحقون للنعيم في الجنة.

والصحيح هو الاول ولا موجب للمصير الى المجاز، وقد وردت السنة المطهرة بأن ارواحهم في أجواف طيور خضر وأنهم في الجنة برزقون ويأكلون ويتمتعون والشوكاني في هذا المذهب

يميل الى رأي الجمهور من السلف الصالح . ومن الامثلة على سلبية الشوكاني في العقيدة اتباعه طريقة السلف الصالح في الايات التي توهم بالشبيه . ومن الامثلة على ذلك :

4- استدلاله على ترجيح مذهب السلف ورد ما سواه :ففي الاية (... وسع كوسيه السماوات والارض) (1) يقول : « الظاهر انه الجسم الذي وردت الاثار بصفته... وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة واخطأوا في ذلك خطأ بينا وغلطوا غلطا فاحشا، وقال بعض السلف ان الكرسي هنا هو عبارة عن العلم ومنه قول الشاعر :

تحف بهم بيض الوجوه وعصية كراسي بالاخبار حين تنوب

ورجح هذا القول ابن جرير، وقيل : كرسيه قدرته : التي يمسك بها السماوات والارض كما يقال : اجعل لهذا الخائض كرسيًا... اي مايعمده، وقيل ان الكرسي هو العرش، وقيل هو تصوير لعظمة ولاحقيقة له. وقيل : هو عبارة عن الملك. والحق القول الاول، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي الى مجرد خيالات وضلالات » (2)

مناقشة الاستدلال لرأي السلف الصالح :

وليس انتصار الشوكاني لمذهب السلف في هذه القضية فقط، فهو يحمل كل آيات الصفات على مذهب السلف الصالح من دون تأويل، أو تمثيل أو تعطيل : ففي العرش يقول من الاية 54 من سورة الاعراف : (ثم استوى على العرش) : « وقد اختلف العلماء في معنى هذه الاية على أربعة عشر قولاً، وأحقها وأولها بالصواب : مذهب السلف الصالح : انه استوى سبحانه عليه بلا كيف بل على الوجه الذي يليق به مع تنزهه على ما لا يجوز عليه » (3)

وهو في مذهبه في تفسير آيات الصفات ينتصر للسلف الصالح ويستدل على ذلك بالاثار النبوية الشريفة، كما يذكر آراء هذه الفرق ووجه الاستشهاد بها ثم يفندها وينتصر لمنهج السلف الصالح، ويصرح بأنه هو القول الحق والرأي السديد.

واستدلالاته هذه تعتمد على الجانب النقلي اولا من كتاب وسنة ثم أقوال الصحابة والتابعين وعلماء القرون المشهود لها بالخيرية.

كما يعتمد الجانب اللغوي، فينص على الدلالات اللغوية للفظ أو للمعنى أو هما معا ويستشهد على ذلك بالشاهد من الشعر العربي أو الاستعمال اللغوي لدى العرب، وإذا كان الاستشهاد اللغوي موافقا لمنهج السلف قال به، أما اذا كان غير موافق لم يقل به ويعزوه الى من ذهب اليه .

1- الآية 255 البقرة

2 - الشوكاني : فتح القدير في التفسير ج 2 ص 429

3- المصدر نفسه ص 202 ج 2

يستعرض وجوه الاستدلال والتفسير ويرجح، ويكون ترجيحه احيانا بذكر السبب وحيانا بذكر المعتمد من منهج السلف دون الاشارة الى وجه الرد.

رد الشوكاني على المعتزلة واستدلاله على فساد مذهبهم :

وقد خالف الشوكاني المعتزلة في مذهبهم وتعرض لاخطر بدعة قال بها المعتزلة وهي «بدعة خلق القرآن» : ففي قوله تعالى : ﴿ ما ياتيهم من ذكر محدث الا استمعوه وهم يلعبون ﴾ (1) يقول : «وقد استدل بوصف الذكر بكونه محدثا على أن القرآن محدث، لان الذكر هنا هو القرآن.

وأجيب لا نزاع في حدوث المركب من الاصوات والحروف، لانه متجدد في النزول، فالمعنى محدث تنزيهه، وانما النزاع في الكلام النفسي.

وهذه المسألة - اعني قدم القرآن وحدثه- قد اهلته بها الكثير من اهل العلم.... وقد اصاب ائمة السنة بامتناعهم عن الاجابة في القول بخلق القرآن أو حدثه وحفظ بهم امة نبيه عن الابتداع» (2)

وهو في هذا يبين استدلال المعتزلة على بدعتهم بالقرآن الكريم حيث ذكر الآية الثانية من سورة الانبياء وهي : ﴿ ما ياتيهم من ذكر محدث الا استمعوه وهم يلعبون ﴾ وبين الاساس الذي بنوا عليه استدلالهم وهو :

- أن الذكر انما هو القرآن الكريم كما جاء في القرآن ذاته.

- وأن قضية الخلق مبنية أصلا على كلمة «محدث» التي تعني مخلوق عندهم ثم ذكر رأي أهل السنة والجماعة وهو : عدم القول بهذه البدعة حيث استصوبه بقوله : «وقد أصاب أهل السنة بامتناعهم.

إذا كان الإمام الشوكاني في استدلاله جسد حقيقة المنهجية الإستدلالية عند السلف طرائق و ضوابط و معطيات، فإن من الأئمة من أبرزوا في استدلالاتهم و منهم المصلح محمد بن عبد الوهاب .

1- الآية 2 الانبياء.

2- الشوكاني : فتح القدير في علم التفسير . تفسير الآية 2 الانبياء.

المبحث التاسع

الإستدلال عند محمد * بن عبد الوهاب

المطلب الأول: معالم المنهج السلفي عند محمد بن عبد الوهاب:

لقد ظهرت معالم المنهج السلفي على يد محمد ابن عبد الوهاب، إذ غلب على هذا الظهور الجانب العقائدي، ويشفع لهذه الصبغة العقيدية ما اعترى الأمة الاسلامية من انحراف عن عقيدة السلف ومنهجهم في تلقى الإيمان والعمل به واعتقاده، يمكن اعتبار هذه الدعوة «الوهابية» كرد فعل على مفاسد المجتمع الاسلامي في العصر الحديث « وقد كان محمد بن عبد الوهاب عالما محضاً وكان ذا نظر ثاقب بعيد المدى قد شهد ثمرات دعوته في حياته ثمرات دنيوية وثمرات دينية» (1)

انطلقت دعوته بالدرعية ثم خرجت عنها الى نجد، فالجزيرة العربية، يقول ابن بشر - في اولاد محمد بن عبد الوهاب - : « لقد رأيت لهؤلاء الاربعة العلماء الاجلاء محافظ في التدريس في الدرعية عندهم من طلبة العلم من أهل الدرعية وأهل الافاق الغرباء، ما يفضى لمن حكاه الى التكذيب» (2)

أصول دعوة محمد بن عبد الوهاب: وقد ركز محمد بن عبد الوهاب على أصول العقيدة وأصول الدين ودعا الى الرجوع الى الكتاب والسنة، وكانت المبادئ العامة التي دعا اليها هي:

- 1- العودة بالاسلام الى صفاته الاول.
 - 2- الدعوة الى التوحيد الخالص منكرًا للشرك وذرائعه، ومظاهره.
- وقد كانت تتركز في كل هذا على الدعوة الى الرجوع الى الكتاب والسنة، والرسائل التي ألغها دارت حول هذا المحور، وكان للقران فيه القدح المسلي، فقد ظهر الاستشهاد القرآني

محمد بن عبد الوهاب-1266-1323 هو محمد ولد في مدينة العيينة وذلك في 1266 هـ الموافق 1703م تعلم في مدينته على يد علمائها ومنهم معه سليمان بن علي بن مشرف، طلب العلم في شبابه وتفوق فيه بضع شأوا كبيرا من العلم. ألمه ما شره البلاد، دعا الى ضرورة العودة الى الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، انتشرت دعوته من العيينة فالدرعية ما لجزيرة كلها وشملت العالم الاسلامي كله، تميزت بالشورى على الشعودة، الخرافات، تقديس الاله، ليا، والقبور، والاضححة والشرك من مختلف مظاهره دعت الى العودة الى صريح التوحيد ومناهج السلف الصالح. ألف مؤلفاته في رسائل مفيدة، كتاب التوحيد، كشف الشبهات، الكباش... ائتمت بالالتزام بالكتاب والسنة والدعوة الى الرجوع الى ما كان عليه السلف الصالح.

1- علي المصانعة: الاتجاهات الفكرية عند العرب ص 42

2- ابن بشر: محمد بن عبد الوهاب ودعوته

جلبا واضحا كما كان عليه في عهد السلف، وراحت كل النصوص والاثار في خدمة القرآن والسنة، وكانت نظرة محمد بن عبد الوهاب الى القرآن تتمثل في الاتي :

المطلب الثاني : القرآن أساس الاستدلال و الاستنباط: يعتبر القرآن الاساس في الاستدلال والشرح والاستنباط «وقد نظر الى القرآن نظرة السلف، ولما يأذن بتأويله وحمل التأويل في قوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) على أنها تنص على المنع» (1)

وقد عاد الى القرآن مستدلا به لشرح حقيقة التوحيد بنوعيه :

1- توحيد الربوبية

2- توحيد الالهية.

وهو في منهجه يدعو الى ضرورة التوحيد ونبذ الشرك، ويسلك منهج السلف الصالح في الاستدلال.

المطلب الثالث : خصائص الاستدلال عند محمد بن عبد الوهاب : وطريقته الاستدلالية لا تبعد عن طريقة ابن تيمية وابن القيم والشوكاني، مع عدم تعمق في هذه الاستدلالية. فهو يذكر الايات أولا ثم يثني بعد ذلك بالسنن والاثار ولا يعتمد منها إلا الصحيح، ثم يشرع في الاستنباط بعد ذلك.

والحق أن عناوين الابواب هي موضوع الاستدلال. فهو يقول مثلا : باب التوحيد وما يكفر من الذنوب، ثم بعد ذلك يقول : وقرول الله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم...)(2) .

ويمكن اعتبار العناوين عبارة عن موضوعات وما يأتي بعد ذلك استشهادا على ذلك، ورسائله كلها على هذه الشاكلة.

وما يمكن ملاحظته على الاستدلالات القرآنية عند محمد بن عبد الوهاب هو أنها كلها تدور حول :

- مفاهيم العقيدة والايان والتوحيد.

-الشرك والوثنية والعادات والبدع والخرافات ، والجاهلية الاولى.

- ذرائع الشرك ومظاهره، والشبهات.

- فضائل الاسلام ومحاسن الايمان.

1- على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب ص 42 .

2- الاية 82 الأنعام

الكلام في الذنوب والكبائر. ورغم تعدد العناوين، فإنها لا تخرج عن نطاق الدعوة إلى العودة بالدين إلى ما كان عليه السلف الصالح.

-نبذ كل العوائد والبدع والخرافات والباطيل.

المطلب الرابع : زماذج من الاستدلالات عند محمد بن عبد الوهاب :

وفي باب (الشفاعة) يستدل بجملة من الآيات هي :

« 1- (وانذره الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) (1).

2- (قل لله الشفاعة جميعا...) (2).

3- (... من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه...) (3).

4- (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (4).

5- (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في

الارض) (5). « (6)

مناقشة الاستدلال :

وهذا الاستدلال في جانبه الشكلي يتميز بالخصائص التالية :

أولا : حشد لعدد من الآيات القرآنية، متفقة من حيث غرضها العام غير انها تختلف من حيث دلالاتها الخاصة.

فالاولى: دعوة إلى الانذار بالقرآن في الدنيا بل أن يقضى على الناس ولا يجدوا يوم القيامة نجاة.

والثانية : دلت على أن الشفاعة لله جميعا، فلا احد يشاركه هذه الشفاعة أبدا.

والثالثة : أن لا احد يشفع يوم القيامة إلا من يأذن الله له.

والرابعة : أن من الملائكة الكائنة في السموات والارض، وهي كثيرا ما لا تنفع شفاعتها

إلا بإذن الله تعالى . وهذا نظير قوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) .

والخامسة : نفي شفاعة كل ما يتعلق به المشركون.

1- الآية 51 الأنعام

2- الآية 44 الزمر

3- الآية 255 البقرة

4- الآية 26 النجم

5- الآية 22 سبأ

6- محمد عبد الوهاب: رسالة التوحيد - عن الجامع الفريد ص 92

فإذا ما باملنا الآيات كلها، نجدها تثبت الشفاعة وتبين أنها أصناف سواء صحت أم بطلت، ولكن الشفاعة ثابتة ألا ما كانت من الله ورضيها. وهذا الاستدلال على موضوع الشفاعة من جنس الدرس الذي يدعو الى توحيد الله في خصائص التوحيد إن في الألوهية أو في الربوبية أو بقية مستلزمات الإيمان التوحيد.

الاستدلال على الغلو في الصالحين:

يقول باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

الآية-1- (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم...) (1)

الآية-2- (وقالوا لا تذرنا المتكلم ولا تذرنا هذا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) (2).

ويسوق حديث عبد الله بن عباس في الآية الثانية: «عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقالوا: (لا تذرنا... ونسرا) قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن أنصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها بأسمانهم ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك، ونسي العلم عبدهم». وقال ابن القيم قال غير واحد من السلف، لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، (3) ويستمر في ذكر الآثار النبوية الصحيحة.

مناقشة الاستدلال:

وما يمكن ملاحظته في هذا الاستدلال هو أن الآية الأولى عامة انصرفت تدعو أهل الكتاب الى عدم الغلو في الدين، غير أن الآية الثانية: تدعو الى نبذ عبادة وتقديس الصالحين، والآية الثانية تنطبق غاية الانطباق مع عنوان الباب، ولا يعني هذا ان الآية الأولى لا تصدق على الموضوع بل هي نعم غلو سواء في الانبياء او الصالحين او الغلو في باقي الامور المتعلقة بالدين، والعلاقة بين الآية الثانية والأولى علاقة خصوص وعموم اذا ما طبقت الآيتان على الموضوع. والظاهرة الملحوظة في كل الاستدلالات القرآنية عند محمد بن عبد الوهاب هي: -أنها تتمحور كلها حول رد الامر الى الله والى رسوله، الى الكتاب والسنة.

-الدعوة الى التوحيد والايان ونبذ ما سواه من شرك وما أدى اليه.

-انها تعتمد القرآن أولا، وصحيح السنن والآثار ثانيا.

-أنه يستشهد بأقوال السلف الصالح على معاني القرآن الكريم والسنة،

1- الآية 77 المائدة

2- الآية 24 نوح

3- محمد بن عبد الوهاب: التوحيد من الجامع الفريد ص 92

ويذكر منهم الامام احمد بن حنبل، وحتى ابن تيمية وابن القيم.

لكن الملاحظة الخاصة هي خلو هذه الاستدلالات القرآنية من غزارة علم ان في سبب النزول أو علوم القرآن وحتى العلوم الاخرى كاللغة والنحو وغيرها ؛ فالظاهرة الاستدلالية عند بقية السالكين منهج السلف تتميز برسوخ في التعليل والتحليل والدرس والمناقشة، والاستنباط، وحتى الاستدلال تمهد له هذه العلوم حتى لتصبح الصورة الحالية مطابقة للدلالة القرآنية، وحتى لكان الحال المستدل عليها تفسر الآية، بل يمكن الجزم بأن الدعوة في عمومها تغلب عليها البساطة وحتى السذاجة. قال محمد ابو زهرة (1): «وفي الحق ان الروهابيين قد حققوا آراء بن تيمية وتحمسوا لها تحمسا شديدا» غير انهم توسعوا في أمور حسبوها عبادات وهي غير ذلك ثم ضخموا اثمها حتى عدوا صاحبها كافرا مشركا. وقد طارت آثار هذه الدعوة، ونشأت كآثار لها حركات في العالم الاسلامي اتخذت حذو محمد بن عبد الوهاب في منهجه الاستدلالي، وطريقته الدعوية؛ يقول صاحب كتاب «حاضر العالم الاسلامي»: «الدعوة الوهابية انما هي دعوة اصلاحية خالصة بحتة، غرضها اصلاح الخرق ونسخ الشبهات، ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها اربابها في عصور الاسلام الوسطى ودحض البدع وعبادة الاولياء، وعلى الجملة هي الرجوع الى الاسلام والاخذ به على اوله ولجابه وجوهره، اي انها الاستمسك بالوحدانية التي أوحى الله بها الى صاحب الرسالة، صافية ساذجة والاهتداء والانتعاش بالقرآن المنزل مجردا، واما ما سوى ذلك فباطل وليس في شيء من الاسلام». (2)

و ما يمكن ملاحظته كخلاصة عامة حول منهج السالكين طريقة السلف الصالح هو :

- تميز الإستدلال عندهم بخصائص الإستدلال في عهدوه الأولى (عهد النبوة، الصحابة، والتابعين) تلك العهد التي تميزت بالتركيز على الأصلين، الكتاب و السنة، و ما تعلق بهما من علوم و آثار، و فهوم صحيحة للصحابة و من سار على منهجهم من التابعين . كما تميز بالبعد عن الإغراق في الغلو و الرأي و التأويل التابع من هوى أو مذهب أو إنتماء معين و تميز أيضا بتجسيد الحقائق العلمية و المعرفية في مختلف المجالات العقيدية و الفقهية و العلمية . و ليس هناك من شيء زائد في استدالات السالكين منهج السلف الصالح إلا مستجدات عرفت حياتهم المختلفة عن حياة السابقين، و أفضية جدت عندهم، أو دعوات ظهرت فيهم. و استدالات السالكين منهج السلف الصالح من الطرائق التابعة لاستدلالات الصحابة و التابعين و أصحاب المدارس الفقهية

1- محمد ابو زهرة: تاريخ المذاهب الاسلامية ج 2 ص 238

2- لوترون ستوراداد / ارسلان : تحقيق عادل نويهض ج 1 ص 264

الفصل الخامس

معطيات الاستدلال و ضوابطه

من خلال دراسة الاستدلال بالقرآن الكريم : لغة واصطلاحا، ومن خلال النظر الى المستدلين بالقرآن الكريم عبر مختلف العصور، وعند شتى المدارس حسب انتصاراتها العقيدية، والفكرية والسياسية، فقد اتضح أن الظاهرة الاستدلالية أفرزت ظواهر جديدة بالدراسة .
هذه الظواهر تكاد تكون قاسما مشتركا بين العمليات الاستدلالية في مختلف صورها ومظاهرها وهي مختلفة فيما بينها ويمكن أن يحملها حسب وضعها، أو دلالتها أو حقيقتها فيما يلي :

- ظاهرة التكفير والكفر.
- ظاهرة المباينة والتعارض.
- ظاهرة الاصلاح والتجديد.

ومن خلال دراسة هذه الظواهر يمكن الوصول الى بعض المعطيات الاستدلالية.

المبحث الأول

المعطيات (التكفير، التباين، الاصلاح)

المطلب الأول : ظاهرة التكفير :

يكاد يكون الحكم المجمع عليه بين الطوائف على بعضها البعض التضليل والتكفير والتفسيق، وإن أخطر هذه الاحكام : حكم التكفير : فما حقيقته ؟
التكفير الوارد بين هذه الفئات هو نتيجة مخالفة بعضهم لبعض، إذ أن كل فئة ترى أن الحق ما هي عليه، وأن الضلال ما عليه سواها .

فأول من نادى بهذا فرقة الخوارج حيث نادوا «لاحكم إلا لله»... وقالوا مستدلين على هذه الدعوى : (إن الحكم إلا لله) (1). وكفروا من خالفهم وزعموا أن عليا كافر وكذلك كل من رضى بالتحكيم . وفسرت الخوارج الايمان تفسيراً خاصاً حيث زعمت أن الايمان يعني الايمان بالله، وكل ما جاء من الله، والايمان برسوله وبكل ما جاء عن طريقه، ثم قالوا بعد ذلك أقوالاً هي محل اختلاف بين الناس، لكن هم عدوها من حقيقة الايمان .

فكرة التكفير و أبعادها : كادعاء أن مقترف الكبيرة، -وحتى الصغيرة- كافر، وأن الايمان قول وعمل واعتقاد، وأن الكفار في النار مخلدون وأبناهم معهم، ثم قالوا بأن لا لزوم

لقرشية الخليفة والامير، ويمكن للناس أن يستغنوا عن الامير، ثم افترضوا وجوب الايمان بأن التحكيم كفر لان الرجال لا يحكمون في أمر الله، وقالوا بكفر علي ومن ارتضى التحكيم وقالوا به، وحكموا بفساد الجزء الثاني من خلافة عثمان-رضي الله عنه- وأصبحت هذه الاختلافات أصول إيمان عندهم، ومن أنكرها يعتبر قد أنكر معلوما من الدين ضرورة ويكفر الكفر بمعنى الجحود : فالكفر عند هؤلاء بمعنى جحود ما آمنوا به. وقد تأسس على هذا الاعتقاد فقه دعا الى مقاتلة المخالفين واستباحة بيضتهم، ودمانهم وإبطال الكثير من المعاملات معهم، وما الحروب التي أقاموها، وقتلهم الامام علي - رضي الله عنه-، ومحاولة قتل معاوية وعمرو بن العاص إلا أدلة على هذا الاعتقاد الخاص بهم. وحين وجدوا خبايا سألوه عن رأيه في علي - رضي الله عنه- فأجاب بأنه لا يقول فيه إلا ما يفرضه عليه إيمانه - كمؤمن- فقتلوه، ولكن واصل بن عطاء زعم أنه مشرك فأجروه حتى يسمع كلام الله، ثم طلب منهم أن يبلغوه مأمنه فوافقوا لانهم يعتقدون أن هذا هو حقيقة الدين لقوله تعالى: (وإن احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه ما منه) (1) **مرتكزات فكرة التكفير :** والخوارج حكموا ظاهر الايات على المؤمنين وعلي غيرهم، ويمكن بلورة رأيهم في الاتي :

- 1- أنهم فسروا الايمان وفق ما اعتقدوه بناء على أصل مذهبهم.
 - 2- حكموا على كفر من أنكر ما آمنوا به لاسيما فكرة التحكيم التي عليها مدار مذهبهم.
 - 3- جسدوا حكمهم في مواقفهم اذ حملوا السلاح وخرجوا على الحاكم واستباحوا دمه وقتلوه وقتلوا كل أتباعه.
 - 4- اعتبروا الكفر بمفهوم الجحود وحملوا الايات الواردة في القرآن الكريم على ذلك .
- والخوارج على اختلاف فرقهم يتفقون في ظاهرة التكفير، وليس هناك إلا كفر واحد هو كفر الجحود، ثم أن أصول الايمان المقررة لديهم متفقة في الحكم سواء كانت يقينية أو ظنية .
- وظاهرة التكفير عند الخوارج لم تقابل عند الامام علي - رضي الله عنه- بنفس الاعتقاد والحكم بل قاتلهم قتال الخارجين عن الطاعة، وهذا فهم جماعة السنة لقضية العصيان والاختلاف بين الحاكم والمحكومين أو بين طائفة وأخرى لقوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) (2). فأثبت الله الاقتتال بين المؤمنين بقوله تعالى : (من المؤمنين اقتتلوا)، كما أن الحاكم يمكن أن يتمرد عليه أناس في رعيبتهم نتيجة تأول منهم، فإن قاتلهم فانما يقاتلهم مقاتلة تأذيب، وإرغام على الرجوع الى أمر الله ؛ فقد تقاتل الصحابة

ولم يكفر بعضهم بعضا . « والمنقول عن - الامام علي - أمير المؤمنين علي « أنه لم يكفر من قاتله في معركة الجمل أو صفين وإنما اعتبرهم بغاة » وقد صح الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لعمار: تقتلك الفئة الباغية... كما صح الحديث في الخوارج انهم تقتلهم أدنى الطائفتين الى الحق. (1) ولا شك أن الحق - وهذا إجماع العلماء - مع الامام علي - رضي الله عنه - في أمر الخوارج . وإن ظاهرة التكفير عند الخوارج نابعة أصلا من سطحية في الفهم وسذاجة في الحكم وخطأ في النتائج ، إذ النداء بقوله تعالى (إن الحكم إلا لله) (2) لرجل مثل علي جراءة في الباطل وتناول على عالم من كبار علماء الصحابة وفقهه مجتهد ورابع الخلفاء الراشدين وهو الخليفة الشرعي الذي بايعه الناس . وعلي لم يجهل الآية ولا تجاهلها وإنما علم أنها في غير موضعها ، فقد كان يقول لهم « كلمة حق أريد بها باطل » ، وانتدب لهم عبد الله بن عباس ليناقشهم في مفهوم التحكيم حيث قالوا لابن عباس : « ثلاث نقمناهن عليه : جعل الحكم الى الرجال قال الله تعالى : (إن الحكم إلا لله...) » فقلت: « قد جعل الله الحكم من أمره الى الرجال في ربع درهم في الارنب وفي المرأة وزوجها « فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها.. » فالحكم في رجل وامرأته والعبد افضل، أم الحكم في الامة يرجع بها ويحقن دماؤها، ويلم شعثها؟ قالوا نعم. » (3) فالخوارج خالفوا أهل السنة والجماعة حيث كفروا عليا واتباعه، ومرتكب الكبيرة المصر عليها وخرجوا من عقيدة السنة والجماعة الى البدعة والضلالة.

المطلب الثاني : ظاهرة التكفير عند الشيعة :

وقد برزت ظاهرة التكفير - هي الاخرى - في التراث الشيعي حيث ذهب المعتدلون الى الحكم بظلم الخلفاء السابقين لعلي - رضي الله عنه - واخذهم حقه في الوصية والبيعة، في حين ذهب غلاتهم الى تكفير الصحابة، وتكفير كل من لا يقول بقولهم.

مرتكزات التكفير عندهم : فما حقيقة الحكم بالتكفير، وعلى أي أساس بنوا حكمهم ؟ .
 اعتقدت الشيعة أن من مقتضيات الايمان التصديق بالامامة والوصية، كما زعموا أن الائمة ملهمون وهداة، ومن سواهم تبع لهم، ومن ثم اعتقدوا أن كل من لم يصدق بهذا فهو فاسق، بل كافر عند غلاتهم.

أما السنة والجماعة فقد نظرت الى الشيعة على أنهم أقسام :

أ- المعتدلون : وهم الذين يصدقون بالقرآن والسنة، ونبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -

1- يوسف القرضاوي : ظاهرة الغلو في التكفير ص 42

2- الآية 40 يوسف

3- المبرد : الكامل ج 1

وافضلية الصحابة على التتالي «ابو بكر وعثمان وعلي»، وجواز خلافة الائمة وصحتها بما يقول به السنة على حب لعلي وتشيع له في إطار العقل والاعتدال : يقول الشيخ حسن أيوب: «لم يكن الشيعة على درجة واحدة بل منهم المغالي والمقتصد وقد اقتصر المعتدلون على تفضيل «علي» على بقية الصحابة من غير تكفير أو تفسيق لاحد» (1)

ب- المغالون : وهم طوائف منهم من غالى في حب علي - رضي الله عنه - الى درجة وصفه بالالوهية، والنبوة والاصطفاء، وهم في ذلك طرائق، ومنهم من غالى في بغض الصحابة الى حد وصفهم بالجبت والطاغوت وتكفيرهم والقبح في عدالتهم والتقول عليهم.

فهؤلاء الغلاة خالفوا إجماع المسلمين، وأنكروا معلوما من الدين ضرورة ومن ثم أقحموا أنفسهم في دائرة الكفر «ومن قال لآخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما». فمنهم من انكر نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، ومنهم من زعم النبوة لعلي ومنهم من ادعى الوهيته، وكل هذه الادعاءات يكفر من اعتقدها - عند أهل السنة والجماعة- ومن ثم فكفرهم نابع من جنس معتقدتهم. اما ادعاؤهم كفر غيرهم، فهذا أيضا نابع من جنس ما اعتقده الخوارج.

فالشيعة ابتدعوا في العقيدة ثم حاولوا إلزام غيرهم بما اقتنعوا به وحكموا على من خالفهم أو من انطبق عليه وصف تكفيرهم ولم يصدق عليه وصف الايمان كما يزعمون .

ظاهرة التكفير -في اعتقادنا -عند الشيعة ظاهرة ملحوظة وعليها انتهى كثير من مواقفهم.. ويمكن حصر أسباب، ومقومات وخصائص هذه الظاهرة في الاتي :

1- الغلو في الاعتقاد.

2- مطالبة الغير بالايمان بما اعتقدوا

3- الحكم بكفر مخالفيهم.

وأسباب الكفر ها هنا : هي الكفر بالظاهرة الشيعية، لا بالحقيقة الايمانية.

أما خصائص هذه الظاهرة فإنها مبنية على : الافراط في التشيع، والحكم.

إن ظاهرة التكفير في الفكر الشيعي ظاهرة مبنية على أحقاد نفسية قديمة، وعلى تراث لا يخلو من تسريبات لفلسفات وبقايا عقائد لديانات قديمة كما لا يخلو من تأثير مسيحي ويهودي اضافة الى ما في ذلك من أهواء وإغواء من الشيطان.

المطلب الثالث : ظاهرة التكفير عند المعتزلة :

وقد ارتضت المعتزلة موقفا معيناً من الدين فأسست عقيدتها على ذلك الموقف وجعلت أساس الاعتقاد عندها العقل، ومرتكزات هذه العقيدة الاصول الخمسة، وحاولوا إلزام

1- حسن أيوب: تبسيط العقائد الاسلامية ص 30

غيرهم بما آمنوا به جدالا ومناظرة، ولما سار الحكم بأيديهم فتنوا الناس على أن يؤمنوا بما رضوا هم به، فقد فتن الامام احمد ببدعة القول في « خلق القرآن الكريم » فلم يقتل بذلك وعدها بدعة وصبر واحتسب. وقد غالى المعتزلة والجهمية والمعتلة حتى ادعوا في العقيدة والدين بدعا أدخلتهم دائرة الكفر والضلال فوقعوا في التشبيه فلدجأوا الى التأويل ثم التعطيل، وهم في الصفات معطلون؛ وهم كفرة قال ابو سعيد رحمه الله : « فمن ذلك ما اخبر الله تعالى في كتابه عن زعيم هؤلاء الاكبر وإمامهم الاكفر الذي ادعى أولا أنه مخلوق ، وهو الوحيد ، واسمه الوليد بن المغيرة، فأخبر الله عن الكافر دعواه فيه، ثم انكر عليه دعواه وردّها عليه، ووعدّه النار ان ادعى ان قول الله قول البشر وقوله : (إن هذا إلا قول البشر) وقول هؤلاء الجهمية هو مخلوق واحد لافرق بينهما فبئس التابع والمتبوع ! قال الله تعالى : (ذنوبي ومن خلقت وحيدا - الى قوله - ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يوشو إن هذا إلا قول البشر ساطيه بمقر) (1) ، (2) . فقد حكى الدارمي قول أهل السنة والجماعة في تكفير المعتلة من الجهمية وغيرهم ، واعتبر المعتزلة من الفرق الضالة في العقيدة. و قد وضع علماء السنة عقائد أهل التأويل -من الجهمية والمعتلة ومن شابهها -في القول والاعتقاد على محك الكتاب والسنة ، وآل الحكم على عقيدتهم بالزيغ والضلال والكفر والفساد وذلك للاعتبارات التالية :

- أولا : تحكيم العقل في مسائل الغيب وما تعلق بصفات الله تعالى .
- ثانيا : وصولهم الى التشبيه في الادعاء ثم ميلهم الى التأويل هربا من التشبيه.
- ثالثا : وصولهم الى التعطيل وذلك بصرف آيات الصفات عن ظاهرها الى تأويلات باطلة لا تتفق وحقيقة الايمان بها كما وردت في التنزيل.
- وهذه البدع من أخطر البدع في الدين، وقد تأسست أصلا على فساد في الاعتقاد ومبتدعات جديدة.

المطلب الرابع :

وخلاصة القول أن تكفير المبتدعة في البدع العقيدية ظاهرة ملحوظة منذ القدم؛ فقد انطلق الكثير من المكفرين على أن من تأول الكفر متعمدا وقال به يعتبر كافرا وهذا مصداق قوله -صلى الله عليه وسلم- « من بدل دينه فاقتلوه » وقد وقف الامام علي بن ابي طالب -رضي الله عنه- موقفا صارما من هؤلاء الزنادقة حيث حرقهم عن عكرمة أن علي بن طالب رضي الله عنه اتى بقوم من الزنادقة فحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس-رضي الله

1- الآية 26/22 المدثر

2- أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي : كتاب الرد على الجهمية ص 98

عنه-فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم لقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم - « من بدل دينه فاقتلوه»، ولما حرقتهم لنهي رسول الله -صلى الله عليه وسلم :- « لاتعذبوا بعذاب الله». -زاد سليمان في حديث جرير- فيبلغ عليا ما قال ابن عباس رضي الله عنه فقال : «ويح ابن ام الفضل انه لغواص على الهنات». (1) و على هذا اعتبر كل من قال بقول ليس عليه سلف الامة ولا هو من مذهب السنة والجماعة إن كان قوله هذا يتقدم في الدين أو يشكك في اصوله ، وأسس العقيدة وكل معلوم من الدين ضرورة ، فإن قال ذلك متعمدا معتقدا صحة ما يقول متعبدا به اعتبروه كافرا. وهذا ما وقع فيه من قالوا في القرآن بقول المتدعة وزعموا زعمهم في خلق القرآن. وقد أجمع العلماء على كفر من قال بذلك واعتقده وقد استدلوا على ذلك بكثير من الادلة نذكر منها ما يدخل ضمن الاستدلال : فقد قال الوليد بن المغيرة (إن هة الا قول البشر) وقول هؤلاء الجهمية مخلوق واحد لا فرق بينهما فينس التابع والمتبوع (2)

قال الامام الشوكاني : «لقد أصاب أئمة السنة بامتناعهم من الاجابة الى القول بخلق القرآن الكريم وحدوثه وحفظ الله بهم أمة نبيه من الابتداع . ولكنهم رحمهم الله - جاوزوا ذلك الى القول بقدمه ولم يقتصروا على ذلك حتى كفروا من قال بالحدوث، بل جاوزوا ذلك الى تكفير من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، بل جاوز ذلك الى تكفير من وقف... (3)

فظاهرة التكفير قديمة قدم البدع المعلنة من قبل الزنادقة والمبتدعة في الدين. وقد وقف السلف الصالح علماؤهم وعامتهم من هذه البدع موقف الردع؛ فقد أعلن عبد الله بن عمر براءته من قولة المبتدعة في القدر، كما وقف بقية الصحابة موقف الرفض من كل المبتدعة في دعوى الوصية لعلي وأولوته في ذلك من غيره. فرغم تسليم الصحابة بالفضل والسبق والمناقب واقرارهم بما ورد في حقه من آثار نبوية وحتى آيات قرآنية، فإنهم لم يرضوا بما ابتدعه المبتدعة فيه. وحتى علي ذاته هم بقتل اليهودي عبد الله بن سبا غير أن عدم استقرار الاحوال لم يمكنه من ذلك، ولم يرض أحد من السلف بما زعمته الشيعة في آل البيت إذا كانت هذه الظاهرة (التكفير) نتيجة معطيات الاستدلال عند مختلف الفرق الإسلامية على بعضها البعض نتيجة ما اعتقدت من عقائد و آراء و أفكار فإن من الاستدلالات ما آلت إلى غير الكفر لكنها ذهبت إلى حد التباين الكبير بين النص و الموضوع و هذا ما يتجلى في ظاهرة التباين .

1 - الدارمي : الرد على الجهمية ص 107

2- الدارمي : الرد على الجهمية ص 98

3- الدارمي : الرد على الجهمية ج 2 ص 299

البحث الثاني ظاهرة التباين في الاستدلال

المطلب الأول،

من خلال تأمل حقيقة الاستدلال بالقرآن الكريم فيما سبق يتضح التطابق التام بين حقيقة الآية وواقع الاستدلال، واستدلالات الرسول -صلى الله عليه وسلم- كلها تعكس مدى التطابق بين الحقيقة القرآنية والحال المستدل عليها، وكذلك ما ورد في القرآن الكريم من استدلالات على لسان الانبياء والمرسلين وباقي الاستدلالات القرآنية.

والاستدلال النبوي يندرج ضمن قوله تعالى: **(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل**

إليهم) (1)

فكانت الآية المستدل بها والواقعة المستدل عليها هي نفسه، حتى لكأن الحال يهتف بالاستدلال حتى لنقرأ الآية فننتذكر الحديث، ونقرأ الحديث فننتذكر الآية، فقوله -صلى الله عليه وسلم- بعد أن خط خطوطاً في الأرض عن يمينه وشماله: **«هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ... وقرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به**

لكم تتقون) (2)

هذا من قبيل التفسير وعين الاستدلال والاستشهاد، وكل ما ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو مطابق غاية المطابقة لما قصده الحق سبحانه وتعالى من كتابه. وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم لا يخرج أيضاً عما سمعوا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فهم أبعد الناس قولاً في كتاب الله بما لم يسمعوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما كان فيه نصيب من الرأي أو التأويل فلم يبتعد عن الحقيقة، إذ فهم الصحابة للقرآن أقرب من فهم غيرهم له. وهكذا تمضي معظم استدلالات الصحابة وهي:

- إما النقل عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهذا في حكم المرفوع.

- وإما الاجتهاد بالرأي فيما فيه للرأي نصيب، وهم أقرب الناس إلى الصواب من غيرهم، فعندما يستدل عمر والعباس بأن الآيات **(اليوم أكملت لكم دينكم ... ديناً)**

(3) وإذ جاء نصر الله ... توأباً) (4) فيها أجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

فهذا من قبيل الاجتهاد المبني على القرائن الحالية، فوظيفة الرسول -صلى الله عليه وسلم-

1- الآية 44 النمل

2- الآية 153 الانعام / رواه أحمد والنسائي والدارمي والحاكم وغيره وه صحيح

3- الآية 3 المائدة

4- الآية 1 النصر

البلاغ، وما دام أنه أكمل وظيفته فالتفكير المنطقي ينص على أن رسالته اكتملت، وما دامت قد اكتملت فلا بد من الالتحاق بالرفيق الاعلى .

- ومضت حلقة التابعين على سنن الصحابة فكانوا يستدلون ولا يخرجون على :

أولاً : ما لديهم من آثار صحيحة.

ثانياً : ما سمعوا عن الصحابة وعلموا منهم.

ثالثاً : ما ترجح لديهم من اجتهاد.

المطلب الثاني : ظاهرة التباين في الاستدلال :

غير أن هذه القرون تلتها قرون أخرى لم يعصم أصحابها من الخطأ ولم يستنكفوا من القول على الله بما لم يقل، بل غلب الهوى على الحق، والرأي على النقل والابتداع على الاتباع ، واستمر الحال على هذا المنوال الى اليوم، وإن تخللت هذه الفترات دعوات تعود بالناس الى ما كان عليه السلف الصالح، فأحياناً ترجح كفة النقل على العقل، وأحياناً تتكافأ الكفتان، و أحياناً ترجح كفة العقل على النقل والاثر والاتباع.

والظاهرة الملحوظة هي التباين الذي يتفاوت خطره وضرره باعتبار الحال المستدل عليها .

كانت المباشرة مطلقة بين النصوص القرآنية والاحوال المستدل عليها عند أهل الفرق وأصحاب الاهواء ، وكون هؤلاء يذهبون الى معتقدات خاصة بهم ثم يخوضون في النقل للبحث عن آيات قرآنية والاستشهاد بها على هذا الحال، فإنه وإن ظهر التطابق الظاهري والوهمي فإن التباين هو الاصل ولا يمكن فهم هذه الحقيقة الا بالذكر ما تعلق بها من آيات. وأصحاب الاهواء يعتقدون ثم يستدلون.

فتفسير المعتزلة لقوله تعالى : (.. لا تدركه الابصار، وهو يدرك الابصار وهو اللطيف

الخبير)(1) مبين للحقيقة كل المباشرة. فقد نصت الايات القرآنية على الرؤية في الآخرة:

قال تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) (2). وقال في شأن الكفار: (ثم

انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (3) كما قال - صلى الله عليه وسلم - : «سترون ربكم

عز وجل كما ترون الشمس والقمر» (4). وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال الناس يا

رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «هل

تضارون في الشمس دونها سحب ؟ قالوا لا . فقال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر

ليس دونه سحب ؟ قالوا لا ، قال : فكذلك ترون ربكم يوم القيامة...» (4)

1- الآية 103 الأنعام

2- الآية 21 القيامة

3- الآية 15 المطففين

4- ابر سعيد الدارمي كتاب الرد على الجهمية ص 54/55

والآيات التي تمس من قريب أو بعيد أصلاً من الأصول الخمسة عند المعتزلة، نجدهم - في تفسيرها - يحاولون تطويعها لهذه المبادئ، وحتى لرؤيتهم الخاصة. وإذا ما تناولنا الآيات التي تطرق إليها الزمخشري في تفسيره والمتعلقة بالآيات التي تتحدث عن الصفات الإلهية، و أحوال الغيب والقيامة ، وعرضنا كل آية على ما ورد فيها من صحيح النقل وصريحه من الكتب المعتبرة من حيث صحة السند ونظرنا في متون الحديث الصحيحة في باب التفسير، وجدنا ظاهرة التباين المطلق واضحة ولا مجال للتقريب بين الحقيقة العلمية وما ورد في هذا التفسير ، والظاهرة تصدق على التفسير المعتزلي ذي النزعة العقلية والمذهب الاعتزالي.

المطلب الثالث : التباين عند الصوفية :

ومن التباين الصريح ما يزعمه بعض الصوفية في تفسيرهم سواء الاشاري أو ما يزعمون أنه من قبيل التجليات الربانية والفتوحات؛ فقد سئل أحد الصوفية عن قوله تعالى: (وايوب اذ نادى به اني مسني الضر) (1). فقال معناه: «ما ساني الضر» (2). وهذا مغاير ومباين لتعام الحقيقة اذ الصواب هو: (واذكر ايوب حين دعا ربه وقد مسه الضر والبلاء قائلاً يا رب اني مسني الضر وانت ارحم من رحمي) (3). وسئل بعض المتصوفة عن قوله تعالى: (الم يجدك يتيماً فآوى ...) (4) فقال: « معنى اليتيم مأخوذ من الدرة اليتيمة التي لا يوجد مثلها » (5) غير أن الحقيقة هي غير ذلك ، فالله تعالى يمتن على نبيه عليه السلام ، فيقول له واذكر يا محمد اذ كنت « لا أب لك، قد مات أبوك، فجعل الله لك ماوى تأوي إليه عند عمك أبي طالب فكفلك» (6). وهذا كثير في التفسير الصوفي الذي يذهب الى التأويل المغاير للحقيقة كل المغايرة : هذا فيما فيه إجماع بين المفسرين، أما ما هو محل اختلاف فالامر أعقد. فقد ذهب أحدهم الى القول : إن القرآن يبدأ بالبلاء في قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) (7) وينتهي بالسين في قوله تعالى : (سن الجنة والناس) (8) ، والحرفان يكونان كلمة «بس» بمعنى كفى ، «أي أن هذا القرآن كاف لا يحتاج الانسان معه الى غيره». (9)

1- الآية 83 الانبياء.

2- الشيخ خالد بن الرحمن العك : أصول التفسير وقواعد ص 214

3- القرطبي التفسير ج 20 ص 96

4- الآية 4 الضحى

5- الشيخ خالد بن الرحمن العك : أصول التفسير وقواعد ص 214

6- القرطبي التفسير ج 20 ص 96 . 7- الآية 1 الفاتحة

8- الآية 6 الناس

9- الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك : أصول التفسير وقواعد ص 216

وقد غالى بعض المتسرعين في هذا التفسير فظهرت أقوالهم مغايرة للحقيقة
ومجملت ظاهرة التباين في أقوالهم وتفسيراتهم واستدلالاتهم .
أمثلة ونماذج على ذلك :

الاستدلال على الصعود الى القمر بالاية : (يا معشر الجن والانس إن استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) (1) : فقد استدلوا بها على
ما توصل اليه العلم حديثا من غزو الفضاء ومحاوله الوصول الى الكواكب المختلفة، ف
«السلطان» عندهم يعني الاختراع، و «النفاذ» المقصود به الوصول الى هذه الكواكب
وبذلك يكون القرآن قد سبق العلم الحديث بدعوته الى غزو الفضاء. (2)
في حين ان هذه الاية تحكي عن المظاهر الكونية وأحوال الناس، ثم أن الجواب: (يوسل
عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) .

والقمر هو من الارض وهو تابع لها كما اثبت العلم ذلك، وقد تراجع بعض ممن كان يقول بهذا
القول - النفاذ الى القمر- لما علم أن الحقيقة مغايرة لما ذهب إليه. وقد كتب محمد جمال
افندي قائلا : «يظن كثير من الناس خطأ وقد -كنت منهم - أن قوله تعالى في سورة الرحمن
: (يا معشر الجن والانس... بسلطان) من دلائل انطلاق الانسان عبر الفضاء ولكن الحقيقة
عندما نفهم «أقطار» تماما نجد أن المعنى مغاير...» (2)

ومن هنا يتضح مدى التباين بين الحقيقة القرآنية ، وما يريد أن يستشهد به هؤلاء عن
قضية غزو الفضاء والنفاذ الى السماء والى الكواكب الاخرى.

ومن غرائب هذه الاستدلالات ما ذهب إليه بعض الناس من ادعاء

- أن القرآن نص على الاقمار والصواريخ حيث قال : (واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم
دابة من الارض تكلمهم...) (3) حيث ذهبوا الى أن المعنى من «الدابة» هو الاقمار
الصناعية وغزو الفضاء، ومنهم عبد الرزاق نوفل الذي رجح هذا الرأي فقال: «ألا تكون هذه
هي الدابة التي تنبأ القرآن الكريم في سورة النمل بها ؟» (4)

غير أن «الدابة» في اللغة اسم لكل من يدب ، وهي في الاية من علامات الساعة
الكبرى والسياق جعلها في اطار الشرط وجوابه فقد جاءت الاية: «اذا وقع القول...» وكان
الجواب «اخرجنا لهم...». كما وردت في الاثار الصحاح «الدابة» في علامات الساعة

1- الآية 31 من سورة الرحمان

2- عبد الغني الخطيب: أضواء من القرآن على الانسان ص 250 وما بعدها.

3- الاية 82 من سورة النمل

4- أحمد عمر ابو حجر : التفسير العلمي في الميزان ص 436/437/438 .

وقد غالى بعض المتسرعين في هذا التفسير فظهرت أقوالهم مغايرة للحقيقة وتجلت ظاهرة التباين في أقوالهم وتفسيراتهم واستدلالاتهم .
أمثلة ونماذج على ذلك :

الاستدلال على الصعود الى القمر بالاية : (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) (1) : فقد استدلوا بها على ما توصل اليه العلم حديثا من غزو الفضاء ومحاوله الوصول الى الكواكب المختلفة، فـ «السلطان» عندهم يعني الاختراع، و «النفاذ» المقصود به الوصول الى هذه الكواكب وبذلك يكون القرآن قد سبق العلم الحديث بدعوته الى غزو الفضاء. (2)

في حين ان هذه الاية تحكي عن المظاهر الكونية وأحوال الناس، ثم أن الجواب: (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصون) .

والقمر هو من الارض وهو تابع لها كما اثبت العلم ذلك، وقد تراجع بعض ممن كان يقول بهذا القول - النفاذ الى القمر- لما علم أن الحقيقة مغايرة لما ذهب إليه. وقد كتب محمد جمال افندي قائلا : «يظن كثير من الناس خطأ وقد -كنت منهم - أن قوله تعالى في سورة الرحمن : (يا معشر الجن والإنس... بسلطان) من دلائل انطلاق الانسان عبر الفضاء ولكن الحقيقة عندما نفهم «أقطار» تماما نجد أن المعنى مغاير...» (2)

ومن هنا يتضح مدى التباين بين الحقيقة القرآنية ، وما يريد أن يستشهد به هؤلاء عن قضية غزو الفضاء والنفاذ الى السماء والى الكواكب الاخرى.

ومن غرائب هذه الاستدلالات ما ذهب إليه بعض الناس من ادعاء

- أن القرآن نص على الاقمار والصواريخ حيث قال : (واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم...) (3) حيث ذهبوا الى أن المعنى من «الدابة» هو الاقمار الصناعية وغزو الفضاء، ومنهم عبد الرزاق نوفل الذي رجح هذا الرأي فقال: «ألا تكون هذه هي الدابة التي تنبأ القرآن الكريم في سورة النمل بها ؟» (4)

غير أن «الدابة» في اللغة اسم لكل من يدب ، وهي في الاية من علامات الساعة الكبرى والسياق جعلها في اطار الشرط وجوابه فقد جاءت الاية: «واذا وقع القول...» وكان الجواب «اخرجنا لهم...». كما وردت في الاثار الصحاح «الدابة» في علامات الساعة

1- الآية 31 من سورة الرحمان

2- عبد الغني الخطيب: أضواء من القرآن على الانسان ص 250 وما بعدها.

3- الاية 82 من سورة النمل

4- أحمد عمر ابو حجر : التفسير العلمي في الميزان ص 436/437/438 .

الكبرى. ففي «الجامع الصحيح»: «أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتهما، فالأخرى على أثرها قريباً.» (1)

والدابة من علامات الساعة الكبرى وقد أحجم العلماء عن القول فيها وإن ادعى كل فريق من المفسرين مواصفات خاصة لها حتى جمعوا كل ما جاء في صفة الحيوانات التي نص عليها القرآن، ولكن الأصوب هو الاحجام عن الحديث في أوصافها وأمارتها ما لم يرد النص النقلى صحيحاً ويقيني الدلالة في تبين ذلك؛ فإذا كان العلماء قد اجتمعا عن الخوض في مواصفاتها، فكيف يمكن حملها على الاختراعات والاكتشافات الحديثة مثل الاقمار الصناعية وغيرها؟ وقد ذهب هؤلاء المؤلفون مذاهب شتى حتى قالوا في قوله تعالى: (... غشاء أحوى) (2) بأن «غشاء أحوى» تعني الحجر الأسود، وهو الفحم الحجري، وقد ذهب إلى هذا القول عبد الرزاق نوفل لكن الغشاء هو الحشيش الأخضر الذي يميل إلى السواد. والقول أن هذه الآية تذهب إلى معنى الفحم الحجري (3) من قبيل التأويل المستبعد وأن الآية مغايرة تماماً لهذا المعنى، وظاهرة التفسير العلمي كثيراً ما تتسم بالتباين، وأن حقيقة هذه الآيات غير ما تذهب إليه الشروح المعاصرة والتي يسمي أصحابها إلى إثبات أن القرآن مطابق لحقائق الاكتشافات والاختراعات.

و ظاهرة التباين في الاستدلال متفشية بكثرة في كتب المتقدمين لاسيما أصحاب الأهواء والفرق الضالة، و البعيدة عن منهج السلف. و الظاهرة منتشرة بكثرة في كتب الثرات ومنها كتب التفسير المطبوعة بالطابع المذهبي، أو الفلسفي، أو الصوفي، و الإشاري ...

كما أن الظاهرة نفسها منتشرة بكثرة عند المتأولين للقرآن، و المستدلين به على الإختراعات و الكشوفات الحديثة. غير أن الظاهرة في جانبها الإيجابي برزت عند علماء مصلحين عبر مختلف العصور، و لا سيما الشائرين منهم على البدع، و الجرافات، و الشعوذة، و على الجمود، و الركود، و التبعية العمياء للغرب و على الإتكال و الفهم الغالط لقضية القضاء و القدر و هذا ما يتجلى في ظاهرة الإصلاح و عند العلماء المصلحين.

1- النووي: رياض الصالحين ج 2 علامات الساعة الكبرى 976 وما بعدها.

2- الآية 6 الأعلى

3- أحمد عمر ابوجبر: التفسير العلمي في الميزان ص 436/437/438.

المبحث الثالث

الاستدلال القرآني وظاهرة الإصلاح

المطلب الأول :

من خلال الاستدلال القرآني ، اتضحت ظاهرة الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي ، حيث نهض العلماء المصلحون الى تفسير القرآن مستعينين به على فساد أوضاعهم ، وكانت أهم هذه النهضات الإصلاحية ما أثر عن بعض الائمة المجتهدين في الدين من دعوة الى ضرورة الرجوع الى ما كان عليه السلف الصالح ، وردت عنهم عبارة : « لا يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها » .

وكان الائمة المجتهدين على اختلاف عصورهم لا يألون جهدا من أجل إصلاح أحوال الامة والناس بالقرآن والسنة .

ولكن هذه الظاهرة الإصلاحية تبلورت على يد المصلحين المتأخرين كمدرسة الإصلاح ، وإن كان لهذه الظاهرة أصول في حركة الائمة المتقدمين عنهم .

فقد قام تقي الدين ابن تيمية بشورة على الاوضاع المنحطة في الجوانب العقيدية والاجتماعية ، والتربوية .

فظاهرة الإصلاح عند ابن تيمية تعجلى في تأييده لمنهج السلف الصالح :

فقد كان في شرحه للعقيدة ، والفقه وأصوله ، يدعو الى ضرورة العودة الى ما كان عليه السلف الصالح . فهو يرى أن السلف الصالح هم خير الناس بعد الانبياء ، وأن أقوالهم وأعمالهم في العلم والدين خير وأفضل مما عند غيرهم . واتخذ ابن تيمية من كل هذا مادة علمية لتفسير المنهج الاصلاحى الذي تبناه ؛ فهو إذ يعلم العقيدة ، فإنما يكتفي باستقائها من القرآن مباشرة على منهج السلف الصالح : لان فيه وصف المعبود بحق بصفاته الواجبة الاتباع ، وفيه التوحيد الخالص والصادق ، وفيه ما أراد الله من عباده على مراده وكونه ينشر فهم السلف الصالح للقرآن ، وطريقه تعاملهم به وتعبيدهم به وكيفية تفسيرهم له ، يعني نشر الطرق المثلى لاصلاح أحوال الناس إذ لا صلاح ولا إصلاح إلا بما كان عليه السلف الصالح .

فالسلف أعلم وأفهم ومنهجهم وطريقهم أحكم ، فهم « فهموا الصفات الدالة على الذات خير فهم فآمنوا بما يجب الايمان به ، وغلبوا أدلة التنزيه ، وعلموا استحالة التشبيه وقضوا بأن الايات من كلام الله فآمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل . وهذا معنى قول الكثير منهم « اقرأوها كما جاءت » .

لقد قام ابن تيمية بحركة أصيلة حية جذرية شاملة في مجال العقيدة، وقد جسدت رسائله المختلفة هذه الحركة، وتحوّرت كلها حول الدعوة إلى الرجوع في فهم العقيدة كما فهمها السلف الصالح. وكانت استدلالات ابن تيمية في العقيدة - في مختلف الرسائل التي ألفها - عبارة عن استدلالات قرآنية مفسرة وفق منهج السلف الصالح، غير أنها تصب كلها في منهج إصلاحي، وتتسم بسمة الإصلاح.

أما في مجالات العلوم الشرعية، فقد قام ابن تيمية بحركة نشيطة وشاملة نحو تجديد علوم الشريعة، وتنشيط الفكر الإسلامي (1)

وقد ظهر هذا التجديد في تأليفه العديدة والمختلفة، وفي فتاواه ومناظراته. وقد كان تجديد العلوم الشرعية عنصراً أساسياً في الحركة التجديدية عند ابن تيمية؛ يقول أبو الحسن الندوي: «وقد غلب عليه التفسير إلى حد لا يخلو فيه أي كتاب من كتبه عن مواد التفسير والاستدلال بالآيات وتفسيرها، إنه لا يمر بآية إلا ويتناولها بالشرح والتفسير» (2) وعلى هذا النمط استمر ابن تيمية في منهجه الإصلاحي في كل المجالات.

واقطع تلميذه ابن قيم الجوزية طريقه في الإصلاح واتخذ من القرآن منهجاً وغاية، فكانت دراساته الإسلامية كلها تدور حول محور الإصلاح، وتجلت دعوته في: - الدعوة إلى العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح في العقيدة والشريعة والأحكام والآداب.

- التجديد والإصلاح وذلك بمقاومة البدع والشعوذة والخرافات والفرق الضالة والمارقة من الباطنية والزنادقة.

وما يمكن ملاحظته في المنهج المتبع عند ابن تيمية وتلميذه هو ظاهرة إصلاح أحوال الأمة بتجديد دينها والرجوع بها إلى ما كان عليه السلف الصالح. والأمر المشترك بين هذين الشيخين هو الكتاب والسنة وما دار حولهما من آثار السلف الصالح، والسمة البارزة عند هذين الشيخين في تفسيرهما القرآن الكريم واستدلالهما به هي:

فكرة الإصلاح: ومن ثم فكثير من الآثار والنصوص النقلية - قرآنية كانت أو حديثية - هي مفسرة وفق هذا المنحى إن تفسيرا أو تأويلا، ولا يعني هذا أبداً الذهاب إلى حمل الآيات والأحاديث على هذا المحمل دون إعمال نظر أو فكر.

والظاهرة نفسها وجدت عند الإمام الشوكاني؛ فقد عكف على القضاء على الظواهر السلبية في تصارع المذاهب أو العكوف على البدع والتقاليد وإتباع الضلالات

1- أبو الحسن الندوي، ابن تيمية ص 281

2- المصدر نفسه ص 283/284

العقيدية كاتخاذ الاضرحة والمزارات وزيارة القبور الى حد العبادة، والتقليد الاعمى للمذاهب، ومن ثم برزت الظاهرة في تفسير ابن القيم للقرآن وعند ابن تيمية من قبل، وتجلت بصفة أوضح وأدق عند الامام الشوكاني ومن جاء بعده.

وتفسير الشوكاني واستدلالاته القرآنية كلها تمحورت حول الدعوة الى ما كان عليه السلف الصالح؛ فتفسيره «الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرابة من التفسير» دعوة صريحة الى العودة الى ما كان عليه السلف الصالح، وثورة عارمة على البدع والخرافات والضلالات، والتقليد الاعمى للمذاهب.

كما أن «النيل» هو الترجمة العملية لمنهج السلف كما يراه الشوكاني اذ سعى فيه الى ابراز الفقه الاسلامي معتددا على الدليل من كتاب الله، وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقوال السلف الصالح، كما كان يأخذ من كلام الائمة الاعلام ويرد . و«نيل الاوطار» يمثل نظرة الامام الشوكاني لمنهج السلف الصالح الذي لا يمكن ادراكه من خلال تفسيره اذ لم يخل التفسير من بعض الهنات والمآخذ وإنما كان الغرض المتوخى من التفسير العودة بالامة في عقيدتها وفقهها وأخلاقها وآدابها الى منهج السلف الصالح، ومقاومة ما طرأ على هذه الامة من بدع وخرافات وتقليد اعمى وضلالات وذلك بالاستدلال بالقرآن الكريم والارشاد به الي ما كان عليه السلف الصالح . فعند تناول الايات المفسرة في «الفتح» أو المستدل بها على القضايا السابقة، تتضح الظاهرة الاصلاحية هادية المعالم.

ويمكن حصر الاستدلال عند الامام الشوكاني في :

أ - من الناحية الشكلية :

أولا : القرآن الكريم تفسيرا واستشهادا.

ثانيا : السنة النبوية الشريفة كبيان للقرآن الكريم .

ثالثا : آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلك منهجهم.

رابعاً : الاجتهاد المؤسس على الاصلين وآثار السلف الصالح، وما رجح لديه من آراء خاصة

ب- أما من الناحية المضمونية :

فقد تجلت الظاهرة الاصلاحية في مختلف مظاهرها والتي يمكن حصرها في الاتي :

أولا : الاعتماد على الكتاب والسنة، واعتبار ما عداها قابلا للاخذ والرد .

ثانيا : تنقية الدين الاسلامي مما لحق به من بدع وضلالات معتددا على مبدأ التوحيد .

ثالثا : رفض التقليد والدعوة الى التجديد وفتح باب الاجتهاد والدعوة الى اصلاح وضع

المرأة واصلاح أحوال المجتمع.

وقد ظهرت هذه الملامح من خلال تفسيره بصفة خاصة وفي آرائه الإصلاحية، وفي باقي مؤلفاته بصفة عامة.

فالشوكاني يكاد ينطلق من المنطلقات التي انطلق منها الشيخان تقي الدين ابن تيمية وابن قيمة الجوزية وإن اشتركوا جميعاً في الدعوة إلى الإصلاح وانصرفت جهودهم العلمية إلى ذلك، فاختلافهم إنما هو في العصر وما اعترض كل إمام من مشاكل.

الظاهرة الإصلاحية عند محمد بن عبد الوهاب : إذا ما تأملنا الظاهرة الاستدلالية عند محمد بن عبد الوهاب، فإننا نلاحظ أنها تدور حول المحور الإصلاحي؛ فكل تفسيراته القرآنية، واستدلالاته تدور حول الدعوة إلى إصلاح حال الأمة وذلك بالعودة إلى الإسلام في نقائه وصفاته زمن النبوة وعهد السلف الصالح. وحل أزمات الأمة في رأي محمد بن عبد الوهاب إنما يكون بالعودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإخلاص التوحيد لله في الربوبية، الألوهية، ونبذ الشرك وما أدى إليه من ذرائع وأسباب، وانكار التفسير الخرافي للدين وتأويل الضالين والمبطلين.

فمحمد بن عبد الوهاب يعتبر الباعث لافكار ابن تيمية وابن القيم الجوزية، وهو في مذهبه حنبلي، وقد سعى بكل هذا التراث إلى تجديد الدين والدعوة إلى إصلاح أحوال الأمة وإيقاظها من جمودها وغفلتها، غير أن دعوة هؤلاء جميعاً والتي ظهرت من خلال تفسيرهم للقرآن الكريم واستدلالهم به بصفة أدق كانت مقتصرة على تصفية الدين من الشوائب التي أصابت العقيدة كالخرافات والبدع وكرامات الأولياء، و من الزندقة وما ادعاه دعاة الباطنية من تأويلات وتفسيرات باطلة للدين واستدلالات بعيدة كل البعد وليس لها من سند علمي أو لغوي أو اثري، أو اجتهاد عقلي مقبول.

وكذلك انصرفت هذه الظاهرة الإصلاحية في الدعوة إلى نبذ التعصب للمذاهب وآراء الرجال، والاجتهاد في المجال الفقهي والعودة بالفقه الإسلامي إلى عهد السلف الصالح حيث يدور الحكم على الحجة والدليل الشرعي لا على التسليم والتقليد، ودعوا صراحة إلى الاجتهاد في الدين، وقد اجتهدوا في مسائل هامة كقضية الطلاق الثلاث في المجلس الواحد. ويكاد يكون القاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً هو :

العودة بالإسلام في عقيدته، وشريعته، وأخلاقه وأدابه إلى صفاته وعهده الأول أيام الرسول وصحابته والسلف الصالح قبل ظهور الخلاف المذهبي بين المسلمين. وهذه الدعوة الإصلاحية عادت للوجود من جديد على يد مصلحين كبار اشتركوا في المنهج السلفي حقيقة وعدوا منه غير أنهم اختلفوا في تطبيق هذا المنهج.

المنهج السلفي عند الافغاني ومحمد عبده : فالمنهج السلفي عند الافغاني هو: إصلاح العقيدة الاسلامية وتخليصها من بدع المبتدعة وتقليد أصحاب المذاهب، وأصحاب الافكار السلبية التي أخذت بالامة الى الجمود والركود.

وهو أيضا تحقيق رابطة سياسية تجمع المسلمين على صعيد العقيدة الدينية الموحدة (الجامعة الاسلامية). و جمال الدين من دعاة الاصلاح على أساس التصكك بمنهج السلف، والاجتهاد وفق أصوله فيما لم ينصوا عليه؛ يقول : «إن الفحول من الائمة اجتهدوا فأحسنوا . ولكن لا يصح ان نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن واجتهادهم فيما حواه القرآن ليس إلا قطرة من بحر، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده». (1)

وعلى هذا فجمال الدين الافغاني يرى أن باب الاجتهاد لايزال مفتوحا ، ولا أحد يقدر على غلقه ثم ان الائمة مهما محدثوا فلن يحيطوا بكل ما جاء في القرآن الكريم، وأن القرآن الكريم لايزال يحتاج الى من يعيد تفسيره ليكون زاد كل مسلم في حياته .

وهو يرى أن لا تناقض بين ما يدعو إليه القرآن، وما تم من اكتشافات علمية، فيقول :«إن الدين لايصح أن يخالف الحقائق العلمية ، فإن كان ظاهره المخالفة ، وجب تأويله . وقد عم الجهل وتفشى الجمود في كثير من المتردين برداء العلماء حتى اتهم القرآن بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة، والقرآن برىء مما يقولون، والقرآن يجب ان يجمل عن مخالفة العلم الحقيقي خاصة في الكليات» (2) فالنظرة الاجتهادية ، والتجديدية الاصلاحية باهبة من خلال تصريح جمال الدين الافغاني؛ فهو يرى:

مركزات الاستدلال القرآني عند الأفغاني :

- 1- أن الدين الصحيح لا يتعارض مع العلم والاختراعات العلمية
- 2- ضرورة تأويل الدين في حالة ظهور اي تعارض حقيقي
- 3- دعوى مخالفة القرآن للحقائق العلمية باطلة لا أساس لها من الصحة .
- 4- مطابقة حقيقة القرآن الكريم في كلياته ومقاصده لحقيقة العلوم والاختراعات . وجمال الدين الافغاني يعكس كل هذا في تفسيره القرآن الكريم والاستدلال به على ما يراه. وهو قليل الاشتغال بالتدريس على خلاف بقية العلوم كالمنطق والحكمة وتدريس التصوف.

نماذج من الاستدلال :

غير أنه من خلال تفسيره لبعض الايات، يتعرض للجانب العملي والتطبيقي من التفسير؛ يقول في قوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) ذلك بان الله لم يك

1- أحمد أمين : زعماء الاصلاح ص 113

2- المصدر نفسه ص 144

صغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) (1) تلك آيات الكتاب الحكيم،
تهدي الى الحق والى صراط مستقيم ولا يرتاب فيها الا القوم الضالون. هل يخلف الله وعده
ووعيده وهو اصدق من وعد وأقدر من أوعد؟ هل كذب الله ورسوله؟ هل أودع أنبياءه
وقلائمه؟ هل غش خلقه وسلك بهم طريق الضلال؟ نعوذ بالله! هل أنزل الآيات البينات لغوا
وعبثاً؟ هل افترت عليه رسله كذباً؟ هل اختلقوا عليه إفكاً؟ هل خاطب الله عبده برموز
لا يفهمونها، وإشارات لا يدركونها.. هل دعاهم إليه بما لا يعقلون؟ نستغفر الله! أليس قد
أنزل القرآن عربياً غير ذي عوج، وفصل فيه كل امر وأودعه تبياناً لكل شيء... تقدمت
صفاته وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً...» (2)

فجمال الدين في تساؤلاته يعكس نظرة الناس للقرآن وواقعهم وتعاملهم مع القرآن الكريم،
كما تعكس هذه التساؤلات نظرة جمال الدين الإصلاحية لواقع الأمة وكيفية النهوض بها.
وهو في استدلالاته القرآنية، وتفسيراته بنبه الى سنن الله في الكون وفي الحياة وفي
الاجتماع، ويذكر بأسباب النهوض والانحطاط في الامم.
مركزات الإستدلال عند محمد عبده :

والظاهرة الإصلاحية نفسها عند محمد عبده، فهو الترجمة العملية لافكار وآراء ونظرات
جمال الدين؛ والتي تحورت حول :

أولاً : تحرير العقل من قيد التقليد (أي تقليد أرباب المذاهب) وفهم الدين على طريقة
السلف، قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه الى منابعه الاولى واعتباره ضمن
موازن العقل البشري.

ثانياً : إصلاح أحوال الأمة ضمن موازين العقل البشري والقرآن الكريم وما فيه من
مقومات الإصلاح في النواحي العقيدية والاجتماعية والسياسية...

وقد انعكس كل هذا في تفسير محمد عبده واستدلالاته بالقرآن في مجالات الحياة المختلفة
اذ يمثل القرآن عنده الوسيلة الاساسية والرئيسية في اصلاح الفرد والمجتمع . وقد تجلت
آراؤه في العقيدة والفقہ والاخلاق والاداب الاجتماعية وسنن النهوض والازدهار في
تفسيراته للآيات واستدلالاته.

1- الآية 11 الرعد

2- جمال الدين الافغانى: العروة الوثقى ص 169

الإستدلالات القرآنية و الظاهرة الإصلاحية :

وبرزت النزعة العقلية التجريدية عند محمد عبده من جديد ، فتطرق لتعضايا خاض فيها القدماء من معتزلة وجبرية وجهمية ليعيد مناقشتها والفصل فيها ، نابذا العقلية الاتكالية والاعتقادات الفاسدة التي راجت في الاوساط الاسلامية بفعل بعض جهلة الصوفية، وبعض المتديبين ، يقول : « جاء القرآن الشريف وهو الكتاب المنزل للاسلام ، يعيب على أهل الجبر رأيهم وينكر عليهم قولهم (لو شاء الله ما اشركنا ولا ابأؤنا ولا حرمنا من شيء) (1) بقوله (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون إلا الظن وإن انتم إلا تخرصون) يقول : واثبتت الكسب والاختيار في نحو أربع وستين آية و ما جاء به مما يتوهم الناظر فيه ما يخالف ذلك، فانما جاء في تقرير السنن الالهية العامة المعروفة بنواميس الكون كما في آية (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) الخ... ونحوها » (2) فأهم خصائص سلفية الشيخين تتمثل في:

1- الانعكاس على الواقع ومعالجته وفق السنن التغييرية المبثوثة في ثنايا القرآن الكريم واجلاء الغموض والعوارض التي رانت عليها من جراء الفهم الغالطة والثقافات القديمة التي ظلت مرتبطة بها، و الاراء والاهواء التي افسدتها وحالت دون صلاحها .
- سنن النهوض والرقى والازدهار ، والتي أخذت بها الامم فنهضت وارتقت والتي هي نواميس الحياة وأسرار التقدم والازدهار والرقى في الجماعات والافراد ولم تغب عن السلف الصالح .

ظاهرة الاستدلال عند الاصلاحيين:

كل هذا عكس النظرية الاصلاحية عند السلفيين المحدثين امثال جمال الدين ومحمد عبده ومن سار على دربهما من المفسرين والعلماء المصلحين.وقد تجلّت هذه الظاهرة في تفسير «المنار» الذي هو في معظمه املاءات محمد عبده وتحرير رشيد رضا . ويمكن عزو أهم الاراء النهضوية والاصلاحية الى جمال الدين في اصولها ومنطلقاتها العامة، غير أن بصمات رشيد رضا في هذه النظريات واضحة المعالم، فهو اكثر تشبها بالنصوص الثقيلة من سابقه؛ يقول : «علم مما تقدم ان المسائل الدينية المحضة وهي العقائد والعبادات والحظر أو الاباحة تؤخذ من نصوص القرآن وبيان السنة لها بالقول أو العمل ، على الوجه الذي كان عليه الصدر الاول من الصحابة...» (3)

1- الآية 148 الانعام

2- محمد عبده : الاسلام دين العلم والمدنية ص 70/69

3- محمد رشيد رضا : تفسير المنار م 7 ص 198

وعلى هذا الاساس سار في تفسيره واستدلاله بالقرآن الكريم في المنار أو في بثينة
مؤلفاته . فكانت نظرتة الاصلاحية مبنية في اصول الدين والعقيدة والتشريع والاخلاق
والاداب- على ما كان عليه السلف الصالح.

أما فيما يخص النهوض والازدهار والتقدم والرفق، فلا بأس من الاقتباس والابتكار
واقساح المجال للعقل لبيدع ويخترع؛ فهو يرى أن «القرآن لا يعارض البتة فكرة المعرفة التي
تتم عن طريق العقل المدبر والعلوم التجريبية الصحيحة للذين كانوا اساسي النهضة
الاسلامية قديما والنهضة العلمية الاوروبية في العصر الحديث»..(1)

وما يمكن الوصول إليه بين مختلف رواد الاصلاح ودعاة السلفية المعاصرة هو أن النظرية
المشتركة بينهم إنما هي النظرية الاصلاحية ، فقد تعاملوا وفقها مع القرآن الكريم، إذ كل
اجتهاداتهم في التفسير أو الاستدلال تحكمها نظرية الاصلاح.

مأخذ على بعض جوانب النظرية و أثرها على الاستدلال :إن كان ثمة من
مأخذ على هذه الظاهرة، فإنما هي في المغالاة، وفي تمجيد العقل واستعماله عند جمال
الدين الاقناني وبالاخص عند محمد عبده حتى أدى به التأويل الى ظاهرة التباين، فرسل
الى حد القول بأشياء لم ترد عن السلف ولا يرضاه الخلف ممن يلتزم بضوابط التأويل
والتفسير كقوله في : (توهيهم بدجاة من سجيل فجعلهم كصفا حاكول...) (2) بأن
ما في الحجارة إنما هو جرائم وعند اصابتها الجسم يعتربه مرض... وهذا مخالف لصحيح
المنقول وما اجتمع عليه سلف الامة.

وكذلك في كلامه في مسألة «الجن» ومسائل اثرت عن الامام وردت عليه وهي من ضمن
ظاهرة التباين في الاستدلال بالقرآن الكريم وفي تأويله.

والاثر الذي تركته هذه المدرسة الاصلاحية في علماء العالم الاسلامي معلوم إذ اقتفى
أثرها كثير من العلماء ومنهم المصلح عبد الحميد بن باديس وكان في منهجه الاستدلالي
بالقرآن الكريم على هدى السلف الصالح ، وفي جانب الاجتهادي على هدى المدرسة
الاصلاحية المعاصرة.

ورغم ما تعرض له من اضطهاد كبير من قبل الاستعمار الفرنسي البغيض ومن سار في
ركابه من الطرقيين والصلاة، فإنه لم يقع في ظاهرة التكفير. ورغم ما رأى من ضعف الامة
وانحطاطها وسريان الجهل فيها، فلم يأس من اصلاحها، ولا بهره ضراء الحضارة الاوروبية ،

1- محمد الصالح المراكشي: تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، ص 223

2- الآية 5 الفيل

فقال بما قال به الاستاذ محمد عبده رشم اجلاله للاصلاحيين من عهد محمد عبده الى جمال الدين وتلامذته.

والحق أن الظاهرة الاصلاحية سمة دعوية أكثر مما هي حالة علمية نابعة من أدلة نقلية وعلمية، وهي من شعار العلم الذي نفس عليه السلف السالح، لكن هذه الظاهرة كان لها الحضور العملي المكثف في استدالات العلماء عبر العصور وفي مختلف الاقطار، حتى لتكاد تكون القاسم المشترك بين الائمة المجتهدين والدعاة والمصلحين.

إن كانت ظاهرة الإصلاح، والتباين، والتكفير من معطيات الإستدلال عبر مختلف العصور، وفي مختلف الموضوعات وعند مختلف الفئات والجماعات فإن هذه المعطيات جاءت نتيجة طرائق إستدلالية محكومة بضوابط سبق أن أشرنا إلى الكثير منها في ثنايا الفصول والمباحث ومجملها فيما يأتي .

المبحث الرابع

ضوابط الاستدلال بالقرآن الكريم

المطلب الأول :

أ-القرآن كلام الله، وهذه عقيدة من عقائد المؤمنين ومن هذا المنطلق يكون الايمان بما يأتي:

- إلهية هذا الكلام : فمصدر هذا الكلام إنما هو الوحي الالهي : وهو من الله سبحانه وتعالى فيتأسس على هذا الكثير من الاعتقادات منها :
أنه فيه صفات : الجمال ، والكمال ، والجلال...

ومن مستلزمات الكمال، أن هذا الكلام كامل من حيث الدلالات والمعاني والاساليب أن فيه كل مقتضيات البلاغة .

ومن مقتضيات الاعتقاد في إلهية هذا الكلام أنه آية في الجمال والروعة، وأن جمال اللفظ فيه يفوق أي جمال في أي لفظ كان من كلام الانس والجن معا. كما أن جمل معانيه فاق أي جمال عرفه المتذوقون للجمال، المدركون لحقائق أسراره.

ومن مقتضيات الاعتقاد في قداسة مصدر القرآن الكريم وفي كونه من عند الله التوقير والتعظيم، ومن توقيره إجلاله وتقديسه؛ وقد وردت نصوص كثيرة تدعو الى ذلك صراحة .
والعقل السليم يقتضي بدهة تقديس هذا الكلام بتزويده عن كل مالا يليق به من النعوت أو الاوصاف أو بمقارنته بكلام البشر.فكون القرآن من الله ، يعني إرجاعه الى الله، والى من نزل عليه هذا الوحي، ووصفه بما وصفه به الله ورسوله .

والله سماه رحيا : (وكذلك اوحيينا إليك قرآنا عربيا)(1)

وسماه تنزيلا : (وإنه لتنزيل رب العالمين ..) (2)

وسماه قرآنا : (وكذلك انزلناه قرآنا عربيا ...) (3)

وسماه قولا فصلا : (إنه لقول فصل وما هو بالهزل)(4)

ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - سماه كلام الله وسماه الوحي وكتاب الله القرآن الكريم كما دلت على ذلك الأحاديث و السنن و الآثار.

فعلى هذا الاعتقاد والتصور يتم التعامل مع القرآن الكريم بأدب خاص وتعامل متميز وهذا

1- الآية 7 الشورى

2- الآية 192 الشعراء.

3- الآية 113 طه

4- الآية 13 - 14 الطارق

يجعل كل مستدل بالقرآن الكريم يدرك مدى هذه الخصوصية ، فيقدر لها قدرها ويتقي الله في نفسه فلا يقع في التقول على الله ، اذ الاستدلال بالآية في غير مراد الله تقول . وقد قال الله تعالى في حق نبيه : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين) (1) فإذا كان هذا في شأن نبيه ، فإنه في حق غيره من باب أولى . والتقول يكون بزيادة اللفظ كما يكون بتحريف اللفظ عن المعنى المراد له . وقال عليه الصلاة والسلام . « من قال في القرآن بما لا يعلم فقد تقول على الله ... » (2) وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز لاحد أن يقول في القرآن إلا اذا علم علم القرآن ، وهذا الذي يستدل بالآية القرآنية ، ويستدل بالقرآن فإنما هو في بعض الحالات يفسر الآية على وجه من الوجوه . ويحاول أن يطبق الآية على مقتضى الحال إن تمثلاً أو إستشهاداً . كما يستنبط العظات والاحكام والحكم وكل هذه الحالات تساهم في تفسير القرآن وكان القائل يقول : وهذا من مرادات الآية أو مراد الله تعالى من قوله... فإذا كان الوجه الذي حملت عليه الآية غير ملائم ، والحال التي استشهد فيها بالآية غير موافقة ، والاستنباط تحميلاً للآية مالا يحتمل فإن هذا كله تقول على الله .

الضابط الاساسي في العملية الاستدلالية : وخلاصة كل ما سبق أن الضابط الاساسي في عملية الاستدلال هو الاعتقاد في إنفراد هذا الكلام بخصيصة المصدر (المصدر الإلهي : الوحي) وأن هذا التميز يجعله يقاس بمقاييس مغايرة لمقاييس كلام البشر .

كما أن هذا الاعتقاد يجعل المتعامل مع القرآن في غاية الحبيطة والحذر ، إذ كل تحميل للآية ، ينافي حقيقتها يعني الكذب على الله ، وعلى رسوله فتشتد الغربة ويعظم الخطب وينتج عن هذا رد الامر الى مصدره الصحيح : (...ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم...) (3) ورده الى الرسول يعني رده الى مصدر الوحي ، اذ النبي هو المبلغ عن ربه وعليه أنزل القرآن وهو الذي يعلم تفسيره ، وتأويله .

ضوابط اخرى في عملية الاستدلال: فالذي يحكم الاستدلال القرآني إنما هي الضوابط النقلية المستنبطة من القرآن ذاته ومن السنة النبوية الشريفة ، ومن أقوال العلماء المعتد بقولهم وعلمهم ، فيكون ترتيب هذه الضوابط :

1- ضوابط قرآنية .

1- الآية 44 الحاقة . وما بعدها .

2- أخرجه أبو داود في سننه 24 كتاب العلم باب الكلام في كتاب الله بغير علم بلفظ من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار .

3- الآية 83 النساء .

2 ضوابط سنّية .

3- ضوابط من أقوال العلماء .

1- فالحاكم لهذا الاستدلال (الاستدلال القرآني) إنما هي الضوابط العلمية. فالقرآن تضمن معارف وحقائق وعلومًا. فحقائق القرآن ومعارفه وعلومه من ضوابط الاستدلال، فإذا علم المستدل هذه الأمور، والتي لا تفهم سور وآيات كثيرة من القرآن إلا بها، تيسر له الفهم ووفق في الاستدلال. فمعرفة المكي من المدني والناسخ من المنسوخ، والمحكم من المتشابه... وعلم الآية وما تعنيه من دلالة قريبة أو بعيدة... إذا علم المستدل هذا وفق في الاستدلال.

2- والسنة قاضية على القرآن فقد قال تعالى: (انزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم...) (1) فالسنة إن في القول أو العمل أو التقرير وحتى الصفات (الشعائل) من ضوابط الاستدلال لان الله تعالى أعطى- نبيه صلى الله عليه وسلم- مهمة تبيان القرآن للناس، فبينه بقوله (أحاديثه) كما بينه بفعله وبينه بتقريره، وحتى بشعائله وصفاته.

وبين الكثير من ألفاظه كما بين الكثير من معانيه إن في تفسيره أو في قائله واستشهاده، أو في استدلالاته أو في الأحكام والحالات؛ فادراك هذه الحقائق العلمية التي جاءت بها السنة عامل أساسي في الاستدلال وضابط من ضوابط الاستدلال.

3- أقوال العلماء : إن أقوال العلماء ومذاهبهم في التفسير والتأويل والاستنباط هي الأخرى عامل أساسي في فهم حقيقة الاستدلال إذ إسناد آية الى قول عالم تأويله يكون أنجى وأنفع ، فقد كان مالك رضي الله عنه يقول : « سمعت أهل العلم يقولون في كذا ، وكذا وكذا » ثم أن هذا الإسناد يعني تحقيق قوله تعالى : (ولو ردوه الى... أولي العلم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم...) (2) فالعلماء هم أولوا الأمر، وهم الراسخون في العلم، ورد الأمر إليهم يعني رده الى مرجع علمي فيه ثقة .

فلاستدلال تحكمه هذه الضوابط.

1- ضوابط قرآنية

2- ضوابط سنّية

3- ضوابط من أقوال العلماء.

ضوابط فرعية أخرى : وتتفرع هذه الضوابط العامة الى قواعد ومقاييس سواء في الحقائق العلمية أو الدلالات اللفظية، أو دلالات المعاني.

ويعتبر هذا الرصيد التر العامل الأساسي في توجيه عملية الاستدلال وإحكامها وإن كان ثمة من إختلاف- وهو كائن لامحالة - فإنما يعود أصلا الى :

- 1- اختلاف من حيث حصر هذه المعارف والعلوم ، إذ لا يمكن أن يجمعها أي أمرىء منهما كانت قدراته ، فيعلم أموراً وتغيب عنه أخرى.
- 2- تفسير هذه النصوص، إذ أن هناك من النصوص ما تقبل في أصلها ومادتها التأويل، وذهب كل فريق الى وجه من الوجوه لقرينة راسخة عنده، لا يلزم بالضرورة الفريق الثاني لتبعه. و الحق أن هذا الاختلاف هو محل اجتهاد ومن ثم فهو محل عذر، ولا ينقص من قيمة الضوابط السابقة، فهي بمثابة القواعد وبما علم ضرورة أن لكل قاعدة استثناءات . وحتى هذه القضايا الخارجة عن الضوابط، -في حد ذاتها- تتحول الى قوانين إذ الاطلاع عليها وحفظها يعين على عملية ضبط الشاهد، او ضبط الاستدلال؛ فإذا قلنا ذهب العلماء في الاستدلال على حجية القياس بقوله تعالى (فاعتبروا يا اولي الابصار...) (1) وخالفهم غيرهم إذ رأى أن هذه الآية خاصة وهي في الحديث عن إجلاء يهود بني النضير و هو إجلأؤهم الأخير . فهذا يجعل المستدل على دراية برأي المخالف ورأي المخالف إذا كان ممن يعتد بخلافه هو الآخر من القوانين التي يستأنس بها.
- ب- القرآن وحي : علم الله نبيه الكريم بالوحي ما لم يمكن يعلمه من قبل . علمه بالقرآن ، وبالسنة (احاديثه ، أقواله ، أفعاله ، تفريراته) ، وما ألهمه من احاديث قدسية . فقد شمل القرآن الكريم كما شملت السنة، وكذلك الحديث القدسي علومها ومعارف . فالرسول- صلى الله عليه وسلم -لا يتكلم من تلقاء نفسه ولا يأتي بشيء من عنده قال تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى...) (2)
- فالقرآن وحي الله باللفظ وبالمعنى مع الاعجاز والتحدى وهو المتعبد به - والسنة من الله تعالى : بالهام النبي- صلى الله عليه وسلم - إياها ليحقق قوله تعالى : (وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم...)
- والحديث الرباني من الله في معناه ومن الرسول - صلى الله عليه وسلم - في لفظه ومبناه . والوحي هو الاعلام من الله لنبيه على وجه مخصوص إن بالملك أو بغيره . وقد حفظ الله وحيه وصريح التنزيل بذلك ليكون حجة للناس وعلا قال تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين...)
- اننا من نزلنا الذكر واننا له لحافظون** (3) وقد تضمن هذا الوحي: أخباراً، وحكماً وأمثالاً، ومواعظ وقصصاً وأوامر ونواهي، وكلها من الله، فمنها:

1- الآية 2 الحشر

2- الآية 3 / 4 النجم

3- الآية 9 الحجر

ما جاءت منه على السنة رسله وأنبيائه وعباده.

- ما جاءت على السنة الملائكة أو الجن ، أو الشياطين.

- ما جاءت استنطاقا لبعض الكائنات سواء أكانت حيوانية، أو نباتية أو جمادية أو شيئا آخر وكل هذا من الله لفظا ومعنى وهو على السنة خلقه وفق حالات معينة لحكمة اقتضتها المشيئة الالهية.

وعند النظر الى هذه الايات نظرة عامة وعابرة، نجدها تعكس من جاءت على لسانه . وهذا يعني أنها حكاية عن ذلك الكائن ، فلا يعقل أن يمثل بها وفق ظاهر الحال، بل تقرأ على أنها حكاية من الله على لسان ذلك الكائن. فمهما اختلف اللفظ الدال على ذلك فإنها صادرة عن اللات الالهية فقد يكون اللفظ صريحا كقوله تعالى: إني ... أنا، كوني، قلنا، وما دل على هذا المعنى سواء في الحروف أو الاسماء أو الأفعال ، أو الالفاظ المركبة.. أو في الاشارة الموحية أو في الدلالة الصريحة الفصيحة أو في السياقات الموحية مثل فسبحان الله، تعالى... الخ.

محظورات الاستدلال : فلا يعقل التحمل بهذه الصيغ والدلالات والاحوال، لأنها صادرة عن الله سبحانه وتعالى. ولا يصح أن تورد إلا حكاية أو تعبدا فلا يعقل أن يقول القائل (إني سمعنا منكم ما سمعنا...) (1) وإن وردت عن بعض الحكماء في توقيعاتهم أو بعض الصوفية في شطحاتهم فقد كتب عبد الملك بن مروان (2): توقيعا ثم ذيله بقوله تعالى : (إن علينا إياهم ثم إن علينا حسابهم) (3) وما نسب الى الخلاج من قوله : «أنا الحق»، «سبحاني» ما أعظم شأنه... (4) وهذا وارد في الثقافة الاسلامية إن في الخطب أو في الكلمات، أو توقيعات الملوك والحكام، وشطحات بعض الصوفية، وإن كان الصوفية يحصلون ذلك على محامل شتى منها ما يعتبرونه من التجليات ومنها ما يعتبرونه من الرموز ذات الدلالات الصوفية غير أن بعض الدارسين والباحثين يردون هذا الى نظريتي.

1- مذهب الانحاد عند الصوفية.

2- مذهب الحلول والفناء عندهم.

وهذا الفهم إن كان عقيدة فهو لا يزدي الى خطأ في الاستدلال فحسب لان هذه المعاني دخيلة

1- الآية 45 طه

2- الزركشي البرهان في أحكام القرآن : السيوطي ، الإتيان ج 1 ص 315

3- الآية 26 العاشية

4- طه عبد الباقى سرور : الخلاج ص 134

على الثقافة الاسلامية، وعلى التصوف الاسلامي بل يكون هذا الاعتقاد بدعة في الدين وحلالة. وقد صنف العلماء كتباً للرد على هذه الضلالات والاطحاف. كما فعل ابن الجوزي في بعض فصول كتابه «تيليس إبليس» (1).

المطلب الثاني: طوائف الاستدلال :

نكل ما جاء في القرآن الكريم على صيغة معينة أو حال معين، يمر كذلك بدون تحصيل لمعنى غيره أو تأويل أو تمثيل بل يتبني أن يمرر كما جاء في اللفظ ليؤدي الى المراد. و الاستدلال بهذه الايات ونظائرها يتمضي بداهة حكاية الموضوع قصد الابلاغ للعبارة والاعتماظ، ولا يكون أبداً قصد التمثيل. وقد جاءت بعض الخطابات من هذا القبيل ولكنها لا تمنع ظاهراً من التمثيل بها: فقد قال تعالى: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة» (2) فسمع ابو حنيفة النعمان رجلاً يقول لصاحبه: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة...» فنهزه عن ذلك بقوة. إذ المخاطب (بكسر الطاء) هنا هو الله ، والمخاطب (بفتح الطاء) هو نبي الله يحيى ، والمراد في الخطاب المرجح الى يحيى : «وهو اخذ الكتاب بقوة...» أي خذ التوراة بجد واجتهاد. قال مجاهد : أي العلم به والحفظ له والعمل به ، وهو الالتزام لاوامره والكف عن نواهيه قاله زيد ابن أسلم (3) يقول عبد الوهاب النجار (4): «وقد كان يحيى على أكمل أوصاف الصلاح والتقوى من صباه» وقد قال الله تعالى : «وانينا الحكم صبياً» والظاهر أن الله تعالى رزقه الاقبال على معرفة الشريعة حتى صار عالماً بها في صباه» (1) والحقيقة ان وجه المطابقة يعيد كل البعد ها هنا.

والحالة الاولى هي : الله يخاطب نبيه يحيى في أخذ الكتاب « التوراة » بقوة.

والحالة الثانية : شخص عاد يخاطب شخصاً مثله صادف اسمه (يحيى) في كتاب معين.

فكان الاستدلال ها هنا باطلاً لانه قياس مع فارق كما يقول أهل الاصول، ولو قصد المتحدث موضوع الجهد والاجتهاد لما كان في القول أي عيب وصلاح النص لموضوع الاجتهاد أقرب الى غيره . فالقطع من الاية يا يحيى... «خذ الكتاب بقوة» بوجهي بالجهد والاجتهاد وهذا إن كان السبب خاصاً فالمعنى عام ويصح توجيهه الى أي مخاطب «بفتح الطاء» ونظير هذا كثير في القرآن كقوله تعالى لداود عليه السلام. (ان اصعب سابقات «وقته في السود» (5) فجملة قدر في السرد تعني اتقان العمل واتقان العمل دعوة موجهة

1- ابو الفرج احمد بن جوزي: تيليس إبليس ص 290. 2387. ط 1368. ادارة الطباعة، دار الرائد العربي.

2- الآية 11 مريم

3- ابو عبد الله القرطبي: الجامع الاحكام القرآن ج 11 ص 86

5- الآية 11 سبأ

4- عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء ص 299 ط

لكل عامل: قال عليه الصلاة والسلام: إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.
فاذا ما استشهد مستشهد بهذا النص فلا ضير في ذلك وبحسن القول لو تساق
القصة كاملة على وجه الاستدلال، كأن يقال: كما قال الله تعالى لنبيه الكريم في
موضع الاتقان (... وقد قرئ في السرد).

وكثيراً ما نجد الآيات القرآنية تصدر بـ «وأذكر» أو «اذ» أو ما شابه هذا بما يوحي بأن
إيراد الحدث أو الخبر أو القصة إنما هو للاعتبار والاتعاظ فتكون - وقتها - الحال كلها محل
شاهد أو استشهاد. وهذا ضرب من ضروب الاستدلال، فالاستدلال هنا بالقصة، بالخبر،
بالخاتمة على معنى معين كقول تعالى: (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو
خصيم مبين وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم) (1) فهذه الحال
المتضمنة في انكار الجاهل للبعث والنشور استدلال على بطولاتها وصحة نقيضها بحال أخرى
تمثلت في قوله تعالى: (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) عظام نخرة
يستشهد الجاهل الكافر خلقها ثانية خلقها ممكن من باب أولى. وهذا يعني أنها كانت عدماً
فأوجدها؛ فمن باب أولى وأخرى أن يعيدها للوجود كما أوجدها من قبل وهي من عدم.
3- والضابط الممكن استخلاصه من كل ما سبق أن الله تعالى في عليانته وجه أقوالاً
وخطابات، وحكى أقوالاً وخطابات، وأخبر بأخبار معينة وجرى بينه وبين خلقه ما جرى فكل
ما يتعلق بهذه القضايا من مسائل إيمانية تتعلق بالذات الإلهية أقوالاً وأعمالاً وذاتاً، دلت
القرينة اللفظية أو الحالية أو السياقية على ذلك، فإنه لا يجوز الاستدلال بذلك في صريح
اللفظ أو في إبحاثه، وإنما بصرف النص إلى حقيقته إن في الدلالة أو الإيحاء. وإن كان
لا بد من استدلال، فإنما هو حسب ما يقتضيه الشرع من اتعاظ أو عبرة أو كمال اعتقاد أو
ما تدرج ضمن هذا. وأن ما تعلق بالانبياء من وصف للذات أو للصفات أو للأقوال وما دار
بينهم وبين الخصوم، فإنه من خصوصياتهم وإن كان ثمة من استدلال بهذا فإنما هو على
صفاتهم الواردة في القرآن والصحيح من السنة من مثل الصدق والامانة والذكاء والفظانة
والتبليغ وما إلى ذلك، والحال الذي جرى بين نبي وقومه عبرة فلا يعقل أن يقال ما جرى بين
الداعية فلان وقومه كالذي جرى بين النبي فلان وقومه إذ المشابهة مستبعدة والحال غير
الحال، فالانبياء مصطفون أخيار ولا يرقى إلى درجتهم أحد إذ مما علم في العقيدة ضرورة أن
الانبياء خير خلق الله وهم المصطفون الأخيار وهم منزهون عن كل ما يقدح فيهم؛ قال تعالى
(سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين) (2) وإنما تستخلص من حيوات

1 - الآية 77 - 78 من

2 الآية 180 المسافات

الانبياء عظات وعبر كالصبر والثابرة والابتلاء والفتنة .. والانتصار بعد الامتحان وهكذا وهذه الاحوال ممكنة في غير حق الانبياء، لكن مهما أوتوا فلن يصيروا إلى ما وصل اليه هؤلاء الانبياء لان الاصطفاء يقتضى هذا ضمنا وقد قال عليه الصلاة والسلام .. : « ان الله يبتلى الانبياء ثم الامثل فالامثل * »

وفي القرآن الكريم الآيات الكثيرة التي تتحدث عن الانبياء وصفاتهم وأعمالهم وأقوالهم، وتعرض ما جرى بينهم وبين أقوامهم، وتذكر رسالاتهم أو جوانب منها حسب ما تقتضيه الحكمة الالهية من حيث التلميح والاشارة أو التصريح والاسباب في قصة ذلك النبي -عليه السلام- ويمكن فضلا عن تثبيت فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم- (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك.) (1)، ووعظ

المؤمنين وتعليمهم بسرد احوال السابقين: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الالباب ..)

(2)، يمكن استخلاص عبر يكون بمثابة سنن اجتماعية للبشر كان يفهم أن لا نصر الا بعد أخذ الأسباب، ولا نصر الا بعد ان يحين أوانه وقس على هذا فموضوع الهجرة مثلا يكاد يكون سنة في حياة الدعوات فأكثر الانبياء هاجروا والاستدلال على موضوع الهجرة ممكن ونظائر هذا الموضوع كثيرة لكن يؤخذ على الاستدلال بماورد في حق الانبياء والرسول أمور منها.

1 - أن لا يسلب الاستدلال النبي المذكور خصوصية الإصطفاء ، وألا يقدر فيه ولا يمس خصوصياته المتفق عليها.

2- أن يكون الاستدلال فيهما فيما أقرته رسالة الاسلام الخاتمة ويندرج تحت قوله تعالى : (اولئك الذين هدانا الله، فبهداهم اقتده) (3) . وعلى هذا سار السابقون ووفق هذه الضوابط كانت استدلالاتهم.

أما الملائكة والجن والشياطين وما اندرج تحت عالم الارواح فيمكن ان يكون ما ورد من النصوص القرآنية في شأنهم على ضربين.

أ- ما تعلق بماهيتهم أو بأفعالهم وأقوالهم وصفاتهم الخاصة.

ب- ما تعلق بما اشتركوا فيه مع غيرهم كالعبادة والعمل مثلا.

-الملائكة تعبدهم الله وجعل عبوديتهم على طريقة خاصة والغاية خاصة.

-والجن والشياطين سألهم الله تعالى توهيده وعبادته وكلفهم .

-والانس استخلفهم، واستعبدهم.

* الترمذي، سنن الترمذي، باب الزهد.

1- الآية 120 هود

2- الآية 111 يوسف

3- الآية 90 الانعام

وإن اختلفت هذه الحقائق عن هذه الاصناف ، من حيث الماهية والكيفية ، فلا تختلف من حيث العسفة والغرض. وقد جاءت النصوص الكثيرة تصف هذه الحقائق وماشابهها من نظائرها عند الملائكة وفي عالمهم وعن الجن وعند الانس هم الآخرون في عالمهم. فما خرج عن الخصوصية المتعلقة بالكيف والماهية هو ممكن في الاستدلال عند مختلف المخلوقات ولمختلف الحالات. فالحديث عن أفضلية الانس عن الملائكة والاستدلال على ذلك بسجود التحية الذي أمر الله الملائكة أن تقوم به ممكن. كما أن حقيقة قمة الغرور والاستدلال على ذلك بابليس ممكن، وأن كل مغتر أو مغرور في صنف إبليس والاستدلال على الكبر والعجب بابليس وأن كل من كان فيه من هذه الصفات ممكن، والمسدد... وكل ماشابهه من الرذائل، وقد نص القرآن ذاته على تشابه أشرار الانس بأشرار الجن في كثير من الايات:

كقوله تعالى: (هل أتيتكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل آفاك آتيم) (1)

وكقوله تعالى: (شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) (2)

وكقوله تعالى: (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤون) (3)

وقوله: (وإنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) (4) وقوله (الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) (5) قاله تعالى أشرك الجن والشياطين من جهة، والناس من جهة ثانية، فوصف الناس ببعض صفات الشياطين والجن، كما أطلق على الجن بعض أوصاف الانس كقوله تعالى «رجال من الجن». فيمكن الاستدلال بالآيات المتعلقة بالجن في بعض الاعمال والصفات على الانس، كما يمكن الاستدلال على قبيح الصفات والافعال التي يتحلى بها بعض شرار الخلق على أنها من صفات الشياطين والمردة والعمفارت من الجن. ومن الجن ماتوصف بالصفات الحسنة التي يتحلى بها أختيار الانس وقد نص القرآن ذاته على لسانه الجن على أنهم طوائف. (وإنما منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طوائف قددا)

(6) وقوله تعالى: (وإننا منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك بخرؤا رشدا ، واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) (6). وقد يوصف الانس ببعض صفات الملائكة إن في الطاعة والاخبات، أو في الطهر والجمال؛ فالنسوة اللاتي كنا عند امرأة العزيز، لما رأينا يوسف قلن (..فلما رأينه أكبرنه ، وقطعن ايديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) (7) . وقد

-
- | | |
|----------------------|-------------------------|
| 1- الآية 221 الشعراء | 4- الآية 6 الجن |
| 2- الآية 112 الأنعام | 5- الآية 6 الناس |
| 3- الآية 13 البقرة | 6- الآية 11 إلى 15 الجن |
| 7- الآية 31 يوسف | |

وصف الله تعالى ملائكته بصفات كريمة ووصف بها انبياء من الانس: فقال: (إله لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون) (1). فعلى أغلب التفاسير أن صفات رسول كريم، ذي قوة، عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين أنها صفات جبريل عليه السلام. وأن قوله تعالى: (وما صاحبكم بمجنون) في وصف محمد - صلى الله عليه وسلم - .وقد ذهب الزمخشري في هذا الى تفضيل جبريل على محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال: «وناهيك بهذا دليلا على جلاله مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين حين قارن بينهما، وقابست بين قوله (إله لقول رسول كريم، ذي قوة عند العرش مكين مطاع ثم أمين) وبين قوله تعالى: (وما صاحبكم بمجنون) ، وبعيدا عن هذه الموازنة وهذه الاستدلالات التي ذهب إليها الزمخشري، نقول أن من الاوصاف ما وصفت به الملائكة ، كما وصفت به الانبياء: فقد قال تعالى على لسان الملك في شأن يوسف عليه السلام (إنك اليوم لدينا مكين أمين)(2).

وهذه الاوصاف في ثنايا القرآن الكريم وصف بها الملائكة كما وصف بها الانبياء والرسول ووصف بها غيرهم .

وما يمكن الاهتداء إليه هو أن من الاوصاف الخيرة التي اطلقت على عالم الملائكة الابرار، يمكن أن توصف بها الخيرة من الانبياء والرسول وباقي الصالحين مالم ترد القرينة اللفظية أو الحالية المصرحة بخصوصية ذلك في الملائكة. وعلى هذا ، فالاستدلال بهذه الايات على الجن أو الانس لا يقدح في معنى الاستدلال، فقد قال تعالى: (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فمسجدوا إلا إبليس) (3)، فابليس بطاعته قبل المعصية أصبح في عداد الملائكة من حيث الطاعة والاخبات، فشمله الوصف وخطب بماخطبوا به، وهو أصلا من الجن. (إلا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه...) (4) وقد خاطب الله تعالى الجن في الكثير من الايات بما خاطب به الانس فقال: (يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات و الارض فانفذوا لاتنفذون الى بسطان)(5)

1- الآية 22 التكوين

2- الآية 4 5 يوسف

3- الآية 33 البقرة

4- الآية 50 سورة الكهف

5- الآية 33 الرحمن .

المطلب الثالث : بعض ممتلكات الاستدلال :

ونظير هذا من الايات كثير ويمكن حصر هذه الاصناف من المخلوقات في الاتي :

أ- عالم الملائكة الابرار ويمثل عالم الخير والفضيلة.

ب- عالم الشياطين الاشرار ويمثل عالم الشر والرذيلة.

ج- عالم الانس والجن ويمثل التآرجع بين العالمين ، فترتفع بالطاعة الى عالم الفضيلة

وينحط بالمعصية من عالم الفضيلة الى عالم الرذيلة. ومن الايات ما جاء :

1- لتبيين حقيقة الملائكة وأعمالهم وحالاتهم

2- لتبيين حقيقة الشياطين وأعمالهم وحالاتهم.

3- لتبيين المراد من الانس والجن ووصف اعمالهم وخصائصهم .

فيكون في كل هذا مجال التخصصية في الماهية وهو مختلف بين جميع الاصناف ويخص

الاستدلال كل صنف بما خص به.

-مجال ما جبل عليه كل صنف ويخص كل نصف بما وصف به وفيه مجال الاستدلال.

- مجال الوصف بمختلف النعوت خبرية أو شرعية وهي مجال استدلال مشترك.

وكثيرا ما نجد الاستدلال في النقطتين الاوليين ينصرف الى بيان المباحث العلمية.

وفي القرآن الكريم الكثير من الايات التي جاءت تتحدث عن حقائق كونية تتعلق بالكون

في نشونه وتكوينه ، وفي كل مكوناته المختلفة كالسماوات والارضين والاقلاك ، ومختلف

الجمادات والنباتات والاشياء.

وهذه الايات يمكن تقسيم مدلولاتها الى جانبين اثنين :

أ- مايتعلق بالنشأة والتكوين والحياة.

ب- مايتعلق بجانب الانقياد لله والاستسلام له .

وان كان الاستدلال بالايات الواردة في حقيقة هذه الكائنات على النشأة والتكوين والحياة

فان، اطلاتها على عمومها وحملها على احسن المعامل أجدى وأنفع من الغوص في

التفاصيل واللجوء الى التفسيرات العلمية المزعومة.

إذ العلم في تطور وما هو اليوم حقائق علمية ونظريات هو بالغد تخمينات.

وآراء تعكس الدرجة التي بلغها ذلك العصر من التطور العلمي والبحث المعرفي.

وجبل الذين تكلموا في هذه الايات واستدلوا بها لم يسلموا من الخطأ ناهيك عن التقول ..

فلا وصلوا الى معرفة السماوات السبع والارضين ولا الايام الستة ولاغير ذلك.

لكن من الايات القرآنية ما يذهب الى الغاية المقصودة من السماوات والارضين والجبال

وغيرها ، وبقيّة مكونات الكون. ومن جملة ما ورد في هذا الصدد الحقائق التالية :

الكون آية من آيات الله، وكل ما فيه دليل على قدرة الله، وعظمته ووحدانيته و... وعلى هذا المحمل حملت الآيات القرآنية الكريمة

-انصباع الكون لخالقه واستسلامه له. وقد صرحت الكثير من الآيات أن السماوات والأراضي خضعت لربها وأسملت له طوعاً أو كرها.

- غاية هذا الكون بكل ما فيه ووظيفته في الحياة.

وكل ما جاء في الحقائق الكونية يحسن الاستدلال به على هذه المحاور ويسلم صاحبه من الخطأ والزلل، ويكون في مأمن من كل العثرات.

وحتى ماتعلق بهذا الكون من حيوانات وكائنات حية أخرى، يحسن حملها على هذه المحامل وإن وردت الكثير من الآيات تصرح أن هذه الحيوانات على مختلف أنواعها معظمها لخدمة الإنسان الذي هو مكرم على كل المخلوقات. وهو في حد ذاته موظف ومكلف باستخلاف الله وخدمته بعبادته: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)(1) والحقيقة أن هذه الكائنات والتي استنطقها الله، صرحت بالعبودية والاذعان والاستسلام لخالقها، أو دلت على قدرته وعظمته أو كانت آية من آياته لرسوله. وحجة على عباده.

والاستدلال في هذا المنحى كثيراً ما يكون موفقاً وهو إلى الحقيقة أقرب من سواه. وكون الاستدلال ينصرف، إلى أن هذه الكائنات أمم ولها وظيفة خلقت لها، وهي في خدمة الإنسان، كل هذا صحيح وهو يصب في مجال آيات الله في الكون وسنن الله فيه وفي الحياة والاجتماع وما في ذلك من سنن.

وما يمكن استخلاصه من هذا البحث هو: أن الاستدلال محكوم بضوابط من القرآن و ضوابط من السنن والآثار، و ضوابط من علم الصحابة و من جاء بعدهم من علماء التابعين، و هذه الضوابط تنصرف إلى ظاهر الاستدلال في شكله كما تنصرف إلى جوهرة و حقيقته .

المطلب الرابع : الاستدلال الموفق و غير الموفق :

الاستدلال بدهاة ينحصر بين أمرين :

أ- استدلال موفق ب- إستدلال غير موفق

وإذا أردنا معرفة آليات الاستدلال الموفق، فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى معرفة -علاوة على الضوابط- الطرائق المتبعة في هذا الاستدلال، ومن الطرائق التي مرت بنا الطرائق القرآنية. فالقرآن سلك في تنفيذ دعوى الخصوم، وإبطال عبادة الأوثان، والشرك وعادات الجاهلية الأولى المختلفة، سلك في رد كل هذا طرائق إستدلالية معينة منها :

1- الاستدلال بالتعريف: فتعريف الاحسان بحقيقتها وماهيتها التي هي عليها يقتضي ضمنيا افتقارها الى حقيقة الألوهية ومن ثم بطلان دعوى إلهيتها، مثل قوله تعالى: (انتم عبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم¹) ومثيلات هذه الايات كثيرة، إن في تعريف حقيقة الالهية، أو الربوبية أو الخلق، الحياة أو الموت، وهكذا بقية القضايا الكبرى في العقيدة والتشريع، والسلوك الاجتماعي، والبعث والحياة الاخرى. وهذه من طرائق القرآن الكريم التي تتشاشى والعقل ويقرها الواقع ويرضاها كل مخاطب. وهذه الطريقة على نوعين: فالتعريف إن اقتضى الترك، أولا وذلك حين يعرف المخاطب من خلال وصف الالهة المزعومة بطلان الدعوى وبالتالي: التخلي عنها، فإنها تقتضي اتباع من توفر على تلك الصفات ومن ثم فالاستدلال بالتعريف يحوي نقيض الدعوى. وأحيانا يأتي التعريف بالدعوى الى من يتصف بصفات الكمال وصفات الالهية فيكون التعريف بالنقيض. وأحيانا يجمع التعريف ذاته الطريقتين معا. ويكون هذا الاستدلال عادة في:

2- الاستدلال بالمقابلة: حيث يعهد القرآن الى المقابلة بين شيئين متقابلين قصد معرفة الاحق كقوله تعالى: (اقمن يخلق كما لا يخلق...) (2) وقوله تعالى: (هذا خلق الله، فارونني ماذا خلق الذين من دونه) (3) فهذه المخلوقات آيات على وجود الله وقدرته وعظمته... وهذا يندرج ضمن ما يسمى بقانون العلية أو السببية، والقرآن يلجأ الى:

3- الإستدلال بالعلة و المعلول: فالعقل البشري لا يقر شيئا الا بأسباب ومسببات، وكل سبب لا بد له من مسبب، وأن العلة توجب بدها المعلول. قال تعالى: (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم...) (4) فتغيير ما بالقوم، لا يتم إلا اذا غيروا ما بانفسهم وهكذا تتم النتيجة وفق الاسباب، فالحل ربط الاسباب بالتناج كقوله تعالى: (وهذه ابيك بجذع النخلة) (5): هذا سبب. فيكون الحال: «تساقط عليك رطبا جنيا» هذه نتيجة وهذا القانون في الاشياء كلها - صغيرها وكبيرها - في قضايا الكون والحياة وسن الاجتماع وال عمران والتغيير ومختلف مجالات الحياة. وما ذكرناه ما هو الا أمثلة.

ومن استدلالات القرآن الكريم:

4- طريقة استدلاله بالامثال:

فالقرآن يقر بعض الحقائق، ويبطل أخرى بضرب الامثال، كالدعوى على بطلان عبادة الاصنام بضرب الامثال منها قوله تعالى: (يا ايها الناس، ضرب مثلا فاستمعوا له إن

1- الآية 66 الأنبياء 2- الآية 17 النحل

3- الآية 11 لقمان 4- الآية 11 الرعد

5- الآية 25 مريم

الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا ، لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز(1) وما أكثر هذه الطريقة في القرآن الكريم في مختلف فضاءها الايمان كتعريف حقيقة المؤمن، والكافر، المنافق، والايمان والشرك... وهي كثيرة ومحبة للنفس إذ تجسد غير المحسوس في الشيء المحسوس وتصوغ الصور الذهنية في الحقائق الملموسة فيتم التوضيح وبسهولة الفهم وقد قيل «بالمثال يتضح الحال». فقد قال الزركشي في المثال : « يستعمل لاجراء ما لا يعلم ببديهته العقل الى ما يعلم بالبديهته. ومالم لم تجر به العادة الى ماجرت به العادة وما لا قوة له من الصفة التي ما له قوة » (2) ومن هذا القبيل المثل اذ يعتمد القرآن الى الامثال في الكثير من الاحيان. والمثل هو الاخر على أضرب :

- 1- من الامثال ما اختص به سبحانه وتعالى.
- 2- من الأمثال ما وصف بها خلقه من ملائكة، و إنس، و جن و باقي المخلوقات .
- 3- من الأمثال ما ذكرها في الاحوال كالايان والكفر والردة والنفاق وغير ذلك من الاحوال النفسية.

وهذه الطريقة الاستدلالية من الطرق التي تألفها الفطرة وتقبل اليها وتمهم في ايصال حقائق الاشياء ودلالاتها الى الدهن بأيسر السبل وأقرب وأقوى الطرق. و لا تكاد صورة من صور القرآن تخلو من هذه الطريقة، والقرآن غني بالطرائق الاستدلالية المستعمدة من حقائقه والمنطلقة الى حقائق الاشياء والهادفة أصلا الى إقامة الحججة على الناس حتى يهلك من هلك عن بينة وينجو من نجح عن بينة. وقد تجلّى هذا الاسلوب النبوي - صلى الله عليه وسلم- فكانت أحداثه النبوية الشريفة تعكس هذه الانواع بصور بليغة وموفية.

كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم- في خطابه للناس كاقة وللمؤمنين خاصة يعتمد الى آي القرآن فيستدل(3) بها على مختلف الامور فيقول تارة « وأقرأوا ان شئتم قوله تعالى » وتتلو الآية مباشرة. وأحيانا بعد حديثه يستشهد بالاية . وقد علم الناس سبب نزولها قبلا كما علموا تفسيرها من لدنه قبل استشهاده بها. وقد يتمثل بالاية على الموقف المشهود. فهؤلاء قومه يقولون له بعد أن سألهم ماتظنون أنني فاعل بكم اليوم ؟ أخ كريم و ابن كريم فيرد عليهم متمثلا قوله تعالى : (لا تنزيب عليكم اليوم يغفر الله لكم..) (4) وهكذا كان النبي مع القرآن : يستشهد بالايات في خطبه ، ويستدل بالايات في اخباره وأحاديثه، ويتمثل منها في المواقف والملمات وكل هذا. في ما اثر عنه من صحيح الاثر النبوية

1- الاية 74/73 الحج.

3- جمال الدين القاسمي محاسن التأويل ص 30

4- الاية 92 يوسف

2- الزركشي : البرهان ج 1 ص 486

الشريفة. وإستدلالات النبي - صلى الله عليه وسلم في حقيقتها من جنس الاستدلالات القرآنية فهو أحيانا يستدل بالمفهوم المخالف، وأحيانا يستدل بإبطال دعوى النقيض، وأحيانا يستدل بضرر المثل - وما أكثر هذا في استدلالاته - وأحيانا يستدل بحقيقة الأسباب والنتائج وأحيانا أخرى بأمر الخواتيم. كما يستدل بحال من سبقنا من الأمم وهكذا حال استدلالات النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي في كل ذلك تتميز بالميزات التالية :

1- أنها مستمدة من القرآن ومعتمدة عليه، فالكل وحي من الله.

2- تعتمد العقل وتتجذر في أعماق الفطرة البشرية .

3- بسيطة وخالية من أي تعقيد أو معاضلة .

وعلى هذا المنوال مضى الاستدلال النبوي إن بالقرآن الكريم أو في السنة الشريفة أو بالمرج بينهما كما هو الحال في استدلالاته. وعلى هذا سار من جاء بعده من السلف الصالح من خلفائه وصحابته، والاتباع. فكان القرآن حجتهم ودليلهم مصداقا لقوله - صلى الله عليه وسلم - «والقرآن حجة لك أو عليك» فعند ما تلى عليهم الآية بذعنون لها على علم وفهم ودراية، وعندما يحتجون بأنهم يحتجون بآيات الله أو بسنته أو بأقوال ما قامت حجته بينهم من علمائهم .

المطلب الخامس : مميزات الاستدلال عند الصحابة :

واحتجاجهم بالقرآن مؤسس على :

1- الفهم التام بالقرآن الكريم : وذلك بادراكهم لوسائل الفهم الواجبة في ذلك.

أ- كمعرفتهم للسان العربي المبين الذي أنزل القرآن الكريم به.

ب- معرفتهم لاسباب النزول والاحوال المحيطة بالنزول وأحكامه

ج- علمهم علم القرآن

مميزات إستدلالات الصحابة :

ومن ثم جاءت، الاستدلالات الزائدة عن الاستدلالات الواردة في القرآن الكريم والسنة

النبوية الشريفة من الاستدلالات الموفقة والمفيدة وهي في مجملها تتميز بميزتين اثنتين

1- ميزة الاستناد الى النص النقلى من القرآن، أو الاثر النبوي الشريف.

2- الاستدلال المعتمد على اجتهاد في غالبه مرفق اذ لم يكن للصحابة اجتهاد مستقل فهم

في اغلب اجتهاداتهم نقلة ورواة أكثر من ان يكونوا مبتدعين مجتهدين. وإن برز في

استدلالاتهم جانب اجتهادي عقلي معتبر. فالصحابة بما تركوا من آثار وعلوم كانوا واضعي

النواة الاساسية للتأسيس العملي للمدرستين الاثنتين :

أ- المدرسة النقلية أو مدرسة الاثر

ب- المدرسة العقلية أو مدرسة الرأي.

وإن كان المنهج الاستدلالي في المدرستين عند السابقين لا يختلف إلا في النزر القليل من حيث بعض المواصفات المتعلقة ببعض الحيشيات والاحوال، فإنه عند المتأخرين وأصحاب المدارس الكلامية والفرق وبعض المذاهب أصبح يمثل التعارض التام والتناقض الصريح. وخلاصة القول في طرائق الاستدلال : أن الاستدلال عملية تدعمها معطيات علمية وواقعية وأن الاستدلال بالقرآن الكريم لا يكون صحيحا وموقفا إلا اذا حكمته عوامل علمية ودقيقة منها ما هو :

1- من داخل النص القرآني ذاته : ويتعلق بماهية الاستدلال القرآني ذاته حسب وروده في النص القرآني وهو كثير ومغاير للاستدلال الذي عرف عنه المناطقة والفلاسفة، بل هو طبيعة النص القرآني ذاته الذي يتميز بصفة القداسة ، والوحي الالهي.

2- من خارج النص القرآني : ويتعلق هذا الامر بمكونات الاستدلال من جانب اللغة ودلالاتها، والنص القرآني وما تعلق به من حيشيات في سبب النزول وفي الحكم وعلوم القرآن اللازمة لفهم هذا النص القرآني.

والاستدلال القرآني في طريقته الخاصة المتعيزة بطابع فريد ووحيد، انعكس في النص الحديثي فكانت احاديث الرسول { صلى الله عليه وسلم } وسنته على شاكلة الاستدلال القرآني في الطرائق. وكما أسلفنا فإن استدلال الرسول صلى الله عليه وسلم على أنواع:

1- استشهادات بالآيات القرآنية في خطب وعلى أحوال وفي موضوع الدعوة الى الله اذ كانت دعوته إلا الله تلاوة القرآن على المدعوين وعلى خصومه .

2- استدلال في قضايا مختلفة ايمانية، وسلوكية ، وتشريعية ، وعلمية وكان غالبا مايقول الرسول - صلى الله عليه وسلم- «واقراءوا إن شئتم لاية...» ثم يتلو هذه الاية وهذه الصيغة الشكلية لها تفسيران :

أ- على أنها تفسير للقرآن اذ في حديث النبي صلى الله عليه وسلم جانب كبير من التفسير للحديث أفرد له العلماء ابوابا في كتب الحديث .

ب- لكن من الآيات ما علم تفسيرها، وسبب نزولها ومايتعلق بها من علم، فيعود النبي صلى الله عليه وسلم -في وقت آخر ليذكرها على حال أخرى فيقتضي والعقل، والدلالة أن هذا النوع من الاستعمال في التعبير إنما هو «الاستدلال» وهذا هو الاكثر في الآثار النبوية الشريفة.

ج. التمثل وهو أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم -في حال فيتلو الآيات متمثلا بها على تلك الحال إن تأسبا أو تصبرا أو تذكيرا أو وعظا أو لغرض آخر من الاغراض .

وهذا الاستدلال المحصور في الاصلين -القرآن والسنة- هو التأصيل العلمي والعملية والاستدلال، وعليه سار من جاء من السلف الصالح وقد ساعد هذا في عملية التفسير اذ أصبحت استدلالات النبي -صلى الله عليه وسلم- لمن بعده المنهج العلمي والعملية الذي دفعهم الى سلوك هذه الطريقة في الاستدلال واعتباره من الاسور المباحة وخاصة عند الصحابة وبالاخص علمائهم إذ أوجدوا مادة علمية غزيرة ذات مادة نقلية في شكلها ، وذات طبيعة علمية في جوهرها وفق ضوابط نقلية من قرآن وسنة. وكل هذا وضع للعلماء منهجا وطريقا مبهدا في عملية الاستدلال. فكان علماء الاثر يقتدون في طرائقهم الاستدلالية بمنهج القرآن والسنة ومنهج علماء الصحابة والتابعين. وتميزت الطرائق الاستدلالية عند هؤلاء بـ :

مميزات الطرائق الاستدلالية عند علماء السلف

- 1- الاتباع والانتقاد للنص الثقلني مهما كانت طبيعته قرآنية أو سنية ومهما كانت دلالاته يقينية أو ظنية.
- 2- اعتمادهم على ما تعلق بعلوم تدور حول فهم النص إن في العلوم قرآنية أو الحدیثية، دراية أو رواية.
- 3- اقلالهم من استعمال الرأي وإن إقتضت الضرورة القصوى نظروا في آراء السابقين ورجحوها على آراء اللاحقين لاعتقادهم الصواب فيها عن غيرها، وذلك لـ : - قرب هؤلاء من بيئته النبي - صلى الله عليه وسلم - .
- وسماع هؤلاء أكثر من النبي . فقد ينقلون السنة في أعمالهم وأقوالهم دون أن يتفوهوا بها خوفا من الوقوع في الكذب . على رسول الله .
- تقوى هؤلاء وتورعهم واحتياطهم لامور دينهم أقوى من غيرهم، أما رأي أصحاب الاهواء والبدع فيكفرون به وينبذونه . والطرائق الاستدلالية عند هؤلاء أقرب الى طرائق القرآن الكريم في الاستدلال وطريق النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن ثم فهي من الاستدلالات الموفقة والمقبولة عند العلماء. وعلى هذا المنهج قامت مدارس أهل السنة المشتهرة بالمذاهب الفقهية غير أنها متفاوتة من حيث التنوع والاختلاف، لكن المعالم العامة للمنهج الاستدلالي والطريقة متفقة، اذ كل مدرسة تعتمد أصولا أساسية وهي الكتاب والسنة. ثم أصولا تبعية وهي مدار حول القرآن والسنة من مصادر فقهية اجتهادية عند العلماء، ويتفق أصحاب هذه المدارس والمذاهب والآراء على الاصل الاصلية إجماعا، والاصول التبعية تقديما وتأخيرا، ولكن كل هذا في دائرة الاثر وعلمه والقرآن وعلومه.

المطلب السادس : سميات طوائف الفرق و أهل الضلال في الاستدلال :
أما الطوائف الاستدلالية التي غلبت الرأي ومالت إليه والمحسوبة على الفرق الإسلامية فهي لم تنكر الكتاب ولا السنة وإنما رأت ان الكتاب والسنة يدعوان الى إعمال الرأي والاجتهاد وأن مجالاً واسعاً من النصوص القرآنية والحديثية لم يبت فيه، وترك عن قصد للرأي، ومن هذا المنطلق أصلت للرأي وأباحت إعماله في الاستدلال ورأت أن القرآن ذاته يخاطب العقل ويدعوه الى الاستدلال على قضايا هامة، كوجود الله، وقدرته، ووحدانيته وعظمته...، وعلى البعث والحياة والنشور... وعلى وظيفة الخلق ورسالة الانسان، وفي كثير من التصورات والمفاهيم.

- وساعد على هذا ما اعترى الناس من فرق مناوئة للدين ولأتباعه والداعية الى الرجوع لديانات وفلسفات قديمة ناشرة منطق وفلسفة وحكمة وآداب أقوام سبقوا وزاعمة أنها أفضل وأولى .

- فاقامت الفرق المجادلة لهؤلاء مناظرات على تقييد دعوى الخصوم وأجابتها الحاجة الجدلية الى اتقان لغة المجادل (بالفتحة الدال المهملة) ومصطلحاته وعلومه وأساليبه ومع مرور الزمن أصبحت هذه الاشياء من آليات الجدل وضرورات الاستدلال وخصائصه.

ناهيك عن الاختلافات الفقهية التي كانت رصيده اختلاف عند هؤلاء مع خصومهم . فظهر الاستدلال عند هذه الفرق وتمحور حول مسائل عقيدية كقضية التوحيد. والعدل، والوعيد، والوعيد، وحول مسائل أخرى كالحكم على مقترب المعصية كبيرها وصغيرها، وضرورة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وغذى هذا الجدل خلافاً سياسية فانصرف كلية الى بلورة مذاهب ومدارس وفرقا في أسلوب معين فكانت هذه الاستدلالات في عمومها.

لا تمثل تلك الفرق مع خدمتها للإسلام في بعض الجوانب، وحساب أصحابها من أهل الإسلام، ورغم إعتبار أصحاب هذه المناهج الاستدلالية من المؤسسين لعلم الكلام وللمدرسة العقلية، فإن منطلقاتهم العقيدية والشرعية وحتى بعض تصوراتهم الإسلامية في الحكم والاجتماع والعلوم والمعارف تنأى عن الحقيقة الإسلامية المستندة الى الكتاب والسنة والقواعد الفقهية والاصولية والمقاصد الشرعية.

مأخذ على هذه الطوائف الاستدلالية :

وإن محاسن هؤلاء التي أفادوا بها الإسلام، ومحامدهم ، وكونهم خدموا العقل الى أقصى حد لا يشفع لهم زلاتهم وانحرافاتهم العقيدية والفكرية والتصورية، لا يجعل منهم ائمة في الجدل والاحتجاج . بل ينظر إليهم نظرة من زاوية تسامح الدين الإسلامي وينظر الى منهجهم الاستدلالي نظرة اغترار العقل وإفراطه في الخوض فيما لم يؤهل له. كما يعتبر

المنهج الاستدلالي عند هؤلاء. رد فعل لظرف إجتماعي وسياسي ولتقفات وافدة وداخلية على الثقافة الاسلامية . ولايشنع لهؤلاء وجود علماء كبار فطاحل معهم، أو استعمال بعض العلماء لمنهجهم في خصائصه وطرائقه ، بل يواخذ هؤلاء العلماء اذا راضوا به كمنهج إسلامي أصيل في الاستدلال . أما اذا كان الهدف من هذا هو دراسة هذا المنهج قصد إجلال حقيقته ليكون الناس على بينة منه فهذا من واجب العلماء . والحقيقة أن هذه الطرائق الاستدلالية لم تبد ظاهرة المعالم إلا عندما حوَصر المنهج الاستدلالي الذي يعتمد الاصول القرآنية والسنية وخلصه اجتهادات العلماء المعتد بهم. ولما استشرى الفساد. وهو سعة لخبية تميزت بالفتن والمضايقات والتسلط على العلماء واعنائهم. ثم ما فتشت الحال أن عادت الى ما كانت عليه وانبرى لهؤلاء منهم من عاش بينهم وأصبح من أكبر أنمتهم وهو ابو الحسن الاشعري ففتن أرائهم ورد احتجاجهم، وأبطل استدلالهم واعتمد في الجديد، من مؤلفاته منهج السلف الصالح ورد خلف الامة الى منهج سلفها على علم، وفهم وإخلاص .

فمن سار من العلماء على منهجه فهو على منهج السلف في الاستدلال، وهذا هو التأصيل الحقيقي للمدرسة العقلية في الثقافة الاسلامية. فمؤلفات ابن الحسن الاشعري تعكس هذا. والحقيقة أن مجال اختلاف الفرق الاسلامية غير المذاهب الفقهية فإن أصول هذه الفرق ما هي إلا فهمهم الخاص للكتاب والسنة وهم إذ أصلوا ذلك فإنما سعوا جاهدين من أجل تأصيل وتنظيم العقائد الاسلامية وفق : 1- الكتاب

2- السنة

3- أقوال السلف الصالح.

كل هذا في نظريات عقلية وبحوث كلامية وفلسفية و اذا ما تأملنا المنهج الاسلامي في الفكر و الثقافة نجد قد تأسس على المنهج الاستدلالي الذي أنشأته هذا الفرق، وإن التفكير المنطقي والاستدلال العلمي له الاثر الكبير في تنظيم العلوم وتنظيمها وفق كليات جديدة مستساغة وممكنة من حيث الحفظ والفهم، والاستيعاب ويمكن الاشارة الى هذه العلوم في :

1- الحديث . 2- الفقه . 3- اللغة . 4- السير والحضارة ...

فالمنهج الاستدلالي عند علماء المسلمين ساهم في إيجاد تراث فكري، وعلمي كبير.

المطلب السابع : الاستدلال الصحيح ومعطياته :

لقد سبق أن رأينا أن الاستدلال الذي يفتقر الى معطيات علمية صحيحة. وفهم موفقة ، وطرائق منهجية ينتج معطيات مضللة وخاطئة وخطيرة.

وأن الاستدلال المستند الى ضوابط علمية صحيحة من قرآن وما تعلق به من العلوم، أو

السنة وعلومها، أو الى أقوال العلماء يكون في مأمّن من الخطأ والضلال.
وهذا الاستدلال المؤسس على مرتكزات علمية وفهوم صحيحة يزدي الى معطيات صحيحة
ومفيدة. و اذا رجعنا الى القرآن الكريم في استدلاله المستندة الى القواعد العلمية
والطرائق الصحيحة فإنه يعطي معطيات صحيحة ومفيدة ويمكن تفصيل كل هذا في الاتي:
القواعد العلمية :

قد جاء القرآن الكريم بحقائق علمية دقيقة ومختلفة تنوعت بين معارف كونية، وطبيعية ،
وانسانية واجتماعية وفي كائنات أخرى وجاءت معارفه العلمية المتعلقة بالجانب الروحي في
الموت والبعث والنشور والحياة الاخرى. ومن معارف القرآن ماتعلق بالغيب، والمستقبلات، و
هذه المعارف العلمية من الدعائم القوية التي شجعت على البحث العلمي والاكتشاف ، لان
الاسلوب الذي جاءت فيه ، يحث على النظر والاعتبار والتفكر والاستدلال. وكل هذه
الدلالات بمثابة الحوافز الباعثة على التفكير والبحث العلمي .

ثم أن هذه المعارف العلمية المختلفة سبقت في أسلوب في غاية الملائمة إذ أفهم العامة في
بساطتها وسذاجتها وألهم الخاصة في عمقيتها وذكائها . فكان هذا الاسلوب اشارات هداية
للناس جميعا، وإشارات بحث وهداية لخاصة للناس (العلماء) إذ فهموا هذه الدلالات على
انها اشارات خضراء للبحث العلمي والمعرفي. وقمة إعجاز هذه الحقائق العلمية والمعرفية
أنها عندهم المبتدا والمنتهى.

معطيات الاستدلال في العلوم الوضعية و العلوم القرآنية :

فالعلم عادة ينطلق من النظرة العجلى، فالمتفحصه فلاحتمال والفرضية ثم التجربة فالنظرية
التي قد تكون هي الحقيقة العلمية وبالتالي هي العلم، وقد لاتصل الى هذه الدرجة ، «درجة
الحقيقة العلمية» ، فتبقى نظرية الى أن يأتي من ينقدها ويحولها الى آراء قابلة للرد
كقبولها للأخذ. غير أن العلم في القرآن هو حقائق علمية في المبتدا ويمر البحث العلمي فيه
سالكا المراحل السابقة ليخلص الى ما ابتداء به وهو الحقائق العلمية.وهذا لان القرآن من
الله والله يعلم كل شيء: (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)فكتابة آيات قرآنية،وكوفه
آيات كونية وهذا كتاب منشور وذاك كتاب مسطور فهذا يصدق ذاك، وذاك يصدق هذا.

وطرائق القرآن في الاستدلال من الطرائق الشاملة الكاملة. فهي تخاطب في آن واحد
العقل والنفس والروح والوجدان، أي تخاطب كل كيان الانسان فيمتد أثر ذلك الخطاب الى
النفس فبحركها والى الروح فبيعتها والى العقل فينبهه والى الوجدان فينميه ومن ثم تكون
العلمية الاستدلالية متعددة التأثيرات تؤثر على العقل، تؤثر على النفس على الوجدان تؤثر
على الروح بما لها من آليات التأثير.

وإن طرائق الاستدلال في القرآن وإن وصفت بأوصاف مختلفة كطريقة الاستدلال بالمقابلة، أو الاستدلال بالتمثيل والامثال، أو الاستدلال بالتجزئة والتعميم . وما الى ذلك من باقي الطرائق المختلفة التي سماها العلماء بمختلف المسميات، فيكفي وصفا لهذه الطرائق أنها نفذت الى قلوب صلبه ونفوس قاسية، وأرواح جافة وفطر ملوثة، وجعلت الناس يحسون بنداؤ الفطرة ونداء الحق. فلم تقف لا أعرف الجاهلية وتقاليدها المعقدة وآلهتها الكثيرة المتعددة امام الاستدلالات القرآنية في النفوذ الى هذه الفطر. ولا وقفت طقوس المجوس وفلسفتهم وعاداتهم امام طرائق القرآن البسيطة في تركيبها فلا النار إله ولا الشمس ولا الكواكب ولا النجوم ، هل هذه عاجزة عن النفع والضرر مسخرة غير مسخرة (بكسر الخاء) ، آيات من الله لخلقها ليتعظروا وينتفع بها . فهذه الطرائق الاستدلالية تساق بكل بساطة على لسان ابراهيم عليه السلام حيث يقول : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا، قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الافلين، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما أفلت قال يا قوم، إني بؤس مما تشركون...) (1) و بطلت فلسفة الضوء والظلام وصراع الخير والشر، ومثنوية الفرس أمام قوة العقيدة الاسلامية وحقائق الاسلوب في استدلالاته القوية النافذة. كما سقطت عقيدة الرومان وبطلت عقيدة التثليث ومسألة الصلب وهرطقة الكهنوت وكل ما المجرعنها من أباطيل ومعتقدات مزيفة. امام عقيدة التوحيد التي هي جوهر كل الرسالات وفي طرح قضية عيسى-عليه السلام- ومقارنته بخلق آدم واستخدلاص العبرة من ذلك في أن المشيئة الالهية تفعل ما تشاء، وقضية مريم البتول وقداستها وطهرها. ثم فضح الدين زعموا الرهبانية وهتك اسرار المتاجرين بالدين والمستترين للناس باسم القداسة وباسم الدين والكتب، في أسلوب مهمل ميسور بسيط في عرضه حقائق الاسلام، وابطال خصومه وحقائق التوحيد وأباطيل التثليث وأدعيا آلهية عيسى كل هذا جعل النصرانية المنحرفة تنهار وتولي القهقرة. و حقيقة عيسى ومريم عليهما السلام، وحقبة المسيحية الصحيحة محفوظة في ثنايا القرآن، فكل من أرادها فبديهه أراد الاسلام (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم... إلى ... وهبشوا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) (2) . وسقطت عقيدة اليهود الوثنية ، وفضحت طبيعة بني اسرائيل العنيدة الجاحدة الكافرة بأنعم ربه، وتحملت نفسية اليهود الحاقدة الكافرة الفاسدة وبدا اليهود جنسا متمردا على ربه كافرين به ناعتا له بأقبح النعوت وأسوأ الاوصاف، واستفاض القرآن بمختلف طرائقه

الاستدلالية على فساد معتقد هؤلاء . إن في القصص القرآني والأمثال ، أو في إفساء
أسرارهم وهتك أستارهم وكشف باطلهم حتى لم يبق لهم ستر .
إن الاستدلال القرآني على بطلان عقائد الوثنيين والمشركين واليهود والنصارى ملاحظة
الفلاسة وغيرهم يقنع الخصم اللذوذ في الخصومة بل النصير المشفق وهذا ما دفع كثيرا من
الاحيار إلى الاستسلام لأمر الله والاسلام له .

وطرائق الاستدلال القرآني في مسائل الايمان تتأسس على أمرين :

أولا : الهدم : معتقدات وتصورات وأباطيل وخرافات

ثانيا : البناء : عقائد صحيحة وتصورات وحقائق

1- الهدم : فاذا استعرضنا القرآن وجدناه يلجأ إلى تعرية العقائد الفاسدة وتوضيح فساد
المعتقد وضلال الاعتقاد وانحراف السلوك الناتج عنه وسوء عاقبة الانتهاء على ذلك
والخسران في الآخرة . وهذا بأساليب مختلفة وطرائق متعددة، تسلك الترغيب والترهيب
والتحليل والقصص، والقياس والاستدلال، دليل المشاهدة وذليل الأولى وهكذا إلى ان تصل
بالمجادل (بفتح الدال) إلى الاقناع وتترك له الحبل على الغارب إن اهتدى فله وإن ظل فعليه
ولكن: (لله الحجة البالغة) (1) وهذا الجانب يلخصه الشظر الأول من كلمة التوحيد : « لا إله »
فهي تنفي ألوهية عن كل من سوى الله . وهذه القاعدة الأساسية في البناء العقيدي .

2- البناء : ثم يأتي الجانب الثاني والاساسي في العقيدة وهو البناء الايماني فتبنى العقيدة
في النفس والروح في العقل والوجدان لينشأ عن ذلك الاستسلام يكون الكل مخبئا لله ،
ويبنى الايمان بمختلف وسائل الاقناع، وذلك من مختلف وسائل الخطاب والتأثير حتي ينشأ
الايمان التام الموازن للكيان البشري في النفس البشرية ويصيح يعيش بجانب روعي كامل
مثل كمال الجانب الجسدي فيكون الاعتدال التام، فيعيش جانبه المادي والدنيوي كما يعيش
جانبه الروحي والاخروي . وعلى هذا فأسلم منهج لتلقي العقيدة هو تلقيها من القرآن الكريم
وما كان السلف الصالح يدرسون شيئا يسمونه العقيدة، علوم العقيدة أو توحيد أو علم
الكلام أو ما إلى ذلك وكانت عقيدتهم أسلم وأحكم وأعلم وأقوى وأمتن، لكن هذا
التلقي إنما كان أصلا من القرآن الكريم ذي الاساليب القوية والمؤثرة والمنهج الاستدلالي
البليغ . ومن ثم فما قدمه القرآن من معطيات استدلاليه وصلت إلى الغاية المنشودة وهي
الهداية ، الايمان، التقوى السداد والفوز والنجاة يوم القيامة . (إن في خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الاباب . إلى . و يتفكرون في خلق السموات و الأرض
ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار) (1) فالاستدلال القرآني يؤدي لامحالة إلى

1- هداية المستهدين

2- إزام المعاندين الجاحدين الحجة.

وسبقت الاشارة الى أن معطيات الاستدلال القرآن تمثلت في هذا المنهجية العلمية التي أسسها علماء الاسلام سواء

أ- علماء الفرق : الذين راحوا ينظرون العلوم وفق منهجية استدلالية حديثة تعتمد النص التقلي في أصله ودلالته. والفهم السليم لهذا النص من خلال العوامل المعينة على ذلك.

ب- علماء المذاهب الفقهية : فقد سعوا جاهدين الى تدعيم الآراء الشرعية والفقهية بالنص القرآني والحديثي ، وهذا ما أجلى الاستدلال القرآني في جوانبه الشرعية وكان بمثابة التفسير الفقهي والشرعي للكثير من النصوص القرآنية ، وكتب الفقه والشرعة تزخر بالاستدلال الفقهي

ج- علماء الاسلام والعلوم الاسلامية وبقية العلوم سواء أكانت قرآنية أو حديثة فإنما نشأت لتدعيم الاحتجاج والاستدلال وللهرنة على صدق النص وصحة دلالته أو إبعاد الزيف والخطأ

عليه في

الفهم والتفسير أو الشرح :

- أما بقية العلوم التي اعتبرت بمثابة الأدوات كالفنوع وعلومها والمنطق وفنونه والرسم وقواعده فإن الدافع الاساسي لها انما هو النص القرآني ودلالته فقد عكف علماء اللغة والبلاغة على دراسة النص القرآني لاحد الامرين :

أولا : إيضاح معنى النص ودلالته الصريحة والعلمية، ومواطن القوة والاعجاز فيه.

ثانيا : للاحتجاج على الزنادقة وأدعياء الحقيقة من أنصار الفلسفات القديمة والزاعمين مبدأ (الصرفة) والحقيقة أن الدراسات اللغوية والادبية هي الاخرى من الدراسات القرآنية مثل علوم القرآن فالغرض هو أصلا ديني أن يكون ديني وكثيرة هي المقدمات (خطب الكتب) التي تحكي هذا.

إن القرآن هو المنهج السامع الكامل للحياة الإسلامية في جانبها النظري والعملي. وقد احسب المنهج الاستدلالي، والوسيلة الأساسية في الجدل والمناظرة، والدعوة إلى الله. فقد كلم الله المؤمنين من خلاله وخاطبهم به، ففيه: (يا أيها الذين آمنوا... ويا أيها الناس، ويا عبادي...) ومختلف أنواع الخطاب. وفي القرآن الكريم حوار المؤمنين مع بعضهم في المواقف الإيمانية في الدنيا وفي الآخرة ومن خلال الأمم الخالية، أو في مشاهد من يوم القيامة. كما أن فيه جدال المؤمنين للكفار والمشركين، ومخاطبة المشركين بعضهم لبعض.

وبالقرآن جادل أنصار الحق أتباع الباطل، ودحضوا دعاويهم واستدلوا على فساد معتقدتهم وعملهم. كما استدلوا على أن الحق ما جاء في كتاب الله وما كان عليه رسله، وما سار عليه المؤمنون. فلا عجب أن يتخذ المسلمون النص القرآني وسيلة استدلالية، وحجة دامغة، وهم في كل هذا متبعون لا مبتدعون إذ فيه (في القرآن) الاستدلالات القرآنية المعلمة لهم على السنة خلقه. وقد استدل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- بالقرآن -وهم خير القرون - كما استدل به علماء القرون الأولى الحيرة فأنتجوا علما غزيرا، وفكرا أصيلا، وهدوا إلى الحق، وهدوا غيرهم إلى سواء السبيل.

ثم خلف من بعدهم خلف، منهم من اتبع ومنهم من ابتدع، ومن هؤلاء غلاة مبتدعة، ومترفون ركبوا سهوة الباطل فطار بهم، إذ جنحوا إلى النص القرآني مستدلين به على فضولهم الفكري وترفعهم مؤولين تارة، ومحمّلين النص القرآني ما لا يحتمل تارة أخرى، متجاهلين ضوابط الاستدلال العلمية وطرائقه المنهجية، كما أنهم أصموا أذانهم عن معطيات استدلالهم الخطيرة.

ومما علم من القرآن ذاته والحديث نفسه، ومنهج علماء الأمة من صالح سلفها وخلفها أن الاستدلال حقيقة دينية وعلمية، وأن الاستدلال وسيلة من وسائل التعليم والجدل والمناظرة وكل هذا من طرائق الدعوة إلى الله وتعليم الناس أمور الدين وقضاياها وما يمكن إستنتاجه هو :

1- إن طرائق الإستدلال في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، وهي في ظاهرها وحقيقتها المثل الصحيح في الإستدلال. فإذا كان الإستدلال القرآني ضرب من ضروب الإعجاز فإنه وجه من وجوه الخطاب ويمكن الإفادة من طرائقه وفهم علله التي هي ضوابط ثم الإستدلال على منوال هذا الفهم.

2- كما تتجلى إستدلالات النبي -صلى الله عليه وسلم- في جانبها العلمي والعملي معا، فهي تفسير للقرآن الكريم في كثير من الأحيان وهي إستشهاد وتمثل في حالات أخرى. وإن برزت طرائق الإستدلال القرآني في الحديث النبوي الشريف في مختلف موضوعاته ودلالاته، فإن ظاهرة الإستدلال بالقرآن الكريم عند النبي -صلى الله عليه وسلم- تعطي قسما كبيرا من تفسير القرآن الكريم في الألفاظ والمعاني، والدلالات القريبة والبعيدة.

وهذه الظاهرة -علاوة- على أنها تفسر للحدث النبوي الشرف فإنها مستند نقلى من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى الإستدلال بالقرآن الكريم.

- وكذلك إستدلالات الصحابة ؛ فهى قريبة كل القرب من إستدلالات الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، ثم أنها قريبة من عهد النبوة فهى تحمل فى طياتها من حقائق التنزيل الشئ ، الكثير . وهى أيضا تجرّ جانب إجتهد الصحابة ؛ وما تأسس عليه الإجتهد ، وتعكس قدراتهم العلمية وتنوع هذه القدرات .

· - وهذا ما تجلّى عند التابعين ومن جاء بعدهم إذا علماء الإسلام السالكين منهج السلف ما زادوا وأعلى أن رتبوا المباحث وبوبوها وجمعوا الأفضية والمسائل ورتبوها ، وما أضافوه سلكوا فيه منهج السلف الصالح .

أما من خالف منهج الصحابة والسلف الصالح فاستدلالاتهم ما هي إلى نموذج للإستدلال غير الموفق، ومثال للطرائق والمعطيات الفاسدة فى الإستدلال ؛ وهذا كله برز عند أصحاب الأهواء وعلاوة الفرق الإسلامية ، والمتعصبين من المتهذبين والمتأثرين بالنهضة الحديث و مظاهر حضارة الغرب . وقد تجلّى الإستدلال فى أشكال هي فى الحقيقة موضوعاته فكان :

٩- الإستدلال العقيدى ؛ الذى دار حول موضوعات العقيدة وقضايا الإيمان وتميّز هذا الإستدلال بخصائص معينة منها الجدل والمناظرة ، والحث على إعمال الفكر والنظر ، وتوجيه كل هذا إلى الآيات الكونية ، وإلى النفس ، وسنن الله فى الإجتماع وال عمران والحياة عامة .

وتحكم هذا الإستدلال ضوابط عقلية ، وقواعد نظرية ، وأقيسة منطقية وقد جاءت هذه الضوابط فى ثنايا الآيات ذاتها ، سواء فى دلالاتها أو معانيها ومقاصدها . وأبرزت الأحاديث النبوية الشريفة هذه المقاييس والضوابط . وقد سلك نظار المسلمين وعلماء الكلام ، والفقهاء من بعد هذه الطرائق وفق ضوابطها وزادوا عليها قواعد مؤسسه هي الأخرى على قواعد القرآن وضوابطه .

١٠- الإستدلال الفقهي والشرعى ؛ ومن الإستدلالات ما أنصرف إلى حقائق شرعية ومفاهيم فقهية فصيح بصيغة فقهية شرعية ، وهذا الإستدلال فى القرآن والسنة عند الصحابة وبقية علماء الأمة . وطرائق هذا الإستدلال طرائق الفقه ذاته ، ما يقتضيه من أساليب ، وسائل ، وهو محكوم بالقواعد الفقهية والشرعية وبدور حول الحكم الفقهي وجوبا ومنعا ، كما ينصب حول قضايا العبادات والمعاملات وفقه الدين جملة . وهذا الإستدلال إن اعتبر فى جانب التفسير ؛ هو التفسير الموضوعى لآيات الأحكام ، فهو من جهة الدراسات القرآنية دراسة معمقة ودقيقة لحقيقة الإستدلال بالقرآن الكريم على المسائل الفقهية والقضايا الشرعية .

١١- الإستدلال العلمى ؛ ومن الإستدلال -أيضا- الإستدلال العلمى وذلك أن العلماء يرجعون إلى القرآن استدلون به على المعارف ، الحقائق العلمية التى يعنون إليها بقول الفاسمى : « لا أحد من العلماء .

لجأ إلى القرآن في مسألة إلا ، وجد فيه أملا ، وهو أنواع منه :

الإستدلال اللغوي حسب ذهب علماء اللغة في الإستدلال على قواعدها المختلفة ، المتعلقة باللغة وفقها أو بالنحو والصرف وقواعدهما أو بالأسلوب وما فيه من بيان وبدع وبلاغة .

والعلوم الأخرى إنسانية أو دقيقة ، حتى ظهرت مباحث في علم النفس وعلم الاجتماع وغير ذلك كما ظهرت مباحث تتعلق بالعلوم الفلسفة والتكنولوجيا وغيرها .

غير أن هذا الإستدلال على كثرة أنواعه تحكمه ضوابط دقيقة هي في الأصل قواعد في الإستدلال؛ وقد مرت بنا هذه القواعد من خلال الإستدلال وطرائقه وفي مختلف الحالات والموضوعات ويمكن حصر هذه الطوابق في :

1- ضوابط قرآنية : ففي القرآن ذاته ضوابط منها ما يتعلق بطرائقه في الإستدلال كما إستعرضنا بعض من أنواع هذا الإستدلال ومنها ما يتعلق بالنص القرآني ذاته من حيث :

أ- نزوله : سواء تعلق الأمر بسبب النزول أو تاريخه أو في مكانه ، وقد رأينا إستدلالات فاسدة أصلا لمغايرة الإستدلال لسبب النزول وموضوعه ، فمعرفة سبب النزول أمر ضروري في عملية الإستدلال ولا يحول السبب دون الإستدلال فقد تكون العبرة بعموم المعنى لا بخصوص السبب ، وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يستدل بالآية وقد علم سبب نزولها كما كان الصحابة يفعلون كذلك غير أن الإستدلال لا يناقض سبب النزول ولا يعارضه .

ب - موضوع الإستدلال : والقرآن شمل موضوعات ؛ وقد عالجت الآيات مواضيع مختلفة ومن مواضيع مختلفة ولا يمكن إبقاء الموضوع حقه إلا بالإحاطة بآيات الموضوع كله ، قد كان الصحابة يقولون هذه الآية نزلت في كذا وهم يقصدون موضوعها لا سبب نزولها ، ولا يمكن نقلا أو عقلا الإستدلال على موضوع بجزء من القرآن تحدث في بعض جوانبه وفي هذا المجال بالدات لاحظنا مدى تداخل الآيات.

- بمراعاة علاقة الآيات مع بعضها وتلازمها وتعارضها وهذه العلاقة مُحكومة بقواعد منها :

- العموم والخصوص ، الإطلاق والتقييد ، المجمع المفصل السابق ، واللاحق ، والناسخ والمنسوخ وغير هذا فإن هذه الأمور تجعل الآيات المستدل بها ممكنة من حيث الإستدلال ، وهذه العلوم محفوظة في ثنايا الكتب ، ومحققه من حيث السند والإتصال .

- دلالة اللفظ ، ودلالة المعنى ، فالألفاظ في الوضع الأصلي لها دلالة وفي سياقها ضمن النص القرآني -قد تكون لها دلالة أخرى مغايرة أو مطابقة ، وإدراك هذا من الضوابط الهامة في عملية الإستدلال ، علاوة على ما يتضمنه اللفظ ذاته من دلالات لغوية تكون أحيانا متباينة حتى في الوضع الأصلي كما هو الحال بالنسبة لأسماء الأضداد .

وما يقتضيه اللفظ العربي من دلالة من حيث الإستعمال الأسلوبى في باب البيان والبدع وضروب

البلاغة المختلفة . ومن الضوابط التي تحكم من القرآني وتبين حقيقته النصوص النقلية الأخرى .

2 - الضوابط السنية : الأحاديث والسنن والآثار ، فمعرفة أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المتعلقة بالآيات وتفسيرها سبب قوي في إبراز المعنى ومن ثم فهو عامل مساعد على الإستدلال وضابط قوي يحكم العملية الإستدلالية . و سنن النبي -صلى الله عليه وسلم- تعطي البيان التام للآيات القرآنية وتبين الكثير من الأسباب والملايسات والحديثيات وهذه كلها من العوامل المعينة على الإستدلال ثم أنها في حد ذاتها ضوابط تحكم الفهم ، وتحول دون الوقوع في التقول والتأويل وتحصيل النصوص ما لا تحمل . أما الآثار فهي تربط النص القرآني بحديثاته الزمانية والمكانية وأسباب النزول وموضوع النزول وكل هذا من العوامل المساعدة في الإستدلال ثم من الضوابط التي تحكم العملية الإستدلالية هذه الضوابط نقلية ومنها أيضا القراءات . فالقراءات منها المتواترة ومنها الآحاد ، وهناك حتى الشاذة فالقراءة قد تكون تفسيراً للقرآن كما هو الحال بالنسبة لبعض الصحابة الذين كانوا يزيدون الكلمة والكلمتين حتى يفسروا الآية مثل قراءة عبد الله ابن العباس في الكثير من الآيات .

- كما أن القواعد العلمية المختلفة ، سواء تعلقت بالنص القرآني ؛ مثل علمي التفسير ؛ وعلوم القرآن و بالنص الحديثي والأثري ، مثل علوم الحديث وعلوم السنة أو الآثار الأخرى . وما تعلق باللسان العربي من علوم اللغة والنحو والصرف والبلاغة ، والبيان والبديع ... الخ

- الأقيسة والأمثال والأشباه والنضائر : وقد دعا القرآن ذاته إلى إعمال النظر والتفكير والإعتبار الإنعاط ، فلا مانع من أن تكون هذه من ضوابط للإستدلال إذا كانت وفق طرائق ومعطيات القرآن نفسه .

ما يمكن أن يقال هو أن الإستدلال بالقرآن الكريم محكوم بالطرائق والضوابط السابق ذكرها وأنه لا يخرج عن المعطيات السابقة « مقبولة أو مردودة » وأن ماسوى هذا من الإستدلال غير معتد به شكلا ومضمونا .

فهارس المصادر والمراجع.

أولاً: القرآن الكريم تفسيره وعلومه

*القرآن الكريم

- أ -

- 1- ابن باديس : عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام العزيز الخبير، ط 1404-7هـ/1982م
مطبوعات الشؤون الدينية
- 2- ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن تيمية : «مقدمة في أصول التفسير»
دار الفكر
- 3- ابن جزوي: أبو القاسم بن محمد بن جزوي الكلبي: «التسهيل لعلم التنزيل»
الدار العربية للكتاب.
- 4- ابن خالويه: ابن خالويه: «الحجة في القراءات السبع»
تحقيق د:عبد العالي، سالم مبروك
الطبعة الرابعة 1401هـ/1995
- 5- أبو زهرة : محمد أبو زهرة: «المعزة الكبرى»
دار الفكر: 2473
- 6- ابن عاشور : «التحرير والتنوير»
دار النشر والتوزيع التونسية.
- 7- ابن عربي : أبو بكر عبد الله المعروف بابن عربي
تحقيق علي محمد البجاوي
ط 407هـ-1987م طبعة جديدة مزيده ومنقحة
دار المعرفة بيروت، دار الجيل بيروت لبنان.
- 8- ابن قتيبة: ابن محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: «تأويل مشكل القرآن»
شرحه ونشره السيد: أحمد صقر.
الطبعة الثانية 404هـ-1984م
- 9- ابن كثير : عماد الدين اسماعيل أبو الغداء بن كثير : «تفسير القرآن العظيم»
الطبعة الأولى 1966م دار مكتبة الهلال بيروت

ت-

- 10- تومي: محمد التومي :
«الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقليّة الإسلامية»
طبعة 304 لهـ-1984م
الدار التونسية للنشر والتوزيع

ج-

- 11- الجلالين: جلال الدين السيوطي، جلال الدين العلي، تفسير القرآن الكريم
ط 2 دار الكتاب اللبناني
12- جولد تسيهر: «تفصيل آيات القرآن الكريم» ويليّه: «المستدرك»
نقله إلى العربية محمد نواد عبد الباقي
طبعة جديدة منقحة

د-

- 13- دراز: دكتور عبد الله دراز: «مدخل إلى القرآن الكريم»
ط 1400هـ/1980م
دار القلم الكويت

ز-

- 14- الذهبي: محمد محيىن الذهبي: «التفسير والمفسرون»
ط بدون تاريخ
دار التراث العربي: بيروت.

ر-

15- الرازي: أبو الفضائل أحمد بن مظفر الرازي «كتاب حجج القرآن»
دار الشهاب تعبت رقم 300/1984م

16- الرازي: الفخر الرازي: «التفسير الكبير»
ط 3

دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ز-

17- الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري
«الكشاف من حقائق التنزيل وميون الأقاويل في وجوه التأويل»

انتشارات اكتاب : تهران

18- الزركشي: الإمام الزركشي، البرهان في علوم القرآن»

اشرف عليه محمد فؤاد عبد الباقي

ط 2 دار المعرفة:بيروت.

س-

19-سيوطي: جلال الدين السيوطي:«الإتقان في علوم القرآن»
ط 1408هـ/1988م

المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع

20-سيوطي: السيوطي الإمام جلال الدين، «لباب النقول في أسباب النزول»

ط 3-1404هـ/1984م

الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية التونسية للكتاب

ش-

21-شلتوت: محمرد شلتوت: «تفسير القرآن»

ط 1403/10هـ

دار الشروق

22- شنقيطي: الإمام الشنقيطي

«كتاب إيقاظ الإعلام إلى وجوب اتباع المصحف الإمام»

ط 1402هـ/1982

دار الرائد العربي

-ص-

- 23-صبري: صبري متولي، منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم، ط1401هـ/1981م
24-صبري: صبري متولي، منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم، ط1406هـ/1986م
دار الثقافة للنشر والتوزيع

-ط-

- 25-طبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» وبهامشه تفسير فرائب القرآن ورفائض الفرقان للعلامة نظام الدين القمي النيسابوري ط1987م/1398هـ
دار الفكر، بيروت

- 26-طبرسي: أبو علي الفضل الحسن الطبرسي: «مجمع البيان في تفسير القرآن» من أكابر علماء الإمامية في القرن 06 طبعة جديدة ومصححة دار مكتبة الحياة، بيروت.

-ع-

- 27-عائشة: د/ عائشة عبد الرحمن: «الإعجاز البياني في القرآن الكريم ومسائل نافع بن الأزرق» ط1399هـ/1979م
الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس

- 28-عبد العظيم: عبد السلام شرف الدين: «ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف» ط1411هـ/1981م

- 29-عك: خالد عبد الرحمان العك: التفسير وقواعده، ط2 موسعة ومنقحة 1406هـ/1986م

-غ-

- 30- غلاب عبد الكريم: «صراع المذهب والعقيدة في القرآن الكريم»
ط 1399هـ/1979م
الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس

-ف-

- 31- فيروز أبادي: أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي
«تنوير المقياس من تفسير ابن عباس»
المكتبة التجارية الكبرى
التوزيع دار الفكر، بيروت

-ق-

- 32- قرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري:
«القرطبي الجامع لأحكام القرآن»
الطبعة الثانية
33- القاسمي: جمال الدين القاسمي: «محاسن التأويل وأسرار التنزيل»
ط 1398هـ/1978م
دار الفكر

-م-

- 34- محمد السيد اجليدا: محمد السيد اجليدا: «الإمام بن تيمية وقضايا التأويل»
ط 1403هـ/1983م
دار الفكر
35- محمد سالم محيسن: محمد سالم محيسن: «في رحاب القرآن الكريم»
ط 1400هـ/1980م
مكتبة الكليات الأزهرية.
36- المراغي: محمد مصطفى المراغي: «بحث في ترجمة القرآن»
ط 1401هـ/1981م
دار الكتاب الجديد بيروت

37: النحاس: أبو جعفر النحاس: «الناسخ والمنسوخ»

تحقيق شعبان اسماعيل

ط 1-1407هـ/1986م

عالم الفكر

ثانيا: مراجع الحديث

-أ-

1- ابن صلاح: المقدمة «علوم الحديث لابن صلاح»

ط 1:1401هـ/1981م

الناشر المكتبة العلمية

2- ابن ماجه : محمد بن يزيد «سنن ابن ماجه»

تحقيق : عبد الباقي

3- ابن قتيبة: «كتاب تاويل مختلف الحديث»

4- أبو داود: «سنن أبي داود»

دار الحديث حمص

توزيع الشركة المتحدة بيروت

-ب-

5- البخاري : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل : «الجامع الصحيح»
بحاشية السندي

دار إحياء الكتب العربية القاهرة

6- البيهقي : «شرح السنة»

ط 2-1403هـ/1983م

دار المكتب الإسلامي بيروت

-ج-

7- حنبل : أحمد بن حنبل : «المسند»

ط 4-1403هـ/1983م

دار الكتاب الإسلامي

-د-

8- رضا محمد رشيد رضا : «مجموعه الحديث»

ط 1342هـ

مطبعة المنار المصرية

-ز-

9- زمخشري : جار الله الزمخشري : «الفائق في غريب الحديث»

تحقيق علي محمد البخاري ومحمد أبو الفضل

الطبعة الثانية

دار المعرفة بيروت

-ع-

10- العبدلي: د/ شريف بن منصور العبدلي: « مرويات بن مسعود »

ط 1406/هـ/1985م

دار الشروق

11- العقيلي: محمد علي العقيلي:

« البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف »

ط 1402/هـ/1982م

دار الفكر بيروت.

12- عسقلاني: ابن حجر العسقلاني: « فتح الباري »

طبعة مزيدة بلهرس كتاب: « صحيح البخاري، قرأ أصله تصحيحا

وتحقيقا عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه و أبوابه وأحاديثه،

محمد نؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف عليه محب الدين

الخطيب

دار المعرفة بيروت لبنان

-م-

13 مالك: مالك بن أنس الأصبحي: « الموطأ »

دار الفكر بيروت لبنان

14- المروزي: مسند أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -

تحقيق شعيب الأرنؤوط

المكتب الإسلامي بيروت لبنان

-ن-

15- النووي: « منهل الواردين في شرح رياض الصالحين »

ط 1970/م

دار العلم للملايين بيروت لبنان

ثالثاً: كتب الفقه وأصوله

أ-

- 1- الألباني محمد ناصر الدين الألباني:
«حجة النبي (صلى الله عليه وسلم) كما رواها جابر بن عبد الله»
ط 4/397هـ
المكتب الإسلامي بيروت
- 2- ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن تيمية «الفتاوى الكبرى»
ط 1/407هـ/1981م
دار الأفاق
- 3- ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن تيمية «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»
مقابلة على عدة نسخ مخططات معتمدة ومصححة
رقم 1: 1401هـ/1981م
دار الأفاق
- 4- ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن تيمية
«السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»
دار الشهاب باتنة الجزائر
- 5- ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن تيمية «رفع الملام عن الأئمة الاعلام»
ط 5/390هـ
دار الفكر العربي
- 6- ابن قيم الجوزية: ابن قيم الجوزية «اعلام الموقعين من رب العالمين»
تحقيق محمد ممي الدين عبد الحميد
ط 1407هـ/1987م
المكتبة العصرية صيدا بيروت
- 7- ابن قدامة: جعفر بن قدامة: «المغني» و«إليه» الشرح الكبير»
ط 1393هـ/1973م
دار الكتاب العربي

ب-

- 13- البيهقي: محمد سعيد رمضان البيهقي «أصول الفقه: مباحث الكتاب والسنة»
ط 2/1401هـ/1981م
مطبعة طبريم

14- الباجقيني: محمد عبد الغني الباجقيني: «العرف والعمل في المذهب المالكي»
رسالة ماجستير، جامعة القرويين، المغرب

-ج-

15- الجيدي: محمد عبد الكريم الجيدي: «العرف والعمل في المذهب المالكي»
رسالة ماجستير، جامعة القرويين، المغرب

-ر-

16- رواس: محمد رواس قلعة جي «موسوعة أبي بكر الصديق الفقهية»
دار النفائس

17- رواس: محمد رواس قلعة جي: «موسوعة عمر بن الخطاب الفقهية»
ط 4/1409هـ/1989م

دار النفائس بيروت لبنان

18- رواس: محمد رواس قلعة جي: «موسوعة فقه عبد الله بن عمر»
ط 1/1406هـ/1986م

دار النفائس بيروت

19- رواس: محمد رواس قلعة جي: «موسوعة علي بن أبي طالب الفقهية»
ط 1/1403هـ/1983م

-ز-

20- الزحيلي: وهب الزحيلي: «الفقه الإسلامي وأدلته»

ط 1-1407هـ/1981م

دار القلم

-س-

21- سعيد: د/سميد محمد اسماعيل: «أصول الفقه ورجال وتاريخه»

ط 1/1401هـ/1981م

دار المريخ

22. سابق: السيد سابق «فقه السنة»

الطبعة الشرعية الخامسة 1983/1403

دار الكتاب العربي بيروت لبنان

-ش-

- 23- الشاطبي: أبو اسحاق الشاطبي: «الموافقات بعملية تعليقات فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الله دراز
المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها الحلبي شارع محمد علي
24- الشنقيطي: الإمام الشنقيطي: «القول السديد في حقيقة التقليد»
ط 1/1405هـ/1985م

-ظ-

- 25 الظل : محمد فايز الظل : «موسوعة فقه عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)»
ط 1-1409هـ/1989م
دار النفائس بيروت لبنان

-غ-

- 26- الغزالي: أبو حامد الغزالي: «إحياء علوم الدين»
ط 1-مصححة ومنقحة
دار القلم للطباعة بيروت لبنان

-ق-

- 27- القرضاوي: الشيخ يوسف القرضاوي: «فقه الزكاة»
ط-1405هـ 1985م
دار الصحوة

-م-

- 28- المودودي: أبو الأعلى المودودي: «شريعة الإسلام في الجهاد»
ط-1406هـ/1985م
دار الصحوة

رابعاً: كتب السيرة والترجم

أ-

- 1- ابن جوزي: أبو الفرج محمد بن جوزي: «مناقب الإمام أحمد بن حنبل»
ط 21977
دار الأفاق الجديدة
- 2- ابن هشام: «سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن هشام»
تحقيق المرحوم الشيخ محمد مهدي الدين عبد الحميد
ط 1356/1937
دار الفكر
- 3- ابن كثير: الحافظ بن كثيره البداية والنهاية»
- 4- أبو زهرة: محمد أبو زهرة «الإمام مالك بن أنس»
دار الفكر العربي
دار لثقافة للطباعة العربية عابدين
- 5- أبو زهرة: «المذاهب الفقهية»
مطبعة السعادة/ دار الفكر العربي
- 6- أبو زهرة: «الإمام أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقهه»
دار الفكر العربي 1 أشارح جواد حسين القاهرة
- 7- أبو زهرة: «الإمام الشافعي حياته وعصره آراه وفقهه»
- 8- أبو زهرة: «أحمد بن حنبل حياته وآراؤه وفقهه»
مطبعة السعادة/ دار الفكر العربي
- 9- أبو زهرة: «تقي الدين بن تيمية»
دار الفكر العربي
مطبعة مجمرات
- 10- أمين: أحمد أمين «فجر الإسلام»
- 11- الإصفيهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصفيهاني: «حلية الأولياء»
ط 2-1387هـ/1967م
دار المكتب العربي

ب-

- 10- البوطي: محمد سعيد رمضان البوطي: «فقه السيرة»
ط 1989/1م
دار الفكر

-خ-

- 11- خان : قمر الدين خان: « ابن تيمية وفكره السياسي »
ترجمة وتعليق: أحمد المبارك البغدادي

-ط-

- 12- الطبري: ابن جرير الطبري: « تاريخ الأمم والملوك »
دار التراث العربي

-ع-

- 13- عبد السلام هارون: « تهذيب سيرة ابن هشام »
دار إحياء التراث العربي
- 14- عساف: الشيخ أحمد عساف: « خلاصة الأثر »
ط 4-1406هـ/1986م
- 15- ميد العظيم عبد السلام شرف الدين :
« ابن قيم الجوزية عصره منهجه وأراؤه في الفقه والعقائد والتصوف »
ط 2-1387هـ/1967م
المكتبة الأزهرية

-غ-

- 16- الغزالي: محمد الغزالي: « فقه السيرة »
ط 1976 دار الكتاب الحديثة

-ك-

- 17- الكاندهلوي: محمد يوسف الكاندهلوي « حياة الصحابة »
ط-1406هـ-1986م
دار المعرفة

-ل-

- 18- لو تروب: لوتروب سوارداد، حاضر العالم الإسلامي،
تعليقات شكيب أرسلان
تحقيق عادل نويهض

-م-

19- موسى: د. محمد يوسف موسى: «ابن تيمية»

ط 4-1973م

دار الفكر العربي

-ن-

20- الندوي: محمد أبو الحسن الندوي:

«رجال الفكر والدعوة في الإسلام العاقل بن تيمية»

ط 6-1403هـ/1983

دار القلم

-ه-

21- هارون: عبد السلام هارون: «تهذيب سيرة بن هشام»

دار إحياء التراث العربي

22- الهراس: محمد خليل الهراس: «ابن تيمية وفكره السياسي»

ترجمة وتعليق: أحمد مبارك البغدادي

جامعة العلوم الإسلامية

خامسا: العقيدة وعلم الكلام والفلسفة

أ-

- 1- ابن تيمية : أحمد تقي الدين بن تيمية: « كتاب القضاء والقدر »
خطب وتنسيق، شرح وتعليق د/السيد الجميلي
ط 1/1411هـ/1991م
دار الكتاب العربي لبنان
- 2- ابن تيمية: أحمد تقي الدين بن تيمية:
« اجتماع الجيش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية »
تحقيق فؤاد أحمد زملي
ط 1-1988
دار الكتاب العربي
- 3- ابن الجوزي: أبو الفرج بن الجوزي: « كتاب القصاص والمذكرين »
تحقيق مادلين سوارتز
ط 1986
دار الفكر
- 4- ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون: « المقدمة »
دار العودة بيروت
- 5- أشعري: أبو الحسن الأشعري: « الإبانة عن أصول الديانة »
تحقيق حماد بن محمد الأنصاري
ط 2 مركز شؤون الدعوة 158 المدينة المنورة
- المملكة العربية السعودية-
- 6- أشعري: أبو الحسن الأشعري: « مقالات الإسلاميين »
ط 2-1405هـ/1985م

جـ

7- الجويني: أبو محمد عبد العزيز يعقوب الجويني: «الشامل في أصول الدين»
قدم له وحققه: علي سامي النشار، فيصل إيدير، عون سهيب، محمد

مختار

ط 1969 منشأ المعارف الإسكندرية

8- جولد تسيهر: إجناتس جولد تسيهر «العقيدة الإسلامية»

نقله إلى العربية وعلق عليه محمد يوسف موسى، عبد العزيز عبد

الحق علي حسن عبد القادر

طبعة مصورة عن مطبعة دار الكتاب المصري

9- الجر: د. خليل الجر ود. حنا الفاخوري «تاريخ الفلسفة العربية»

ط 2-1982

دار الجيل العربي بيروت لبنان

10- الجامع: الجامع الفريد:

«محمد بن عبد الوهاب، أحمد بن تيمية، الإمام الصنعاني، الإمام

الشوكاني» لجماعة من العلماء، كتاب ووسائل الدعوة

شؤون الدعوة

المملكة العربية السعودية

خـ

11- الخالدي: محمد الخالدي: «العقيدة وعلم الكلام»

الرعاية ط 1989

طبعة بالتعاون مع مكتبة الرسالة

12- الخطيب: محب الدين الخطيب «الأسس العريضة التي قام عليها التشيع»

4 رجب 1380

المدينة المنورة

لـ

12- الدرامي: أبو سعيد الدرامي: «كتاب الرد على الجهمية»

تحقيق زهير الشاويش

تخريج أحاديث محمد ناصر الدين الألباني

ط 4-1402هـ/1982

المكتب الإسلامي

-ر-

- 13- الرشيد: عبد العزيز ناصر الرشيد:
«التنبيهات السنوية على العقيدة الواسطية»
مطبعة الإيمان
14 شارع علي عبد الطيف بالمارية (مصر)

-ش-

- 14- الشهرستاني: محمد عبد الكريم الشهرستاني: «الملل والنحل»
تحقيق محمد سيد الكيلاني
ط 1400هـ/1980م
دار المعرفة بيروت لبنان
- 15- الشابي: علي الشابي أبو لبابة حسين، عبد المجيد النجار:
«المعتزلة بين الفكر والعمل»
ط 1978 دار التوزيع والنشر
- 16- شلبي: عبد الجليل عبده شلبي: «الخطابة وإعداد الخطيب»
ط 2-1402هـ/1986
دار الشروق

-ط-

- 17- طالبني: د عمار الطالبني: «آراء الفوارج»
دار العلم للطباعة رقم الإيداع 2728
ط 1971
الناشر المكتب المصري الحديث

-ع-

- 18- عبد الفتاح: د. إمام عبد الفتاح: «محاضرات في المنطق»
ط 1979 دار الكتاب اللبناني بيروت
- 19- العمري: صالح بن محمد العمري: «مختصر إيقاظ أولي الأبصار»
تحقيق سالم الهلا
المكتبة الإسلامية قصر الكتاب البلدة

- 20- محمود : عبد العليم محمود: «التفكير الفلسفي في الإسلام»
ط 1989
دار الكتاب اللبناني
- 21- محمود : د. عبد القادر محمود: «الفكر الفلسفي الإسلامي والفلسفات المعارضة»
ط 1873/4م
- 22- المدرسي : محمد تقي الدين المدرسي: «المنطق الإسلامي أصوله ومناهجه»
الطبعة الثانية
دار الجيل
- 23- مهران : د. محمد مهران: «مقدمة في المنطق الرمزي»
ط 1979
دار الكتاب اللبناني بيروت
- 24- الموسوي: عبد الحسين شرف الدين الموسوي: «المراجعات»
كتاب خانه برزك إسلامي

خامسا: كتب اللغة والمعاجم

أ-

- 1- ابن فتيبة: أبو محمد مسلمه أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط1983 دار السعادة -مصر-
- 2 ابن منظور: ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر بيروت
- 3- ابن عقيل: عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق وشرح محمد محي الدين عبد الحميد طبعة منقحة 1411هـ/1990م المكتبة العصرية- بيروت لبنان

ز-

- 4- الزمخشري: جاز الله الزمخشري، أساس البلاغة،

س-

- 5- السيوطي: جلال الدين السيوطي، المزهري في اللغة العربية، شرحه وعلق عليه محمد أحمد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية ط1408هـ/1987م

ش-

- 6- الشاهد: الشاهد البوشيخي، المصطلحات النقدية والبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ط1-1402هـ/1982م

-ق-

- 7- القزويني: جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة،
تحقيق عبد الله البرقوق
8- القلقشندي: أحمد بن علي القلقشندي، صبح الزمخشري في صناعة الإنشاء،
ط 1963م المطبعة الاميرية

-ل-

- 9- اللبيدي: محمد سمير نقيب اللبيدي، معجم المصطلحات النوحية والصرفية،
مؤسسة الرسالة بيروت، قصر الكتاب البليدة

-م-

- 10- المبرود: أبو العباس محمد بن يزيد المبرود، الكامل،
الناشر مؤسسة دار المعارف، بيروت بدون طبعة
11- مخلف: «البقلاني وإعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية»
ط 1978
منشورات دارمكتبة الحياة

فهرس الآيات

الصفحة	السورة	رقم	الآية
166-157-03	البقرة	184	من شهد منكم الشهر فليصمه
38-05	البقرة	186	كلوا واشربوا حتى يتبين
6	يوسف	2	نا أنزلناه قرآنا عربيا
13	مريم	42	أبنت لم تعبد ما لا يسمع
13	إبراهيم	4	ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
13	الأنبياء	66	تعيدون من دون الله
13	الشعراء	72	ل يسمعونكم إذ تدعون
14-13	العنكبوت	16	ن الذين تعبدون من دون الله
15-14	النمل	63	من خلق السماوات و الأرض و أنزل
15	الأعراف	104	ني رسول من رب العالمين
15	الشعراء	22	ما رب العالمين
15	طه	48	من ربكما
15	طه	52	ذي جعل لكم الأرض مهادا
16	الذاريات	58	و الرزاق ذو القوة المتين
17	مريم	24	هزي إليك بجذع النخلة
17	الحج	37	ن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا
17	البقرة	192	قاتلوهم حتى لا تكون فتنة
17	البقرة	190	قاتلوا في سبيل الله
17	البقرة	191	اقتلوهم حيث ثقتموهم
19-18	الحج	71	الذين تدعون من دون الله
18	النحل	17	من يخلق كمن لا يخلق
18	الأحقاف	32	لم يروا أن الله الذي خلق السماوات
20	الكهف	55	يجادل الذين كفروا بالباطل
1-226-116-34-24-22	النحل	44	بين للناس ما نزل إليهم
23-22	البقرة	273	سيالون الناس إلحافا
23	يس	27	الشمس تجري لمستقر لها
52-24-23	الأنعام	82	ذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم
52-23	لقمان	12	بني لا تشرك بالله
25	النساء	95	يستوي القاعدون
26	الأنبياء	103	نا بدأنا أول خلق
48-26	المائدة	118	كنت عليهم شهيدا

فهرس الآيات

الصفحة	السورة	رقم	الآية
166-157-03	البقرة	184	فمن شهد منكم الشهر فليصمه
38-05	البقرة	186	و كلوا واشربوا حتى يتبين
6	يوسف	2	إنا أنزلناه قرآنا عربيا
13	مريم	42	ياأيت لم تعبد ما لا يسمع
13	إبراهيم	4	و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
13	الأنبياء	66	أفتعبدون من دون الله
13	الشعراء	72	هل يسمعونكم إذ تدعون
14-13	العنكبوت	16	إن الذين تعبدون من دون الله
15-14	النمل	63	أمن خلق السماوات و الأرض و أنزل
15	الأعراف	104	إني رسول من رب العالمين
15	الشعراء	22	و ما رب العالمين
15	طه	48	فمن ربكما
15	طه	52	الذي جعل لكم الأرض مهادا
16	الذاريات	58	هو الرزاق ذو القوة المتين
17	مريم	24	و هزي إليك بجذع النخلة
17	الحج	37	أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا
17	البقرة	192	و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة
17	البقرة	190	و قاتلوا في سبيل الله
17	البقرة	191	و اقتلوهم حيث ثقفتموهم
19-18	الحج	71	إن الذين تدعون من دون الله
18	النحل	17	أفمن يخلق كمن لا يخلق
18	الأحقاف	32	أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات
20	الكهف	55	و يجادل الذين كفروا بالباطل
281-226-116-34-24-22	النحل	44	لتبين للناس ما نزل إليهم
23-22	البقرة	273	لا سيالون الناس إلحافا
23	يس	27	و الشمس تجري لمستقر لها
52-24-23	الأنعام	82	الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم
52-23	لقمان	12	يا بني لا تشرك بالله
25	لنساء	95	لا يستوي القاعدون
26	الأنبياء	103	كما بدأنا أول خلق
48-26	المائدة	118	و كنت عليهم شهيدا

الصفحة	رقم سورة	الآية
27	99 الكهف	فلا نقيم لهم يوم القيامة
30	10 الحشر	ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين
112.30	100 التوبة	والسابقون الأولون من المهاجرين
30	12 الواقعة	والسابقون السابقون أولئك المقربون
30	193 ال عمران	ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي
40-31	40 التوبة	ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول
32	110 ال عمران	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
145.32	142 البقرة	وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا
32	29 الفتح	محمد رسول الله ، والذين معه أشداء
281.241.86.34	44 النحل	لتبين للناس ما نزل إليهم
35	4-1 الروم	الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم
35	283 البقرة	وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه
35	286 البقرة	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
35	07 ال عمران	هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات
36	22 الكهف	سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
95.36	01 النصر	إذا جاء نصر الله والفتح ...
37	47 النحل	أويأخذكم على تخوف فإن ربكم
37	31 عبس	وفاكهة وأباً
155.38	07 المائدة	فتبعموا صعيداً طيباً
39	18 الليل	الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد
39	107 المائدة	يأليها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
39	32 الزمر	والذي جاء بالصدق وصدق به
41.40	97 المائدة	يحكم به ذوا عدل
100.42.41	29 الزمر	إنك ميت وإنهم ميتون
100.54.42.41	144 ال عمران	وما محمد إلا رسول قد خلت
153.43.42	103 التوبة	خد من أموالهم صدقة تطهرهم
43	05 التوبة	فإن تابوا وأقاموا الصلاة
43	43 النور	وأقاموا الصلاة وإيتاء الزكاة
44	30 فصلت	إن الذين قالوا ربنا الله ثم
52.44	82 الأنعام	الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم
45.44	54 النحل	فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا
45.44	99 مريم	هل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع
46	28 غافر	أنتقلون رجلاً أن يقول ربي الله
49.47	125 البقرة	واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى
49.47	53 الأحزاب	وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن
48	36 إبراهيم	ومن تبعني فإنه مني ومن عصاني
48	120 المائدة	إن تعذبهم فإنهم عبادك

الصفحة	سورة	رقم	آية
48	نوح	20	رب لا تذر على الأرض من الكافرين
48	يونس	88	ربنا أطمس على أموالهم واشدد
49.47	الأنفال	68	لولا كتاب من الله لمسكم فيما
50	المؤمنون	14	فتبارك الله أحسن الخالقين
50	البقرة	217	يسألونك عن الخمر والميسر
50	النساء	47	يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة
99.57.56.50	المائدة	93	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر
53.52	البقرة	2-1	الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
53	الاحزاب	21	لقد كان لكم في رسول الله
53	الأنعام	126	فمن يرد الله أن يهديه يشرح
54	الفتح	23	هو الذي أرسل رسوله بالهدى
55	النساء	03	رما ملكت أيمانكم
54	آل عمران	200	يا أيها الذين آمنوا إصبروا
98.83.56.55	المائدة	95	ليس على الذين آمنوا وعملوا
.213.162.58	النساء	20	و اتيتم إحداهن قنطارا فلا
59	البقرة	233	والوالدات يرضعن أولادهن
213.59	الاحقاف	15	وحمله وفصاله ثلاثون شهرا
60	النور	2	وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
60	التكوير	18	والصبح إذا تنفس
65	المائدة	98	أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا
61	الاعراف	127	إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده
62.61	الانبياء	105	ولقد كتبنا في الزبور من بعد
62.61	الاعراف	126	سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم
63	النساء	11	من بعد وصية يوصي بها أودين
64	المائدة	36	إنما جزاء الذين يحاربون الله
65	النور	4	والذين يرمون المحصنات ثم لم
66	المؤمنون	61	الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجة
67	النساء	3	وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى
135.69.67	الانعام	166	ولا تزر وازرة وزر أخرى
68	فاطر	18	إن تدع مثقلة إلى حملها
68	المدثر	38	كل نفس بما كسبت رهينة
70	الاحقاف	17	والذي قال لوالديه أف لكما
70	النور	18-11	إن الذين جاؤوا بالأفك عصبية منكم
70	الاحقاف	19	أولئك الذين حق عليهم القول في
72	آل عمران	90	لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
73	الانسان	8	ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
74	البقرة	281	يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم
74	النور	27	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا
76.75	النور	56	ليستأننكم الذين ملكت أيمانكم

الصفحة	سورة	رقم	الآية
76	محمد	4	إذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
77	آل عمران	97	ولله على الناس حج البيت
78	البقرة	187	ثم أتوا الصيام إلى الليل...
78-77	المائدة	5	والمحصنات من المؤمنات ...
78-77	البقرة	221	ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
79	البقرة	180	كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت
79	البقرة	173	وما أهل به لغير الله
79	الأنعام	121	ولا تاكلوا مما لم يذكر
80	النساء	23	...وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ...
81	الأنفال	39	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
97.96.81	النساء	92	ومن يقتل مؤمنا متعمدا
81	الحجرات	9	وإن طائفتان من المؤمنين
83	فصلت	22	يما كنتم تسترون أن يشهد
84	النور	06	الذين يرمون أزواجهم
85	الحديد	16	لم يأن للذين آمنوا
85	النساء	41	فكيف إذا جئنا
245.212.86	الحشر	7	وما أتاكم الرسول فخذوه
87	الجمعة	11	وإذا رأو تجارة أو لهوا
88.87	المائدة	87	بأبها الذين آمنوا لا تحرموا
91	الأنفال	33	وما كان الله معذبهم وهم
92	النساء	10	إن الذين ياكلوا أموال اليتامى
92	البقرة	220	يسألونك عن اليتامى قل إصلاح
92	البقرة	256	لا إكراه في الدين قد تبين
131.93	الزمر	65	لئن اشركت ليحبطن عملك
93	الفرقان	68	والذين لا يدعون مع الله إله آخر
93	النساء	8	وإذا حضر القسمة
94	البقرة	158	فلا جناح عليه ألا يطوف بهما
94	الأعراف	30	قل هي للذين آمنوا خالصة
94	الفتح	09	إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
99.97	الأنعام	146	قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما
98	الأنعام	145	فمن اضطر غير باغ ولا عاد
131.99	الزخرف	157	... بل هم قوم خصمون
99	مريم	98	... لتندربه قوما لدا
99	الأنعام	58	إن الحكم إلا لله
100	يوسف	92	لا تثريب عليكم اليوم
104.100	يوسف	18	فصيرا جميلا والله المستعان
100	الأحقاف	20	أنهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا
100	لأحزاب	38	وكان أمر الله قدرا مقدورا

الصفحة	سورة	رقم	الآية
101	النساء	28	لا تقتلوا أنفسكم
101	الروم	30	فطرة الله التي فطر الناس عليها
101	الإسراء	78	إن قرآن الفجر كان مشهودا
101	الدخان	28	فما بكت عليهم السماء والأرض
102	الأنبياء	90	إنهم كانوا يسارعون في الخيرات
102	الحشر	9	ومن يوق شح نفسه
103	آل عمران		واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء
103	هود	80	لو أن لي بكم قوة أو آوي
103	هود	91	وإننا لنراك فينا ضعيفا
104	الحشر	16	كمثل الشيطان إذ قال للإنسان
104	الكهف	104	الذين ظل سعيهم في الحياة
105	سبا	54	وحيل بينهم وما يشتهون
105	يس	49	فلا يستطيعون توصية
117.109	آل عمران	07	و ما يعلم تأويله إلا الله
116	الإسراء	36	ولا تقف ما ليس لك به علم
240.116	الأعراف	33	إنما حرم ربي الفواحش
117	النساء	84	أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب
289.280.117	النساء	84	و لو ردوه إلى الرسول و إلى ذوي الأمر منهم
118	الإسراء	85	يسألونك عن الروح ...
118	النمل	65	لا يعلم من في السماوات و الأرض
118	الأنعام	91	و ما قدروا الله حق قدره
118	السجدة	17	فلا تعلم نفس ما أخفي
118	النازعات	42	يسألونك عن الساعة
119.118	يوسف	2	إننا جعلناه قرآنا عربيا
120	الشعراء	195	بلسان عربي مبين
123	الإنسان	1	هل أتى على الإنسان حين
123	الإنسان	3	إن هديناه السبيل
123	الإنسان	29	إن هذه تذكرة
123	القصص	68	بضل من يشاء و يهدي من يشاء
123	الأنفال	68	و ربك يخلق ما يشاء و يختار
123	الأنفال	17	وما رميت إذ رميت
123	الكهف	24.23	و لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك
124	البقرة	143	وما كان الله ليضيع إيمانكم
124	الأنعام	158	لا ينفع نفس إيمانها
124	آل عمران	173	الذين قال لهم الناس
174.124	محمد	33	أطيعوا الله و أطيعوا الرسول
124	الحجرات	2	و لا ترفعوا أصواتكم

الصفحة	سورة	رقم	الآية
125	ق	16	و نحن أقرب إليه من حبل الراح
125	طه	5	الرحمان على العرش استوى
125	الفتح	10	إن الذين يبائعونك
126	الرحمان	27	و يبيئو وجه ربك
127	البقرة	258	ألم ترى إلى الذي حاج إبراهيم
128.127	النساء	59	فإن تنازعتم في شئ
128	يس	21	وما لي لا أعبد الذي فطرني
128	سبا	24	إنا و إياكم لعلى هدى أو
129	الأنعام	103	لاتدركه الأبصار
129	الأعراف	44	و نادى أصحاب النار
130	التوبة	46	و لو أرادوا الخروج
131	الأنعام	96	ذلك تقدير العزيز العليم
133.130	المائدة	47	و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
215.133	البقرة	204	و من الناس من يعجبك قوله
134	الأنعام	71	كالذي استهوته الشياطين
134	الأنعام	121	إن أطمعتموهم إنكم لمشركون
144.134	نوح	27	قال نوح رب لا تذر على الأرض
135.134	النساء	48	إن الله لا يغفر أن يشرك به
135	هود	36	إنه لن يؤمن من قومك إلا
136	الطور	21	الذين آمنوا و اتبعتهم
136	التغابن	2	و هو الذي خلقكم فمنكم كافر
136	النساء	77	فريق منكم يخشون الناس
136	المائدة	45	يجاهدون في سبيل الله لا يخافون
139	آل عمران	28	إلا أن تتقوا منهم تقاة
145.141.139	الحشر	20	لا يستوي أصحاب النار و أصحاب
140	النساء	85	أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي
141	الأنعام	135	و أن هذا صراطي مستقيما
141	الأحزاب	33	يريد الله أن يذهب عنكم الرجس
143	آل عمران	103	و اعتصموا بحبل الله جميعا
144	النحل	44.43	فاسألوا أهل الذكر إن كنتم
144	القمر	17	ولقد يسرنا القرآن للذكر
161.144	الزخرف	14	و إنه لذكر لك و لقومك
197.145	النساء	115	و من يشاقق الرسول
146	النساء	67	إن الله لا يغفر أن يشرك به
146	المائدة	7	و الله يعصمك من الناس
147	الرعد	7	إنما أنت منذر و لكل قوم هاد
147	الغاشية	7	صراط الذين أنعمت
148	النساء		و من يطع الرسول فأولئك
148	القصص		كل شيء هالك إلا وجهه
149	آل عمران		هذا صراط للناس و هدى

الصفحة	سورة	رقم	الآية
149	القصص		إن الذي فرض عليك القرآن
150	الكهف		و علمناه من لدنا علما
150	الحج	75	ما جعل عليكم في الدين من حرج
152	النساء	165	رسلا مبشرين ومنذرين
152	الأنبياء	107	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
152	هود	7	هو الذي خلق السماوات والأرض
152	الملك	2	تبارك الذي بيده الملك
153	الذاريات	56	وما خلقت الجن والإنس
153	المائدة	6	ما يريد الله ليجعل عليك في الدين من حرج
153	العنكبوت	45	أقم الصلاة إن الصلاة تنهى
153	البقرة	183	كتب عليكم الصيام كما كتب
154	الحشر	07	كي لا يكون دولة
155	الحج	75	واركعوا واسجدوا
158-156	البقرة	273	وأحل الله البيع وحرم الربا
157	التوبة	72	ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
157	البقرة	226	والمطلقات يتربصن
158	ص	72	فمسجد الملائكة أجمعون
162	الزمر	62	الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل
162	الأحقاف	25	تدمر كل شيء بأمر ربها
162	الذاريات	42	ما تذر من شيء أتت عليه إلا
163	الجمعة	10	فإذا قضيت الصلاة فانتشروا
.	البقرة	282	واشهدوا إذا تبايعتم
.	الأنعام	99	فانظروا إلى ثمره إذا أثمر
.	البقرة	279	فأنزوا بحرب من الله ورسوله
.	الدخان	49	ذق إنك أنت العزيز الكريم
.	آل عمران	93	فاتوا بالتوراة فاتلوها
.	الطور	16	فاصبروا أو لا تصبروا
.	طه	72	فاقض ما أنت قاض
164	الزخرف	70	أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم
.	النمل	32	يا أيها الملا إفتوني
.	البقرة	85	كونوا قردة خاسئين
.	الإسراء	50	كونوا حجارة أوحديدا
.	غافر	68	كن فيكون
.	المائدة	04	فكلوا مما أمسكن عليكم
165	المائدة	101	لا تسألوا عن أشياء إن تبد
165	التحريم	07	لا تعتذروا اليوم
165	الحجر	88	ولا تعدن عينيكم إلى ما متعنا
165	إبراهيم	42	ولا تحسبن الله غافلا عما
165	البقرة	284	ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا

الصفحة	سورة	رقم	الآية
166	التور	04	ولا تقبلوا لهم شهادة وأولئك
166	التوبة	28	إنما المشركون نجس
166	البقرة	158	إن الصفا والمروة من شعائر الله
166	القصص	08	إن فرعون وهامان وجنودهما
166	النساء	23	وربائبكم اللاتي في حجوركم اللاتي دخلتم
167	الإسراء	23	فأوحينا إلى موسى أن أضرب
168	الشعراء	63	لا يسأل عما يفعل
168	الأنبياء	23	وإنه لتنزيل رب العالمين
169	الشعراء	192	قرآنا عربيا غير ذي عوج
170.180.168	الزمر	28	الله خالق كل شيء
170	المائدة	122	وهو على كل شيء قدير
170	التوبة	120	ما كان لأهل المدينة ومن حولها
170	النساء	74	المستضعفين من الرجال
170	الكهف	77	فأبوا أن يضيفوهما
171	النساء	11	يوصيكم الله في أولادكم
171	النساء	25	فإذا أحسن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على
174	الأنفال	38	قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم
176	النساء	86	وإذا حييتم بتحية فحيوا
177	المائدة	7.6	يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة
212.191.180	المائدة	03	اليوم أكملت لكم دينكم
180	الكهف	22	ما يعلمهم إلا قليل
182	المؤمنون	101	فلا أنساب بينهم يومئذ
183.182	الصفافات	50	واقبل بعضهم على بعض يتسألون
182	النساء	42	ولا يكتُمون الله حديثا
183	الأنعام	23	ربنا ما كنا مشركين
183	آل عمران	188	ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا
185	الواقعة	63	أفرايتم ما تحرثون
187	السجدة	17	فلا تعلم نفس ما أخفي لهم
190	الواقعة	63.62	لاكلون منها فمالئون
190	النحل	38	واقسموا بالله جهد إيمانهم
191	المائدة	67	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك
192	الرعد	17	أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها
192	الأنفال	8.7	يحق الحق بكلماته
194	النساء	51.52	ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب
194	المائدة	03	حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
194	هود	82	وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل
195	يوسف	06	ولنعلمه من تأويل الأحاديث
265.242.197.196	القيامة	22	وجوه يومئذ ناظرة
197	المدثر	48	فما تنفعهم شفاعة الشافعين
197	غافر	18	فما للظالمين من حميم ولا شفيع

الصفحة	سورة	رقم	الآية
200	الفجر	22	وجاء ربك والملائكة صفوا
200	البقرة	210	هل ينتظرون إلا أن يأتي تأويله
201	الجمعة	2	هو الذي بعث في الأميين
203	الإسراء	1	سبحان الذي أمرى بعبده ليلا
203	يس	13.12	واضرب لهم مثلا أصحاب القرية
203	البقرة	282	واتقوا الله و يعلمكم الله
210	الإسراء	29	ولا تجعل يدك مغلولة
.	النساء	22	ولا تنكحوا ما نكح آباءكم
214	الأعراف	199	خذ العفو وأمر
116	طه	217.116	فلا يخرجنكم من الجنة فتشقى
214.213	العشر	2	فاعتبروا يا أولي الأبصار
216-215	البقرة	207	ومن الناس من يشري
216	النساء	100	ومن يخرج من بيته مهاجرا
216	النور	25	الله نور السموات والأرض... عليهم
217	النحل	16	وعلامات وبالنجم هم يهتدون
217	يونس	101	وما تغني الآيات والنذر
217	النبأ	2-1	عم يتسألون
219	البقرة	77	وأتى المال على حبه
220	القمر	49	إنا كل شيء خلقناه بقدر
222	الأنعام	155	وأن هذا صراطي مستقيما
226	الإسراء	57	قل أدعو الذين زعمتم ... لربهم أقرب
227	الإنسان	10	إنما نطعمكم لوجه الله
227	آل عمران	85	ومن يبتغ غير الإسلام
227	يونس	72	وأمرت أن أكون من المسلمين
228	البقرة	132	ومن يرغب عن ملة إبراهيم
	يونس	84	وقال موسى يا قومي إن كنتم
228	الأعراف	126	ربنا أفرغ علينا صبرا
228	يوسف	101	توفني مسلما
228	المائدة	44	إنا أنزلنا التوراة
228	المائدة	111	إذا أوحيت إلى الحواريين
230	يونس	14	ثم جعلناكم خلائف في الأرض
230	البقرة	30	إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في
231-230	الأنعام	161	بهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع
231	ص	26	بداود إن جعلناك خليفة

الصفحة	سورة	رقم	الآية
231	الزخرف	60	لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة
231	الأعراف	69	واذكرو إذ جعلكم خلفاء من بعد نوح
231	الأعراف	74	خلفاء من بعد عاد
231	الأعراف	142	أخلفني في قومي
231	الفرقان	62	يهو الذي جعل الليل والنهار خلفه
231	يونس	6	ين في اختلاف الليل والنهار
231	الأعراف	129	عسى ربكم أن يهلك عدوكم
231	النور	55	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
232	القصص	26	إن خير من استأجرت
233	يوسف	54	إنك اليوم لدينا مكين أمين
233	الأنفال	27	يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
235	الأنعام	75	وكذلك نري إبراهيم ملكوت
237.236	الواقعة	59-58	أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن
240	البقرة	228	ولهن مثل الذي عليهن
242	التوبة	27	ورضوان من الله أكبر
245	الأعراف	28	وإذا فعلوا فاحشة قالوا
245.249.248.245	التوبة	31	إتخذوا أحبارهم ورهبانهم
245	الأنبياء	54-53-52	إذ قال لأبيه ما هذه التماثيل التي أنتم لها
248.245	الزخرف	22	إنا وجدنا آباءنا على ملة
248	الزخرف	24-23	وكذلك ما أرسلنا قبلك
248	الأحزاب	21	لقد كان لكم في رسول الله أسوة
248	الأحزاب	36	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
240	الحجرات	1	يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا ...
250	آل عمران	169	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
251	البقرة	255	وسع كرسيه السموات والأرض
252	الأنبياء	02	وما يأتيهم من ذكر محدث
255	الأنعام	51	وانذر به الذين يخافون
255	الزمر	44	قل لله الشفاعة جميعا
255	البقرة	255	من ذا الذي يشفع عنده
.	النجم	26	وكم من ملك في السموات
255	سبا	22	قل أدمو الذين زعمتم
256	المائدة	77	يا أهل الكتاب لا تغلوا في
256	نوح	24	وقالوا لا تذرنا أهتكم
260.258	يوسف	40	إن الحكم إلا لله
259	التوبة	06	وإن أحد من المشركين
259	الحجرات	09	وإن طائفتان من المؤمنين
263.262	المدثر	26-22	وإن هذا إلا قول البشر
264	النحل	44	وأن هذا صراطي مستقيما
265	الأنعام	103	لا تدركه الأبصار
	المطففين	15	كلأ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون

الصفحة	سورة	رقم	الآية
266	الأنبياء	83	وأيوب إذ نادى ربه
266	الضحى	04	ألم يجدك يتيما فآوى
266	الفتاحه	01	بسم الله الرحمن الرحيم
266	الناس	06	من الجنة والناس
267	النمل	88	وترى الجبال تحسبها
267	الأعراف	54	يغشى الليل النهار
268	الزمر	05	ويكور الليل على النهار
268	الرحمن	31	يا معشر الجن والإنس
268	النمل	82	وإذا وقع القول
269	الأعلى	06	غشاء أحوى
274	الرعد	11	إن الله لا يغير ما بقوم
275.274	الأنفال	53	ذلك بأن الله لم يك مغيرا
276	الأنعام	143	ولو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا
276	هود	118	ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة
279	الشورى	07	وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا
279	الشعراء	192	وإنه لتنزيل من رب العالمين
279	طه	113	وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا
279	الطارق	14-13	إنه لقول فصل
280	الحاقة	44	ولو تقول علينا
280	الحشر	2	فاعتبروا يا أولي الأبصار
282	النجم	02	وما ينطق عن الهوى
282	الواقعة	80	تنزيل من رب العالمين
282	طه	45	إني معكما أسمع وأرى
283	الفاشية	26	إن إلينا إيابهم ثم إن علينا
284	مريم	11	يا يحيى خذ الكتاب بقوة
284	سبا	11	أن اعمل سابغات وقدر
285	يس	78.77	أولم يرى الإنسان أنا خلقناه من نطفة
285	الصفافات	180	سبحان ربك رب العزة
286	هود	120	ونقص عليك من أنباء الرسل
286	يوسف	11	لقد كان في قصصهم عبرة
286	الأنعام	90	أولئك الذين هدى الله
287	الشورى	221	هل ننبئكم على من تنزل الشياطين
287	الأنعام	112	شياطين الإنس و الجن
287	البقرة	13	وإذا خلو إلى شياطينهم
287	الناس	6	الذي يوسوس في صدور
287	الجن	6	وإنه كان رجال من الإنس
287	الجن	15.11	وإننا منا الصالحون
287	يوسف	31	فلما رأينه أكبرنه
288	التكوير	22	إنه لقول رسول كريم ذي قوة
288	يوسف	54	إنك اليوم لدينا مكين أمين

الصفحة	سورة	رقم	الآية
288	الكهف	50	إن إبليس كان من الجن
288	الرحمن	33	يا معشر الجن و الإنس
291	الأنبياء	66	أفتعبدون من دون الله
291	النحل	17	أفمن يخلق كمن لا يخلق
291	لقمان	11	هذا خلق الله فأروني
291	الرعد	11	إن الله لا يغير ما بقوم
292	يوسف	92	لا تثريب عليكم اليوم
298	الأنعام	103	ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير
299	الأنعام	79.76	فلما جن عليهم الليل
299	الصف	6	و إذ قال عيسى بن مريم
300	آل عمران	191.190	و لله الحجة البالغة
300	الأنعام	149	إن في خلق السماوات

عبد القادر للعطوم الإسلامية

فهرس الأحادس

فهرس الأحاديث

الصفحات	الحديث
01	الدال على الخير كفاعله
22	ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه
22	ليس المسكين الذي ترده التمرة و ..
23	عن أبي ذر قال : «سألت النبي صلى الله عليه وسلم - عن قوله سبحانه وتعالى والشمس
24	الا إن القوة الرمي
25	عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله إذا قعد
30	تفترق أمتي على ثلاث وسبعين
30-32	عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
32	لا تسبوا أصحابي
32	أصحابي كالنجوم
40	روى ثعلبة الحشني أنه سأل النبي -صلى الله عليه وسلم-
43	وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: أمرت أن أقاتل الناس
47	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
52	قال عمر كنت جالسا عند رسول الله فقال أنبيئون
69	قال عليه الصلاة والسلام ولد الزنا شر الثلاثة
87	إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم
119	إقرأوا القرآن بلحون العرب
139	أقضاكم زيد
142	إن رجلا من الأنصار خرج في سرية إنما الطاعة في المعروف
146	سألت الله ألا تجتمع أمتي على ضلالة
146	لا تجتمع أمتي على ضلالة
146	لا تزال طائفة من أمتي على الحق ...
146	ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله
155	قم فصل فإنك لم تصل
156	لا يقبل الله صلاة إمريء
156	إنما الأعمال بالنيات
156	الذهب بالذهب مثل بمثل
157	صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته
157	طلاق الأمة ثنتان وعدتها
185	فتن قلت
186	ياصاحب المقرأة ... لا تخيره
186	هلك المتنطعون
187	أعددت لعبادي الصالحين

الصفحات	الحديث
204	إتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ إِنَّهُ يَنْظُرُ
212	اللَّهُمَّ إِمْلَأْ قُبُورَهُمْ نَارًا
222	تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ
223	خَيْرِ الْقُرُونِ الْقَرْنِ الَّذِي بَعَثَ فِيهِ
227	مَنْ أَسَدَى لَكُمْ مَعْرُوفًا
232	وَدِدْتُ أَنِّي رَأَيْتُ خَلْفَانِي
247	قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ
260	تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ
263	مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتَلُوهُ
263	لَا تَعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ
264	هَذِهِ سَبِيلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا
265	سَتْرُونَ رَبِّكُمْ عِزٌّ وَجَلٌّ كَمَا
265	هَلْ فِي الشَّمْسِ دُونَهَا
269	إِنْ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعَ الدَّابَّةِ
280	مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِمَا لَا يَعْلَمُ

عبد القادر للعطوم الإسلامية

فهرس الأعلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصفحات	
1	إبن منظور
2	الأزهري
3	أبو مجلز أبو عبيدة السلماني
3	القلقشندي
120.3	الخطيب البغدادي
161.160.36.4	أبو إسحاق الشاطبي
94.88.68.64.5	القرطبي
5	أحمد بن محمد المظفر
12.5	الطاهر بن عاشور
5	ابن جني
5	الزجاج
5	أبو حيان
194.198.197.5	الزمخشري
188.183.134.6	نافع بن الأزرق
.121.120.119.110.99.96.99.90.78.65.59.52.36.35.34.33.26.6	عبد الله بن عباس
.191.187.182.180.170.159.148.147.144.141.137.131.122	
.260.226.216.213.212	
8	أبو حامد الغزالي
10.9	أبو بكر الباقلاني
10	الجويني
271.270.254.242.241.239.224.222.204.187.140.58.34.24.10	ابن تيمية
.273.272	
10	ابن خلدون
229.186.173.170.169.168.152.144.29.25.10	الشافعي
273.272.271.254.243.238.219.187.43.11	ابن قيم الجوزية
213.151.135.59.50.12	الفخر الرازي
12	الزركشي
257.234.199.19.12	أبو زهرة
228.227.217.49.26.14.13.12	إبراهيم الخليل
14	مصطفى المراني
228.227.61.49.15	موسى عليه السلام
17	مريم
21	الدكتور عمرة
23	أبوذر
24	البراء بن عازب
35.25	أبو سعيد
25	زيد بن ثابت
25	ابن أم مكتوم
203.149.148.49.26	عيسى

265.101.69.34.33.31.27	أبو هريرة
115.102.101.96.58.55.54.52.51.45.44.43.41.37.33.31.29	أبو بكر
.261.180	
112.102.100.58.55.54.52.51.50.49.48.47.43.41.40.39.37.35.33.31.29	عمر
216.160	
261.182.137.131.103.59.33.31.29	عثمان
16.180.147.146.141.131.130.104.103.64.62.61.60.59.58.34.33.31.29	علي
260.259.217	
284.229.189.168.155.29	أبو حنيفة
241.173.123.29	أحمد
229.186.161.168.167.165.159.158.110.29	مالك
186.29	الأوزاعي
30	أبو الحسن الندوي
226.212.159.137.96.90.87.86.85.84.83.82.48.36.33.31	عبد الله بن مسعود
33	عبد الله بن زيد
33	زيد بن ثابت
33	معاذ بن جبل
82.73.33	أبي بن كعب
54.33	عبيدة بن الجراح
85.83.34	الأعمش
97.78.35	الزهري
37	مطرف بن الشخير
37	عمران بن حصين
177.38	عمار بن ياسر
153.38	عدي بن حاتم الطائي
38	قيس بن حازم
38	جرير بن عبد الله البجلي
42	رمضان البوطي
212.147.42	ابن كثير
55.44	يزيد بن أبي سفيان
47	عمرو بن هشام
48	سهيل بن بيضاء
49	محمد الغزالي
227.135.49	نوح
75.53	ابن عطية
53	ابن المنذر
188.197.56	جمال الدين القاسمي
203.202.176.59	ابن عربي
61	عبد الرزاق
251.188.67.64	الطبري

الصفحات	
73.64	مجاهد
64	سعيد بن المسيب
64	عطاء بن إبراهيم
65	خالد بن الوليد
217.182.177.175.104.80.78.76.69.68.67.66	عائشة
66	عروة بن الزبير
67	عبد الله بن المبارك
87.67	ناصر الدين الألباني
69	مروان بن الحكم
70	يزيد بن معاوية
70.69	عبد الرحمن بن أبي بكر
70	يوسف بن ماهك
159.122.115.88.87.79.78.77.76.75.74.73.72	عبد الله بن عمر
92.73	النسائي
73	حسان بن ثابت
74.73	زيد بن حارثة
75	أبو حاتم
186.75	البيهقي
175.76	الخصاص
76	أبو عبيدة
76	عطا بن أبي رباح
113.78.76	الحسن البصري
214.202.98.96.93.91.87.86.78	البخاري
123.78	عمر بن عبد العزيز
78	طاووس
78	الخطابي
81.80	ابن الزبير
82	سالم مولى حديفة
83	الذهبي
86	أبو عمر
86	سفيان بن عتبة
87	ابن ماجة
90	ابن حجر
92	أبو داود
95	سعيد بن جبير
95	لعباس
95.94	قدامة بن مضافون
228.100	يوسف عبد السلام
100	أبو موسى الأشعري
103	أبو الفرج قدامة

الصفحات	
105	الزبير
106	الشهرستاني
113	واصل بن عط
122.114	جهم بن صفوا
114	معبد الجهمي
120	أبو عبيدة
120	قطرب
122	الجعد بن درهم
288.128.124	الزمخشري
175.174.130	ابن حزم
132	عبيدة بن هلال
132	الفجاءة
133	حفص بن المقدم
135	أبو بلال مرداس
136	زياد
149.139	الطوسي
142.140	الباقر
142.143	الصادق
147.196.145.144.143	الطبري
143	النوي
144	الحسن
144	قتادة
147	الضحاك
148	بيان بن سمان
148	عبد الله بن سبأ
149	جولد تسيهر
150	أبو الأعلى المودودي
160	القرافي
174	داود الطاهر
259.175	معاوية بن أبي سفيان
177	الهراسي
182	عروة
183	مروان
182	الطيالسي
182	أبو داود
186	شعبة
186	حماد بن زيد
186	شريك
187	أبو عوانة

الصفحات	
240	إبن حبيب
272.271.263.254.253.244	الشوكاني
273...253	محمد بن عبد الوهاب
259	عمرو بن العاص
261	حسن أيوب
266	أبو طالب
275.274	الأنفاني
275.274	محمد عبده
276	رشيد رضا
277	عبد الحميد بن باديس
284	يحيى
284	زيد بن أسلم
284	عبد الوهاب النجار

عبد القادر للعطوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوعات
	المقدمة
	الفصل الأول : حقيقة الإستدلال
01	المبحث الأول : ماهية الإستدلال
08	المبحث الثاني : الإستدلال عند الفلاسفة وعلماء الكلام والفقهاء
11	المبحث الثالث : إستدلالات القرآن الكريم
22	المبحث الرابع : الإستدلال عند النبي «صلى الله عليه وسلم»
	الفصل الثاني : الإستدلال عند السلف - إستدلالات الصحابة -
39	المبحث الأول : الإستدلال عند أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-
47	المبحث الثاني : الإستدلال عند عمر -رضي الله عنه-
58	المبحث الثالث : الإستدلال عن علي -رضي الله عنه-
66	المبحث الرابع : الإستدلال عند عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-
72	المبحث الخامس : الإستدلال عند سيدنا عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-
82	المبحث السادس : الإستدلال عند سيدنا عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-
90	المبحث السابع : الإستدلال عند عبد الله بن عباس -رضي الله عنه-
106-99	خاتمة الفصل : ضوابط إستدلال الصحابة وطرائقه
	الفصل الثالث : الإستدلال عند السلف
108	المبحث الأول : الإستدلال عند أصحاب الفرق
122	المبحث الثاني : الإستدلال عند الجبرية والقدرية
130	المبحث الثالث : الإستدلال عند الخوارج
137	المبحث الرابع : الإستدلال عند الشيعة
150	المبحث الخامس : الإستدلال الفقهي (المدارس الفقهية)
155	المبحث السادس : الإستدلال عند أبي حنيفة
159	المبحث السابع : الإستدلال عند مالك
168	المبحث الثامن : الشافعي والإستدلال بالقرآن
173	المبحث التاسع : الإمام أحمد وأئمة آخرون والإستدلال بالقرآن
	الفصل الرابع : الإستدلال بالقرآن ، المؤلفون وأصنافهم، والسالكون منهم السلف
179	المبحث الأول : التأويل والمؤولون وأصنافهم
189	المبحث الثاني : التأويل عند الشيعة
196	المبحث الثالث : التأويل عند المعتزلة
201	المبحث الرابع : التأويل عند الصوفية
206	المبحث الخامس : أنواع التأويل (قريب، بعيد مستبعد)

الرقم	الموضوعات
221	المبحث السادس : السالكون منهج السلف الصالح ابن تيمية -رضي الله عنه-
238	المبحث السابع : ابن القيم والإستدلال
244	المبحث الثامن : الإمام الشوكاني والإستدلال
253	المبحث التاسع : محمد بن عبد الوهاب والإستدلال
	الفصل الخامس : معطيات الإستدلال وضوابطه
258	المبحث الأول : ظاهرة التكفير
264	المبحث الثاني : ظاهرة التباين
270	المبحث الثالث : ظاهرة الإصلاح
279	المبحث الرابع : ضوابط الإستدلال
300	الخاتمة
306	فهارس

عبد القادر للعطوم الإسلامية